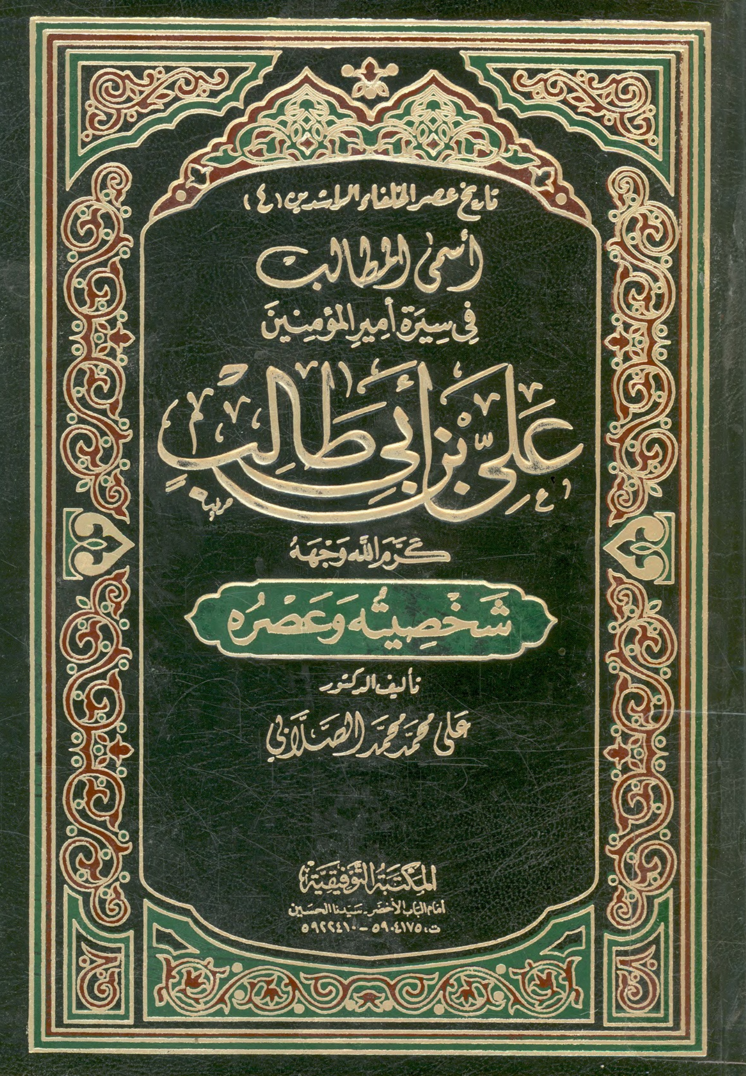

تاريخ عصر الخلفاء الراشدين (٤)
أسمى المطالب
في سيرة أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب
رضي الله عنه
كرم الله وجهه
شخصيته وعصره
تأليف الدكتور
علي محمد محمد الصلابي
المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠



تاريخ عصر الخلفاء الراشدين (٤)

أسمى المطالب

في سيرة أمير المؤمنين



كرم الله وجهه

شخصيته وعصره

تأليف الدكتور

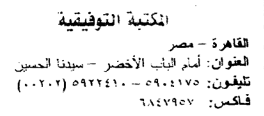
علي محمد محمد الصلابي

الجزء الأول



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

٥٩٢٢٤١٠ ٥٩٠٤١٧٥



المكتبة التوفيقية

القاهرة – مصر
العنوان: أمام الباب الأخضر – سيدنا الحسين
تليفون: ٥٩٠٤١٧٥ – ٥٩٢٢٤١٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس: ٦٨٤٧٩٥٧

Al Tawfikia Bookshop

Cairo-Egypt

Add.: In Fornt of the Green Door Of El Hussen
Tel : (٠٠٢٠٢) ٥٩٠٤١٧٥ _ ٥٩٢٢٤١٠
Fax : ٦٨٤٧٩٥٧

إشراف
توفيق شعلان




إلى كل مسلم حريص على إعزاز دين
الله تعالى أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى
عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى
أن يكون خالصًا لوجهه الكريم.
قال تعالى:
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً
صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾
[الكهف: ١١٠]



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا، أما بعد..

هذا الكتاب الرابع في دراسة عهد الخلافة الراشدة فقد صدرت عدة كتب عن الصديق والفاروق وذي النورين، وقد سميت هذا الكتاب: **«أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»** شخصيته وعصره ويتحدث هذا الكتاب عن أمير المؤمنين علي من الميلاد حتى الاستشهاد، فيبدأ بالحديث عن اسمه ونسبه ولقبه ومولده وأسرته وقبيلته وإسلامه وأهم أعماله في مكة، وعن هجرته، ومعايشته للقرآن الكريم وأثرها عليه في حياته، وعن تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر، وعن مكانة القرآن الكريم عنده، وما نزل فيه من القرآن الكريم، وعن الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين علي في استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه، وعن تفسير أمير المؤمنين علي لبعض الآيات الكريمة، وعن ملازمته لرسول الله ﷺ منذ طفولته، ومعرفته العميقة بمقام النبوة وكيفية التعامل معه، فقد أوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان حريصًا على تعليم الناس وحثهم على الاقتداء برسول الله في أقواله وأعماله وتقريراته، فبين وجوب طاعة النبي ﷺ ولزوم

سنته والمحافظة عليها، وأوضح دلائل نبوة الرسول ﷺ، وفضله وبعض حقوقه على أمته ﷺ، ويجد القارئ الكريم نماذج من اتباع أمير المؤمنين علي للسنة النبوية المطهرة، ويتحدث الكتاب عن أسماء بعض الرواة عن أمير المؤمنين علي من الصحابة والتابعين وأهل بيته وينتقل الكتاب بالقارئ إلى حياة أمير المؤمنين في المدينة في عهد النبي ﷺ فيتكلم عن زواج أمير المؤمنين علي من السيدة فاطمة ﷺ وما في هذا الزواج من دروس وعبر في المهر والجهاز، والزفاف والمعيشة والزهد وصدق لهجة السيدة فاطمة وسيادتها في الدنيا والآخرة، وترجمت للحسن والحسين ﷺ ترجمة مختصرة، وبينت فضلهما وما ورد فيهم من أحاديث عن رسول الله ﷺ، وتكلمت عن مفهوم أهل البيت عند أهل السنة، وما يخصهم من أحكام، كتحريم الزكاة عليهم، وكونهم لا يرثون رسول الله ﷺ، وحقهم في خمس الخمس في الغنيمة والفيء، والصلاة عليهم مع النبي ﷺ، ووجوب محبتهم واحترامهم ومودتهم، وبينت مواقف أمير المؤمنين في سرايا رسول الله وغزواته، كبدر وأحد والخندق، وبني قريظة، والحديبية وخيبر، وفتح مكة، وغزوة حنين، وعن استخلاف النبي ﷺ لعلي على المدينة في غزوة تبوك ٨هـ وحج أبي بكر بالناس ودور علي ﷺ الإعلامي ووفد نصارى نجران وآية المباهلة، وإرسال النبي ﷺ عليًا داعيًا وقاضيًا لليمن، وأقضيته التي حكم بها في اليمن السعيد الحبيب، ومواقف علي في حجة الوداع، وقصة الكتاب الذي همّ النبي ﷺ بكتابته في مرض موته، وعن علاقة علي بالخلفاء الراشدين، ومكانته في دولة الخلافة الراشدة، فتكلمت عن مبايعته لأبي بكر بالخلافة ومساندته له في حروب الردة، وتقديمه وتفضيله للصديق، واقتداؤه به في الصلوات وقبول الهدايا منه، وأشرت إلى العلاقة بين الصديق والسيدة فاطمة وقصة ميراث النبي ﷺ ورددت على الشبهات الرافضية حول قصة الميراث ونسفت حججهم، وأدلتهم بالبراهين القاطعة والأدلة الناصعة، وكشفت الستار عن رواياتهم الضعيفة والموضوعة، وأثبت محبة السيدة فاطمة للحق والتزامها بالشريعة، واحترامها لخليفة رسول الله أبي بكر، وتسامحها معه، واحترام أهل البيت للصديق والمصاهرات المتبادلة بين آل الصديق وأهل البيت، ومحبتهم له وتسمية أولادهم عليه، وتحدثت عن مساهمات علي في عهد الفاروق في الأمور القضائية، والتنظيمات المالية والإدارية واستخلاف عمر لعلي على المدينة مرارًا، ومشاورته له في أمور الجهاد وشؤون الدولة وعن

العلاقة الحميمة المتينة بين الفاروق وأهل البيت، وزواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وحقيقة هذا الزواج الميمون المبارك وتركت الحجج الدامغة، والبراهين الساطعة تنسف الأكاذيب من جذورها فتركتها قاعًا صفصفا، وأخذت الحقائق التاريخية ترسم لنا حقيقة المحبة والمودة بين الصحابة الكرام، كما جاءت في القرآن الكريم، ووضحت بيعة علي لعثمان رضي الله عنه ورددت على الأكاذيب التي ألصقت بها، وتحدثت عن جهوده في دعم دولة ذي النورين، ودفاعه عنه أمام الغوغاء ومواقفه في فتنة مقتله في بدايتها وأثناء الحصار وبعد استشهاده، وتحدثت عن المصاهرات بين آل علي وآل عثمان وأتيت بأقوال علي في الخلفاء الراشدين الذين سبقوه في الدلالة على محبتهم واحترامهم ومودتهم والبراءة ممن يسبهم ويشتمهم وإقامة حد المفترى على من يسب الشيخين ولا يتمالك القارئ المسلم نفسه من البكاء وهو يتأمل في أقوال أمير المؤمنين في الخلفاء وتعامله مع ذلك الجيل القرآني الفريد وساداته الكرام.

قال الشاعر:

ومن عَجَبٍ أنِّي أحِنُّ إليهم ... وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ... ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

وقال الشاعر:

إني أحبُّ أبا حفص وشيعته ... كما أحب عتيقًا صاحب الغار
وقد رضيت عليًّا قدوة علمًا ... وما رضيت بقتل الشيخ[1] في الدار
كل الصحابة ساداتي ومعتقدي ... فهل عليّ بهذا القول من عار

هذا وقد تحدثت عن بيعة علي بالخلافة وكيف تمت؟ وعن أحقيته بها، وإجماع الصحابة على ذلك، وبيعة طلحة والزبير له طوعا بدون ضغط أو إكراه، وانعقاد الإجماع على خلافته، وشروط أمير المؤمنين في بيعته وأول خطبة له، وأهل الحل والعقد في دولته، وشيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه، وتوسعت في الحديث عن صفاته، فبينت علمه الواسع وفقهه الغزير، وزهده، وتواضعه، وكرمه وجوده، وحياؤه، وشدة عبوديته وصبره، وإخلاصه، وشكره لله، ودعاؤه الخاشع،

(١) الشيخ هو: عثمان رضي الله عنه.

وعن المرجعية العليا لدولته، وسيرها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه، وعن حق الأمة في الرقابة على الحكام، والشورى، والعدل والمساواة والحريات، وعن حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوته للتوحيد ومحاربته للشرك، وتعريفه الناس بأسماء الله وصفاته، وبنعم الله المستوجبة لشكره، وحرصه على محو آثار الجاهلية، وحرصه على بطلان الاعتقاد بالكواكب، وإحراقه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية، وحديثه عن كيفية بداية الإيمان في القلب وتعريفه للتقوى، ومفهوم القضاء والقدر، وكيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟ ونقلت شيئا من خطبه ومواعظه، وما ينسب إليه من شعر أو يتمثل به في مناسبات عديدة، واخترت مجموعة قيمة من حكمه التي سارت مضرب المثل بين الناس، وتكلمت عن حديثه عن صفات خيار العباد، وعن تطوع النبي ﷺ، ووصف الصحابة الكرام، وتحذيره من الأمراض الخطيرة التي تصيب القلوب، كطول الأمل واتباع الهوى، والرياء، والعجب، وعن اهتمامه بترشيد الأسواق، ومحاربته للبدع، والأعمال التي تخالف الشرع في أوساط الناس، وتحدثت عن المؤسسات التي في دولته، كالمالية، والقضائية، ومؤسسة الولاة، وعن الخطة القضائية والتشريعية في عهد الخلفاء الراشدين والمصادر التي اعتمدها الصحابة في ذلك العهد، وعن ميزات القضاء في عهد الراشدين، وعن أشهر قضاة أمير المؤمنين علي وعن أسلوبه القضائي، ونظرته للأحكام الصادرة قبله، والمؤهلين للقضاء، ومجانية الحصول على الحكم، وعن اجتهاداته الفقهية في العبادات، والمعاملات المالية، والحدود والقصاص والجنايات، وأشرت إلى مسألة حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين، وبينت في حديثي مؤسسة الولاة، وأقاليم الدولة في عهده وما وقع في كل إقليم من أمور جسام، وتكلمت عن منهجه في تعيين الولاة، ومراقبته لعماله وبعض توجيهاته، والصلاحيات الممنوحة للولاة، من تعيين وزراء مع كل والي في كل أقليم، وتشكيل مجالس الشورى وإنشاء الجيوش في كل ولاية، وترسيم السياسة الخارجية في مجال الحرب والسلم والحفاظ على الأمن الداخلي وتشكيل الجهاز القضائي في كل ولاية، والنفقات المالية، والعمال التابعين لكل ولاية ومتابعتهم، ودور العرفاء والنقباء في تثبيت نظام الولايات، ووضحت بعض المفاهيم الإدارية من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كتأكيده على العنصر الإنساني، وعامل الخبرة والعلم، والعلاقة بين الرئيس

والمرؤوس، ومكافحة الجمود، والرقابة الواعية، والضبط، والمشاركة في صنع القرار وحسن الاختيار لدى الوالي والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة، ومرافقة ذوي الخبرات، ومفهوم الإدارة الأبوية، وكون التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية، ثم انتقلت إلى المشاكل الداخلية في عهد علي ﷺ، فتحدثت عن معركة الجمل مبتدأ بالأحداث التي سبقتها وعن أثر التنظيم السبيء في اندلاعها ودور عبدالله بن سبأ في إذكاء الفتن الداخلية، وعن اختلاف الصحابة في الطريقة التي يأخذ بها القصاص من قتلة عثمان، وعن موقف السيدة عائشة أم المؤمنين، وطلحة والزبير ومعاوية بن أبي سفيان ومن كان معهم في الإسراع بالقصاص من قتلة عثمان، وبينت موقف معتزلي الفتنة، كسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي موسى الأشعري، وعمران ابن حصين، وأسامة بن زيد ومن سار على نهجهم، وتكلمت عن موقف المتريثين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال، كأمير المؤمنين علي، وعن محاولات الصلح قبل اندلاع معركة الجمل، وعن نشوب القتال، وجولته الأولى والثانية، واستشهاد طلحة والزبير، ومبايعة أهل البصرة لعلي ﷺ، وعن موقف علي ﷺ من أم المؤمنين عائشة وكيف عاملها واحترمها وقدرها وردها إلى المدينة معززة مكرمة وأشرت إلى فضائلها وشيء من سيرتها، كما ترجمت للزبير وطلحة ﷺ لكونهم من الشخصيات المؤثرة في عهد النبوة والخلافة الراشدة وفي عهد أمير المؤمنين علي ودافعت عنهم دفاعًا عن الحق لكونهم ظلموا، فبينت فضلهم ومكانتهم في الإسلام، ورددت عن الشبهات والأكاذيب التي ألصقت بهم من خلال إثبات الحقائق الناصعة، والحجج الدامغة، وصفاتهم الرفيعة، وأخلاقهم الكريمة، بحيث يخرج القارئ المسلم بمعرفة حقيقية لا لبس فيها ولا غموض، لهذه الشخصيات الفذة، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن ترجمة عائشة أو طلحة والزبير أو غيرهم من كبار الصحابة التي ساهمت في الأحداث التي وقعت في عهد أمير المؤمنين علي ﷺ ينسجم مع منهجي في دراسة شخصية أمير المؤمنين وعصره، والشخصيات التي أثرت في ذلك العهد ملتزمًا في طرحي بمنهج أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلا، أصولا وفروعًا.

قال الشاعر: أبو محمد القحطاني:

أكرم بطلحة والزبير وسعدهم ... وسعيدهم وبعابد الرحمن
وأبي عبيدة ذي الديانة والتقى ... وامدح جماعة بيعة الرضوان
قل خير قول في صحابة أحمد ... وامدح جميع الآل والنسوان
دع ما جرى بين الصحابة في الوغى ... بسيوفهم يوم التقى الجمعان
فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم ... وكلاهما في الحشر مرحومان
والله يوم الحشر ينزع كل ما ... تحوي صدورهم من الأضغان
لا تركننّ إلى الروافض إنهم ... شتموا الصحابة دون ما برهان
لعنوا كما بغضوا صحابة أحمد ... وودادهم فراض على الإنسان
حب الصحابة والقرابة سنة ... ألقى بها ربي إذا أحياني

وقال أيضًا:

إن الروافض شرٌّ من وطئ الحصى ... من كل إنس ناطق أو جان
مدحوا النبي وخوّنوا أصحابه ... ورموهم بالظُّلم والعدوان
حبُّوا قرابته وسبُّوا صحبه ... جدلان عند الله منتقصان
فكأنّما آلُ النبي وصحُبُه ... روح يَضُمُّ جَميعَها جسدان
فئتان عَقْدُهُما شريعة أحمد ... بأبي وأمِّي ذانك الفئتان
فئتان سالكتان في سبل الهدى ... وهما بدين الله قائمتان

هذا وقد تحدثت عن معركة صفين، ودوافع معاوية رضي الله عنه في عدم البيعة، والمراسلات التي تمت بينه وبين علي رضي الله عنه، ومحاولات الصلح، ونشوب القتال، والدعوة إلى التحكيم، ومقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين، وعن المعاملة الكريمة من الطرفين أثناء الحرب والمواجهة، ومعامله الأسرى، وعدد القتلى وترحم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على قتلى الطرفين، ونهيه عن شتم معاوية ولعن أهل الشام، ثم تكلمت عن قصة التحكيم، فترجمت لسيرة أبي موسي الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، وبينت بطلان الأكاذيب والقصص الواهية، والموضوعة التي ألصقت

بهم في حادثة التحكيم، وأشرت إلى كيفية الاستفادة من قصة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية، وركزت على موقف أهل السنة من تلك الحروب، وحذرت من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة بالظلم والعدوان، ككتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب زورًا لابن قتيبة، وكتاب «الأغاني» للأصفهاني، «وتاريخ اليعقوبي»، «والمسعودي» وغيرها من الكتب المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، وبينت دور المستشرقين في تحريف التاريخ الإسلامي وتزويره وتشويهه وكيف استفادوا من كتب الشيعة الروافض وأسسوا مدرسة معارضة ساهمت في تلويث الأفكار، وتحريف الوقائع وطمس الحقائق، وتوسيع النقاط السوداء في تاريخنا مع المبالغة والتهويل تحت شعارات برّاقة، كالبحث العلمي النزيه، والواقعية، والموضوعية، والحياد، وتبنى تلك الأفكار التدميرية، مجموعة من أبناء المسلمين ينتمون للإسلام لا يحسنون فهمه ولا عرضه، ولا العمل به، ولا الدفاع عنه، بل تورطوا في شباك أعداء الإسلام الذين يعملون على تشويه تاريخ هذه الأمة وحضارتها التي صنعها دينها العظيم.

هذا وقد قمت بدراسة موضوعية علمية في الفصل الأخير عن الخوارج والشيعة الرافضة، فبينت نشأة الخوارج وعرفت بهم، وذكرت الأحاديث النبوية التي تضمنت ذمهم، وانحيازهم إلى حروراء ومناظرة ابن عباس لهم، وسياسة أمير المؤمنين في التعامل معهم، وأسباب مقاتلته لهم، ونشوب القتال معهم، وقصة ذي الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش علي ﷺ، ووقفت مع الأحكام الفقهية التي اجتهد فيها أمير المؤمنين علي في معاركه في الجمل وصفين والخوارج، وكيف اعتمد عليها الفقهاء فيما بعد، ودونوها في كتبهم بما يعرف بأحكام فقه البغاة، وأشرت إلى أهم صفات الخوارج في عهد أمير المؤمنين علي، كالغلو في الدين، والجهل به، وشق عصا الطاعة، والتكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم، والطعن والتضليل، وسوء الظن، والشدة على المسلمين، وناقشت بعض الآراء الاعتقادية للخوارج، كتكفير صاحب الكبيرة، ورأيهم في الإمامة، وطعنهم لبعض الصحابة وتكفيرهم لعثمان وعلي ﷺ، وتطرقت لأسباب انحراف الخوارج ونزعاتهم في العصر الحديث، كالجهل بالعلوم الشرعية بسبب الإعراض عن العلماء، والقراءة من الكتب بدون معلم، وغلوهم في ذم التقليد، وتخلي كثير من العلماء عن القيام

بواجبهم وشيوع الظلم والتحاكم للقوانين الوضعية، وانتشار الفساد بين الناس، وعدم تزكية النفوس، وأشرت إلى أهم مظاهر غلوهم، كالتشدد في الدين على النفس والتعسير على الآخرين، والتعالم والغرور، والاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين، والطعن في العلماء العاملين، وسوء الظن، والشدة والعنف مع الآخرين، وتكفير المسلمين.

وتكلمت عن فرقة الشيعة الرافضة، فبينت معنى الشيعة في اللغة والاصطلاح، ومعنى الرفض في اللغة والاصطلاح، وسبب تسميتهم بالرافضة، ونشأتهم ودور اليهود في ذلك، والمراحل التي مرّ بها الشيعة وأهم عقائد الشيعة الرافضة وموقف أمير المؤمنين وعلماء أهل البيت من تلك العقائد المنسوبة إليهم، كعقيدة الإمامة وحكم من جحدها، والعصمة ومناقشة أدلتهم على العصمة وبيان بطلانها، وكذلك أدلتهم على النص من القرآن الكريم، كآية التطهير، والمباهلة، والولاية، وأدلتهم المزعومة من السنة، كخطبة غديرخم، وحديث أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وبيان الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي استدلوا بها على الإمامة، كحديث الطائر، وحديث الدار، وأنا مدينة العلم وعلي بابها، وألحقت بالكتاب فهرسا للأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يحتج بها الشيعة الرافضة لتحذير المسلمين من الوقوع في حبائلهم وبينت حقيقة التوحيد عند الشيعة الرافضة وكيف حرفوا نصوص التوحيد وجعلوها في ولاية الأئمة، وجعلوا الإمامة أصل قبول الأعمال، واعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه، وقولهم لا هداية للناس إلا بالأئمة، ولا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة، وكون الحج إلى المشاهد الشيعية أعظم عندهم من الحج إلى بيت الله، وكون الإمام عندهم يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء، وأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء، وإسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة، وقولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء، وغلوهم في الإثبات، وحقيقة التعطيل عندهم، ومسألة خلق القرآن، ومسألة رؤية الله عز وجل في الآخرة، وتفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل، وموقفهم من القرآن الكريم واعتقاد بعض علمائهم بتحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم، وموقف الشيعة الرافضة من الصحابة الكرام والسنة النبوية المطهرة، ومفهوم التقية عند القوم، وعقيدة المهدي المنتظر عندهم، والرجعة، وقولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى، وقد بينت

موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأئمة أهل البيت الأطهار، وعلماء أهل السنة من تلك العقائد الفاسدة والمنحرفة عن كتاب الله تعالى وألتزمت في مناقشتي بالأدب والابتعاد عن السب والشتم، ومناقشة القوم من خلال أصولهم وكتبهم المعتمدة، والحرص على بيان الحقيقة لمحبي أهل البيت من الشيعة ودعوتهم بالاقتداء بأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وتحذيرهم من المندسين تحت عباءة أهل البيت لغرض إفساد عقائد الناس وإبعادهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما أن هناك رغبة صادقة مخلصة لتعريف الجمهور العريض من أهل السنة لحقيقة هؤلاء الشيعة الرافضة فالقضية لها وجودها وآثارها بين الشعوب في إفريقيا، وآسيا، وأوروبا والأميركتين ودعاة التشيع الرافضي نشطون في دعوتهم المنحرفة يبذلون في سبيلها الغالي والنفيس، ويتحالفون مع خصوم الإسلام الصحيح لضربه والقضاء عليه، وتشويه منهجه وهذا ليس بجديد وأهل السنة إلا ما رحم الله في استرخاء عجيب، ونوم عميق وغفلة عمّا يراد بهم، وبعضهم يقول إن الصراع السني الشيعي الرافضي قد عفا عليه الزمن، وهذا الكلام عاري من الحقيقة، ودليل على الجهل، وفي طياته خداع لجمهور المسلمين العريض، باسم التقريب وتوحيد الصف الإسلامي.

إن المنهج الصحيح للتقريب هو أن يقوم علماء أهل السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبيان صحته وتميزه عن مذهب أهل البدع، فأهل السنة والجماعة هم المتبعون لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ونسبتهم إلى سنة الرسول ﷺ التي حث على التمسك بها بقوله ﷺ: **«فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليه بالنواجذ»**[١]، وحذر من مخالفتها بقوله: **«وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**[٢]، وقوله: **«من رغب عن سنتي فليس مني»**، وهذا بخلاف غيرهم من أهل الأهواء والبدع الذين سلكوا مسالك لم يكن عليها الرسول ﷺ، فأهل السنة ظهرت عقيدتهم بظهور بعثته ﷺ وهي محفوظة بحفظ الله لها في كتابه وسنة رسوله ﷺ وأهل الأهواء ولدت عقائدهم بعد زمنه ﷺ، ومنها ما كان

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٤٧، ٦٤٨).

(٢) مسلم (٢/ ٥٩٢).

في آخر عهد الصحابة ومنـها ما كان بعد ذلك، والرسول ﷺ أخبر أن من عاش من أصحابه سيدرك هذا الـتفرق والاختلاف فقال: وإنه من يعش منكم فسـيرى اختلافًا كثـيرًا[1]، ثم أرشـد إلى سلوك الصراط المسـتقـيم، وهو اتبـاع سنته وسنة خلفـائه الراشدين، وحذر من مـحدثات الأمور، وأخبر بأنها ضـلال، وليس من المعقول ولا المقبول أن يُحجب حقٌّ وهدى عن الصحابة ﷺ ويُدخـر لأناس يجيئون بعدهم، فإن تلك البدع المحدثة كلها شر، ولو كان في شيء منها خـير لسبق إليه الصحابة، لكنها ابتُلي به كثير ممن جـاء بعدهم. ممن انحرفوا عما كان عليه الصـحابة ﷺ، وقد قال الإمام مـالك رحمه الله: لن يصلح آخـر هذه الأمة إلا بما صلح به أولهـا، ولذا فإن أهل السنة ينتسـبون إلى السنة وغـيرهم ينتسـبون إلى نحلهم الباطلة، أو إلى أسـماء أشخاص معينين.

إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق وكشف الباطل وتقريب الشيعة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفـهم الإسلام الصـحيح من خـلال علمـاء أهل السنة وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت، كـأمير المؤمنين علي ﷺ وأبنائه وأحفاده، كما أنه ينبغي التنويه، وتشجـيع الأصوات الإصلاحية الشيـعية الصادقة واحترامـها وتقديرها والوقوف معـها في نصيحـة أقوامها، كالذي قـام به السيد حسين الموسـوي في كتابه القيم لله ثم للتاريخ، «كـشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار» وكـالجهد العلمي الذي قام به السـيد أحـمد الكاتب مشكورًا في كـتابه «تطور الفكر السـياسي الشـيعي من الشورى إلى ولاية الفقيـه»، وعلينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت مقـتفيًا لآثارهم الصحيحة وهديهم الجميل في إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ونعاملهم بكل احترام وتـقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان ونحثهم على أعـمال العقل، وتحريره من إغلاله، وإزاحة الركـام الثقيل من الأباطيل التي على الفطر، حـتى تأخذ العقـول النيرة، والفطر السليمـة مجالهـا في الوصول للحقيقة التي لها نورًا ساطعًا وبريقًا لامعًا لا تخفيه الغيوم.

وعلى علماء أهل السنة أن يلتزموا أسلوب البـحث العلمي الهادي في مناقشة بدع المبتدعة وأن يترفقوا معـهم، وقد يكون من تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم في الحدود

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٤٧، ٦٤٨).

التي لا خلاف فيها أو نجدتهم في الملمات وأيام المصاعب أو نصرهم إذا كانوا في نزاع مع كافر أو ظالم لهم، وفق فقه السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد إلا أن هذا الأصل في التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث لا يمكن أن يطرد دائمًا ليشمل من يأتي من الشيعة الرافضة بغلو قد يكون في السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشديد، والأقوال الشاذة في كل الأحوال، والحد المميز بين الطائفتين الأولى التي نترفق معها في الكلام، والثانية التي نغلظ لها الكلام، إنما يكون كامنًا في مدى اعتماد القائل على نص شرعي تتكون منه شبهة أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان، وأما من يتتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتأخرين ومن لا تأويل له فالإنكار منا تجاهه أولى، وربما كان الإغلاظ في إنكار بدعته أوجْب.

قال الشاعر:

واحذر مجادلة الرِّجال فإنَّها ... تدعو إلى الشحناء والشَّنان
وإذا اضطررت إلى الجدال ولم تجد ... لك مهربا وتلاقت الصَّفَّان
فاجعل كتاب الله درعًا سابغًا ... والشرع سيفك وابد في الميدان
والسنة البيضاءَ دونك جُنَّة ... واركب جواد العزم في الجولان
واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى ... فالصبر أوثق عدة الإنسان
واطعن برمح الحق كل معاند ... لله درُّ الفارس الطعان
واحمل بسيف الصِّدق حملة مخلص ... متجردا لله غير جبان

كما أن علماء أهل السنة وأهل الحل والعقد منهم في المجتمعات الطائفية لهم دور كبير في قيادة المسلمين نحو الخير، فهم الذين يقدرون المواقف السياسية والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد الذي تضبطه قواعد السياسة الشرعية، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه ودعوة الناس إليه، والتحذير من العقائد الفاسدة المندسة في أوساط المسلمين حتى لا يتأثروا بها والتي يجتهد دعاتها في نشرها بالليل والنهار والسر والإعلان بدون ملل ولا كلل، ولنا أسوة حسنة في رسول الله ﷺ أبان هجرته

للمدينة عندما عقد المعاهدات مع اليهود التي تؤمّن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسلامية وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم حتى يتعرف المسلمون على حقيقة الشخصية اليهودية فلا ينخدعوا بها. وعندما غدر اليهود كان الصف الإسلامي محصنا ضد هذه الطائفة.

إن الدّارس لحركة التاريخ الإسلامي، كمرحلة الحروب الصليبية في عهد نور الدين وصلاح الدين، وزمن العثمانيين في عهد السلطان محمد الفاتح وغيره، والمرابطين، في عصر يوسف بن تاشفين، يلاحظ أن عوامل النهوض، وأسباب النصر كثيرة منها: صفاء العقيدة، ووضوح المنهج، وتحكيم شرع الله في الدولة، ووجود القيادة الربانية التي تنظر بنور الله، وقدرتها في التعامل مع سنن الله في تربية الأمم، وبناء الدول وسقوطها، ومعرفة علل المجتمعات، وأطوار الأمم، وأسرار التاريخ، ومخططات الأعداء، من الصليبيين واليهود والملاحدة والفرق الباطنية، والمبتدعة، وإعطاء كل عامل حقه الطبيعي في التعامل معه، فقضايا فقه النهوض، والمشاريع النهضوية البعيدة المدى متداخلة متشابكة لا يستطيع استيعابها إلا من فهم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وارتبط بالفقه الراشدي المحفوظ عن سلفنا العظيم فعلم معالمه وخصائصه وأسباب وجوده وعوامل زواله، واستفاد من التاريخ الإسلامي وتجارب النهوض، فأيقن بأن هذه الأمة ما فقدت الصدارة قط وهي وفية لربها ونبيها ﷺ وعلم بأن الهزائم العسكرية عرض يزول، أما الهزائم الثقافية فجرح مميت، والثقافة الصحيحة تبني الإنسان المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والدولة المسلمة على قواعدها المتينة من كتاب الله وسنة رسوله وهدى الخلفاء الراشدين ومن سار على نهجهم، وعبقرية البناء الحضاري الصحيح هي التي أبقت صرح الإسلام إلى يومنا هذا ـ بعد توفيق الله وحفظه.

فعلينا أن نعمل لهذا الدين وسعادتنا ليست باقتطاف الثمر العاجل، وإنما في الشعور بتوفيق الله والأمل في رضاه إنني في دراستي لعهد الخلافة الراشدة حاولت أن أنتقي الكلمات وأصف الأسطر والجمل لتجلية عهد الخلافة الراشدة، من خلال الروايات الصحيحة، لكي يستفيد أبناء المسلمين من تلك الحقبة، العلم الغزير، والفقه الدقيق، وشمولية فهم الإسلام، فلعل الله سبحانه أن يبارك في هذا الجهد وينتفع به

أولئك الدعاة الذين لا نعرف أسماءهم، ولكن سيرى التاريخ آثارهم وسيقيلون العالم الإسلامي من عثرته وينهضون به من كبوته، أولئك الربانيون المتجرِّدون الذين عرفوا الحق واستشعروا السعادة في نصرته، وتعصبوا له ودافعوا عنه ووقفوا بجانبه على رقة الحال وقلة النصير، فأخذ الله بأيديهم لصدقهم وإخلاصهم ومتابعتهم للنبي ﷺ، وأولئك العلماء، وطلاب العلم الذين توزن مداد أقلامهم بدماء الشهداء، وأولئك التجار الذين يقفون خلف موكب الدعوة بأموالهم وثرواتهم وأنفسهم ولسان حالهم يقول: «لا نريد جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسا قمطريرًا» وأولئك الجنود المجهولون في هذه الدنيا ولكنهم غدا أعلام شامخة في رُبى الخلد إن العواصف العاتية تهب بعنف تريد اجتياح إسلامنا وديننا وعقيدتنا من جذورها، وجهود خصوم الإسلام من الصليبية واليهودية والعلمانية والباطنية والمبتدعة تستبيح قادتنا وكبراءنا في ميدان العلم والأدب والسياسة وتريد تشويه تاريخنا فعندما نكون أمة بدون تاريخ، فلن نكون أمة صالحة. فما قيمة أمة ليس لها رجال؟ فهل يمكننا أن نستلهم الدروس والعبر من تاريخنا ما يخزي أعداء الله ويرد كيدهم في نحورهم، وما يساعدنا على استئناف رسالتنا ودعم حضارتنا؟

إن الإنسانية تترنح في هذه الآونة الكالحة من التاريخ لبعدها عن منهج الله تعالى والدواء عند المسلمين وحدهم فهل ينصفون أنفسهم، وينقذون الآخرين؟

قال الشاعر:

ومن العجائب والعجائب جمة ... قرب الحبيب وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتُلها الظَّما ... والماء فوق ظهورها محمول

فهل من عودة إلى الإسلام، تزكي السرائر، وتبني الأخلاق، وتصلنا بالقرآن الكريم، وتشعرنا بشرف الانتماء إلى محمد ودينه وضرورة العمل بدعوته وسنة خلفائه الراشدين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين، ونكون حلقة موصولة، في دعم رسالة الحبيب ﷺ التي استوعبت الزمن كله.

وقبل الحديث عن المصادر والمراجع التي تعاملت معها، لابد من الاعتراف بأن هذا الجهد لولا توفيق الله سبحانه وتعالى ثم جهود علماء أهل السنة وطلاب العلم ممن

ساروا على منهجهم، ما استطعت أن أبحر في هذا البحر العميق ولذلك أقرر بأنني استفدت من الرسائل العلمية التي طبعت والتي لم تنشر، من حيث المادة والمنهج، والحكم على الروايات، والرجوع إلى المصادر الحديثية، والتاريخية وغيرها مع محاولة التطوير والاستفادة من جهود الآخرين في البناء وأخص بالذكر الدكتور أكرم ضياء العمري الذي أشرف وناقش الكثير من هذه الرسائل في هذا المجال، فقد استفدت من كتبه، «كالسيرة النبوية الصحيحة»، و«عصر الخلافة الراشدة»، ومن الرسائل التي أشرف عليها كرسالة الدكتور يحيى اليحيى، «الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري جمعًا وتوثيقًا»، ورسالة الأستاذ عبدالعزيز المقبل في: «خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من خلال كتب السنة والتاريخ دراسة نقدية للروايات باستثناء حروب الردة»، ورسالة الدكتور عبدالعزيز بن محمد الفريح في تحقيق كتاب «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» ليوسف بن الحسن بن عبدالهادي الدمشقي الصالحي الحنبلي، ورسالة الدكتور محمد بن عبدالله الغبان في: «فتنة مقتل عثمان بن عفان»، ورسالة الأستاذ عبد الحميد علي ناصر في «خلافة علي بن أبي طالب»، وغير ذلك من الرسائل الجامعية التي أشرف عليها أساتذة آخرون، كرسالة د. محمد أمحزون في تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين، ورسالة سليمان العودة «عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام»، ورسالة الأستاذة أسماء محمد أحمد زيادة «دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين»، وغير ذلك من الرسائل الجامعية، فالفضل لله سبحانه وتعالى ثم لأساتذتي وإخواني الذين مهدوا لي الطريق فلهم مني الدعاء في ظهر الغيب بأن يتقبل الله جهودهم وتكون في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما المصادر التي في هذه الدراسة المتعلقة بعهد الخلافة الراشدة فقد بدأت:

١- كتب الحديث :

وقد بدأت بالكتب الستة: صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ثم موطأ مالك ومسند أحمد، فبذلت جهدًا لاستخراج المادة التاريخية، التي لها علاقة بعهد الخلافة الراشدة ثم جمعت مادة تاريخية من مصنف

عبدالرزاق وابن أبي شيبة ومستدرك الحاكم والسنن الكبرى للبيهقي وسنن سعيد بن منصور، ومسند الحميدي والطيالسي وسنن الترمذي، ومجمع الزوائد وكشف الأستار عن زوائد البزار وموارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ولم أغفل المعجم الكبير للطبراني وسنن الدارقطني واستفدت من جهود المحققين لما سبق ذكره من كتب الحديث في الحكم على الروايات.

٢- كتب شروح الحديث:

وأهمها فتح الباري لابن حجر، وشرح النووي على صحيح مسلم ففيهما مادة تاريخية لا يستهان بها، كما أن تعليقات ابن حجر والنووي على بعض الأحداث التاريخية ذات أهمية تاريخية.

٣- كتب التفسير:

وأهم هذه الكتب، تفسيرالطبري، والقرطبي، وابن كثير، وأهتم بتعليقاتهم أكثر من الروايات التي نقلوها حيث إن معظمها ذكر في كتب الحديث والتاريخ.

٤- كتب العقائد:

وأهم هذه الكتب، منهاج السنة النبوية لابن تيمية، وهذا الكتاب استفدت منه فائدة عظيمة، وشرح الطحاوية، والإبانة في أصول الديانة، والاعتقاد للبيهقي، والشريعة للآجري وغيرها من كتب العقائد، حيث نقلت منها أقوال السلف فيما يتعلق بالخلفاء الراشدين، ومكانة الصحابة ﷺ.

٥- كتب الفقه:

وأهمها، المغني لابن قدامة، والمجموع للنووي، وبداية المجتهد لابن رشد وغيرها من كتب الفقه، حيث استفدت منها في المسائل الفقهية والقضائية التي اجتهد فيها الخلفاء الراشدون.

٦- كتب الأدب:

حيث استخرجت منها بعض الأبيات المنسوبة للخلفاء الراشدين أو تمثلوا بها، أو استمعوا إليها ولكون كتب الأدب ليس لها أسانيد وفيها الغث والسمين، لذلك كان اختياري للأبيات الشعرية التي تنسجم مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأخلاق ذلك

الجيل الفريد، ومن أهم هذه الكتب، عيون الأخبار لابن قتيبة، والأدب الإسلامي في عهد النبوة، لنايف معروف.

٧- كتب الزهد والرقائق:

واستخرجت منها أقوال الخلفاء الراشدين في هذا العلم ومن أهم هذه الكتب، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، ومدارج السالكين لابن القيم مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن عبدالرحمن المقدسي، وغيرها من الكتب.

٨- كتب الفرق والمذاهب:

وأهم هذه الكتب، الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد بن حزم الظاهري، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، د. ناصر القفاري.

٩- كتب في أنظمة الحكم:

وأهم هذه الكتب، نظام الحكومة الإسلامية للكتاني: المسمى التراتيب الإدارية، ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، لظافر القاسمي.

١٠- كتب في التراجم:

وأهم هذه الكتب، سير أعلام النبلاء للذهبي، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي الحنبلي، وأسد الغابة، لابن الأثير، وسير السلف لأبي القاسم الأصفهاني.

١١- كتب في الجرح والتعديل:

وأهم هذه الكتب، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ المزي، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، الثقات لابن حبان، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي.

١٢- كتب التاريخ:

وأهمها تاريخ الطبري، وهذا الكتاب نقل إلينا الروايات الصحيحة والضعيفة والموضوعة بأسانيدها، وفيما يتعلق بالعقيدة والأحكام الشرعية والأحداث التي تتعلق بالصحابة، لابد من خضوع الروايات للجرح والتعديل وبيان الروايات الشيعية الرافضية، والكذابين والمجاهيل، وقد استفدت في هذا الشأن من كتاب استشهاد

عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري، لخالد الغيث، ومرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، للدكتور يحيى إبراهيم اليحيى، وأثر التشيع على الروايات التاريخية د. عبدالعزيز نور ولي، ومن أهم هذه الكتب، البداية والنهاية لابن كثير، وغيرها من الكتب التاريخية.

هذه أهم المصادر التي رجعت إليها مع كم كبير من المراجع الحديثة المتنوعة.

هذا وقد تشددت في تصحيح الروايات أو الحكم عليها فيما يتعلق بالعقائد والأحكام والصحابة ﷺ وفي هذا الشأن ما أنا إلا ناقل لأقوال العلماء المتخصصين في هذا العلم، فالفضل لله ثم لهم واجتهدت في تصوير الحدث التاريخي من الروايات الصحيحة فقدمتها وأخذت بالحسنة ولم أهمل الروايات الضعيفة، فقد أفدت منها في إكمال الصورة التي لا تسدها الروايات الصحيحة والحسنة بما يتوافق مع روح ذلك العصر، لكن فيما لا يتعلق بعقيدة أو شريعة، ودخلت في مناقشات لشبهات وافتراءات الرافضة والمستشرقين وبعض الكتّاب المعاصرين، وقد حرصت على طرح منهج أهل السنة فيما يتعلق بالعهد الراشدي والرد على الشبهات خصوصا في عهد عثمان وعلي ﷺ، وقد جدّت أفكار كثيرة من بعض الأخوة الأعزاء حول دراسة عهد الخلافة الراشدة والعزم ماضي بإذن الله على تطويرها، بما يلائم ذلك العصر الزاهر، ونسأل الله تعالى السداد والتوفيق.

هذا وقد أفردت، خامس الخلفاء الراشدين، الحسن بن علي بن أبي طالب بدراسة خاصة نظرا، لأهمية اجتهاداته في فقه السياسة الشرعية وفقه المصالح والمفاسد، وما كان يملكه من رؤية إصلاحية توجت بتنازله عن الخلافة لمعاوية ﷺ، وما تعرض له أثناء اتخاذه الخطوات التنفيذية لتلك الرؤية من عوائق، ومصائب وما تميزت به شخصيته الفذة من قدرة على امتلاك مشروع إصلاحي وعزم على التنفيذ كان سببا في توحيد الأمة وتحقيق نبوة النبي ﷺ في قوله: «**إن ابني هذا سيداً ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[1] وبتنازل الحسن بن علي عن الخلافة ومبايعته معاوية رضوان الله عليهم أجمعين تنتهي بذلك فترة خلافة النبوة وهي ثلاثون سنة والحجة في ذلك قول رسول الله ﷺ : «**خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك، أو ملكه**

(١) البخاري رقم ٣٧٤٦.

من يشاء»[١]، وقوله ﷺ: «**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك**»[٢]، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليما[٣] وبذلك يكون الحسن بن علي رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين وبإذن الله تعالى سوف تكون مع كتاب الحسن بن علي خلاصات مهمة فيما يتعلق بدراسة عهد الخلافة الراشدة من معالمها وخصائصها، وأسباب زوالها، ونظام حكمها وصفات جيلها، وقادتها، ودستورها، وإدارة الأزمات فيها، واستنباط قوانين وسنن للنهوض، ومكانة المرأة في العهد الراشدي، ومؤسسات الدولة، وفقه القدوم على الله عند ذلك الجيل.

هذا وقد حرصت على تناول شخصية أمير المؤمنين علي من جوانبها المتنوعة، فحياته، صفحة مشرقة في تاريخ الأمة، وهو من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وبأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة، والفهم السليم لهذا الدين، فنتعلم منه فقهه في التعامل مع السنن وحسن توجيهها، وكيف نعيش مع القرآن الكريم ونهتدي بهديه ونقتدي برسول الله ﷺ، وأهمية الخوف من الله والإخلاص له وابتغاء ما عنده في نجاح العبد في الدارين، وأثر هذه المعاني في حياة الأمة الإسلامية ونهوضها وقيامها بدورها الحضاري المنشود، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي، غير مدع عصمة، ولا متبرئ من زلة، ووجه الله الكريم لا غيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسؤول في المعونة عليه، والانتفاع به إنه طيب الأسماء وسميع الدعاء.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم السبت الساعة واحدة إلا خمس دقائق ظهرا بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق ٧ يونيو ٢٠٠٣م والفضل لله من قبل ومن بعد وأسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه

(١) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٧٩) للألباني.

(٢) سنن الترمذي مع شرحها للأحوذي (٦/ ٣٩٥-٣٩٧) قال الترمذي هذا حديث حسن.

(٣) البداية والنهاية (٨/ ١٦).

خالصًا ولعباده نافعًا، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

عليّ محمد الصَّلاَّبيّ

الأخوة القرّاء الكرام يسرّ المؤلف أن تصله ملاحظاتكم حول هذا الكتاب وغيره من كتبه من خلال دور النشر، ويطلب من إخوانه الدعاء في ظهر الغيب بالإخلاص والصواب ومواصلة المسيرة في خدمة تاريخ أمتنا.

الفصل الأول
عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته وصفاته، وأسرته

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه:

١- اسمه ونسبه: هو علي بن أبي طالب (عبد مناف)[١] بن عبد المطلب يقال له شيبة الحمد[٢] بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٣]، فهو ابن عم رسول الله ﷺ ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم، ووالده أبو طالب شقيق عبدالله والد النبي ﷺ، وكان اسم علي عند مولده أسد، سمته بذلك أمه رضي الله عنها باسم أبيها أسد بن هاشم، ويدل على ذلك ارتجازه يوم خيبر حيث يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة[٤] كليث غابات كريه المنظرة[٥]

وكان أبو طالب غائبا، فلما عاد، لم يعجبه هذا الاسم وسماه عليًّا[٦].

٢- كنيته: أبو الحسن، نسبة إلى ابنه الأكبر الحسن وهو من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ ويكنى أيضا بأبي تراب كنية كناه بها النبي ﷺ وكان يفرح إذا نودي بها وسبب ذلك، أن الرسول ﷺ جاء بيت فاطمة رضي الله عنها فلم يجد عليًّا في البيت، فقال: «أين ابن عمك؟».

---

(١) أبو طالب اسمه عبد مناف.

(٢) عبدالمطلب: اسمه شيبة الحمد الاستيعاب (٣/ ١٠٨٩).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ١٩)، صفة الصفوة (١/ ٣٠٨)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣٣)، الإصابة (١/ ٥٠٧)، الاستيعاب (١/ ١٠٨٩)، المنتظم (٥/ ٦٦)، المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٠).

(٤) حيدرة: من أسماء الأسد.

(٥) الرياض النظرة في مناقب العشرة ص ٦١٧.

(٦) غريب الحديث للخطابي (٢/ ١٧٠)، خلافة علي بن أبي طالب، عبدالحميد بن علي ناصر فقيهي ص١٨.

قالـت: كان بيني وبينه شيء فـغاضـبني فخـرج فلم يقل[١] عندي، فـقال ﷺ لإنسان: «أنظر أين هو؟» فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع وقد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: «قم أبا تراب»[٢]، ومن رواية البخاري: والله ما سماه إلا النبي[٣]، ومن كُناهُ: أبو الحسن والحسين وأبو القاسم الهاشمي[٤]، وأبو السبطين[٥].

٣- لقبه: أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين[٦]

ثانيا: مولده:

اختلفت الروايات وتعـددت في تحديد سنة ولادته، فقـد ذكر الحسن البـصري أن ولادته قبل البعثة بخـمس عشرة أو ست عشرة سنة[٧]، وذكر ابن إسحاق أن ولادته قبل البعثـة بعشر سنين[٨]، ورجح ابن حجر قوله[٩]، وذكر الباقر مـحمد بن علي قولين: الأول: كالذي ذكره ابن إسحاق، ورجحـه ابن حجر وهو أنه ولد قبل البعثة بعشر سنين[١٠]، وأما الثاني: فيذكر أنه ولد قبل البعثة بخمس سنين[١١]، وقد ملت إلى قول ابن حـجر وابن إسـحاق فـيكون مولده على التـحقيق قـبل البعـثة بعـشر سنين[١٢]، وذكـر الفاكـهي[١٣]، بأن عليًـا أول من ولد من بني هاشم في جـوف الكعبة، وأما الحاكم فقال: إن الأخبار تواترت بأن عليًا ولد في جوف الكعبة[١٤].

---

(١) من قال يقيل فالقيلولة: الظهيرة وتكون بمعنى النوم في الظهيرة اللسان (١١/ ٥٧٧).
(٢) مسلم في صحيحه رقم ٢٤٠٩.
(٣) البخاري في صحيحه رقم (٤٤١، ٣٧٠٣، ٣٢٨٠).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٣) لا تصح من حيث الإسناد فهي ضعيفة.
(٥) أسد الغابة (٤/ ١٦) والسبطين: الحسن والحسين رواية ضعيفة.
(٦) تاريخ الإسـلام للذهبي ص٣٧٦، البـداية والنهـاية (٧/ ٢٢٣)، خـلاصة تهـذيب الكمـال (٢/ ٢٥٠).
(٧) المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٤) رقم ١٦٣ بسند مرسل.
(٨) السيرة النبوية (١/ ٢٦٢) دون إسناد.
(٩) الإصابة (٢/ ٥٠١) ترجمة علي.
(١٠) المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٣) رقم ١٦٥ إسناده حسن.
(١١) المصدر السابق (١/ ٥٣) رقم ١٦٦ إسناده حسن إلى محمد الباقر حيث أرسلها.
(١٢) فتح الباري (٧/ ١٧٤)، الإصابة (٢/ ٥٠٧).
(١٣) صاحب أخبار مكة، حقق الكتاب عبدالملك بن دهيش.
(١٤) المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٨٣) دون إسناد.

ثالثًا: الأسرة وأثرها في الأعقاب:

لقد دلّ علم التشريح وهو دراسة التركيب الجسدي، وعلم النفس، وعلم الأخلاق، وعلم الاجتماع، على تأثير الدم والسلالات في أخلاق الأجيال وصلاحياتها ومواهبها، وطاقاتها، إلى حد معين، وفي أكثر الأحوال، وذلك عن ثلاث طرق:

(أ) القيم والمثل التي ما زال آباء هذه الأسرة وأجدادها يؤمنو بها أشد الإيمان ويحافظون عليها أو يحاولون أن يحافظوا عليها أشد المحافظة، ويتنبَّلون بها ويمجّدون ويعتبرون من شار عليها من أبناء الأسرة، أو خالفها وحاد عنها شاردًا غريبًا، ويرون في ذلك غضاضة، وسقوط همة، وقلة مروءة، وعقوقًا للآباء وإساءة إليهم، لا تغتفر في قوانين هذه الأسرة العرفية المتوارثة.

(ب) حكايات الآباء وعظماء الأسرة في البطولة والفتوة والفروسية، والشهامة، والأنفة والإباء، والجود والسخاء، وحماية المظلومين والضعفاء، تتناقلها الأجيال وتتباهى بها، وذلك من سنٍّ مبكرة، ومن أيام الصبا إلى سنِّ الشباب والكهولة، فتؤثر في تكوين عقليَّتها ومشاعرها، وتعيين المقاييس للعظمة والرجولة، والبرِّ بالآباء، وتبرير شهرة الأسرة والسلالة.

(ج) تأثير الدم الموروث في أعضاء الأسرة كابرًا عن كابر، في أسرة حافظت على أنسابها وأصالتها، وذلك ما أيده علم السلالات[1]، وهذا ليس على إطلاقه، وقاعدة مطردة، لا تقبل استثناء، ولا شذوذًا كالسنن الإلهية التي قال الله عنها: ﴿**فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾ [فاطر: ٤٣]، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ في قوله: «**الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**»[2]، وقوله ﷺ: «**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[3]، وليس في ذلك من تقديس الدم الموروث الدائم، وتركُّز الرئاسة الدينية والزعامة الروحية العلمية في أسرة معينة، واحتكارها لقيادة أمة، دينيًا وروحيًا وعلميًا بشكل دائم، وهو الذي عانى منه العالم القديم ـ قبل الإسلام ـ فسادًا اجتماعيًا وخلقيًا

---

(١) المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن للندوي ص١٩، ٢٠.
(٢) مسند أحمد (٢/ ٥٣٩) إسناده صحيح.
(٣) مسلم، ك الذكر والدعاء والتوبة.

جارفًا، واستبدادًا فظيعًا، واستغلالاً ماديًا شنيعًا، تزخر به كتب التاريخ وشهادات المؤرخين للامبراطوريتين الرومية والساسانية، والمجتمعين الإغريقي والهندي[١] وغيرها من الجاهليات، ولذلك يحسن بنا أن نشير إلى وضع الأسرة والسلالة ـ اللتين ولد ونشأ فيهما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ـ العرقي والاجتماعي، وما كانتا تمتازان به من خصائص وأعراف، وتقاليد وتراث خُلقي ونفسي، وكيف كان العرب ينظرون إليهما ويقرُّون لهما بالفضل، ونبدأ في ذلك بقريش، ثم ببني هاشم[٢].

١-قبيلة قريش:

أقرّ العرب كلّهم بعلو نسب قريش، والسيادة، وفصاحة اللغة، ونصاعة البيان، وكرم الأخلاق والشجاعة والفتوة، وذهب ذلك مثلاً لا يقبل نقاشًا ولا جدلاً[٣]، وكانوا حلفاء متآلفين متمسكين بكثير من شريعة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ولم يكونوا كالأعراب الذين لا يوقرهم دين، ولا يزينهم أدب، وكانوا يحبُّون أولادهم، ويحجُّون البيت ويقيمون المناسك، ويكفِّنون موتاهم، ويغتسلون من الجنابة، ويتبرؤون من الهرابذة[٤]، ويتباعدون في المناكح من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت، غيرةً وبعدًا من المجوسية، ونزل القرآن بتأكيد صنيعهم وحسن اختيارهم، وكانوا يتزوجون بالصَّداق والشهود ويطلقون ثلاثًا[٥]، وما زاد شرفهم أنهم كانوا يتزوجون من أي قبيلة شاؤوا، ولا شرط عليهم في ذلك، ولا يزوّجون أحدًا حتى يشترطوا عليه، أن يكون متحمسًا[٦] على دينهم، يرون ذلك لا يحل لهم ولا يجوز لشرفهم، حتى يدان إليهم وينقاد[٧].

(١) المرتضى للندوي ص٢٠.
(٢) فيما يتعلق بخصائص ومزايا العرب ينظر إلى السيرة النبوية للندوي.
(٣) السيرة النبوية للندوي ص٧٤.
(٤) الهرابذة: قوام بيت النار، فارسي معرب وقيل عظماء الهند أو علماؤهم.
(٥) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (١/ ٢٤٣) للألوسي.
(٦) متحمساً: التحمس التشدد في الدين.
(٧) المرتضى للندوي ص ٢٢، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (١/ ٢٤٣).

٢- بنو هاشم:

أما بنو هاشم فكانوا واسطة العقد في قريش، وإذا قرأنا ما حفظه التاريخ وكتب السيرة من أخبارهم وأقوالهم وهو قليل من كثير جداً - استدللنا به على ما كان يمتاز به هؤلاء من مشاعر الإنسانية الكريمة، والاعتدال في كل شيء، ورجاحة العقل، وقوة الإيمان بما للبيت من مكانة عند الله، والبعد عن الظلم ومكابرة الحق، وعلو الهمة، والعطف على الضيف والمظلوم، والسخاء، والشجاعة، وما تشتمل عليه كلمة (الفروسية) عند العرب من معان كريمة وخلال حميدة، السيرة التي تليق بأجداد الرسول الكريم ﷺ، تتفق ويتفق مع ما كان يفضله ويدعو إليه من مكارم الأخلاق، غير أنهم عاشوا في زمن الفترة، وسايروا أبناء قومهم في عقائد الجاهلية، وعباداتها[١] ولم يصل بنو هاشم إلى هذه المكانة في مجتمعهم إلا بالتضحية والعطاء والبذل وخدمة الناس.

٣- عبدالمطلب بن هاشم:

جد الرسول ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ولي عبدالمطلب بن هاشم السقاية والرفادة[٢]، بعد عمّه المطلب، فأقامهما للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم، وشرُفَ في قومه شرفًا لم يبلغه أحدٌ من آبائه، وأحبّه قومه وعظم خطره فيهم[٣].

ولم يكن عبدالمطلب أغنى رجل في قريش، ولم يكن سيد مكة الوحيد المطاع، كما كان قُصي، إذ كان في مكة رجال كانوا أكثر منه مالاً وسلطانًا إنما كان وجيه قومه، لأنه كان يتولى السقاية والرفادة، وبئر زمزم، فهي وجاهة ذات صلة بالبيت[٤] ويتجلى إيمان عبدالمطلب بأن لهذا البيت مكانة عند الله، وأنه حاميه ومانعه، وتتجلى نفسية سيد قريس السامية، وشخصيته القوية الشامخة في حديث دار بينه وبين أبرهة ملك الحبشة، وقد غزا مكة وأراد أن يهين البيت ويقضي على مكانته، وقد أصاب

(١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي (١/ ٢٤٣).
(٢) الرفادة: إطعام الحجّاج في أيام الموسم حتى يتفرقوا.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٤٢).
(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي (٤/ ٧٨)، المرتضى ص ٢٢.

لعبـد المطلب مائتي بعيـر، فاستـأذن له عليه، وقد أعظمـه أبرهة ونزل له عن سريره فأجلسه معه، وسأله عن حاجته، فقال: حاجتي أنا يردّ علي الملك مائتي بعير أصابها لي. فلما قال له ذلك زهد فـيه الملك وتفادته عينه، وقال: أتكلمني في مـائتي بعير أصبتهـا لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهـدمه، لا تكلِّمُني فيه؟! قال عبدالمطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًا سيمنعه، قال: ما كان يمتنع مني، قال: أنت وذاك[1]. وقد كان ما قاله عبدالمطلب، فحمى رب البيت بيته، وجعل كيد أبرهة وجيشه في تضليل، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٣ـ٥].

وكان عبـدالمطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحـثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيـئات الأمور[2]، ومات عـبدالمطلب بعد أن جـاوز الثمانين، وعـمر الرسول ثماني سنين ومعنى ذلك أنه توفي حوالي سنة ٥٧٨ للميلاد[3]، وذُكر أنه لم تقم بمكة سوق أيامًا كثيرة لوفاة عبدالمطلب[4].

ـ أبو طالب والد علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أبو طالب لا مـال له، وكان يحب ابن أخـيه حبًّـا شـديدًا، فإذا خـرج خـرج مـعـه، فـقـد كان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ بعد جدّه، فكـان إليـه ومعـه[5]، وعندما أعلن رسول الله الدعوة إلى الله وصدع بها وقف أبو طالب بجانب رسول الله وصمم على مناصرته وعدم خـذلانه، فاشتد ذلك على قريش غمًّا وحسدًا ومكرًا، وإن المرء ليسمع عـجبًا ويقف مذهولاً أمـام مروءة أبي طالب مع رسول الله، فقد ربط أبو طالب مصيره بمصير ابن أخيه محمد ﷺ، بل واستفاد من كونه زعيم بني هاشم أن ضم بني هاشم، وبني المطلب إليه في حلف واحد على الحياة والموت، دفاعًا لرسول الله ﷺ، مسلمهم ومشـركهم على السواء[6]، وأجار ابن أخيـه محمدًا ﷺ

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٤٩)، المرتضى ص٢٣.
(٢) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (١/ ٣٢٤).
(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٤/ ٧٨).
(٤) أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٧٨).
(٥) المرتضى ص٢٤، السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٧٩).
(٦) فقه السيرة النبوية للغضبان ص ١٨٤.

إجارة مفتوحة لا تقبل التردد أو الإحجام، ولما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه من جهدهم معه، وحدبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، وفضل رسول الله فيهم، ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه على أمره[١] فقال:

إذا اجتمعت يومًا قريش لمفخر ... فعبدُ مناف سرها وصميمها

وإن حُصّلت أشراف عبد منافها ... ففي هاشم أشرافها وقديمها

وإن فخرت يومًا فإن محمدًا ... هو المصطفى من سرّها وكريمها

تداعت قريش غثُّها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

وكنا قديمًا لا نُقِر ظلامة ... إذا ما ثنوا صُعْر الخدود نُقيمها

ولما خشى أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرمة مكة، وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم في ذلك من شعره، أنه غير مسلم رسول الله ﷺ، ولا تاركه لشيء أبدًا حتى يهلك دونه فقال:

ولّما رأيت القوم لا وُدّ فيهمُ ... وقد قطعوا كل العُرى والوسائِل

وقد صارَحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمرَ العَدُوّ المُزايل

وقد حالفوا قومًا علينا أظنَّة ... يعضون غيظًا خلفنا بالأنامل

صبرتُ لهم نفسي بسمراء سمحة ... وأبيض غضب من تراث المقاول

وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي ... وأمسكت من أثوابه بالوصائل

وتعوذ بالبيت وبكل المقدسات التي فيه، وأقسم بالبيت بأنه لن يسلم محمدًا ولو سالت الدماء أنهارًا، واشتدت المعارك مع بطون قريش:

كذبتم وبيت الله نُبْزى[٢] محمدًا ... ولّما نطاعن دونه ونناضل

ونُسلمه[٣] حتى نصرَّع حوله ... ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائل[٤]

---

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصَّلاَّبيّ (١/ ١٥٨).

(٢) نُبزى: أي نسلمه ونُغلب.

(٣) أي كذبتم أن نسلمه قبل أن نصرع حوله.

(٤) الحلائل: الزوجات.

وينهض قـوم في الحـديد إليكم   نهوض الرّوايا تحت ذات الصّلاصل[(١)]

واستمر أبو طالب في مناصرة ابن أخيه واستطاع أن يغزو المجتمع القرشي بقصائده الضخمة التي هزت كيانه هزًا، ولما تغلغل الإسلام في قلوب أبناء بعض القبائل، اجتمعت قريش فائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة، وتواثقوا على ذلك، وانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه[(٢)]، وذلك في مُحرَّم سنة سبع من النبوة ومكث بنو هاشم على ذلك نحو ثلاث سنوات لا يصل إليهم شيء إلا سرا، ثم كان ما كان من أكل الأرضة للصحيفة، وإخبار النبي ﷺ أبا طالب بذلك، وتمزيق الصحيفة، وبطلان ما فيها[(٣)]، ومات أبو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة، وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يُسلم أبو طالب[(٤)]، وهو العام الذي ماتت فيه خديجة زوج النبي ﷺ، وتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب، وسمِّي هذا العام بعام الحزن[(٥)].

٥- أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

هي الصحابية الجليلة السيدة الفاضلة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمية[(٦)]، وهي أول هاشمية ولدت هاشميًا[(٧)]، وقد حظيت برعاية النبي ﷺ حين كفله عمه أبو طالب بناء على وصية أبيه عبد المطلب، فكانت له أما بعد أمِّه، تقوم على شؤونه وترعى أموره ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وقد قضى الحبيب المصطفى قرابة عقدين من حياته في كنفها، وقد استجابت لدعوة الإسلام وأصبحت من السابقات الأوليات وصارت من صفوة النساء ممن أخذت المكانة العليا

---

(١) الصلاصل: المزادات لها صلصلة بالماء..
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٥٠، ٣٥١).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٧)، المرتضى ص٢٦، وقد فصلت ذلك في كتابي السيرة النبوية.
(٤) بلوغ الأرب (١/ ٣٢٤).
(٥) السيرة لابن هشام (١/ ٤١٥، ٤١٦) المرتضى ص٢٦.
(٦) نسب قريش ص ٤٠، فضائل الصحابة (٢/ ٦٨٥).
(٧) فضائل الصحابة (٢/ ٦٨٥).

في ساحة الفضيلة، وكانت ﵂ مثالاً للرأفة والرحمة في معاملة الزهراء ﵂، إذ كانت تقوم بمساعدتها براً بها وبوالدها ﷺ ، وروى عن أمير المؤمنين علي ﵁ أنه قال: قلت لأمي: اكفى فاطمة بنت رسول الله سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك هي الطحن والعجن[1]، كما أن صلتها بالنبي ﷺ أضافت إلى شخصيتها مكرمة حفظ الحديث وروايته، فقد روت عن النبي ﷺ مجموعة من الأحاديث، وقد كانت لها مكانة كبرى عند رسول الله، ويخصها بالهدية، فقد أورد ابن حجر بالإصابة: أن عليًا ﵁ قال: أهدى إلى رسول الله ﷺ حُلَّة إستبرق فقال: **«اجعلها خُمُرا بين الفواطم»**[2]، فشققتها أربعة أخمرة، خماراً لفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وخماراً لفاطمة بنت أسد ﵂، وخماراً لفاطمة بنت حمزة ﵂، ولم يذكر الرابعة[3].

ولقد كان حظ السيدة فاطمة مباركًا في حياتها وعند وفاتها، وحظيت بالتكريم إذ توفيت في حياة الحبيب المصطفى ﷺ[4]، وأما ما روي عن أنس في دفنها فهو واهٍ ضعيف شديد الضعف ولا يتقوى من طرقه الأخرى التي جاءت لأنها كلها ضعيفة، فعن أنس بن مالك ﵁ قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي ﵁ دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: **«رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعينني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيبًا وتطعمين، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة»**، ثم أمر أن تغسل ثلاثًا ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله بيده، ثم خلع رسول الله قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه ثم دعا رسول الله أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه وقال: **«الله الذي يحي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك**

---

(١) مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٦) رجال السند رجال الصحيح.

(٢) سنن ابن ماجه، ك اللباس رقم ٣٥٩٦.

(٣) الإصابة (٨/ ٢٧) رقم ١١٥٩٣.

(٤) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أحمد السيد ص٢٤.

والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين». وكبر عليها أربعا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبوبكر رضي الله عنهم[١].

وقد احتج من احتج[٢] بهذا الحديث على جواز التوسل بالذوات وقد قام الأستاذ أبو عبدالرحمن جيلان بن خضر العروسي في رسالته لمرحلة الماجستير بتتبع طرق الحديث وبين ضعفها وبطلانها[٣]، ووضح أن الحديث قد روي من خمسة طرق، ثلاثة موصولة، ومرسلان فلم تخل واحدة منها من عدة علل فهو شديد الضعف، ومع هذا لم يرد التوسل المزعوم إلا في طريقة واحدة وهي طريق أنس، فهذه الأحاديث يمكن أن يعل بها الحديث لأن الكل ضعيف فيعل بعضه البعض ولا يزيدها إلا وهنا وضعفًا، وأما من ناحية المتن فهو منقوض من عدة وجوه:

ـ إن في هذا الحديث مبالغة وإطراء ومتجاوزاً للمألوف في ذلك العهد النبوي.

ـ هذا الحديث يخالف هديه وسنته في غسل جنازة المرأة، وذلك في أمور منها.

ـ سكبه بيده الشريفة لم يرد إلا في هذه القصة، وأما الذي ورد في غسل بنته زينب أنه أمرهن بالغسل، ولم يسكب بنفسه، فقد روى البخاري ومسلم عن محمد ابن سيرين عن أم عطية قالت: دخل علينا النبي ﷺ ونحن نغسل ابنته فقال: **«اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافوراً، فإذا فرغتن فآذنني»**، قالت: فلما فرغنا ألقى إلينا حقوه فقال: **«أشعرنها إياه»** ولم يزد على ذلك[٤].

ـ إن الحفر بيده وإخراجه التراب بيده والاضطجاع فيه كلها لم تعهد إلا في هذا الحديث الضعيف، مخالفًا هديه المشهور عنه وهو من المبالغة والإطراء.

ـ ثم لفظ الدعاء الذي بدأ بلفظة الغيبة ثم الخطاب بعيد عن الأسلوب المعهود في

---

(١) السلسلة الضعيفة للألباني (١/ ٣٢) رقم ٢٣.

(٢) السمهودي في وفاء الوفاء (٤/ ١٣٧٣)، الكوثري في محق التقول ص ٣٧٩ ، ٣٩١ والبوطي في السلفية مرحلة: ١٥٥ العلوي في مفاهيم ص ٦٥، نقلا عن الدعاء ومنزلته من العقيدة، جيلان بن خضر.

(٣) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ص ٧٩٤ إلى ٧٩٨.

(٤) المصدر نفسه ص ٧٩٩.

الدعـوات المـأثورات «اللهم أنت. . . .» ولم نـر في غـيـر هذا الـدعـاء «الله الذي . . . .».

ـ ومما يدل على ضعفه أن الراوي اعترف بأن النبي ﷺ لم يفعل هذه الأفعال إلا في هذه المرة، ولكنه أراد أن يبرر ذلك بما ذكره، وهيهات[1].

٦- إخوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كـان لأبي طالب أربعـــة أبناء، وهم: طالب، وهو الذي تكـنَّى به، وعـقـيل، وجعفر، وعلي، وبنتان هما أم هانئ، وجـمانة، وكلهم من فاطمة بنت أسد، وكان بين كل واحـد منهم وبين أخيـه عشـر سنوات، فطالب كان أكـبر من عـقيل بعـشر سنوات، وكـذلك الشـأن مع جعـفـر وعلي، فكان جـعفـر أكـبر من عـلي بعشـر سنوات[2]، وهذه نبذة مختصرة عن إخوه علي رضي الله عنه.

(أ) طالب بن أبي طالب:

هلك طالب مشركًا بعد غزوة بدر، وقيل إنه ذهب فلم يرجع، ولم يُدْرَ له موضع ولا خبر، وهو أحد الذين تاهوا في الأرض، وكـان محبًا لرسول الله ﷺ، وله فيه مدائح، وكـان خرج إلى بدر كرهًا، وجـرت بينه وبين قريش حين خـرجوا إلى بدر محـاورة فقـالوا: والله يا بني هاشم لقد عـرفنا ـ وإن خرجتم مـعنا ـ أن هواكم مع محمد، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع، وقال شعراً وقصيدة ثناء على النبي ﷺ وبكى فيها أصحاب قليب بدر[3].

(ب) عقيل بن أبي طالب:

فكان يكنى أبا يزيد، تأخـر إسلامه إلى عـام الفتح، وقيل أسـلم بعد الحديبـية، وهاجر في أول سنة ثمـان، وكان أسر يـوم بدر ففداه عـمه العبـاس، وقع ذكره في الصحيح في مواضع، وشهد غـزوة مؤتة، ولم يسمع له ذكر في الفتح وحُنين، كأنه كان مريضًا، أشار إلى ذلك ابن سـعد لكن روى الزبير بن بكار بسنده إلى الحسن بن علي، أن عقيلا كان ممن ثبت يوم حنين ومات في خـلافة معاوية وفي تاريخ البخاري

---

(١) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ص٧٩٤ إلى ٧٩٨.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٣)، المرتضى ص٢٦.

(٣) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه من المرتضى للندوي ص٢٣.

الأصغر بسند صحيح أنه مات في أول خلافة يزيد قبل الحرة[١]، وعمره ست وتسعون سنة[٢].

(جـ) جعفر بن أبي طالب:

فهو أحد السابقين إلى الإسلام وكان يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمونه يحدثهم ويحدثونه، وهاجر إلى الحبشة، فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه ولقد تحدثت عنه في كتابي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ـ واستشهد بموته من أرض الشام مقبلا غير مدبر[٣].

(د) أم هانيء بنت أبي طالب:

ابنة عم النبي ﷺ فقيل اسمها فاختة، وقيل اسمها فاطمة وقيل هند، والأول أشهر وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي وكان له منها عمرو، وبه كان يكنى وفي فتح مكة أجارت أم هانئ رجلين من بني مخزوم، وقال لها رسول الله: «أجرنا من أجرت يا أم هانيء»، وروت أم هاني عن النبي ﷺ في الكتب الستة وغيرها[٤]، قال الترمذي وغيره: عاشت بعد علي رضي الله عنه[٥].

(هـ) جمانة بنت أبي طالب:

هي أم عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ذكرها ابن سعد في ترجمة أمها فاطمة بنت أسد وأفردها في باب بنات عم النبي ﷺ ، وقال: ولدت لأبي سفيان ابن الحارث ابنه جعفر بن أبي سفيان، وأطعمها رسول الله من خيبر ثلاثين وسقا[٦].

٧ـ أزواجه وأولاده:

ولد له من فاطمة[٧] بنت رسول الله ﷺ : الحسن والحسين (وسيأتي الحديث

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٩٤).
(٢) المرتضى للندوي ص٢٤.
(٣) المرتضى ص٢٥.
(٤) المرتضى ص٢٧.
(٥) الإصابة في تمييز الصحابة (٩/ ٣١٧، ٣١٨).
(٦) الإصابة (٤/ ٢٥٩، ٢٦٠)، المرتضى ص٢٧.
(٧) هي أول زوجة تزوجها علي بن أبي طالب ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

عنهم مفصلا).. وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى، وولد له من خولة بنت جعفر ابن قيس بن مسلمة محمد الأكبر (محمد ابن الحنفية)، وولد له من ليلى بنت مسعود ابن خالد من بني تميم: عبيد الله وأبوبكر، وولد له من أم البنين بنت حِزام[1] بن خالد بن جعفر بن ربيعة: العباس الأكبر، وعثمان، وجعفر الأكبر، وعبدالله، وولد له من أسماء بنت عميس الخثعمية: يحيى وعون[2] وولد له من الصهباء[3]: عمر الأكبر ورقية، وولد له من أمامة[4] بنت العاص بن الربيع: محمد الأوسط وولد له من أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي: أم الحسن، ورملة الكبرى، وولد له من أمهات أولاد: محمد الأصغر، وأم هانئ وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفر، وجمانة ونفيسة، وولد له من محياة بنت امرئ القيس، ابنة هلكت وهي جارية. قال ابن سعد: لم يصح لنا من ولد علي رضي الله عنه غير هؤلاء[5]، وجميع ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه لصلبه أربعة عشر ذكراً، وتسع عشرة امرأة، وقيل: سبع عشرة امرأة. وكان النسل من ولده لخمسة، الحسن والحسين، ومحمد ابن الحنفية، والعباس بن الكلابية، وعمر ابن التغلبية[6]، وسيأتي الحديث عن السيدة فاطمة وذريتها، الحسن والحسين، وأم كلثوم في ثنايا هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

٨ـ صفاته الخَلْقية:

يقول ابن عبد البر رحمه الله: وأحسن ما رأيت في صفة عليّ رضي الله عنه أنه كان ربعة من الرجال إلى القصر ما هو، أدعج العينين، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر حُسنا، ضخم البطن، عريض المنكبين، شثن الكفَّين (عتَدا)[7] أغيد، كأن عنقه إبريق

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٣٢).

(٢) المصدر نفسه (٧/ ٣٣٢).

(٣) وهي أم حبيب بنت ربيعة بن بجير، من سبي عين التمر في عهد الصديق.

(٤) وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ.

(٥) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٠).

(٦) الطبقات (٣/ ١٩ ، ٢٠)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣١ ـ ٣٣٣) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله سليمان العيد ص ٢٩، ٣٠ ، ٣١..

(٧) العتد: الشديد التام الخلق.

فضة، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كبيـر اللحية، لمنكبه مُشاش كمشاش السبع الضاري، لا يتبين عضده من ساعـده، قد أدمجت دمجا، إذا مشى تكفّأ، وإذا مسك بـذراع رجل أمسك بنفـسه فلم يسـتطيع أن يتنفّس، وهو إلى السمـن ما هو، شديد الساعد واليد، وإذا مشى للحرب هَرْوَل، ثبت الجنان، قويّ شجاع[1].

المبحث الثاني: إسلامه وأهم أعماله في مكة قبل الهجرة:

أولاً: إسـلامـه:

كان من نعمة الله عز وجل على علي بن أبي طالب وما وضع الله له وأراد به من الخير أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمـه ـ وكان من أيسر بني هاشم ـ يا عباس، إن أخاك أبـا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأمـة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله آخذ من بيته واحدًا وتأخذ واحدًا، فنكفيهـما عنه فقال العباس: نعم.. فانطلق حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هو فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقـيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ عليًا فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا رضي الله عنه فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نـبيًا، فاتبعه علي، فأقـربه وصدَّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[2].

ونلاحظ أن رسول الله ﷺ أراد أن يرد الجميل والمعـروف لعمه أبي طالب الذي كفله بعـد وفاة جـده عبدالمطلب، فـكان هذا من أكبر نعم الله عـز وجل على علي رضي الله عنه، إذ رباه وأدبه الذي أدبه الله عز وجل وحفظه وعصـمه ورعاه والذي كان خلقه القرآن، فـانعكس هذا الخلق القرآني على علي رضي الله عنه، وكفى بتـربية النبي ﷺ تربية لعلي رضي الله عنه، فـقد نشأ في بـيت الإسلام وتعرّف إلى أسـراره في مرحلة مـبكرة من حيـاته، وذلك قبل أن تتـخطى الدعوة حدود الـبيت وتنطلق إلى البـحث عن أنصار يشدّون أزرها وينطلـقون بها في دنيـا الناس، ويخرجونهم من الـظلمات إلى النور،

---

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (3/ 1123).
(2) السيرة النبوية (1/ 246) لابن هشام.

ولقد اختلف العلماء فيمن آمن بعد السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، هل هو أبوبكر الصديق، أو علي رضي الله عنهما، والذي أميل إليه من بين أقوال العلماء، أن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبوبكر، ومن الصبيان علي، ومن النساء خديجة، وهي أول من آمن على الإطلاق، ومن الموالي زيد بن حارثة رضوان الله عليهم[1]. وبهذا يكون أمير المؤمنين أول الصغار إسلاما.

ثانيًا: كيف أسلم علي؟

روى ابن إسحاق أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ بعد إسلام خديجة رضي الله عنها، فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: **«دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده وإلى عبادته، وكفر باللات والعزى»**، فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمرًا حتى أحدِّث أبا طالب فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره، قبل أن يستعلن أمره، فقال له: **«يا علي، إذا لم تسلم فاكتم»**، فمكث علي تلك الليلة. ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غاديًا إلى رسول الله ﷺ، حتى جاءه فقال: ما عرضت علي يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: **«تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد»**، ففعل علي وأسلم، ومكث علي يأتيه على خوف من أبي طالب، وكتم علي إسلامه ولم يظهر به[2].

ثالثا: بين علي رضي الله عنه وأبي طالب:

قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، يصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان، فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به، قال: **«أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم»**، أو كما قال ﷺ:

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٢٦ـ ٢٨)، الأوائل من الصحابة وذوو الفضل منهم والنجابة، رضوان جامع ص٢٣.

(٢) البداية والنهاية (٣/ ٤).

بعثني رسولا إلى العباد وأنت ـ أي عم ـ أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه. أو كما قال. فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك[1] بشيء تكرهه ما بقيت ذكروا أنه قال لعلي: أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدَّقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه[2].

رابعًا: هل كسر علي رضي الله عنه الأصنام مع رسول الله في مكة؟

عن علي رضي الله عنه، قال: انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ: **«اجلس»** وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به، فرأى مني ضعفًا، فنزل، وجلس لي نبي الله ﷺ وقال: **«اصعد على منكبيَّ»**. قال: فصعدت على منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فإنه يخيل إليَّ أني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال صُفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله، وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله ﷺ: **«اقذف به»** فقذفت به فانكسر كما تنكسر القوارير، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت، خشية أن يلقانا أحد من الناس[3]، وهذا الحديث إسناده ضعيف، وبالتالي لا يمكن أن ينبى عليه حكم كما زعم بعض الناس، ويبقى الأصل الثابت في الفترة المكية، في منع النبي ﷺ للصحابة لاستخدام القوة مع الخصوم أو الاعتداء على أصنامهم وأوثانهم بالقوة، وقد قام رسول الله ﷺ بتطهير مكة في عام الفتح من الأوثان وأرسل السرايا بعد ذلك الفتح العظيم لهدم ولتطهير الجزيرة العربية، من مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على إزالتها وإبطالها.

---

(٢) لا يخلص إليك: لا يصل إليك.

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٤٦) المرتضي ص٣٥.

(٢) مسند أحمد، الموسوعة الحديثية رقم ٦٤٤ إسناده ضعيف، وصحح الحاكم إسناده واستدرك عليه الذهبي فقال إسناده ضعيف ومتنه منكر، وقد قام أحمد ميرين البلوشي في رسالته التي حقق فيها خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بالحكم على رجال السند وحكم عليه بالضعف، خصائص علي بن أبي طالب ص ١٣٥، ١٣٦. وقد صحح الحديث أحمد شاكر (٥٨/٢).

خامسًا: هل دفن علي رضي الله عنه أبا طالب بإرشاد رسول الله ﷺ؟

عن علي رضي الله عنه: أنه أتى النبي ﷺ فقال: إن أبا طالب مات. فقال له النبي ﷺ: «اذهب فواره»، فقال: إنه مات مشركًا. فقال: «اذهب فواره». قال فلما واريته رجعت إلى النبي ﷺ، فقال لي: «اغتسل»[1]. وجاء في رواية: «اذهب فاغتسل ثم لا تحدث شيئًا حتى تأتيني» قال: فاغتسلت ثم أتيته قال: فدعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بها حمر النعم وسودها. قال الراوي عبدالرحمن السلمي: وكان علي رضي الله عنه إذا غسل ميتا اغتسل[2].

سادسًا: الحس الأمني عند علي رضي الله عنه ودوره في إيصال أبي ذر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ:

إن من معالم المرحلة المكية، الكتمان والسرية، حتى عن أقرب الناس، وكانت الأوامر النبوية على وجوب المحافظة على السرية واضحة وصارمة، وقد قام علي رضي الله عنه بدور عظيم في أخذ أبي ذر إلى مقر رسول الله ﷺ فقد كان رضي الله عنه منكرًا لحال الجاهلية، ويأبى عبادة الأصنام، وينكر على من يشرك بالله، وكان يصلي لله قبل إسلامه، بثلاث سنوات، دون أن يخص قبلة بعينها بالتوجه، ويظهر أنه كان على نهج الأحناف، ولما سمع بالنبي ﷺ قدم إلى مكة، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه الليل، فاضطجع فرآه عليّ رضي الله عنه، فعرف أنه غريب، فاستضافه ولم يسأله عن شيء، ثم غادر صباحًا إلى المسجد الحرام، فمكث حتى أمسى فرآه عليّ فاستضافه لليلة ثانية، وحدث مثل ذلك الليلة الثالثة، ثم سأله عن سبب قدومه، فلما استوثق منه أبو ذر أخبره بأنه يريد مقابلة الرسول ﷺ، فقال له علي: فإنه حق، وهو رسول الله، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئًا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني، فتبعه وقابل الرسول ﷺ، واستمع إلى قوله، فأسلم، فقال له النبي ﷺ: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري». فقال: والذي نفسي بيده

---

(١) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٧٥٩ إسناده ضعيف وفي الموسوعة تفصيل مفيد في الحكم على رجال السند.

(٢) الصحيح المسند في فضائل الصحابة ص١١٨، وقال مصطفى العدوي حسن بمجموع طرقه وجاء بشواهد للحديث.

لأصرخن بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وثار القوم حتى أضـجعوه فأتى العباس بن عبد المطلب، فحذرهم من انتقام غفـار والتعرض لتجارتهم، التي تمر بديارهم إلى الشام، فأنقذه منهم[١]، وكان أبو ذر قبل مـجيئه قد أرسل أخـاه، ليعلم له علم النبي ﷺ ويسمع من قوله ثم يأتـيه، فانطلق الأخ حتى قدمـه، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر، فقـال له: رأيته يأمـر بمكارم الأخلاق، وكلامًـا ما هو بالشـعر. فقـال: ما شفيتني[٢]، مما أردت، وعزم على الذهاب بنفـسه لرسول الله ﷺ، فقال أخوه له: وكن على حذر من أهل مكة فإنهم قد شنفوا له وتجهموا[٣].

ومن الدروس والعبر والفوائد من هذه الحادثة:

١ـ التأنـي والتريث في الحصـول على المعلومـة، حيث أبو ذر رضي الله عنه لما يعـرفه من كراهية قـريش لكل من يخاطب الرسول ﷺ، وهذا التأني تصـرف أمني، تقتضـيه حساسـية الموقف، فلو سأل عنه لعلمت به قريش وبالتالي قـد يتعرض للأذى والطرد ويخـسر الوصـول إلى هدفه الذي من أجله ترك مـضارب قـومه وتحـمل في سبـيله مصاعب ومشاق السفر.

٢ـ الاحتيـاط والحذر قبل النطق بالمعلومـة: حين سأل علي رضي الله عنه أبا ذر رضي الله عنه عن أمره وسبب مجـيئه إلى مكة، لم يخبره بالرغم من أنه استضـافة ثلاثة أيام إمعانا في الحذر، فاشترط عليه قبـل أن يخبره أن يكتم عنه، وفي الوقت ذاته أن يرشده، فهذا غاية في الاحتياط وتم ما أراده.

٣ـ التغطية الأمنية للتحرك: الاتفاق بين علي وأبي ذر رضي الله عنهما على إشارة، أو حركة مـعـينة، كـأنه يصلح نعله، أو كـأنه يريق المـاء، وذلك عندمـا يرى علي رضي الله عنه من يترصدهما أو يراقبـهما، فهذه تغطية أمنية لتحـركهم تجاه المقر (دار الأرقم)، هذا إلى جانب أن أبا ذر كان يسـير على مسافة من علي فـيُعد هذا الموقف احتياطًا، وتحـسبًا لكل طارئ، قد يحدث أثناء الحركة.

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري) (٧/ ١٧٣).

(٢) ما شفيتني مما أردت: ما بلغتني غرضٍ وأزلت عني همي.

(٣) مسلـم (٤/ ١٩٢٣) رقمه ٢٤٧٣، صـحيح السـيرة النبـوية إبراهيم العلي ص ٨٣، السـيرة النبوية الصحيحة للعمري (١/ ١٤٥) شنفوا: أي أبغضوه.

٤ـ هذه الإشارات الأمنية العابرة تدل على تفوق الصحابة ﷺ في الجوانب الأمنية، وعلى مدى توافر الحس الأمني لديهم، وتغلغله في نفوسهم، حتى أصبح سمة مميزة لكل تصرف من تصرفاتهم الخاصة والعامة، فأتت تحركاتهم منظمة ومدروسة، فما أحوجنا لمثل هذا الحس الذي كان عند الصحابة، بعد أن أصبح للأمن في عصرنا أهمية بالغة في زوال واستمرار الدول والحضارات، وضعف وقوة الأمم والشعوب، والجماعات والمؤسسات والمنظمات، وأصبحت له مدارسه الخاصة وتقنياته المتقدمة، وأساليبه ووسائله المتطورة، وأجهزته المستقلة، وميزانياته ذات الأرقام الكبيرة، وأضحت المعلومات عامة، والمعلومات الأمنية تباع بأغلى الأثمان، ويضحي في سبيل الحصول عليها بالنفس إذا لزم الأمر، وما دام الأمر كذلك فعلى المسلمين الاهتمام بالناحية الأمنية حتى لا تصبح قضايانا مستباحة للأعداء، وأسرارنا في متناول أيديهم[١].

سابعًا: علي ﷺ مع رسول الله في طوافه على القبائل وعرضه للدعوة عليها وحضوره المفاوضات مع بني شيبان:

عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس حدثني علي بن أبي طالب قال: لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبوبكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبوبكر ﷺ فسلم، وكان أبوبكر مقدما في كل خير، وكان رجلاً نسابة... إلى أن قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر، عليه السكينة والوقار، فتقدم أبوبكر فسلم فقال: من القوم؟ قالوا: شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبوبكر إلى رسول الله ﷺ، وقال: بأبي وأمي، هؤلاء غُرُ الناس، وفيهم مفروق قد غلبهم لسانًا وجمالاً، وكانت له غديرتان تسقطان على تَرِيبَتَيه، وكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر، فقال أبوبكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على الألف ولن تُغلب ألف من قلة، فقال أبوبكر: وكيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبًا حين نلقى، وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرة،

---

(١) دروس في الكتمان، محمود شيت خطاب ص ٩، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلاَّبيّ (١/ ١٧١).

ويديل علينا مرة أخرى، لعلك أخو قريش؟ فقال أبوبكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هو ذا. فقال مفروق إلام تدعونا يا أخا قريش. فقال رسول الله ﷺ: **«أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني عبدالله ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشًا قد تظاهرت على الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد»**، فقال مفروق: وإلام تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فوالله ما سمعت كلامًا أحسن من هذا، فتلا رسول الله ﷺ: **﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [الأنعام: ١٥١].

فقال مفروق: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك، وظاهروا عليك، ثم رد الأمر إلى هانيء بن قبيصة فقال: وهذا هانئ شيخنا، وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى تركنا ديننا، واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا، لا أول له، ولا آخر لذل في الرأي، وقلة نظر في العاقبة. إن الزلة مع العجلة، وإنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقدًا، ولكن نرجع وترجع، وننظر، ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى ـ وأسلم بعد ذلك ـ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيَيْن، أحدهما اليمامة، والآخر السَّمامة، فقال له رسول الله ﷺ: **«ما هذان الصريان»**، قال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان ـ من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور ـ وعذره غير مقبول، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألا نحدث حدثًا، ولا نؤوي محدثًا، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب، فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أسأتم في الرد، إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن تلبثوا إلا قليلاً، حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم، ويفرشكم نساءهم،**

أتسبحون الله وتقدسونه»، فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك[١].

وهذا الحدث فيه دروس وعبر وفوائد تعلمها علي بن أبي طالب رضي الله عنه منها:

١ـ تعلم علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ رفض أن يعطي القوى المستعدة لتقديم نصرتها، أية ضمانات بأن يكون لأشخاصهم شيء من الحكم والسلطان على سبيل الثمن، أو المكافأة لما يقدمونه من نصرة وتأييد للدعوة الإسلامية، وذلك لأن الدعوة الإسلامية إنما هي دعوة إلى الله، فالشرط الأساسي فيمن يؤمن بها ويستعد لنصرتها أن يكون الإخلاص لله، ونشدان رضاه هما الغاية التي يسعى إليها من النصرة والتضحية وليس طمعًا في نفوذ أو رغبة في سلطان، وذلك لأن الغاية التي يضعها الإنسان للشيء هي التي تكيف نشاط الإنسان في السعي إليه، فلابد إذن، من أن تتجرد الغاية المستهدفة من وراء نصرة الدعوة، عن أي مصلحة مادية لضمان دوام التأييد لها، وضمان المحافظة عليها من أي انحراف، وضمان أقصى ما يمكن من بذل الدعم لها، وتقديم التضحيات في سبيلها[٢]، فيجب على كل من يريد أن يلتزم بالجماعة التي تدعو إلى الله ألا يشترط عليها منصبًا، أو عرضًا من أعراض الدنيا، لأن هذه الدعوة لله، والأمر لله يضعه حيث يشاء والداخل في أمر الدعوة إنما يريد ابتداء وجه الله، والعمل من أجل رفع رايته، أما إذا كان المنصب هو همه الشاغل فهذه علامة خطيرة تنبئ عن دخن في نية صاحبها[٣]، لذا قال يحيى بن معاذ الرازي: لا يفلح من شممت منه رائحة الرياسة[٤].

٢ـ وتعلم علي رضي الله عنه من رسول الله أن صفة النصرة التي كان يطلبها رسول الله لدعوته من زعماء القبائل بأن تكون غير مرتبطة بمعاهدات دولية، تتناقض مع الدعوة، ولا يستطيعون التحرر منها، وذلك لأن احتضانهم للدعوة والحالة هذه يُعرضُها لخطر القضاء عليها، من قبل الدول التي بينهم وبينها تلك المعاهدات والتي تجد في الدعوة الإسلامية خطرًا عليها، وتهديدًا لمصالحها[٥]، إن الحماية المشروطة أو

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥)، البيهقي في دلائل النبوة إسناده حسن ونقل عنه ابن كثير.

(٢) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (١/ ٤٢١).

(٣) وقفات تربوية من السيرة النبوية، عبدالحميد البلالي ص ٧٢.

(٤) صفة الصفوة (٤/ ٩٤).

(٥) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (١/ ٤٢١).

الجزئية لا تحقق الهـدف المقصود، فلن يخوض بنو شيبان حـربًا ضد كسرى، لو أراد القبض عـلى رسول الله ﷺ وتسليـمه، ولن يخـوضوا حـربا ضد كسـرى لو أراد مهاجمة رسول الله ﷺ وأتباعه، وبذلك فشلت المباحثات[1].

٣ـ إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، كان هذا الرد من النبي ﷺ على المثنى بن حارثـة، حين عرض على النبي ﷺ حمـايته على ميـاه العرب، دون مياه الفرس، فمن يسـبر أغوار السياسة البعيـدة، ير بعد النظر الإسلامي النبوي الذي لا يسامى[2].

٤ - لمس علي رضي الله عنه أثر الإسلام على المثنى وقومه بعد أن أسلموا، وكيف تحملت قبيلة بني شيبان عبء مواجهة الفرس، وكان المثنى بن حارثة فيما بعد ـــ من قاده فتح العراق في عهد الصديق رضي الله عنه، فقد أكسبهم الإيمان بهذا الدين جرأة على قتال الفرس هذه بعض المفـاهيم والدروس والعبـر التي استـفادها علي رضي الله عنه من رسـول الله عند مفاوضاته لزعماء بني شيبان.

ثامنًا: تقديمه نفسه فداء للنبي ﷺ:

عندمـا اجتـمعت قـبـيلة قريش في دار الندوة، وأجـمـعوا على قـتل النبي ﷺ والتخلص منه، أعلم الله نبيه ﷺ بذلك، وكان النبي ﷺ أحكم خلق الله، فأراد أن يبقى من أراد قتله ينـظر إلى فراشه ينتظرونه يخرج عليهم، فـأمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام في فراشه تلك الليلة، ومن يجرؤ علـى البقاء في فراش رسول الله ﷺ والأعداء قد أحـاطوا بالبيت يتربصون به ليـقتلوه؟ من يفعل هذا ويستطـيع البقاء في هذا البيت وهو يعلم أن الأعداء لا يفرّقون بينه وبين رسول الله ﷺ في مضجعه؟ إنه لا يفعل ذلك إلا أبطال الرجـال وشجعـانهم بفضل الله[3]ـ تعالى ـ .قـد أمره النبي ﷺ أن يقـيم بمكة أيامًـا حـتى يؤدي أمـانة الودائع والوصـايا التي كـانت عنده إلى أصحابهـا من أعدائه كاملة غير منقوصـة، وهذا من أعظم العدل، وأداء الأمانة[4]،

---

(١) التحالف السياسي في الإسلام، منير الغضبان ص٥٣.

(٢) المصدر نفسه ص٦٤.

(٣) الحكمة في الدعوة إلى الله للقحطاني ص٢٣٥.

(٤) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٢)، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٦٦.

وقد جاء في رواية: أن رسول الله قال له: «نم على فراشي، وتَسَجَّ ببردي هذا الخضري، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم»(١)، وقال ابن حجر، وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: فرقد علي على فراش رسول الله يؤاري عنه، وباتت قريش تختلف، وتأتمر، أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه، حتى أصبحوا فإذا هم بعلي، فسألوه، فقال: لا علم لي، فعلموا أنه قد فر(٢)، وعن ابن عباس: إن عليًا قد شرى نفسه تلك الليلة حين: لبس ثوب النبي، ثم نام مكانه(٣)، وفي علي وإخوانه من الصحابة المجاهدين الذين يبتغون الله والدار الآخرة نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وفي هذا الموقف دروس وعبر وفوائد منها:

١ـ إن خطة الهجرة، كما رسمها رسول الله ﷺ كانت تتطلب أن يأخذ مكانه في البيت رجل تشغل حركته داخل الدار أنظار المحاصرين لها من مشركي قريش وتخدعهم بعض الوقت عن مخرج رسول الله عليه السلام، حتى يكون وصاحبه أبوبكر قد جاوزوا منطقة الخطر(٤).

٢ـ في تلبية علي رضي الله عنه لأمر النبي ﷺ مثال للجندي الصادق، المخلص لدعوة الإسلام، حيث فدى قائده بحياته، ففي سلامة القائد سلامة للدعوة وفي هلاكه خذلانها، ووهنها، فما فعله عليٌّ رضي الله عنه ليلة الهجرة من بياته على فراش الرسول ﷺ يعتبر تضحية غالية، إذ كان من المحتمل أن تهوى سيوف فتيان قريش على رأس علي رضي الله عنه، ولكن عليًا رضي الله عنه لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله نبي الأمة، وقائد الدعوة(٥).

٣ـ في إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله ﷺ مع محاربتهم له، وتصميمهم

(١) السيرة لابن هشام (٢/ ٩١)، فتح الباري (٧/ ٢٣٦).
(٢) فتح الباري (٧/ ٢٣٦).
(٣) فضائل الصحابة رقم ١١٦٨ إسناده حسن.
(٤) خلفاء الرسول ٣٩٦، العشرة المبشرون بالجنة محمد صالح.
(٥) السيرة النبوية للسباعي ص٣٤٥.

على قتله، دليل باهر على تناقضهم العجيب الذي كانوا واقعين فيه، ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه، ويزعمون أنه ساحر، أو مجنون، أو كذاب، لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقًا، فكانوا لا يضعون حوائجهم، ولا أموالهم التي يخافون عليها إلا عنده، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق، الذي جاء به، وخوفًا على زعامتهم وطغيانهم[1]، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

٤ـ وفي أمر الرسول ﷺ لعلي رضي الله عنه بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة، على الرغم من هذه الظروف الشديدة التي كان من المفروض أن يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتجه التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط، على الرغم من ذلك فإن الرسول ﷺ ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تنسي الإنسان نفسه فضلاً عن غيره[2]، فقد أبى أن يخون من ائتمنه ولو كان عدوا يحرّض عليه، ويؤذيه لأن خيانة الأمانة من صفات المنافقين، ويتنزه عنها المؤمنون[3].

٥ـ هذا الحدث العظيم فيه دلالة قاطعة على شجاعة علي رضي الله عنه، فإنه يعلم وهو يقوم بتنفيذ ما أمر به أنه معرض لخطر عظيم فقد يقتحمون عليه داره ويقتلونه دون أن يتثبتوا من هويته، وقد يباغتونه وهو خارج في الصباح من غير أن يتبينوا من هو والقوم يتربصون به طول الليل يترقبون هذه اللحظة وقد بلغ منهم الجهد كل مبلغ فأصبحوا غير قادرين على التأكد من شخصية الخارج من الدار أهو محمد ﷺ أم هو رجل آخر، لابد أن ذلك كله قد دار في عقل علي ولكنه بادر وسعد بالتنفيذ فهو أولا: يحب الله ورسوله حبًا ملك عليه قلبه جعل سلامة رسول الله ﷺ هدفه الأسمى ولو كلفه ذلك التضحية بحياته. ثانيًا: هي عملية لابد منها لكي يخرج الرسول سالمًا من تدبير الأعداء حتى يتمكن من نشر الإسلام في كل مكان فالأمر إذن يتعلق بمصلحة

---

(١) فقه السيرة للبوطي ص١٥٣.

(٢) الهجرة في القرآن الكريم ص٣٦٤.

(٣) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ص٤٢٣.

الإسـلام أولا وثانيًـا، وقـد نام علي رضي الله عنه في فـراش رسـول الله ﷺ مع كل هذه التوقعات وهذا دليل علـى عمق إيمانه بقضاء الله وقدره فهو بحق مـؤمن بقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]. وإننا لنلمح في اختيار ـ رسـول الله لعلي ـ ليقوم بهـذا الدور الخطير ـ ثقـة تامة لا تعدلها ثقة، واطمئنانًا إلى قدرات خاصة امـتاز بها علي قد لا تتوفر في غيره، فإنه لم يتـردد حين دعاه الرسـول لينام على فـراشه، وهـو يعلم أنه ليس وراء ذلك إلا الموت الذي أعد له المشركون أشـجع فتيان قريش، ولم يسمح لنفسـه أن يفكر في العاقبة لأنه يعلم أنه حين يكون فداء لرسول الله ينال بذلك شرفًا لا يناله بغير هذا الطريق(١).

تاسعًا: هجرته:

لما أصبح قام علي رضي الله عنه عن فـراشه، فعرفه القوم وتأكـدوا من نجاة رسول الله ﷺ فقـالوا لعلي: أين صـاحبك؟ قـال: لا أدري أورقيـبًا كنت عليـه، أمرتموه بـالخروج فـخرج. وضـاق القـوم بتلك الإجابة الجـريئـة وغاظـهم خروج رسـول الله من بين أظهرهم، وقـد عمـوا عنه فلم يروه، فانتـهروا عليا وضـربوه، وأخذوه إلى المسـجد فحبسـوه هناك ساعة، ثم تركوه(٢)، وتحمل علي ما نزل به في سبـيل الله وكان فرحه بنجـاة رسول الله أعظم عنـده من كل أذى نزل به ولم يضعـف ولم يخبـر عن مكان رسول الله ﷺ، وانطلق علي في مكة يجـوب شوارعهـا باحثًا عن أصـحاب الودائع التي خلفـه رسول الله من أجلهـا وردها إلى أصحابـها وظل يرد هذه الأمانـات حتى برئت فيها ذمة رسول الله ﷺ وهناك تأهب للخروج ليلحق برسول الله بعد ثلاث ليال قضاهن في مكة(٣).

وكـان علي في أثناء هجـرته يكمن بالنهـار فإذا جن عليـه الليل سـار حتى قـدم المدينة، وقـد تفطرت قدمـاه(٤)، وهكذا يكون علي رضي الله عنه، قـد لاقى في هجرته من الشدة، فلم تكن له راحلة يمتطيـها ولم يستطع السير في النهار لشـدة حرارة الشمس

---

(١) جولة تاريخية في عصر الخلفاء ص٤٢٦.

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ٣٧٤).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٣٨٢)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣٥)، جولة تاريخية ص٤٢٤.

(٤) الكامل (٢/ ١٠٦).

وفي مشي الليل مافيه من الظلمة المفجعة والوحدة المفزعة ولو أضفنا إلى ذلك أنه رضي الله عنه قد قطع الطريق على قدميه دون أن يكون معه رفيق يؤنسه لعلمنا مقدار ما تحمله من قسوة الطريق ووعثاء السفر وآلام الوحدة، وقد سهل عليه تلك العقبات والمصاعب شعوره بأنه يعمل ابتغاء مرضاة الله عز وجل وأنه في نهاية المطاف سيلحق برسول الله، ويستمتع بجواره آمنًا مطمئنًا في المدينة، ولم يكد علي يقطع الطريق ويصل إلى المدينة حتى نزل في بني عمرو بن عوف على كلثوم بن الهدم، حيث كان ينزل رسول الله ﷺ[1]، وهكذا كانت هجرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه تضحية وفداء وتحملاً وصبراً وشجاعة وإقدامًا.

وقد لاحظ سيدنا علي مدة إقامته بقباء امرأة مسلمة لا زوج لها، ورأى إنسانًا يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه، فيعطيها شيئا معه، فتأخذه، ولنستمع إليه رضي الله وهو يحدثنا بالقصة حيث قال: فاستربت بشأنه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه، فيعطيك شيئا لا أدري ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة، لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل ابن حنيف بن وهب، قد عرف أني امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها، ثم جاءني بها، فقال: احتطبي بهذا، فكان علي رضي الله عنه يأثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حتى هلك عنده بالعراق[2]. ونلاحظ صفة النباهة واليقظة التي لابد للمسلم أن يتحلى بها ولا يكون غافلاً عما يدور حوله.

المبحث الثالث: معايشة أمير المؤمنين علي للقرآن الكريم وأثرها عليه في حياته:

أولاً: تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر:

كان المنهج التربوي الذي تربى عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو نفسه الذي خضع له كل الخلفاء الراشدين، والصحابة الكرام، فقد تربوا على القرآن الكريم، وكان المربي سيد الخلق أجمعين محمد ﷺ، فقد حرص الحبيب المصطفى على توحيد مصدر

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٢)، السيرة لابن هشام (٢/ ١٢٩). ذكره ابن إسحاق بدون إسناد، جولة تاريخية ص٤٢٥.

(٢) محمد رسول الله، صادق عرجون (٢/ ٤٢١).

التلقي وتفرده، وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج، مع ما يوحي إليه المولى عز وجل من الحكمة، ولقد تربى الفرد المسلم، والأسرة المسلمة والجماعة المسلمة على العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولقد كانت للآيات الكريمة التي سمعها علي من رسول الله مباشرة أثرها في صياغة شخصيته الإسلامية، فقد طهرت قلبه، وزكت نفسه، ونوّرت عقله، وتفاعلت معها روحه، فتحول إلى إنسان جديد بقيمه ومشاعره وأهدافه وسلوكه وتطلعاته[1].

فقد عرف علي رضي الله عنه من خلال القرآن الكريم والتربية النبوية الراشدة من هو الإله الذي يجب أن يعبده، وكان النبي ﷺ يغرس في نفسه معاني تلك الآيات العظيمة، فقد حرص ﷺ أن يربى أصحابه على التصور الصحيح عن ربهم وعن حقه عليهم، مدركًا أن هذا التصور سيورث التصديق واليقين عندما تصفى النفوس، وتستقيم الفطرة، فأصبحت نظرت علي رضي الله عنه إلى الله والكون والحياة والجنة والنار، والقضاء والقدر، وحقيقة الإنسان، وصراعه مع الشيطان مستمدة من القرآن الكريم وهدى النبي ﷺ .

فالله سبحانه وتعالى منزه عن النقائص موصوف بالكمالات التي لا تتناهى فهو «واحد لا شريك له ولم يتخذ صاحبة ولا ولدًا».

وأنه سبحانه خالق كل شيء وما لكه ومدبره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وأنه تعالى مصدر كل نعمة في هذا الوجود دقت أو عظمت، ظهرت أو خفيت ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وأن علمه محيط بكل شيء فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا ما يخفى الإنسان وما يعلن، وأنه سبحانه يقيد على الإنسان أعماله بواسطة ملائكته، في كتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسينشر ذلك في اللحظة المناسبة والوقت المناسب ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

(١) السيرة النبوية للصلاّبي (١/ ١٤٥).

وأنه سبحانه يبتلي عباده بأمور تخالف ما يحبون وما يهوون ليعرف الناس معادنهم، ومن منهم يرضى بقضاء الله وقدره، ويسلم له ظاهراً وباطنًا، فيكون جديراً بالخلافة والأمانة والسيادة، ومن منهم يغضب ويسخط فلا يساوي شيئًا، ولا يسند إليه شيء ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

وأنه سبحانه يوفق ويؤيد وينصر من لجأ إليه، ولاذبحماه ونزل على حكمه في كل ما يأتي وما يذر: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]. وأنه سبحانه وتعالى حقه على العباد أن يعبدوه ويوحدوه فلا يشركوا به شيئًا ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].

وأنه وحده المستحق للعبادة وهذا حق الله على العباد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وأنه سبحانه حدد مضمون هذه العبودية، وهذا التوحيد في القرآن الكريم[١].

وأما نظرته للكون فقد استمدها من قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

وأما هذه الحياة مهما طالت فهي إلى زوال، وأن متاعها مهما عظم فإنه قليل حقير. قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦] فعرّف الله تعالى الإنسان المسلم حقيقة الحياة وأنها ليست دار

(١) منهج الرسول في غرس الروح الجهادية ص ١٠ - ١٦.

كرامة وأن الآخرة خير وأبقى وهي تهدي من تمكن حب الله ورسوله في قلبه على أن يقدم رضى الله ورسوله على ما سواه ولو كان الثمن الدنيا وما فيها وقد عبر عن هذه الحقيقة أمير المؤمنين علي عندما قال: «يا دنيا غُرّي غيري»، إليَّ تعرضت أم إلى تشوقت هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق(١).

وأما نظرته إلى الجنة فقد استمدها من خلال الآيات الكريمة التي وصفتها فأصبح حاله ممن قال الله فيهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

وأما تصوره للنار فقد استمده من القرآن الكريم، فأصبح هذا التصور رادعًا له في حياته عن أي انحراف عن شريعة الله، فيرى المتتبع لسيرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عمق استيعابه لفقه القدوم على الله عز وجل، وشدة خوفه من عذاب الله وعقابه، وستتضح كثيراً من هذه المعالم في هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

وأما مفهوم القضاء والقدر فقد استمده من كتاب الله وتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر في قلبه، واستوعب مراتبه من كتاب الله تعالى، فكان على يقين بأن علم الله محيط بكل شيء ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، وأن الله قد كتب كل شيء كائن ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. وأن مشيئة الله نافذة وقدرته تامة ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]. وأن الله خالق لكل شيء ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقد ترتب على الفهم الصحيح والاعتقاد الراسخ في قلبه لحقيقة القضاء والقدر، ثمار نافعة ومفيدة، ظهرت في حياته وسنراها بإذن الله تعالى في هذا الكتاب،

---

(١) الاستيعاب (٣/١١٠٨).

وعرف من خلال القرآن الكريم حقيقة نفسه وبني الإنسان، وأن حقيقة الإنسان ترجع إلى أصلين: الأصل البعيد وهو الخلقة الأولى من طين، حين سواه ونفخ فيه الروح، والأصل القريب وهو خلقه من نطفة[1]، فقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧-٩]. وعرف أن هذا الإنسان خلقه الله بيده، وأكرمه بالصورة الحسنة والقامة المعتدلة، ومنحه العقل والنطق والتمييز، وسخر الله له ما في السماء والأرض، وفضله على كثيراً من خلقه، وكرمه بإرساله الرسل له، وأن من أروع مظاهر تكريم المولى عز وجل سبحانه للإنسان أن جعله أهلا لحبه ورضاه ويكون ذلك باتباع النبي ﷺ الذي دعا الناس إلى الإسلام لكي يحيوا حياة طيبة في الدنيا ويظفروا بالنعيم المقيم في الآخرة قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وعرف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حقيقة الصراع بين الإنسان والشيطان وأن هذا العدو يأتي للإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، يوسوس له بالمعصية، يستثير فيه كوامن الشهوات، فكان مستعينًا بالله على عدوه إبليس منتصراً عليه في حياته، كما سترى في سيرته، وتعلّم من قصة آدم مع الشيطان في القرآن الكريم، أن آدم هو أصل البشر، وأن جوهر الإسلام الطاعة المطلقة لله، وأن الإنسان له قابلية للوقوع في الخطيئة، وتعلم من خطيئة آدم ضرورة توكل المسلم على ربه، وأهمية التوبة والاستغفار في حياة المؤمن، وضرورة الاحتراز من الحسد والكبر وتقديم مرضات الله سبحانه وتعالى على كل ما سواه وأهمية التخاطب بأحسن الكلام مع إخوانه من الصحابة قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]. وسار على منهج رسول الله في تزكية أصحابه لأرواحهم، وتطهير قلوبهم بأنواع العبادات، وتربيتهم على التخلق بأخلاق القرآن الكريم.

---

(١) أصول التربية للنحلاوي ص٣١.

ثانيًا: مكانة القرآن الكريم عنده:

عاش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حياته مع القرآن تلاوة وحفظًا وفهما وعملا، وكان يقول: من قرأ القرآن، فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا[١]، وكان يقول: طوبى لهؤلاء كانوا أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ[٢]، وكان يقول: ما كنت أرى أحدًا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاثة الأواخر من سورة البقرة[٣] أي أهل القرآن، وقال يصف القرآن الكريم ويبين عظيم قدره في القرآن الكريم: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الحبل المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم[٤]. ولشدة اهتمام أمير المؤمنين علي بالقرآن حصل على علم كبير به وبعلومه، فقد روي عنه أنه قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت: إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانًا صادقًا ناطقًا[٥]، وقد قال رضي الله عنه: سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم نهار في سهل أم في جبل[٦]، ويرى ابن عبدالبر أن عليًا رضي الله عنه: كان ممن جمع القرآن الكريم على عهد رسول الله وهو حي[٧]، وقد قال في آخر عهده: سلوني قبل أن تفقدوني[٨]، وكان ذلك عندما مات أكثر علماء الصحابة، وكان رضي الله عنه بالعراق، فكان من حرصه على تعليم الناس القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف في قوم كثر فيهم الجهل ولا يعرفون الكثير من أحكام

---

(١) المستطرف (١/ ٢٩)، فرائد الكلام ص٣٧٥.
(٢) التبيان في آداب حملة القرآن ص١٤٦، فرائد الكلام ص٣٩٠.
(٣) التبيان في آداب حملة القرآن ص٢٦٦، فرائد الكلام (٣٨٧).
(٤) فضائل القرآن لابن كثير ص ١٥ موقف على أمير المؤمنين علي.
(٥) الطبقات لابن سعد (٢/ ٣٣٨)، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥٢.
(٦) الصواعق المحرقة (٢/ ٣٧٥) الطبقات (٢/ ٣٣٨).
(٧) الاستيعاب (٣/ ١١٣٠)، وجمع القرآن الكريم أي حفظه عن ظهر قلب.
(٨) منهاج السنة (٨/ ٥٧، ٥٨).

الدين، فكان رضي الله عنه يحرص على تعليمهم وإرشادهم للحق، فقد كان أعلم أهل زمانه وهذا نموذج للعالم الرباني الذي يحرص على تعليم الناس الخير وتربيتهم عليه.

ثالثًا: ما نزل فيه من القرآن الكريم:

كان القرآن الكريم ينزل على رسول الله يعالج أحداثًا واقعية حصلت في المجتمع النبوي الكريم فيثني على عمل ما، ويشيد بأقوام، ويحذر من آخرين، وينبه على بعض الأخطاء، وقد نزلت بعض الآيات التي خلدت بعض المآثر لأمير المؤمنين وبعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

١- منها قوله تعالى: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾ [الحج: ١٩-٢٣]. روى البخاري بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. وقال قيس بن عبادة فيهم نزلت: هذان خصمان اختصموا في ربهم قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر، حمزة وعلي وأبو عبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة[1].

٢- وهو أحد من نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [آل عمران: ٦١].

وذلك في وفد نجران حينما جادلهم النبي ﷺ في عيسى ابن مريم، وأنه عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى - الطاهرة، فأجبته، وكذبهم في أنه الله وابن الله أو ثالث ثلاثة، ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا، فدعاهم إلى المباهلة، فعن عامر بن سعد ابن أبي وقاص، قال: ولما نزلت: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾ دعا رسول الله عليًا، وفاطمة، وحسنًا وحسينًا رضي الله عنهم فقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**»[2].

---

(١) البخاري رقم ٣٩٦٥.

(٢) مسلم (١٨٧١/٤)٤٢٥.(١/ ١٧١).

ك- موافقة القرآن له في كون الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام:

ففي الصحيح، أن رجلاً قال: لا أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، فقال علي بن أبي طالب: الجهاد في سبيل الله أفضل من هذا كله، فقال عمر بن الخطاب: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته عن ذلك، فسأله، فأنزل الله هذه الآية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة:١٩-٢٢]. فبين لهم أن الإيمان والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام والحج والعمرة والطواف ومن الإحسان إلى الحجاج[١].

ل- شفقته على أمة محمد ﷺ: عن علي رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة:١٢]. قال النبيُّ ﷺ لعلي مُرهم أن يتصدقوا قال: يا رسول الله، بكم؟ قال: بدينار، قال: لا يطيقونه قال: بنصف دينار. قال: لا يطيقونه، قال: فبكم؟ قال: بشعيرة[٢]، قال، فقال النبي ﷺ لعلي: إنك لزهيد، قال، فأنزل الله: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [المجادلة:١٢]. قال: فكان علي يقول فبي خفف الله عن هذه الأمة[٣].

رابعًا: تبليغه تفسير رسول الله ﷺ لبعض آيات القرآن الكريم:

استفاد علي رضي الله عنه من تفسير رسول الله ﷺ وبلغ ما تعلم من رسول الله للناس وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

---

(١) الفتاوى (٨/١٦٦).

(٢) بشعيرة: وزن شعيرة من ذهب.

(٣) روه الترمذي رقم (٣٢٩٧) وقال: حسن غريب وضعفه الألباني في ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ١٢٧، ١٢٨.

(أ) قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]. قال شكركم: أنكم تكذبون مطرنا بنوء كذا وكذا، بنجم كذا وكذا[١].

(ب) فكل ميسر لما خلق له:

عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: **«ما منكم من أحد، من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة. فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، فقال: اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسييسرون إلى عمل أهل الشقاوة»** ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠][٢]، وفي رواية: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة سيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة سيصير إلى عمل أهل الشقاوة[٣].

وفي رواية في الصحيحين عن علي قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال: ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار. فقالوا يا رسول الله، فلم نعمل، أولا نتكل؟ قال: لا! اعملوا، فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[٤] [الليل: ٥-١٠]. فقد أخبر النبي ﷺ في هذه الأحاديث وغيرها بما دل عليه القرآن الكريم من أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ تقدم علمه وكتابه وقضاؤه بما سيصير إليه العباد من السعادة والشقاوة كما تقدم علمه وكتابه بغير ذلك من أحوال

---

(١) مسند الموسوعة الحديثية رقم ٨٤٩ حسن لغيره.

(٢) البخاري رقم ١٣٦٢.

(٣) البخاري رقم ٦٦٠٥.

(٤) المصدر نفسه رقم ٦٦٠٥، الفتاوى (٨/ ١٦٥).

العباد وغيرهم[١]، وقد بين النبي ﷺ أن ذلك لا ينافي وجود الأعمال التي بها تكون السعادة والشقاوة، وإن من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فإنه ييسر لعمل أهل الشقاوة، وقد نهى أن يتكل الإنسان على القدر السابق ويدع العمل، ولهذا كان من اتكل على القدر السابق وترك ما أمر به من الأعمال هو من الأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وكان تركهم لما يجب عليهم من العمل من جملة المقدور الذي يسروا به لعمل أهل الشقاوة، فإن أهل السعادة هم الذين يعملون المأمور ويتركون المحظور، فمن ترك العمل الواجب الذي أمر به وفعل المحظور متكلاً على القدر، كان من جملة أهل الشقاوة والميسرين لعمل أهل الشقاوة، وهذا الجواب الذي أجاب به النبي ﷺ وتعلمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحاب النبي ﷺ في غاية السداد والاستقامة[٢].

خامسًا: الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين علي في استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مبلغ كبير من العلم بالقرآن وعلومه، وقد جعله هذا العلم بالقرآن الكريم أن يعتقد أن القرآن فيه جميع الأحكام الشرعية إما صراحة أو ضمنًا، فكان يقول بصدد ذلك: «إن الله لم يك نسيًّا»[٣]، ولذلك كان كثيرا ما يحتج بالقرآن ويتلو الآية التي يستند إليها لبيان الحكم الشرعي وكانت طريقته في الاستنباط كالآتي:

١- الالتزام بظاهر القرآن الكريم:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يلتزم أحيانا بظاهر القرآن الكريم حين لا يرى قرينة تقتضي صرفه عن ظاهره، فإنه كان يتوضأ لكل صلاة ويقرأ هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ.....﴾[٤] [المائدة: ٦]، لأن ظاهرها يدل على الوضوء عند إرادة الصلاة كل مرة. وأوجب الصوم على المقيم إذا أدركه الصوم

(١) الفتاوى (٨/ ١٦٦).

(٢) مصنف عبدالرزاق ١٧٤٤.

(٣) منصف عبدالرزاق ١٧٤٤.

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٨٠).

ثم سافر، فقال: من أدركه الصوم وهو مقيم ثم سافر بعد لزمه الصوم لأن الله تعالى قال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[١] [البقرة:١٨٥]، ورأى عدم تحريم إرضاع الكبير لانه ليس ضمن حولي الرضاعة استناداً إلى ظاهر آية الرضاعة، حيث روي عنه أنه قال: في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة:٢٣٣]، الرضاعة سنتان فما كان من رضاع في الحولين حرم وما كان بعد الحولين فلا يحرم[٢]، وحمل ظاهر القرآن الكريم على ظاهره في مكان آخر حيث حكم ببراءة امرأة اتهمت بالزنا لأنها ولدت بعد ستة أشهر من زوجها، فجمع بين قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾. فقال: الحمل ستة أشهر والفصل أربعة وعشرون شهراً[٣]، أي أنه طرح مدة الرضاعة وهي السنتان من مجموع مدة الرضاعة والحمل وهي ثلاثون شهراً فبقيت ستة أشهر، فجمع بين ظاهر كلا الآيتين وحكم بهما[٤].

٢- حمل المجمل على المفسر:

المجمل هو ما خفي مراده بحيث لا يدرك إلا ببيان يرجى[٥]، والمفسر: هو ما ظهر المراد منه دون الحاجة إلى بيان[٦]، وقد حمل علي مجمل القرآن في قوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة:٩٦]. على مفسره في مواضع أخرى، حيث ورد أنه سأل رجل علياً عن الهدي مما هو؟. فقال: من الثمانية أزواج، فكأنّ الرجل شك، فقال له علي: أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل سمعت الله يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ [المائدة:١] قال: نعم، قال: فهل سمعته يقول: ﴿ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾. قال: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام:١٤٢]. قال: فسمعت الله يقول:

---

(١) فقه الإمام علي (١/ ٤٥).

(٢) المجموع للنووي (٨/ ٢١٣).

(٣) مصنف عبدالرزاق ١٢٤٤٣، فقه الإمام علي (١/ ٤١).

(٤) فقه الإمام علي (١/ ٤٦).

(٥) مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول ص ١٩٧.

(٦) المصدر نفسه ص ١٩١.

﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾ ﴿وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤]. قال نعم، قال: فهل سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]. فقال الرجل نعم، قال: فقتلت ظبيًا فماذا علي؟ قال: هديا بالغ الكعبة[١].

٣- حمل المطلق على المقيد في القرآن الكريم:

المطلق، هو ما دل على الماهية بلا قيد، والمقيد هو ما قيد لفظًا بأي قيد[٢]. ولقد حمل أمير المؤمنين علي مطلق القرآن على مقيده في استنباط الحكم، إذ حمل مطلق الأمر بالقطع في آية السرقة على مقيده في آية المحاربة بعدم القطع إلا مرتين، وعدم قطع أكثر من يد ورجل عند تكرار السرقة، فإذ سرق مرة قطعت يده اليمين، وإذا سرق قطعت رجله اليسرى عند علي، فإن زاد وسرق مرة ثالثة ورابعة لم يزد على ذلك، ويعزره بدل القطع لأنه حمل قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]. على آية المحاربة ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ﴾ [المائدة: ٣٣]. وقال: إن الله لم يزد على قطع يد ورجل في آية المحاربة، ولذلك كان يعاقب مثل هذا بالسجن[٣]. فعن الشعبي قال: كان علي لا يقطع إلا اليد والرجل وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل وإنه كان يقول: إني لأستحي من الله أن لا أدع له يدا يأكل بها ويستنجي[٤].

٤- العلم بالناسخ والمنسوخ:

النسخ، هو رفع الحكم الشرعي بخطاب متأخر عنه[٥]، ويقول الزركشي: قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ[٦]،

(١) الدر المنثور (٣/ ١٩٣).
(٢) جمع الجوامع بشرح المحلى (٢/ ٧٩)، فقه الإمام علي (١/ ٤٧).
(٣) فقه الإمام علي (١/ ٤٧)، مصنف عبدالرزاق ٢١٨٧٤.
(٤) مصنف عبدالرزاق (١٨٧٦٤)، فقه الإمام علي (٢/ ٨١٨).
(٥) فقه الإمام علي (١/ ٤٨).
(٦) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٩).

وعلى هذا المعنى يؤكـد أمـير المؤمنين علي بن أبـي طالب رضي الله عنه، وذلك عندما عـاتب قاصًا بقوله: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت(١).

٥- النظر في لغة العرب:

ومن منهج أمير المؤمـنين علي في فهم القرآن الكريم النظر في لغة العـرب، كما فهم من قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة:٢٢٨]، أن المراد بالأقراء الحيـض، فلا تنقضي العدة حـتى تطهر من الحيضـة الثالثة(٢)، لذا قال علي رضي الله عنه عن المطلقـة: لا تحل لزوجهـا الرجعة علـيها حـتى تغتـسل من الحيـضة الثالثة(٣) والقُرُوءُ في كـلام العرب جمع قَـرء، وهو الحيض، والقَرْء أيضـا الطهر، وأقرأت المرأة: حاضت، وأقرأت أطهرت(٤).

ومن ذلك فهمه رضي الله عنه من قوله تعالى: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ اللمس هو الجماع فقد قال، الـلمس هو الجماع، ولكن الله كنى عنه(٥)، وحمل المس في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة:٢٣٧]. على الخلوة، فقال: المراد بالمس هنا الخلوة(٦)، فأوجب الصداق كله بالخلوة(٧)، وقد قال: إذا أرخى ستراً على امرأته وأغلق بابا وجب الصداق والعدة(٨).

٦- فهم النص بنص آخر:

ومن ذلك ما فهمـه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من قوله: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء:١٤١]. أن ذلك يكون يوم القيامة، اعـتماداً على قوله سبحـانه وتعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [النساء:١٤١]. وذلك لما جاءه رجل يسأله كيف هذه الآية ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ فقال علي

(١) أبو خيثمة، ك العلم ص ٣١ تحقيق الألباني وقال: إسناده صحيح.
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٧١).
(٣) الدر المنثور (١/ ٢٣٤).
(٤) الصحاح للجوهري (١/ ٦٤) مادة (قرأ).
(٥) فقه الإمام علي (٤٨/١)، الفصول في الأصول للجصاص (١/ ٢٠٣).
(٦) الفصول في الأصول (١/ ٢٠٢).
(٧) فقه الإمام عليّ (٤٨/١) أي خلوة الرجل بزوجته.
(٨) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٢٣٤)، فقه الإمام علي (٢/ ٥٣١).

ﷺ: ادنه، ادنه، فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا[1]، ومنه ما فهمه من قوله تعالى ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥] بأنه السماء لما رواه ابن جرير وذكره ابن كثير عن علي ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ يعني السماء قال سفيان: ثم تلا... ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

ومن ذلك أيضًا ما فهمه من قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، معتمدًا في ذلك على نص من حديث رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم، وقبورهم نارًا»[2]، ومن هذا الباب أيضا ما ورد في فهمه لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. فعن سهل بن أبي خيثمة عن أبيه قال: إني لفي هذا المسجد ـ مسجد الكوفة ـ وعلي رضي الله عنه يخطب الناس على المنبر يقول: يا أيها الناس، الكبائر سبع، فأصاخ الناس، فأعادها ثلاث مرات ثم قال: لم لا تسألوني عنها؟ قالوا يا أمير المؤمنين ما هي؟ قال: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتعرب[3] بعد الهجرة[4] وهذا الفهم مبني على حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: «اجتنبوا السبع الموبقات»[5]. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[6]. وهذا يدخل ضمن منهج أمير المؤمنين علي في تفسير القرآن الكريم بالسنة.

---

(١) تفسير ابن جرير، إسناده صحيح (٩/ ٣٢٧).

(٢) مسلم (١/ ٤٣٧).

(٣) أن يهاجر الرجل، حتى إذا وقع سهمه في الفيء، ووجب عليه الجهاد، خلع ذلك من عنقه، فرجع أعرابيا كما كان.

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٢٥).

(٥) الموبقات: جمع موبقة وهي المهلكة.

(٦) البخاري، ك الوصايا رقم ٢٧٦٦.

٧- السؤال عن مشكله:

ومن منهج أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في فهم القرآن الكريم سؤاله عما أشكل عليه فيه، ومن ذلك سؤاله لرسول الله ﷺ عن يوم الحج الأكبر في قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ....﴾ [التوبة: ٣]. فقد قال: سألت النبي ﷺ عن يوم الحج الأكبر فقال: يوم النحر[١]، وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذا المنهج فيما يرويه عن رسول الله ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ونهي، فما تأمرنا، قال: **«شاوروا الفقهاء والعابدين، ولا تمضوا فيه خاصة»**[٢].

٨- العلم بمناسبة الآيات:

إن العلم بالمناسبة التي نزلت فيها الآيات، والسبب الداعي لذلك، يفيد في إدراك معنى الآية، واستنباط الحكم منها، لأن بيان النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز[٣]، ولقد بلغ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مبلغًا في العلم بأسباب نزول الآيات، كما يقول عن نفسه حاثًا على سؤاله عن كتاب الله: سلوني سلوني وسلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله، ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار[٤]، وفي رواية: والله ما أنزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت[٥].

٩- تخصيص العام:

العام، هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بوضع واحد دفعة واحدة من غير حصر[٦]، وقاعدة العموم، كل لفظ عام باق على عمومه حتى يرد التخصيص[٧]، وقد يرد من الشارع ما يدل على قصر العام على بعض أفراده وهذا هو تخصيص العام[٨].

---

(١) سنن الترمذي رقم ٩٧٠ وصححه الألباني (١/ ٢٨٢).
(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص٦٦، منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص٧٨.
(٣) منهج علي بن أبي طالب ص٧٩.
(٤) الإصابة (٢/ ٥٠٩).
(٥) الطبقات (٢/ ٣٣٨).
(٦) تيسير علم أصول الفقه، عبدالله الجُديع ص ٢٦٢.
(٧) المصدر نفسه ص ٢٦٩.
(٨) المصدر نفسه ص ٢٦٩.

وقد ورد عن علي رضي الله عنه ما يفيد قوله بتخصيص العموم، فقد سئل رضي الله عنه عن رجل له أمتان أختان وطأ أحداهما ثم أراد أن يطأ الأخرى قال: لا .. حتى يخرجهما من منكه[1]، وعن ابن الكوا سأل عليًا عن الجمع بين الأختين فقال حرمتهما آية وأحلتهما آية أخرى، ولست أفعل أنا ولا أهلي[2] وقصد أمير المؤمنين علي بالآية التي حرمتها هي قوله تعالى: ﴿أَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ [النساء: ٢٣] وبالتي أحلتها هي قوله تعالى: ﴿إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦] فهاتان الآيتان بينهما عموم وخصوص، إذ خصص عموم التمتع بملك اليمين بخصوص عدم جواز الجمع بين الأختين[3].

ومنها أنه حكم في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها بأن تعتد أبعد الأجلين، فقال: عدتها أبعد الأجلين[4]، أي أنه خص عموم الآيتين ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]. ﴿وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، فالحامل المتوفى عنها زوجها إذا وضعت حملها قبل الأربعة أشهر وعشرة أيام فإنها تكمل المدة ولا تعمل بعموم الآية الثانية لأنها تخصصها الأولى وإن أكملت المدة فلا تنقض عدتها إلا بوضع الحمل لأن عموم الآية الأولى مخصص بالثانية، فكل من الآيتين عام في وجه وخاص في وجه آخر تخصص إحداهما الأخرى عند علي، ولعله عمل بالاحتياط جمعًا بين الآيتين[5]، ولكن الراجح أن عدتها وضع الحمل في كلتا الحالتين، فقد صح عن عبدالله بن عتبة أن سبيعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة، وكان ممن شهد بدرًا، فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل، فقال لها: مالي أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟ إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر. قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت عليّ ثيابي

---

(١) فقه الإمام علي (١/ ٥٦٠) نقلا عن مصنف ابن أبي شيبة.
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٦٠).
(٣) الأحكام للآمدي (٢/ ٤٤٥)، روضة الناظر (٢/ ١٢٩).
(٤) الفصول في الأصول للجصاص (٦/ ١٠٦).
(٥) فقه الإمام علي (١/ ٥٠).

حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي(١).

ولعل عليًا قال بذلك لعدم بلوغه حديث سبيعة وإلا فلا يخالف علي الصحيح الثابت عن النبي ﷺ(٢).

١٠- معرفة عادات العرب ومن حولهم:

ولمعرفة طبيعة وعادات العرب ومن حولهم من اليهود والنصارى وقت نزول القرآن دور كبير في فهم القرآن الكريم، وعلي رضي الله عنه عاش في ذلك الزمان وعرف الكثير من العادات التي نهى عنها القرآن أو تلك التي أقر ومن أمثلة هذا الفهم ما رواه ابن ابي حاتم: لما نافر ابن وائل أبا الفرزدق، فعقر كل واحد منهما مائة من الإبل، فخرج عليٌ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وهو ينادي: يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها، فإنها أهل بها لغير الله، فعلي رضي الله عنه عرف من عادات العرب في وقته أن مثل هذه المنافرة ليست لله وإنما هي للشيطان، فلذلك نهى عنها مستدلا بقوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾(٣)[المائدة: ٣].

١١- قوة الفهم وسعة الإدراك:

وقوة الفهم وسعة الإدراك من المزايا التي امتاز واشتهر بها علي رضي الله عنه، والأمثلة التي تدل على هذا كثيرة جدا نذكر منها ما رواه ابن جرير قال: نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠](٤).

هذه بعض الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه وهي ترشد محبيه وأبناء المسلمين المخلصين في كيفية التعامل مع كتاب الله سبحانه وتعالى.

---

(١) مسلم رقم ١٤٨٤.

(٢) فقه الإمام علي (٢/٦١٧).

(٣) تفسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فهد بن عبدالعزيز الفاضل رسالة علمية جامعية لم تنشر (١/ ٣٠).

(٤) تفسير الطبري (٢١/٥٩).

سادساً: تفسير أمير المؤمنين علي لبعض الآيات الكريمة:

١- (الذاريات):

عن الثوري عن حبيب بن أبي صابت عن أبي الطفيل. قال: سمعت ابن الكواء يسأل علي بن أبي طالب عن الذاريات ذروا قال: الرياح، وعن الحاملات وقراً، قال: السحاب، وعن الجاريات يسراً، قال: السفن، وعن المدبرات أمراً قال: الملائكة(١)، وصححه الحاكم من وجه آخر عن أبي الطفيل. وقد أطنب الطبري في تخريج طرقه إلى علي(٢)، وأخرجه عبد الرزاق من وجه آخر عن أبي الطفيل قال: شهدت عليًا وهو يخطب وهو يقول: سلوني... وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل. فقال ابن الكواء ـ وأنا بينه وبين علي وهو خلفي ـ فقال: ما الذاريات ذرواً؟ فذكر مثله وقال فيه: ويلك سل تفقها ولا تسأل تعنتًا وفيه سؤال عن أشياء غير هذا(٣).

٢- قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥]:

روى سعيد بن منصور بإسناد حسن عن علي قال: هن الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى(٤).

٣- بكاء الأرض على العبد الصالح:

قال علي ﷺ: إذا مات العبد الصالح بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء والأرض ثم قرأ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩].

٤- الخشوع في القلب وأن تلين كنفك للمرء المسلم:

سئل أمير المؤمنين علي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]. قال: الخشوع في القلب، وأن تُلين كنفك للمرء المسلم ولا تلتفت في صلاتك(٥).

---

(١) الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى ص ٤٨٦.
(٢) الدر المنثور (٧/ ٦١٤)، المستدرك (٢/ ٤٦٧)، تفسير الطبري (٢٦/ ١٨٥ ـ ١٨٨).
(٣) الخلافة الراشدة يحيى اليحيى ٤٨٦.
(٤) الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى (٤٨٧)، الفتح (٨/ ٥٦٣).
(٥) الزهد لابن المبارك ص ٤٠٣ رقم (١١٤٨).

٥- خليلان مؤمنان، وخليلان كافران:

سئل أمير المؤمنين رضي الله عنه عن قول الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]. قال: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فبشر بالجنة فذكر خليله المؤمن، قال: فيقول: يا رب! إنَّ خليلي فلانًا كان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، فيأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويخبرني أني ملاقيك، فلا تُضِلَّهُ بعدي واهده كما هداني، وأكرمه كما أكرمني فإذا مات جمع بينهما في الجنة، ويقال لهما: ليُثنِ كل واحد منهما على صاحبه فيقول: اللهمّ كان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، فيأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويُخبرني أني ملاقيك، فنعم الأخ والخليل والصاحب، قال: ثم يموت أحد الكافرين، فيبشر بالنار ـ فيذكر خليله، فيقول: اللهمّ خليلي فلان كان يأمرني بالشر، وينهاني عن الخير، ويأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويخبرني أني غير ملاقيك اللهمّ فأضله كما أضلَّني، فإذا مات جمع بينهما في النار، فيقال ليُثنِ كل واحد منكما على صاحبه قال فيقول: اللهمّ كان يأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويخبرني أني غير ملاقيك، فبئس الأخ والخليل والصاحب(١).

٦- الزهد بين كلمتين من القرآن:

قال رضي الله عنه: الزهد كله بين كلمتين من القرآن الكريم: قال سبحانه: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد:٢٣]. ومن لم ييأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه(٢).

٧- أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وتدبره في الصلاة:

بين أمير المؤمنين رضي الله عنه استحباب المصلي إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى منها وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله تعالى، فعن عبد خير الهمداني قال: سمعت علي بن أبي طالب قرأ في صلاة ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾. فقال سبحان ربي الأعلى(٣)، وعن حجر بن قيس المدري قال: بت عند أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) الزهد لابن المبارك رقم ٣٦٨.

(٢) رسالة المسترشدين ص ٢٢٤، فرائد الكلام ص ٣٧٦.

(٣) المحلى (١١٨/٤) السنن الصغرى (١٤٦/١).

طالب، فسمعته وهو يصلي من الليل يقرأ فمر بهذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ قال: بل أنت يا رب ثلاثا، ثم قرأ ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ قال: بل أنت يا رب ثلاثًا. ثم قرأ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾. قال: بل أنت يا رب ثلاثًا ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾، قال: بل أنت يا رب ثلاثًا[١].

٨- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

قال علي رضي الله عنه: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعها الله لأقوام[٢].

المبحث الرابع: ملازمته لرسول الله ﷺ:

كان علي رضي الله عنه واحدًا من المكيين الذين قرأوا وكتبوا في مجتمعهم الأمي، وهذا دليل على حبه للعلم وشغفه به منذ صغره، وقد وفقه الله تعالى أن يعيش منذ طفولته في بيت رسول الله ﷺ فتربى على يديه وزادت عناية رسول الله به بعد إسلامه، فكان رسول الله ﷺ الرافد القوي الذي أثر في شخصيته وصقل مواهبه وفجر طاقته، وهذب نفسه، وطهر قلبه ونوّر عقله، وأحيا روحه فقد لازم رسول الله ﷺ في مكة والمدينة، فقد كان حريصًا على التتلمذ على يدي رسول الله الذي كان يربي أصحابه على القرآن الكريم، فقد كان هو الينبوع المتدفق الذي استمد منه علي رضي الله عنه علمه وتربيته وثقافته، وقد كان النبي ﷺ، تنزل عليه الآيات منجمة على حسب الوقائع والأحداث، وكان يقرأها على أصحابه الذين وقفوا على معانيها وتعمقوا في فهمها، وتأثروا بمبادئها، وكان له أعمق الأثر في نفوسهم وعقولهم وقلوبهم وأرواحهم، كما كان علي رضي الله عنه واحدًا من الذين تأثروا بالتربية القرآنية على يدي رسول الله ﷺ وتشرّب تعاليمه وتوجيهاته النبوية، وقد اهتم علي رضي الله عنه منذ أسلم بحفظ القرآن الكريم وفهمه وتأمله، وظل ملازمًا للرسول ﷺ يتلقى عنه ما

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٢٢، ٢٣).

(٢) تفسير أمير المؤمنين علي، لفهد بن عبدالعزيز الفاضل (٢/ ٦٦١) رسالة جامعية لم تنشر.

أنزل عليه حتى تم له حفظ جميع آياته وسوره، لقد حصل علي رضي الله عنه ببركة صحبته لرسول الله ﷺ وتربيته على يديه خيرًا كثيرًا، وأصبح من الخلفاء الراشدين فيما بعد، فقد حرص على التبحر في الهدي النبوي الكريم في غزواته وسلمه، وأصبح لعلي رضي الله عنه علمًا واسعًا ومعرفة غزيرة بالسنة النبوية المطهرة، فقد استمد من رسول الله علمًا وتربية ومعرفة بمقاصد هذا الدين العظيم، وقد جمع بين رسول الله وبين علي حب شديد، والحب عمل هام في تهيئة مناخ علمي ممتاز بين المعلم وبين تلميذه، يأتي بخير النتائج العلمية، والثقافية، لما له من عطاء متجدد وعلي رضي الله عنه قد أحب رسول الله حبًا جمًا، وتعلق فؤاده به، وقدم نفسه فداء له، وتضحية في سبيل نشر دعوته.

أولاً: أمير المؤمنين ومقام النبوة:

أوجب الله سبحانه وتعالى على الثقلين ـ الإنس والجن ـ الذين أدركتهم رسالة النبي ﷺ، أن يؤمنوا بالنبي ﷺ وبما جاء به، كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز كما أكد الله وجوب الإيمان بنبيه بأن جعله مقترنا بالإيمان به سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»**(١)، وقد أجمعت الأمة على وجوب الإيمان بالنبي ﷺ، كما أجمعت كذلك على أن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم(٢).

---

(١) مسلم (١/ ٩٣) ك الإيمان.

(٢) حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة (١/ ٧٢).

وقد أعطى أمير المؤمنين علي ﷺ مقام النبوة حقه وأوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان يحرص على تعليم الناس وحثهم على الاقتداء برسول الله في أقواله وأعماله وتقريراته ومن أقواله في هذا المعنى: واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدي واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن[1].

١- وجوب طاعة النبي ﷺ ولزوم سنته والمحافظة عليها:

تربى أمير المؤمنين علي على وجوب طاعة رسول الله ﷺ فهو ممن قرأ وحفظ وفهم قول الله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فهذه الآية ضمن سلسلة من الآيات ربطت بين طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله ﷺ، فقد جعل الله طاعته وطاعة رسوله شيئًا واحدًا، وجعل الأمر بطاعة رسوله مندرجًا في الأمر بطاعته سبحانه، وفي ذلك بيان للعباد بأن طاعته سبحانه لا تتحقق إلا بطاعة الرسول ﷺ والآيات الواردة بهذا المعنى كثيرة[2]، وقد تربى أمير المؤمنين على يدي رسول الله ﷺ وتعلم منه وجوب طاعته وامتثال أمره واتباع ما جاء به والسير على سنته والاقتداء به في كل ما جاء به عن ربه عز وجل وأحاديثه ﷺ في هذا المجال أعطت للأمة توجيهات عظيمة متى ما ساروا عليها وامتثلوا ما فيها واستناروا بها فقد تحققت لهم سعادة الدارين وفازوا وأفلحوا بإذن الله تعالى، وقد امتازت الأحاديث في هذا الشأن بكثرتها وتنوع عبارتها وتعدد أساليبها واشتمال بعضها على الأمثلة التي ضربها رسول الله ﷺ لأمته في هذا الشأن ومما لا شك فيه أن هذه المميزات زادت الأمر توكيدًا وتوضيحًا وبيانًا، بحيث إنها لم تدع مجالاً لمتأول يأولها أو محرف يغير معناها بهواه ورأيه الفاسد، وهذه الأحاديث على تنوع عبارتها وتعدد أساليبها اتحدت جميعها في مضمون واحد وهو التأكيد على وجوب طاعته ﷺ واتباع ما جاء به والترغيب في ذلك إضافة إلى التحذير من مخالفته، وتحريم معصيته وبيان الوعيد الشديد في ذلك[3]، فمن هذه الأحاديث قوله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد**

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).
(٢) حقوق النبي على أمته (١/ ١٧٤).
(٣) حقوق النبي على أمته (١/ ٨٦).

أبي»[١]، وطاعة الرسول ﷺ هي الانقياد لسنته، مع رفض قول كل من قال شيئًا في دين الله عز وجل بخلاف سنته، دون الاحتيال في دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة[٢].

وقد كان أمير المؤمنين علي من أحرص الصحابة على طاعة رسول الله ﷺ، فقد قال رضي الله عنه: ما كنت لأدع سنة النبي ﷺ لقول أحد[٣]، وقال أيضًا: ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة محمد ﷺ ما استطعت وهو نموذج فريد بالتمسك بالسنة والالتزام بها والدعوة لها[٤]، ومن هذا المفهوم والتصور الواضح لأهمية طاعة الرسول ﷺ واتباع سنته انطلقت أفعال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكان رضي الله عنه يعتني بالسنة ويتحرى ويتثبت في روايتها وفي أخذها رضي الله عنه، فقد قال رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله، فلأن أخِرَّ من السماء أحَبُّ إليَّ من أن أكذب عليه[٥]، وقال رضي الله عنه كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله بما شاء منه وإذا حدثني عنه غيري استحلفته، فإذا حلف لي صدقته[٦]، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يحارب ما يناقض الاتباع، فقد قال رضي الله عنه: لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه.

٢- حديث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن دلائل نبوة الرسول ﷺ:

بين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعضا من دلائل نبوة النبي ﷺ منها ما يلي:

(أ) بركة دعائه:

مرض علي رضي الله عنه مرة فأتاه النبي ﷺ وهو يقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخرًا فارفعني، وإن كان البلاء فصبرني. فقال له رسول الله ﷺ: **«ما قلت؟»** فأعاد عليه فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم اشفه، اللهم عافه»**، ثم

---

(١) البخاري رقم ٧٢٨٠.
(٢) صحيح ابن حبان (١/ ١٥٣).
(٣) فتح الباري (٣/ ٤٢١).
(٤) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٥٥٦).
(٥) فتح الباري (٦/ ١٥٨).
(٦) سنن ابن ماجه رقم ١٣٩٥.

قال «قم». فقمت، فما عاد لي ذلك الوجع بعده[١]، وسيأتي الحديث بإذن الله تعالى عن دعاء رسول الله له في خيبر.

(ب) إخباره بما فتح الله على نبيه من أمور الغيب:

قال علـي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسـول الله ﷺ فلأن أخِـرَّ من السمـاء أحَبُّ إليَّ من أن أكذب عليـه، وإذا حدثتكم فيـها بيني وبينكم فـإن الحرب خدعة[٢]، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خيـر البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القـيامة»**[٣]، وسيأتي شـرح هذا الحديث وغيره عند حـديثنا عن الخوارج وموقف أمير المؤمنين علي منهم بإذن الله تعالى.

(ج) النصر بالرعب:

ومن دلائل النبوة التي حدثنا بهـا علي رضي الله عنه ما رواه عن رسول الله ﷺ، حيث قال: **«أعطيت مـا لم يعط أحد من الأنبيـاء»**، فقلـنا: يا رسول الله، مـا هو؟ قال: **«نصـرت بالرعب، وأعطيت مـفـاتيح الأرض، وسمـيت أحـمد، وجـعل التـراب لي طهوراً وجعلت أمتي خير الأمم»**[٤].

(د) خاتم النبوة:

وضح علي رضي الله عنه من جملة وصفه لرسول الله ﷺ وجود دلالة من أبرز الدلائل الحسية على نبوته ﷺ حيث يقول: بين كتفيه خاتم النبوة[٥]. وهذه العلامة كان أهل الكتاب يعرفونه له، وهي شيء بارز أحمر عند كتـفه الأيسر، قدره إذا قُلل قدر بيضة الحمامة، وإذا كبر جمع اليد[٦].

---

(١) مسند أحمد (٢/ ١٥١)، تحقيق أحمد شاكر إسناده صحيح.
(٢) منهج علي في الدعوة إلى الله ص١١٧، فتح الباري (٦/ ١٥٨).
(٣) البـخاري، ك المناقب (٢/ ٢٨١) والقـوم المذكورون هم الخـوارج الذين قـاتلهم على بن أبي طالب في خلافته وسيأتي الحديث عنهم بالتفصيل بإذن الله.
(٤) البخاري رقم ٣٣٥.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١١/ ٥١٣)، البخاري، ك المناقب.
(٦) فتح الباري (٦/ ٥٦١ ــ ٥٦٣).

(هـ) سلام الجبال على النبي ﷺ:

أخبر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن هذه الدلالة حيث قال: كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل، ولا شجر، إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله[1].

٣- الترغيب في هدي النبي ﷺ:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يرغب المسلمين في لزوم هدي النبي ﷺ، فقد قال في خطبة له في الربذة[2]: الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه[3]، وبعد رجوع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من قتال الخوارج خطب أصحابه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر، وقد ضمن هذه الخطبة الأمر بالتزام هدي النبي ﷺ والترغيب فيه، حيث يقول: واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن[4]، ولم تشغل الفتن الداخلية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه التي حصلت في عهده عن دعوة أصحابه إلى كل خير، ونهيهم عن كل شر[5]، وتحذيرهم من البدع ومن قوله في هذا الشأن: إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها، وكل محدثة بدعة، وكل محدث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيع، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة[6].

٤- بيان فضله، وبعض حقوقه على أمته ﷺ:

بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معرض حديثه للمسلمين فضائل النبي ﷺ ومما قاله في هذا المجال: فكان مما أكرم الله به عز وجل هذه

---

(١) سنن الترمذي: ك «المناقب» (٥/ ٥٩٣)، المستدرك (٢/ ٦٢٠) صحيح الإسناد.

(٢) من قرى المدينة على ثلاثة أميال معجم البلدان (٣/ ٢٤).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٦)، تاريخ الطبري.

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).

(٦) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).

الأمة، وخصهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمداً ﷺ، فعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة، لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيما لا يتفرقوا، وزكاهم لكيما يتطهروا، ورفههم لكيما لا يجوروا، فلما قضى من ذلك ما عليه، قبضه الله عز وجل صلوات الله عليه ورحمته وبركاته[1]، وإليك بعض حقوقه ﷺ.

(أ) وجوب الصدق عنه والتحذير من الكذب عليه:

حذر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الكذب على رسول الله، فعن ربعي بن حراش، قال سمعت علي بن أبي طالب يقول: قال النبي ﷺ: **«لا تكذبوا عليّ فإنه من كذب عليّ فليلج النار»**، وحذر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من نقل الكذب ـ وهو يعلم أنه كذب ـ فيما يرويه عن النبي ﷺ، قال: **«من حدث عني حديثًا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»**[2].

(ب) البعد عن أسباب تكذيبه:

أرشد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الناس إلى البعد عن الأمر الذي يكون نسبيًا في تكذيب رسول الله ﷺ، كتحديث الناس بما لا تدركه عقولهم، من أقوال رسول الله ﷺ، فقد قال: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟[3]، ومعنى الحديث: بما يعرفون: أي: يفهمون وفيه، دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين وأن المراد ما يقع من الفتن ونحوه عن حذيفة، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوى البدعة وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب[4].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٢).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٣) قال الألباني صحيح.

(٣) البخاري، ك العلم (١/ ٤٦).

(٤) فتح الباري (١/ ٤٢٥) باب من خص بالعلم قوم دون قوم.

(ج) إحسان الظن بحديث رسول الله ﷺ:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إذا حُدِّثتم عن رسول الله ﷺ حديثًا فظنوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه(١).

(د) الصلاة عليه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ(٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وهذا إخبار من الله سبحانه وتعالى بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملاء الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا(٣)، ويؤكد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذا الحق لرسول الله ﷺ بوصف من لم يصل على رسول الله عند سماع ذكره بالبخل فيما يرويه عن رسول الله ﷺ، حيث قال: «البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل عَليهَ»(٤).

(هـ) محبته لرسول الله ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]. فالآية نصت على وجوب محبة الله ورسوله وأن تلك المحبة يجب أن تكون مقدمة على كل محبوب، ولا خلاف في ذلك بين الأمة(٥)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. ففي هذه الآية إشارة ضمنية إلى وجوب محبة النبي ﷺ، لأن الله تبارك وتعالى قد جعل برهان محبته تعالى ودليل صدقها هو اتباع النبي ﷺ، وهذا

---

(١) مسند أحمد (٢/ ٢١١) أحمد شاكر، إسناده صحيح.

(٢) صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٨)، منهج علي بن أبي طالب في الدعوة ص ١٢٩.

(٤) صحيح: صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٧٧).

(٥) تفسير القرطبي (٨/ ٩٥).

الاتباع لا يتحقق ولا يكون إلا بعد الإيمان بالنبي ﷺ والإيمان به لابد من تحقق شروطه التي منها محبة النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده»[1] ومما لا ريب فيه أن حظ الصحابة من حبه ﷺ كان أتم وأوفر، ذلك أن المحبة ثمرة المعرفة، وهم بقدره ﷺ ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم فبالتالي كان حبهم له ﷺ أشد وأكبر[2]، وقد سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ[3]. وهذه الخصوصية المطلقة ليست لأحد غير رسول الله.

٥- المعرفة الدقيقة الشاملة لملامح الشخصية النبوية:

لقد ساعدت الصلة الأسرية، والمعايشة الطويلة القريبة والتتبع الدقيق لما خصّ الله به نبيه من نفسية نبوية، ومكارم أخلاق وميول واتجاهات، أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على معرفته الدقيقة الشاملة للشخصية النبوية وخصائصها والقدرة على وصفها، والتنويه بجوانب دقيقة في سيرته وخلقه، يلاحظ ذلك فيما روى عنه من وصفه رسول الله وحليته وخلقه وسلوكه[4].

أ- بيان خلقه:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، شثن الكفين[5] والقدمين، مشرب وجهه حمرةً، طويل المَسْرُبَة[6]، ضخم الكراديس[7]، إذا مشى تكفَّأ تكفِّيا، كأنما ينحط من صبب[8]، لم أر قبله ولا بعده

(١) البخاري رقم ٤ فتح الباري (١/٥٨).
(٢) حقوق النبي على أمته (١/٣١٤).
(٣) الشفا (٢/٥٦٨) للقاضي عياض.
(٤) المرتضي ص ٣٩ إلى ٤٣.
(٥) أي خشن الكفين غليظها: الصحاح للجوهري (٥/٢١٤٢).
(٦) الشعر المستدق الذي يأخذ من الصدر إلى السرة.
(٧) الكُردُوس: كل عظم تام ضخم فهو كردوس، وكل عظمين التقيا في مفصل، فهو كردوس، وأراد علي أنه ﷺ ضخم الأعضاء.
(٨) الصبب هو الموضع المنحدر وهذه الصفة من المشي تعني أن النبي ﷺ كان قويا، فإذا مشى فكأنما يمشي على صدور قدميه من القوة.

مثله ﷺ[1]، وعن محمد بن علي عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس عظيم العينين، هَدِبَ الأشفار[2] ـ قال حسن[3] الشُّفَار ـ مشرب العينين بحمرة، كث اللحية، أزهر اللون، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى كأنما يمشي في صَعَد ـ قال حسن: تفكأ ـ وإذا التفت التفت جميعًا[4]، وعند الترمذي عن محمد من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان علي رضي الله عنه إذا وصف النبي ﷺ قال: لم يكن بالطويل الممغط[5]، ولا بالقصير المتردد[6]، وكان ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط[7]، ولا بالسَّبط، كان جعدًا رجلاً، ولم يكن بالمُطَهَّم[8] ولا بالمُكَلْثَم[9]، وكان في الوجه تدوير، أبيض مشرب، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع، كأنما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت[10] معًا، كما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بين صفة من صفات جسد النبي ﷺ بعد موته، أمرًا لم يعرفه غيره ــ وربما من كان يغسله معه[11] ـ من طهارة بدنه ونقائه بعد موته، حيث يقول: غسلت رسول الله ﷺ، فجعلت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئًا، وكان طيبًا حيًّا وميتًا ﷺ[12]، وكان علي رضي الله عنه يقول وهو يغسله: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حيًا وميتًا[13].

---

(١) مسند أحمد تحقيق أحمد شاكر (٢/ ١٠٧) إسناده صحيح، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٢) هي حروف الأجفان وأصول منابت الشعر في الجفن التي تلتقي عند التغميض.

(٣) حسن بن موسى الراوي عن حماد عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي.

(٤) مسند أحمد تحقيق أحمد شاكر (٢/ ١٣٠) إسناده صحيح.

(٥) الممغط: الذاهب طولا.

(٦) المتردد: الداخل بعضه في بعض قصراً.

(٧) القطط: الشديد الجعودة.

(٨) المطهم: البادن الكثير اللحم.

(٩) المُكَلْثَم: المدور الوجه.

(١٠) سنن الترمذي، ك المناقب (٥/ ٥٩٩) حسن غريب إسناده غير متصل.

(١١) كالعباس، والفضل وقثم بن عباس يقلبونه.

(٢١) صحيح سنن ابن ماجه للألباني (١/ ٢٤٧) الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٩) واللفظ له صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٦٦٢).

(ب) بيان خلقه:

تحدث أمير المؤمنين علي ﵁ عن أخلاق رسول الله ﷺ، فقال: كان أجود الناس كفًّا، وأشرحهم صدرًا وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة(١)، وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله(٢)، وأخبرنا عن شجاعة الرسول ﷺ، وقوة بأسه، وأن عليًّا ومن كان معه مع شجاعتهم أيضا وقوة بأسهم التي سطرتها أخبار المغازي، كانوا إذا اشتدت الحرب يلوذون برسول الله ﷺ، فيقول علي ﵁: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا(٣)، وفي رواية أخرى: كنا إذا احمر البأس، ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه(٤)، وبين علي ﵁ من أخلاق رسول الله ﷺ من الرحمة والكرم والشجاعة، والتواضع، ما ورد في وصفه لرسول الله ﷺ لليهود الذين طلبوا منه ذلك حيث يقول: كان أرحم الناس بالناس، لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالكريم الكريم، أشجع الناس، وأبذلهم كفًّا، وأصبحهم وجهًا، لباسه العباء وطعامه خبز الشعير، وإدامه اللبن، ووساده الأدم محشو بليف النخل، سريره أم غيلان مرمل بالشريف(٥)، كان له عمامتان إحداهما تدعى السحاب(٦)، والأخرى العقاب، وكان سيفه ذا الفقار(٧)، ورايته الغراء وناقته العضباء(٨)، وبغلته دلدل(٩)،

---

(١) العريكة: الطبيعة وفلان لين العريكة إذا كان سلسل انظر منهج علي بن أبي طالب ص١١٠.

(٢) وهو تتمة للحديث السابق .

(٣) مسند أحمد (٢/ ٦٤) تحقيق أحمد شاكر، إسناده صحيح.

(٤) مسند أحمد (٢/ ٣٤٣) وقال المحقق إسناده صحيح.

(٥) قال ابن القيم في زاد المعاد: كان رسول الله ينام على الفراش تارة، وعلى النطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رماله، وتارة على كساء أسود (١/ ١٥٥) زاد المعاد السرير المرمل أي المنسوج لسان العرب (١١/ ٢٩٥).

(٦) وهي العمامة التي كساها عليًّا (زاد المعاد/ ١/ ١٣٥).

(٧) للرسول تسعة أسياف منها ذو الفقار تنفله يوم بدر (زاد المعاد ١/ ١٣٠).

(٨) وهي غير القصواء المشهورة والعضباء هي التي كانت لا تسبق.

(٩) بغلة شهباء أهداها له المقوقس وله غيرها (زاد المعاد ١/ ١٣٤).

وحماره يعفور، وفرسه مرتجز[1]، وشاته بركة وقضية المشوق[2]، ولواؤه الحمد، وكان يعقل البعير ويعلف الناضح[3]، ويرقع الثوب، ويخصف النعل[4].

٦ـ نماذج من اتباع أمير المؤمنين للسنة:

كان أمير المؤمنين علي شديد الحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ وحياته العملية خير دليل على ذلك وهذه بعض الأمثلة المتنوعة التي كان يتبع فيها النبي ولا يفرق بين صغيرة ولا كبيرة.

ـ دعاء الركوب على الدواب:

عن عبدالرزاق أخبرني من شهد عليًا حين ركب، فلما وضع رجله في الركاب، قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وإنا إلى ربّنا لمنقلبون، ثم حمد ثلاثا وكّبر ثلاثًا، ثم قال: اللهم لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم ضحك، فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبي ﷺ فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبيّ الله؟ قال: العبد ـ أو قال: عجبت للعبد ـ إذا قال: **«لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو»**[5].

ـ الشرب قائمًا، وقاعدًا:

عن عطاء بن السائب عن زاذان: أن علي بن أبي طالب شرب قائمًا، فنظر إليه الناس كأنهم أنكروه، فقال: ما تنظرون[6]؟ إن أَشرَبْ قائمًا، فقد رأيت النبي ﷺ يشرب قائمًا، وإن أشربْ قاعدًا، فقد رأيت النبي ﷺ يشرب قاعدًا[7].

---

(١) زاد المعاد (١/ ١٣٣) ملك سبعة من الخيل متفق عليها.

(٢) أنه من الشومط وهو الذي كان يتداوله الخلفاء.

(٣) الناضح: البعير الذي يستقي عليه الماء (لسان العرب ٢/ ٦١٩).

(٤) الرياض النظرة في مناقب العشرة (٢/ ١٦٣).

(٥) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٩٣٠ حسن لغيره.

(٦) في رواية: ما تنكرون.

(٧) مسند أحمد رقم ١١٢٨ إسناده حسن.

- تعليم وضوء رسول الله ﷺ:

عن عبد خير، عَلَّمَنَا عليٌّ وضوء رسول الله ﷺ، فصبَّ الغلام على يديه حتى أنقاهما، ثم أدخل يده في الركوة، فمضمض واستنشق، وغسل وجهه ثلاثًا ثلاثًا، وذراعيه إلى المرفقين ثلاثًا ثلاثًا، ثم أدخل يده في الرَّكوة فغمز أسفلها بيده ثم أخرجها فمسح بها الأخرى، ثم مسح بكفيه رأسه مرة، ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاثًا ثلاثًا، ثم اغترف هُنَيَّة من ماء بكفِّه فشربه، ثم قال: هكذا كان رسول الله يتوضأ[1].

- نهى رسول الله ﷺ لعلي عن أشياء:

عن عبدالله بن حنين عن أبيه، قال: سمعت عليًّا بن أبي طالب يقول: نهاني رسول الله ﷺ: عن تختم الذهب، وعن لُبس القَسِّ والمُعَصفَر، وقراءة القرآن وأنا راكع وكساني حُلَّة من سِيَراءَ فخرجت فيها، فقال: يا عليُّ، إنِّي لم أكْسُكَها لتَلْبَسَها قال: فرجعت بها إلى فاطمة، فأعطيتها ناحيتها فأخذت بها لتطويها معي، فشققتها بثنتين قال: فقالت: تربت يداك يا ابن أبي طالب، ماذا صنعت؟ قال: فقلت لها: نهاني رسول الله ﷺ عن لُبسها، فالبسي واكسي نساءك[2].

- الذنوب والمغفرة:

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من أذنب في الدنيا ذنبا فعوقب به، فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنبا في الدنيا فستر الله عليه، وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه[3].

- إنما الطاعة في المعروف:

عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث جيشًا، وأمَّر عليهم رجلاً، فأوقد نارًا، فقال: ادخلوها فأراد ناس أن يدخلوها، وقال آخرون: إنما فررنا منها. فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: **«لو دخلتموها لم تزلوا فيها إلى يوم القيامة»**. وقال للآخرين قولا حسنًا، وقال: **«لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة**

---

(١) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٨٧٦، صحيح لغيره، إسناده حسن.

(٢) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٧١٠ إسناده حسن.

(٣) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ١٣٦٥ إسناده حسن.

في المعروف»(١)، والحـديث يبين بأن الطاعـة للأحكام مقـيـدة بطاعة الله ورسـوله والطاعة المطلقة ليست لأحد إلا لله ورسوله ﷺ.

- لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف:

دخل أبو مسـعود عقبـة بن عمرو الأنصاري على عليٍّ بن أبي طالب، فـقال له عليٌّ: أنت الذي تقول: لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف؟ إنما قال رسول الله ﷺ: «**لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ممن هو حيٌّ اليوم**»، والله إن رخاء هذه الأمة بعد مائة عام(٢).

- دعاء الرسول ﷺ لأهل المدينة بالبركة:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قـال: خرجنا مـع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بالحرَّة بالسُّقيا التي كـانت لسعد بن أبي وقاص، قـال رسول الله ﷺ: «**ائتوني بوضوء، فلما توضأ قـام فاستقبل القبلة، ثم كبَّر، ثم قـال: اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك دعا لأهل مكة بالبـركة، وأنا محمد عبـدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مُدِّهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة، مع البركة بركتين**»(٣).

- دعاء الكرب:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قـال: علَّمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أن أقول: «**لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبـحـان الله، وتبـارك الله ربُّ العـرش العظيم، والحمد لله رب العالمين**»(٤) والحديث يرشد إلى ضرورة التـعلق بالله وحده والاعتماد عليه والالتجاء إليه، فلا يكشف الكـرب إلا هو سبحانه، ولا يجيب المضطر إذ دعاه إلا الذي خلقه فلا ملجأ من الله إلا إليه ففيـه إرشاد وتعليم إلى كل مسلم بأن يعتمد على الله في كل أحواله وشأنه.

- ما أسر إلي شيئا كتمه الناس:

عن أبي الطُّفـيل، قال قلنا لـعليٍّ: أخبـرنا بشيء أسرَّه إليك رسـول الله ﷺ.

---

(١) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٧٢٤ إسناده صحيح.

(٢) مسند أحمد رقم ٧١٤ إسناده قوي.

(٣) مسند أحمد رقم ٩٣٦ إسناده صحيح.

(٤) مسند أحمد رقم ٧٠١ حديث صحيح.

فقال: ما أسرَّ إليَّ شيئًا كتمه الناس، ولكن سمعته يقول: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثا، ولعن الله من لَعَن والديه، ولعـن الله من غيَّر تُخُوم الأرض - يعني المنار»[1]، ففي قوله ﷺ: لعن الله: اللعن من الله: الطرد والإبعاد عن رحمة الله قوله: من ذبح لغير الله: يشمل كل من سوى الله حتى لو ذبح لنبي أو ملك، أو جني أو غيرهم، فلو كانت هذه الأمور هينة في دين الله لما وصلت إلى درجة يستحق فاعلها اللعن من رسول الله ﷺ.

- إن الله رفيق يحب الرفق:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «إن الله رفـيق يحب الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف»[2].

- تعجيل الصدقة[3] قبل أن تحل:

عن علي: أن العباس بن عبدالمطلب سأل النبيَّ ﷺ في تعجيل صـدقته قبل أن تَحِلَّ فرخَّص له في ذلك[4].

- العشر الأواخر من رمضان:

عن علي رضي الله عنه، قال: كان رسول الله يوقظ أهله في العشر الأواخر، ويرفع المئزر[5].

ثانيا: الرواة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

كان أمـير المؤمنين علي رضي الله عنه أعلم الصـحابة بالسنة في عهـده، إذ روى أنه ذكر علي عند عائشة، فقالت: أما إنه أعلم من بقي في السنة[6]، ومع ذلك فقد روي أنه روى عن النبي ﷺ خـمسـمائة وسـتة وثمـانين حديثًا[7]، وهو أقل مما رواه بعض الصحابة عن النبي ﷺ لأسباب منها:

---

(١) مسند أحمد رقم ٨٥٥ إسناده قوى.

(٢) مسند أحمد رقم ٩٠٢ حديث حسن الشواهد.

(٣) تعجيل الصدقه: أي تعجيل الزكاة.

(٤) مسند أحمد رقم ٨٢٢ إسناده حسن.

(٥) مسند أحمد رقم ١١١٥ إسناده حسن. (٣/ ١٩٥).

(٦) الطبقات (٢/ ٣٣٨).

(٧) تاريخ الخلفاء ١٧١.

١ـ انشغاله بالقضاء والإمارة والحروب التي جعلتـه لا يتفرغ للفتيا وعقد حلقات الدروس التي كـانت سببًـا في انتشـار علم بعض الصحـابة، كعبـد الله بن مسـعود وعبدالله بن عباس.

٢ـ ظهور أهل الأهواء والبدع من الذين أفرطوا فيه والذين فرّطوا به كان سببًا في كثرة الكذب عليه، لذلك بذل العلماء جهدهم في معرفة صحة الطرق الموصلة إليه.

٣ـ كثرة الفتن في زمانه وانشغـال بعض الناس بها حال دون ثقته ﷺ بمن يضع فيه علمه إذ روي عنه أنه قال: إن ههنا علما لو أصبت له حملة[(١)]، وقد لاحظنا في منهج أمير المؤمنين في الرواية وقبول الحديث ما يأتي:

١ـ الحذر من الكذب على النبي ﷺ إذ هو أحد الرواة لقوله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[(٢)].

٢ـ الاستيثـاق من الرواية فإنه كان يحلّف الراوي عليها فـقد روي عنه أنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله بما شـاء أن ينفعني منه، وكان إذا حدثني غيره استحلفته، فإذا حلف صدقته[(٣)].

٣ـ عدم روايـة المنكر والشاذ من الحـديث إذ ورد عنه أنه قال: حـدثوا الناس بما يعرفـون ودعوا ما ينكرون أتـريدون أن يكذب الله ورسوله[(٤)]، وقد روى علي ﷺ عن أبي بكر وعمر والمقداد بن الأسود وزوجته فاطمة.

وروى عن علي خلق كثـير من الصـحابة والتابعين وأهل بيـته، فمن أشـهر من روى عنه من الصحابة هم:

١ـ أبو أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري من بني حارثة وهو ابن اخت أبي بردة له عن النبي ﷺ ثلاثة أحـاديث وهو الذي أمره الرسـول ﷺ أن يقـيم على أمـه يوم بدر[(٥)].

---

(١) فقه الإمام علي (١/ ٣) نقلا عن إعلام الموقعين.
(٢) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٣) وقال الألباني: صحيح.
(٣) سنن ابن ماجه رقم ١٣٩٥، إسناده صحيح.
(٤) البخاري، ك العلم (١/ ٤٦).
(٥) الاستيعاب (١/ ١٦٠١) أي يقيم على خدمة أمه.

٢ـ أبو رافع القبطي مولى رسول الله ﷺ يقال اسمه إبراهيم وقيل سنان وقيل يسار. قال ابن عبدالبر: أشهر ما قيل في اسمه أسلم، مات في عهد علي بن أبي طالب سنة ٤٠هـ(١).

٣ـ أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الأنصاري خرج مع رسول الله ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة توفي سنة ٧٤هـ(٢).

٤ـ جابر بن عبدالله بن عمر بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب الأنصاري السلمي شهد صفين مع علي وتوفي ٧٨هـ، وكان من الحفاظ للسنن.

٥ـ جابر بن سمرة بن جناده بن جندب العامري السوائي حليف بني زهرة وأمه خالدة بنت أبي وقاص، أخت سعد بن أبي وقاص، يكنى أبا عبدالله، قال: يكنى أبا عبدالله قال: صليت مع رسول الله أكثر من ألفي مرة، نزل الكوفة وتوفي بها سنة ٧٤هـ(٣).

٦ـ زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان قيل كنيته أبوعمر وقيل أبو عامر، مات بالكوفة سنة ٦٦ وقيل ٦٨هـ.

٧ـ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ابن أخ علي، ولد بأرض الحبشة وهو أول مولود في الإسلام توفي سنة ٨٠هـ، وهو ابن تسعين سنة(٤).

٨ـ عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أسلم مع أبيه قبل أن يبلغ الحلم توفي في مكة، سنة ٦٣هـ وهو ابن أربع وثمانين(٥).

٩ـ عبدالله بن مسعود بن غافل بن وائل الهذلي من أوائل المسلمين توفي ٣٢هـ(٦).

١٠ـ عمرو بن حريث بن عثمان القرشي المخزومي يكنى أبا سعيد رأى النبي

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١٦).
(٢) الاستيعاب (٤/ ١٦٧١).
(٣) الاستيعاب (١/٢١٩).
(٤) الإصابة (٤/٢٧٦).
(٥) وفيات الأعيان (٢/٢٣٦).
(٦) الاستيعاب (٢/٩٨٨).

ﷺ وسمع منه ومسح على رأسه ودعا له بالبركة، نزل الكوفة وكان له قدر وشرف، مات سنة ٨٥هـ(١).

- من روى عنه من أهل بيته:

روى عنه من أهل بيته كل من:

١- ولده الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ.

٢- ولده الحسين بن علي سبط رسول الله ﷺ، قتل يوم عاشوراء سنة ٦١هـ وهو ابن ٥٦ سنة(٢).

٣- ولده محمد بن علي بن أبي طالب أبو القاسم المدني المعروف بابن الحنفية، نسبة إلى أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة، قال العجلي تابعي ثقة كان رجلا صالحًا يكنى أبا القاسم، ولد في ولاية عمر ومات سنة ٧٣ وقيل ٨٠ وقيل ٨١، وقيل ٨٢ وقيل ٩٣هـ(٣).

٤- حفيده محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، ذكره ابن حبان في الثقات(٤).

٥- حفيده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بزين العابدين من سادات التابعين وأمه سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس، أرسل عن جده علي بن أبي طالب، قال العجلي مدني تابعي ثقة، توفي سنة ٩٤هـ، وكان عمره ثمان وخمسين سنة(٥).

٦- ابن اخته جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وأمه أم هانئ بنت أبي طالب ولد على عهد النبي ﷺ وله صحبة ولي خراسان وسكن الكوفة قال العجلي: مدني تابعي ثقة روى عن علي(٦).

(١) الاستيعاب (٣/ ١٦٧٢).
(٢) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٥٧).
(٣) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٦).
(٤) تهذيب التهذيب (٢/ ٨٢).
(٥) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٨١) لسان الميزان (٧/ ٥٣٣).
(٦) تهذيب التهذيب (١٢/ ١٠، ١١).

٧ـ سريته أم موسى قيل اسمها فاختة وقيل حبيبة، قال الدار قطني حديثها مستقيم، وقال العجلي كوفية تابعية ثقة[١].

ـ أشهر من روى عن علي من التابعين:

١ـ أبو الأسود الدؤلي البصري، القاضي واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، ويقال اسمه عمرو بن عثمان، ويقال عثمان بن عمرو، أسلم على عهد النبي ﷺ وقاتل مع علي يوم الجمل، وثقه ابن معين والعجلي وغيرهما وتوفي في ولاية عبيد الله بن زياد سنة ٦٩هـ[٢].

٢ـ أبو بردة بن أبي موسى الأشعري الفقيه، واسمه الحارث وقيل عامر، وثقه ابن سعد والعجلي وابن حبان، وقال العجلي كان على قضاء الكوفة بعد شريح، روي عن أبيه وعلي وحذيفة وعبدالله بن سلام وعائشة وغيرهم، قيل مات سنة ٨٣ وقيل ١٠٤، وقيل ١٠٧هـ[٣].

٣ـ أبو عبدالرحمن السلمي عبدالله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي القارئ، ولأبيه صحبة، وثقه العجلي والنسائي وأبو داود، روى عن عمر وعثمان وعلي وسعد، وخالد بن الوليد وابن مسعود وحذيفة وغيرهم، قيل مات سنة ٧٢هـ، وقيل ٨٥ وهو ابن خمس وثمانين سنة، شهد مع علي صفين[٤].

٤ـ زر بن حبيش بن حبانة بن أوس الأسدي أبو مريم ويقال أبو مطرف الكوفي عن ابن معين أنه ثقة، مات سنة ٨١هـ،وقيل ٨٢ وقيل ٨٣ وهو ابن مائة وعشرين[٥].

٥ـ زيد بن وهب الجهني من قضاعة، يكنى أبا سليمان، من أجلة التابعين وثقاتهم متفق على الاحتجاج به، وثقه ابن معين وغيره، مات قبل سنة تسعين أو بعدها من ولاية الحجاج[٦].

---

(١) تهذيب التهذيب (١٢/ ١٩).
(٢) تهذيب التهذيب (٥/ ١٨٤).
(٣) طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٤).
(٤) طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٣).
(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٦٧).
(٦) طبقات ابن سعد (٦/ ١٢٧).

٦ـ سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر يكنى أبا أمية، رحل إلى رسول الله ﷺ، وقد قبض فلم يره، صحب أبابكر وعمر وعثمان وعليًا، مات سنة ٨١ أو ٨٢هـ وكان عمره ١٢٨هـ[١].

٧ـ شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك الحارثي المذحجي بن المقدام الكوفي، أدرك ولم يره، وهو من كبار أصحاب علي، قتل مع أبي بكرة بسجستان سنة ٧٨هـ[٢].

٨ـ عامر بن شرحبيل بن عبدوقيل عامر بن عبدالله بن شراحبيل الشعبي والحميري أبوعمرو الكوفي من شعب همدان، روي عنه أنه قال: أدركت خمسمائة من الصحابة، وعن الحسن قال: كان والله كثير العلم عظيم الحلم قديم السلم من الإسلام بمكان، وعن مكحول قال: ما رأيت أفقه منه. قال ابن عيينة، كانت الناس تقول بعد الصحابة ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه ولد لست خلت من خلافة عمر ومات سنة ١٠٩هـ.

٩ـ عبد خير بن يزيد ويقال ابن بجيد بن جوى بن عبد عمرو بن عبد يعرب بن الصائد الهمداني أبو عمارة الكوفي، أدرك الجاهلية، قال العجلي كوفي تابعي ثقة أهل بالكوفة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، قيل عاش مائة وعشرون سنة وقتل في صفين[٣].

١٠ـ عبدالرحمن بن أبي ليلى واسمه يسار ويقال بلال، ويقال داود بن بلال بن بليل بن أصبحة بن الجلاح الحريش الأنصاري الأوسي، ولد لست بقين من خلافة عمر، روي عنه أنه قال: أدركت عشرين ومائة من الأنصار صحابة وثقه ابن معين والعجلي قيل أنه أصيب سنة ٧١هـ وقيل ٨٢ بالجماجم[٤].

١١ـ عبيدة السلماني وهو عبيدة بن عمرو ويقال ابن قيس بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ولم يلقه، قال الشعبي: كان شريح أعلمهم بالقضاء وكان عبيدة يوازيه، وقال العجلي كوفي تابعي ثقة[٥].

---

(١) تهذيب التهذيب.
(٢) تهذيب التهذيب (٦/ ١٢٤).
(٣) تهذيب التهذيب (٦/ ١٢٤).
(٤) ميزان الاعتدال (٢٠/ ٥٨٤).
(٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٩٠) تهذيب التهذيب (٧/ ٨٥).

١٢ـ عبدالله بن سلمة المرادي الكوفي، صاحب علي، كنيته أبو العالية، قال العجلي كوفي تابعي ثقة، قال البخاري: لا يتابع في حديثه، وعن عمرو بن مرة يعرف وينكر، كان قد كبر، وقال يعقوب بن شيبة ثقة[(١)].

١٣ـ عبدالله بن شقيق العقيلي، وكنيته أبو عبدالرحمن ويقال أبو محمد البصري، تابعي من أهل البصرة، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولي، وعن ابن معين أنه ثقة من خيار المسلمين لا يطعن في حديثه وروي أنه كان مستجاب الدعوة مات بعد المائة وقيل سنة ١٠٨هـ[(٢)].

١٤ـ علقمة بن قيس النخعي وهو علقمة بن قيس بن عبدالله بن مالك بن علقمة النخعي الكوفي ولد في حياة الرسول ﷺ، وعن أحمد ثقة من أهل الخير، وعن ابن معين ثقة، روي أنه قرأ القرآن في ليلة، مات سنة ٦٢، وقيل ٦١، قال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث.

١٥ـ عمير بن سعيد النخعي الصهباني، أبو يحيى الكوفي، عن ابن معين ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات، له حديث عن علي في حد شارب الخمر، قال ابن سعد مات سنة ١١٥ وقيل ١٠٧هـ[(٣)].

١٦ـ هانئ بن هانيء الهمداني الكوفي، قال النسائي ليس به بأس، ذكره ابن حبان في الثقات وقيل كان يتشيع، قال ابن المديني مجهول، قال ابن سعد كان منكر الحديث، وعن الشافعي: أهل الحديث لا ينسبون حديثه لجهالة حاله، ذكره ابن سعد في الطبقات الأولي في الكوفة، قال الذهبي ليس به بأس[(٤)].

١٧ـ يزيد بن شريك بن طارق التيمي الكوفي، وعن يحيى بن معين ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات، قال ابن سعد كان ثقة وكان عريف قومه، يقال إنه أدرك الجاهلية، روي عن عمر وعلي وأبي ذر وابن مسعود وحذيفة[(٥)]، هذه إشارات عابرة

(١) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٠٩) تهذيب التهذيب (٥/ ٥٤٢).

(٢) تهذيب التهذيب (٥/ ٢٥٣).

(٣) تهذيب التهذيب (٨/ ١٤٦)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٣).

(٤) الكاشف للذهبي (٣/ ٢١٨).

(٥) المصدر نفسه (٣/ ٢٨٠).

عن الرواة عن علي رضي الله عنه، ولمن أراد المزيد، فليراجع رسالة الدكتور أحمد محمد طه فقه الإمام علي بن أبي طالب، المقدمة في جامعة بغداد ولم تنشر حتى الآن.

المبحث الخامس: أهم أعمال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما بين الهجرة والأحزاب:

شرع رسول الله ﷺ بعد استقراره بالمدينة في تثبيت دعائم الدولة الإسلامية فآخى بين المهاجرين والأنصار، ثم أقام المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهود وبدأت حركة السرايا، واهتم بالبناء الاقتصادي والتعليمي والتربوي في المجتمع الجديد، وكان علي رضي الله عنه ملازمًا له في كل أحواله منفذاً لأوامره، متتلمذاً على هديه.

أولا: المؤاخاة في المدينة:

آخى رسول الله ﷺ بين علي بن أبي طالب وسهل بن حنيف، وقد تحدث بعض العلماء عن وجود مؤاخاة كانت في مكة بين المهاجرين، فقد أشار البلاذُريّ إلى أن النبي ﷺ آخى بين المسلمين في مكة، قبل الهجرة على الحق والمواساة، فآخى بين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف، وبين الزبير بن العوام وعبدالله بن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث وبلال الحبشي، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين أبي عبيدة ابن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وطلحة ابن عُبيد الله، وبينه وبين علي بن أبي طالب[(١)]، ويعتبر البلاذري (ت٢٧٦هـ) أقدم من أشار إلى المؤاخاة المكية، وقد تابعه في ذلك ابن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ) دون أن يصرح بالنقل عنه، كما تابعهما ابن سيد الناس دون التصريح بالنقل عن أحدهما[(٢)].

وقد انكر ابن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم مع بعض، وكذّب الأحاديث التي وردت في ذلك، ومنها حديث المؤاخاة بين النبي ﷺ وعلي[(٣)].

وذهب ابن القيم إلى عدم وقوع المؤاخاة بمكة، فقال: وقد قيل إنه أي النبي ﷺ آخى

---

(١) أنساب الأشراف (١/ ٢٧٠).

(٢) السيرة النبوية الصحيحة (١/ ٤٠).

(٣) منهاج السنة (٥/ ٧١) (٧/ ٣٦١).

بين المهاجرين بعضهم مع بعض، مؤاخاة ثانية، واتخذ فيها عليًّا أخا لنفسه، والثبت الأول[١]، والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام، وأخوة الدار وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار[٢]، ولم تشر كتب السيرة الأولى المختصة إلى وقوع المؤاخاة بمكة، والبلاذري ساق الخبر، بلفظ قالوا دون إسناد مما يضعف الرواية، كما أن البلاذري نفسه ضعفه النقاد، وعلى فرض صحة هذه المؤاخاة بمكة فإنها تقتصر على المؤازرة والنصيحة بين المتآخين دون أن تترتب عليها حقوق التوارث[٣]، الذي نسخ بقول الله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، فهذه الآية نسخت التوارث بموجب نظام المؤاخاه[٤]، وبقيت النصرة والرفادة والنصيحة بين المتآخين[٥]. وقد ذكر ابن كثير أن بعض العلماء ينكر مؤاخاة النبي ﷺ لعلي ويمنع صحته وأن مستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي ﷺ لأحد منهم، ولا مهاجري لمهاجري آخر، ولكنه أشار إلا أنه قد يكون النبي ﷺ أراد أن لا يجعل مصلحة علي إلى غيره، وبخاصة أنه كان ينفق عليه من صغره في حياة أبيه[٦]، ولكنه من عاد في موضع آخر فأشار إلى معظم الأحاديث التي تحدثت عن مؤاخاة النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه بأن أسانيدها كلها ضعيفة لا تقوم بها حجة[٧]، وهناك مصادر ذكرت المؤاخاة بين النبي ﷺ وعلي بدون إسناد منها محمد بن حبيب[٨]، وابن الجوزي[٩]، وابن الأثير[١٠].

---

(١) يعني المؤاخاة في المدينة.

(٢) زاد المعاد (٢/ ٧٩).

(٣) السيرة النبوية الصحيحة (١/ ٢٤١).

(٤) المصدر نفسه (٢/ ٢٤٦).

(٥) التاريخ الإسلامي للحميدي (٤/ ٢٥).

(٦) البداية والنهاية (٣/ ٢٢٦)، ومن أراد التوسع فلينظر أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، عبد العزيز نور ولي ص ٢٩٣ إلى ٢٩٨.

(٧) البداية والنهاية (٧/ ٣٤٨).

(٨) المحبر ص ٧٠.

(٩) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٧٤).

(١٠) أسد الغابة في معرفة الصحابة (٣/ ٥٨٨، ٦٠١).

إن التآخي الذي تم بين المهاجرين والأنصار في الفترة المدنية كان مسبوقا بعقيدة تم اللقاء عليها، والإيمان بها وكانت هي العـمود الفقري للمؤاخاة التي حدثت، لأن تلك العقيدة تضع الناس كـلهم في مصاف العبودية الخالصة لله دون الاعـتبار لأي فارق إلا فارق التقوى والعمل الصالح، إذ ليس من المتوقع أن يسود الإخاء والتعاون والإيثار بين أناس فـرقتـهم العقـائد والأفكار المخـتلفة، فـأصبح كل منهـم ملكا لأنانيتـه وأثرته وأهوائه[1]. وتعتبر سـياسة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، نـوع من السبق السياسي الذي اتبعـه الرسول ﷺ في تأهيل المودة، وتمكينهـا في مشاعـر المهاجـرين والأنصار الذين سهروا جميعا على رعاية هذه المودة، وذلك الإخاء، بل كانوا يتسابقون في تنفيذ بنوده[2]، ولا سيما الأنصـار الذين لا يجد الكتاب والباحثون مهـما تساموا إلى ذروة البيـان خيرا من حـديث الله عنهم[3]، قال تعـالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩].

ثانيا: حركة السرايا:

بمجرد الاسـتقـرار الذي حصل للمـسلمين بقيـادة الرسول ﷺ في المدينة بدأت حركـة السرايا التي اسـتهدفت بسط هيـبة الدولة في الداخل والخـارج، كسب بعض القبـائل وتحجـيم دور الأعراب ، وتربيـة الصحـابة على الأعداد الـقتالي لـلغزوات الكبرى، وحركة الفتوحات وميـدان لصناعة القادة عمليا، وقد شارك في هذه السرايا أمير المـؤمنين علي رضي الله عنه في التي حدثت قبل بدر وما بعـدها، وأما التي شارك فـيها قبل غزوة بدر الكبرى فمنها:

١- غزوة العشيرة[4]:

وفيها غزا ﷺ قريشا، واستعمل على المدينة أبا سلمـة بن عبد الأسد، وسميت هذه الغزوة بغزوة العشيرة، فأقام بها جماد الأولى وليالي من جماد الآخرة، وادع فيها

(١) فقه السيرة للبوطي ص١٤٨ .
(٢) فصول من السيرة النبوية د .عبد المنعم السيد ص٢٠٠ .
(٣) هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة للجمل ص٥٢٤.
(٤) ناحية من نواحي ينبع بين مكة والمدينة.

بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدا، وذلك أن العير التي خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام ذاهبة إلى الشام[١]، فساحلت على البحر، وبلغ قريشا خبرها فخرجوا يمنعونها، فلقوا رسول الله ﷺ ووقعت غزوة بدر الكبرى[٢]، وقد حدثنا عمار بن ياسر عن مشاركته وعلي رضي الله عنه في تلك الغزوة، فعن عمار بن ياسر قال: كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذي العشيرة، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأقام بها رأينا ناسا من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي علي: يا أبا اليقظان هل لك أن تأتي هؤلاء فتنظر كيف يعملون؟ فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعلي، فاضطجعنا في صور من النخل، في دقعاء[٣] من التراب فنمنا فوالله، ما أهبّنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله، وقد تَتَرَّبنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي: يا أبا تراب لما رأى عليه من التراب قال: ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ فقلنا: بلى يا رسول الله ، قال أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه يعني قرنه حتى تُبَلّ منه هذه يعني لحيته[٤]، وقد تكرر نداء رسول الله لعلي بأبي تراب سيأتي الحديث عنه.

٢- غزوة بدر الأولى:

سببها: أن كرز بن جابر الفهري، قد أغار على سَرْح[٥] المدينة ونهب بعض الإبل والمواشي، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، حتى بلغ واديا يقال له «سفوان» من ناحية بدر وفاته كرز بن جابر، فلم يدركه فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة[٦]، وقد أعطى الحبيب المصطفى أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه لواءه الأبيض[٧]، وتعتبر حركة السرايا بداية الجهاد القتالي ضد أعداء الدعوة، ومع حركة السرايا والبعوث والغزوات التي خاضها رسول الله ضد المشركين ظهرت جليًّا سنة التدافع التي تعامل معها

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٠).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ١١).
(٣) الدقعاء: الأرض التي لا نبات فيها .القاموس (٣/ ٢٢).
(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٥) رقم ١١٧٢ إسناده حسن.
(٥) السرح: الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة .
(٦) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٠١).
(٧) تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٤٨)، علي بن أبي طالب للرفاعي ص٨٩.

النبي ﷺ وأصحابه ومن بينهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهذه السنة متعلقة تعلقا وطيدا بالتمكين لهذا الدين، وقد أشار الله تعالى إليها في كتابه العزيز وجاء التنصيص عليها في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ثالثا: غزوة بدر:

١ـ قال النووي ـ رحمه الله ـ وأجمع أهل التواريخ على شهوده بدرا، وسائر المشاهد غير تبوك، قالوا: وأعطاه النبي ﷺ اللواء في مواطن كثيرة[(١)].

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحد المجاهدين الذين شاركوا في غزوة بدر، ولنتركه يقص علينا خبر هذه الغزوة، فعن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: وكان النبي ﷺ يتخبَّر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا، سار رسول الله ﷺ إلى بدر وبدر بئر، فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم، رجلا من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم، فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال له: كم القوم، قال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم، فأبى، ثم إن النبي ﷺ سأله: كم ينحرون من الجزر، فقال: عشرا كل يوم. فقال رسول الله ﷺ: القوم ألف، كل جزور لمائة وتبعها. ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها، من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه عز وجل ويقول: «**اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد**» قال: فلما طلع الفجر نادى: الصلاة عباد الله، فجاء ، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلى بنا رسول الله ﷺ ، وحرض على القتال، ثم قال: إن جمع قريش تحت هذه الضِّلع الحمراء من الجبل. فلما دنا القوم منا وصافقناهم، إذا رجل منهم

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٥).

على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله ﷺ : «يا علي، ناد حمزة»، وكان أقربهم من المشركين: «من صاحب الجمل الأحمر، وماذا يقول لهم»، ثم قال رسول الله ﷺ : «إن يكن في القوم أحد يأمر بخير، فعسى، أن يكون صاحب الجمل الأحمر»، فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: يا قوم إني أرى قوما مُستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم أعصبوها اليوم برأسي، وقولوا: جَبُن عُتْبة بن ربيعة، وقد علمتم أني لست بأجبنكم. قال: فسمع ذلك أبو جهل، فقال: أنت تقول هذا؟ والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته، قد ملأت رئتك جوفك رعبا. قال عتبة: إياي تُعَيّر يا مُصَفِّرَ استِه؟ ستعلم اليوم أينا الجبان. قال: فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية، فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستة، فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن يبارزنا من بني عمنا، من بني عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ : «قم يا علي، قم يا حمزة، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب». فقتل الله تعالى عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة، فقتلنا منهم سبعين، وأسرنا سبعين، فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرا، فقال العباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح، من أحسن الناس وجها، على فرس أبلق، ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: «اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم». فقال علي: فأسرنا من بني عبد المطلب: العباس وعقيلا، ونوفل بن الحارث[1]، ومن وصف علي رضي الله عنه لغزوة بدر نلاحظ دروسا، وعبرا وفوائد كثيره يمكن الرجوع إليها في كتابي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث.

٢- ما قيل من أشعار في بطولة علي ببدر:

كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة بن أبي طلحة فقتله علي رضي الله عنه فقال الحجاج بن علاط السلمي في ذلك:

لله أي مذنب عن حربه	أعني ابن فاطمة المعم المخولا
جادت يداك له بعاجل طعنة	تركت طليحة للجبين مجندلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم	بالحق إذ يهوون أخول أخولا

(١) مسند أحمد، الموسوعة الحديثية رقم ٩٤٨ إسناده صحيح.

وعللت سيفك بالدماء ولم تكـن   لتـرده حـران حتى يـنـهـلا[1]

رابعًا: زواج علي من فاطمة رضي الله عنها:

هي فاطمـة بنت إمام المتقين سيـد ولد آدم رسول الله ﷺ، وأمها خـديجة بنت خويلد، كانت تكـنى بأم أبيها[2]، ولدت رضي الله عنها قبل البـعثة سنـة خمس وثلاثين من مولد النبي ﷺ[3]، زوجهـا النبي ﷺ علي بن أبي طالب سنة اثنتين لـلهجرة بـعد وقعة بدر وولدت له الحـسن والحسين وأم كلثوم، وكانت وفاتهـا بعد وفاة النبي ﷺ بستة أشهر فرضي الله عنها وأرضاها[4].

١- مهرها وجهازها:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خُطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لي: هل علمت أن فـاطمة قد خطـبت إلى رسول الله ﷺ قلت: لا. قالت: فـقد خطبت، فمـا يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيـزوجك. فقلت: وعندي شئ أتزوج به. فقـالت: إنك إن جئـت رسول الله ﷺ زوجك. قال: فـوالله ما زالت ترجـيني حتى دخلـت على رسول الله ﷺ، فلمـا أن قعـدت بين يديه أفحـمت، فوالله مـا استطعت أن أتكلم جلالة وهيبـة. فقال رسول الله ﷺ: «**ما جاء بك؟ ألك حاجة؟**» فسكت فقال: «**لعلك جئت تخطب فاطمة؟**» فقلت: نعم، فقال: «**وهل عندك من شئ تستحلها؟**» فقـلت: لا والله يا رسول الله. فقال: «**ما فعلت درع سلحتكها؟**» فوالذي نفس علي بيـده إنها لحطمية ما قيمـتها أربعمائـة درهم فقـلت. عندي، فـقال: «**قد زوجتـكها، فابعـث إليها بها فاستحلها بها**»، فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ[5]، وقد جهـز رسول الله ﷺ فاطمة فـي خميل[6]، وقربة ووسادة أدم[7]

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٧٩).

(٢) أسد الغابة (٥/ ٥٢٠)، الإصابة (٤/ ٣٦٥).

(٣) الطبقات لابن سعد (٨/ ٢٦).

(٤) حلية الأولياء (٢/ ٣٩ ، ٤٣) سـير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨ ، ١٣٤) العقـيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط د .سليمان السحيمي ص١٣٢ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٦٠) إسناده حسن.

(٦) خميل: القطيفة.

(٧) الأدم: الجلد.

حشوها إذخر[١][٢]، وقد جاء في روايات الشيعة. فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربع مائة درهم من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال: يا أبا الحسن، ألست أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم مني؟ فقلت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله فطرحت الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان فدعا له النبي بخير[٣].

٢- زفافها:

قالت أسماء بنت عميس: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحنا جاء النبي ﷺ إلى الباب فقال: «يا أم أيمن ادعي لي أخي» فقالت: هو أخوك وتنكحه؟ قال: «نعم يا أم أيمن»، قالت: فجاء علي فنضح النبي ﷺ عليه من الماء ودعا له ثم قال: «أدعو إلى فاطمة» قالت: فجاءت تعثر من الحياء فقال لها رسول الله ﷺ: «اسكتي فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إلي»، قالت: ونضح النبي ﷺ عليها من الماء ودعا لها، قالت: ثم رجع رسول الله ﷺ فرأى سواداً بين يديه، فقال: «من هذا؟» فقلت: أنا، قال: «أسماء؟» قلت: نعم، قال: «أسماء بنت عميس؟» قلت: نعم، قال: «جئت في زفاف بنت رسول الله تكرمة له؟» قلت: نعم، قالت: فدعا لي[٤].

٣- وليمة العرس:

عن بريدة قال: لما خطب علي فاطمة، قال رسول الله ﷺ: إنه لا بد للعُرس[٥] من وليمة، قال: فقال سعد علي كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعا من ذرة، فلما كان ليلة البناء، قال: «يا علي لا تحدث شيئا حتى تلقاني». فدعا النبي ﷺ بماء

(١) إذخر: نبات.

(٢) صحيح السيرة النبوية ص٦٦٧، مسند فاطمة الزهراء وما ورد في فضلها للسيوطي تحقيق فؤاد أحمد زمرلي ص١٨٩.

(٣) كشف الغمة للإربلي (١/٣٥٩) بحار الأنوار للمجلس ص٣٩ نقلا عن الشيعة وأهل البيت ص١٣٧، ١٣٨.

(٤) فضائل الصحابة (٢/٩٥٥) رقم ٣٤٢ إسناده صحيح.

(٥) للعرس: أي للعروس.

فتوضأ منه ثم أفرغه على علي، فقال: «اللهم بارك فيهمـا وبارك عليهما، وبارك في شبليهما»[١].

٤- معيشة علي وفاطمة رضي الله عنهما:

كانت معيشـة علي وفاطمة وهما أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، معيشة زهد وتقشف، وصبر وجهد، فـقد أخرج هناد عن عطاء، قال: نبئت أن عليًّا رضي الله عنه قال: مكثنا أيامـا ليس عندنا شئ، ولا عند النبي ﷺ ، فخـرجت فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق، فـمكثت هنيهـة أوامر نفسي فـي أخذه أو تركه، ثم أخـذته لما بنا من الجهد ، فـأعطيت به الضفاطين[٢]، فاشتـريت به دقيقا، ثم أتيت به فـاطمة فقلت: اعجني واخبزي، فجعلت تعجن وإن قصتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها - ثم خبـزت، فأتيت النبي ﷺ فأخبـرته، فقال: كلوه فإنه رزق رزقـكموه الله عز وجل[٣]، وعن الشعبي، قـال: قال علي رضي الله عنه: تزوجت فاطمة بنت محـمد رسول الله ومالي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، ومالي خادم غـيرها[٤]. وعن مجاهد قـال علي: جعت مرة بالمدينة جـوعا شديدا، فخرجت أطلـب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامـرأة قد جمعت مدرا، فظـننتها تريد بَلَّهُ[٥]، فأتيتها فـقاطعتها[٦] كلَّ ذنوب[٧] على تمرة، فمددت سـتة عشر ذنوبا، حتى مجلت يداي[٨] ثم أتيت الماء فـأصبت منه، ثم أتيـتها فـقلت بكفي هكذا بين يديها[٩]، فعـدت لي ست عشرة تمرة، فـأتيت النبي ﷺ، فأخـبرته، فـأكل معي منها[١٠]، في هذا الخبـر بيان لشـدة الحال التي مـر بها أميـر المؤمنين علي رضي الله عنه في

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١١٥٣، فضائل الصحابة (٢/٨٥٨) إسناده صحيح.

(٢) الضفاطون: الحمالون والمكارون الذين يجلبون الدقيق من الخارج.

(٣) كنز العمال (٧/٣٢٨)، المرتضى للندوي ٤١.

(٤) كنز العمال (٧/ ١٣٣)، المرتضى للندوي ص٤١.

(٥) المدر: يعني الطين اليابس، تريد بله: يعني الماء.

(٦) فقاطعتها: أي: اتفقت معها على أجرة.

(٧) ذنوب: دلو.

(٨) مجلت: تورمت من العمل.

(٩) يعني بسطهما وضمهما.

(١٠) صفة الصفوة (١/ ٣٢٠)، الموسوعة الحديثية مسند أحمد (١١٣٥) إسناده ضعيف لانقطاعه.

المدينة، ونأخذ منه صورة من السلوك المشروع في مواجهة الشدائد، حيث خرج علي رضي الله عنه للعمل بيديه للكسب المشروع، ولم يجلس منتظراً ما تجود به أيدي المحسنين، وصورة أخرى من قوة التحمل حيث قام بذلك العمل الشاق وهو يعاني من شدة الجوع ما يضعف قوته، وصورة أخرى من إيثار الأحبة والوفاء لهم، فهو على ما به من شدة الجوع وبالرغم مما قام به من ذلك العمل الشاق قد احتفظ بأجرته من التمر حتى لقي النبي ﷺ فأكل معه[1].

٥- زهد السيدة فاطمة وصبرها:

كانت حياتها في غاية البساطة بعيدة عن التعقيد، وهي إلى شظف العيش أقرب منها إلى رغده[2]، وهذه القصة تصور لنا حال السيدة فاطمة من التعب وموقف رسول الله ﷺ منها عندما طلبت منه أن يعطيها خادما من السبي، قال علي لفاطمة ذات يوم والله لقد سنوت[3]، حتى لقد اشتكيت صدري، قال: وجاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه[4]، فقالت: أنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي، فأتيت النبي ﷺ فقال: ما جاء بك أي بنية. قالت: جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأله ورجعت فقال علي: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله، فأتينا جميعًا. فقال علي: يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي[5]، وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا، فقال رسول الله ﷺ: «**والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوي**»[6] **بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم**»، فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطت رؤوسهما تكشف أقدامهما وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال مكانكما، ثم قال: «**ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟**» قالا: بلى. فقال: «**كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام، فقال: تسبحان في دبر كل صلاة**

---

(١) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٩/ ٤٩ ، ٥٠).
(٢) انظر: معين السيرة ص٢٥٥ للشامي.
(٣) سنوت: استقيت.
(٤) أي اسأليه خادما.
(٥) السيرة النبوية للصلابي (٢/ ٩٩)، مسلم رقم (٢٧٢٧)، البخاري رقم (٣٧٠٥).
(٦) تطوى: طوى من الجوع فهو طاو خالي البطن جائع لم يأكل.

عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشـراً، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين واحمدا ثلاثًا وثلاثين وكبرا أربعًا وثلاثين»[١]، وفي القصة السالفة بعض القيم المهمة منها.

إن هذه الحادثة تبين لنا كيف أدار النبي ﷺ الأزمة الاقتـصادية التي مرت بدولة الرسول في المدينة وذلك من خلال ترتيـبه للأوليات، فسد جوع أهل الـصفة ضرورة وأما حاجـة علي وفاطمة للخادم ليست بمرتبـة احتياج أهل الصفة، فـقدم رسول الله أهل الصفة عليهم وكانت وسائل رسول الله في حل الأزمة الاقتصادية كثيرة.

ولقد تأثر علي ﷺ بهذه التربية النبوية، ويمر الزمن بالفـتى علي فيصبح خليفة المسلمين، فإذا به من آثار هذه التـربية يترفع عن الدنيا وزخارفـها وبيده كنوز الأرض وخيراتها، لأن ذكر الله يملأ قلبه ويغمر وجوده، ولقد حافظ على وصية رسول الله له وقد حدثنا عن ذلك فقال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، فسأله أحد أصحابه: ولا ليلة صفين فقال: ولا ليلة صفين[٢].

٦- إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا:

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: دخل علي رسول الله ﷺ وعلى فاطمة من الليل، فأيقظـنا للصلاة ، قال: ثم رجع إلى بيـته فصلى هويا مـن الليل، قال: فلم يسمع لنا حسا، قـال: فرجع إلينا، فأيقظنا وقال: قوما فـصليا، قال: فجلست وأنا أعرك عيني وأقول إنا والله ما نصلي إلا ما كتب لنا، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعـثنا، قال: فولى رسول الله ﷺ وهو يقول، ويضرب بيده على فخذه: «ما نصلي إلا مـا كتب لنا، مـا نصلي إلا ما كـتب لنا ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤]، وهذا فيـه تجرد علي ﷺ للحق وحرصه على نشـر العلم ولو كان الأمر متـعلقًا به ﷺ وهذه قيمة كـبرى يتعلمها المسلمـون من أمير المؤمنين علي ولو أراد لكتم الحديث، علما بأن صلاة الليل لم تكن واجبة.

٧- محبة رسول الله ﷺ للسيدة فاطمة ﷺ وغيرته عليها:

عن ثوبان ﷺ قال كان رسول الله ﷺ إذا سافر جعل آخـر عهده بالمدينة إتيان

---

(١) البخاري، رقم ٣٧٠٥، مسلم رقم ٢٧٢٧.

(٢) مسلم (٤/ ٢٠٩٢).

فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم من سفره فاطمة[(١)]، وفي رواية عن أبي ثعلبة الخشني قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من غزو أو سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يأتي فاطمة، ثم يأتي أزواجه[(٢)]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ماراًيت أحدا أشبه سمتا ولادّلا برسول الله ﷺ في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها[(٣)]، وفي رواية أنها كانت تقبل يده[(٤)]، وعن أسامة بن زيد قال رسول الله ﷺ : «أحب أهل بيتي إليّ فاطمة»[(٥)]، وقد أراد علي رضي الله عنه أن يتزوج بنت أبي جهل على فاطمة، فخطب رسول الله ﷺ الناس، إن في رواية السيدة عائشة للحديث دليل على حقيقة المحبة بين السيدتين وليست كما يدعي المغرضون.

فقال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني»[(٦)]، وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله على المنبر يقول: «بني هاشم بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم على بن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابه[(٧)]، ويؤذيني ما آذاها»[(٨)]، وبلفظ آخر عند مسلم قال: إن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم فقال: «إن فاطمة مني وإني أتخوف أن تفتن في دينها» قال: ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس[(٩)]، فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن

(١) مسند أحمد (٥/ ٢٧٥)، اللوحة النبوية، فاروق حمادة ص٥٦.
(٢) الاستيعاب (٤/ ٣٧٦) في سنده أبوفروة الرهاوي مضعف، اللوحة النبوية ص٥٦.
(٣) مسلم رقم ٢٤٥٠، صحيح سنن أبي داود رقم ٥٢١٧.
(٤) سنن أبي داود رقم ٥٢١٧، اللوحة النبوية ٥٦.
(٥) مسند الطيالسي (٢/ ٢٥) حسن صحيح.
(٦) البخاري رقم ٤١٧٣.
(٧) أي يسوؤني ما يسؤوها ويزعجني ما يزعجها، لابن الأثير (٢/٢٨٧).
(٨) البخاري رقم ٥٢٣٠.
(٩) هو: أبو العاص بن الربيع زوج زينب رضي الله عنها وكان قد وقع أسيرا في بدر، فأرسلت زينب قلادتها في فداء زوجها، فأطلق رسول الله أبا العاص بن الربيع ورد المسلمون على زينب قلادتها وأخذ النبي على أبي العاص أن يخلي سبيلها فوعده ذلك ففعل.

قال: «**حدثني فصدقني ووعدني فأوفى لي وإني لست أحرم حلالا ولا أحل حراما ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله في مكان واحداً أبداً**»(١).

وروى الترمذي بسنده إلى عبدالله بن الزبير رضي الله عنه أن عليًا ذكر بنت أبي جهل فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها**»(٢).

وفي إعلان رسول الله ﷺ محبتها ومكانتها على الملأ وأن إذايتها أذية له تعريف بحق(٣) حرمتها كما دلت هذه الأحاديث على تحريم إيذاء النبي ﷺ بكل حال وعلى كل وجه وإن تولد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحا وهو حي وهذا بخلاف غيره، وقالوا وقد أعلم ﷺ بإباحة بنت أبي جهل لعلي بقوله ﷺ لست أحرم حلالا ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين:

أحدهما: أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي ﷺ فيهلك من آذاه فنهى عن ذلك لكمال شفقته على علي وعلى فاطمة.

والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة وقيل ليس المراد به النهي بل معناه أعلم من فضل الله أنهما لا تجتمعان ويحتمل أن المراد تحريم جمعهما ويكون معنى لا أحرم حلالا أي: لا أقول شيئا يخالف حكم الله، فإذا أحل الله شيئا لم أحرمه وإذا حرم شيئا لم أحلله ولم أسكت عن تحريمه لأن سكوتي تحليل له ويكون من جملة محرمات النكاح الجمع بين بنت نبي الله وبنت عدو الله(٤) ومن مناقب السيدة فاطمة ما رواه الحاكم أيضا بإسناده إلى بريدة رضي الله عنه قال: كان أحب النساء إلى رسول الله فاطمة ومن الرجال علي(٥)، ولا يفهم من هذا الحديث معارضته لما ثبت في الصحيح من حديث عمرو بن العاص أنه سئل النبي ﷺ أي الناس أحب إليك؟ قال «**عائشة**» قالت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**»(٦).

---

(١) مسلم (١٩٠٣/٤).
(٢) فضائل الصحابة (٧٥٦/٢) رقم ١٣٢٧ إسناده صحيح.
(٣) الدوحة النبوية الشريفة ص٥٧.
(٤) شرح صحيح مسلم (٢٣٦/١٦ ، ٢٣٧).
(٥) المستدرك: ك معرفة الصحابة (١٥٥/٣) صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
(٦) البخاري رقم ٤٣٥٨.

فالمراد من هذا الحديث والله أعلم أن فاطمة أحب النساء إليه من أهله وعلي من رجالهم وفي ذلك يقول ابن العربي عند هذا الحديث: كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ أبوبكر وأحب أزواجه إليه عائشة، وأحب أهله إليه فاطمة وعلي من رجالهم وبهذا الترتيب تأتلف الأحاديث ويرتفع عنها التعارض[١].

٨- صدق لهجتها:

روى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي ﷺ قالت: ما رأيت أحدا كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها[٢].

وفي ذلك منقبة ظاهرة لها رضي الله عنها فقد وصفتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأنها كانت تشبه النبي ﷺ هيئة وطريقة وحسن حال كما كان التزامها للصدق أشبه له فرضي الله عنها وأرضاها[٣].

٩- سيادتها في الدنيا والآخرة:

جاءت الأحاديث الصحيحة عن الصادق المصدوق التي دلت على سيادتها في الدنيا والآخرة، روى الترمذي بإسناده إلى أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: **«حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»**[٤]، وروى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران»**[٥]. وقال البخاري: باب مناقب فاطمة رضي الله عنها، وقال النبي ﷺ: **«فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»**[٦].

خامسًا: أولادها: الحسن والحسين رضي الله عنهما:

١- الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي: سبط رسول الله ﷺ

---

(١) عارضة الأحوذي (١٣/٢٤٧، ٢٤٨) العقيدة في أهل البيت ص١٣٧.

(٢) المستدرك (٣/ ١٦٠، ١٦١)، صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) العقيدة في أهل البيت ص ١٣٦.

(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٧٥٥) رقم ١٣٢٥، صححه الألباني، تحريم المشكاة (٣/ ٧٤٥).

(٥) فضائل الصحابه رقم ١٣٣٢ إسناده حسن لغيره.

(٦) البخاري، ك فضل الصحابة (٤/ ٢٥٢).

وريحانته في الدنيا وأحد سيدي شباب أهل الجنة أمه فاطمة الزهراء، ولد للنصف من رمضان سنة ٣هـ وقيل في شعبان وقيل في سنة أربع أو خمس[١]. وقد توفي عام ٥٠هـ. وقد اخترت في كتابي السيرة النبوية بأنه ولد في العام الرابع للهجرة[٢].

هذا وقد سماه رسول الله ﷺ حسنا، قال علي رضي الله عنه: لما ولد الحسن سميته حربا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أروني ابني. ما سميتموه؟**» قلت: حربا، قال ﷺ: «**بل هو حسن**»[٣]. وهكذا غير ﷺ ذلك الاسم الحاد باسم جميل يدخل السرور البهجة على القلوب، فحمل المولود الجديد اسمه الجميل، وحمله ﷺ بين يديه وقبله، وهذا أبو رافع يخبرنا عن ماذا فعل رسول الله ﷺ، يقول: رأيت النبي ﷺ أذن في أذني الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة[٤].

وحدثنا أبو رافع عن عقيقة الحسن فقال: لما ولدت فاطمة حسنا قالت: ألا أعق عن ابني بدم (بكبشين) قال ﷺ: «**لا ولكن احلقي رأسه وتصدقي بوزن شعره من فضة على المساكين والأوفاض**»، وكان الأوفاض ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ محتاجين في المسجد أو الصفة ففعلت ذلك[٥].

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل الحسن بن عليّ رضي الله عنهما منها:

(أ) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت الحسن بن عليّ على عاتق النبي ﷺ وهو يقول: اللهم إني أحبه فأحبه[٦].

(ب) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال للحسن: «**اللهم إني أحبه، فأحبه وأحبب من يحبه**»[٧].

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٩٦٠)، حلية الأولياء (٢/ ٣٥).
(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢/ ١٩٩)، شذرات الذهب (١/ ١٠).
(٣) البخاري في الأدب (٢٨٦).
(٤) سنن أبي داود رقم (٥١٠٥) إسناده ضعيف حكم عليه الشيخ عثمان الخميس عن رسالته للماجستير المتعلقة بالأحاديث الخاصة بالحسن والحسين ص٨٠.
(٥) الطبقات (١/ ٢٣٤) إسناده ضعيف.
(٦) البخاري رقم ٣٧٤٩.
(٧) مسلم ٢٤٢١.

(ت) وعن أسامة بن زيد ﵁ عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول: «**اللهم إني أحبهما فأحبهما**»[(١)].

(ث) عن أبي بكرة ﵁ قال سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «**ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[(٢)]. فإخباره النبي ﷺ بأن الحسن سيد مفخرة عظيمة وميزة شريفة له ﵁ وأرضاه، وقد تحققت نبوءة جده ﷺ فأصلح الله على يديه بين المسلمين وحقن دماءهم حيث نزل عن حقه في الخلافة لمعاوية ﵁ أجمعين وكان ذلك في سنة إحدى وأربعين، وكانت خلافته ﵁ ستة أشهر وسمي هذا العام عام الجماعة وهذا ما أخبر به النبي ﷺ بقوله: «**لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين**»[(٣)]، قال ابن حجر: فالحديث فيه علم من أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن علي فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة بل لرغبة فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة[(٤)]، وسيأتي الحديث بإذن الله عن تنازل الحسن بالخلافة لمعاوية عند حديثنا عن عهده في كتاب مستقل.

(ج) وعن سعيد المقبري[(٥)]، قال: كنا مع أبي هريرة ﵁ فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب علينا فسلم فرددنا عليه السلام ولم يعلم به أبوهريرة فقلنا: يا أباهريرة هذا الحسن بن علي قد سلم علينا فلحقه وقال: عليك السلام يا سيدي ثم قال: إنه سيد[(٦)].

(ح) ومنها مشابهته ﵁ للنبي ﷺ في الخلق فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك ﵁ قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي[(٧)].

(خ) وروى أيضا بإسناده إلى عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر ﵁ وحمل

---

(١) البخاري رقم ٣٧٤٧.

(٢) البخاري رقم ٣٧٤٦.

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٢٠)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٤، ١٤٥).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٦٦).

(٥) هو: كيسان المدني مولى أم شريك، ثقة ثبت مات سنه ١٠٠هـ التقريب ٤٦٣.

(٦) المستدرك، ك معرفة الصحابة (٣/ ١٦٩) صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٧) البخاري، ك الفضائل رقم ٣٧٥٢.

الحسن وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي ليس شبيه بعلي، وعلي يضحك[١]، فكونه رضي الله عنه شبه جده المصطفى ﷺ في الخلق منقبة عظيمة له وفضيلة ظاهرة[٢].

٢- الحسين بن علي رضي الله عنهما: هو أبوعبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب، سبط رسول الله ﷺ، وريحانته ومحبوبه، ابن بنت رسول الله، فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة ٤هـ، وقيل غير ذلك ومات رضي الله عنه قتيلا شهيدا، في يوم عاشوراء من شهر المحرم سنة إحدى وستين هجرية بكربلاء من أرض العراق فرضي الله عنه وأرضاه[٣]، وقد وردت في مناقبة وفضائله أحاديث كثيرة منها:

(أ) ما رواه أحمد بإسناده إلى يعلى العامري رضي الله عنه أنه خرج مع رسول الله ﷺ يعني إلى طعام دعوا له قال: فاستمثل رسول الله ﷺ أمام القوم، وحسين مع غلمان يلعب فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصبي يفر هنا مرة وها هنا مرة، فجعل النبي ﷺ يضاحكه حتى أخذه قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه ووضع فاه وقبله وقال: «**حسين مني وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسينا حسين سبط من الأسباط**»[٤]، وفي ذلك منقبة ظاهرة للحسين رضي الله عنه، إذ حث على محبته وكأنه ﷺ علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر وأكد على وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة وأكد ذلك بقوله: أحب الله من أحب حسينا، فإن محبته تؤدي لمحبة الرسول ومحبة الرسول محبة لله[٥].

(ب) ومنها ما رواه البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتي عبيدالله ابن زياد[٦] برأس الحسين عليه السلام فجعل في طست فجعل ينكت وقال في حسنه شيئا فقال أنس كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوبا بالوسمة[٧][٨].

(١) البخاري رقم ٣٧٥٠.
(٢) العقيدة في أهل البيت ص ١٤٧.
(٣) البداية والنهاية (٨/ ١٥٢)، الإصابة (١/ ٣٣١ ، ٣٣٤).
(٤) فضائل الصحابة رقم ١٣٦١ إسناده حسن.
(٥) تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٧٩).
(٦) قتل عبيدالله عام ٦٧هـ، الأعلام (٤/ ١٩٣).
(٧) الوسمة بكسر السين وقد تسكن نبت وقيل شجر باليمن يخضب بورقه الشعر.
(٨) البخاري رقم ٣٧٤٨.

(ت) وفي رواية أخرى عن أنس أيضا قال: لما أتى عبيدالله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه يقـول لقد كان أحسبه قال جمـيلا فقلت والله لأسوءنك إني رأيت رسول الله يلثم حيث يقع قضـيبك قال فانقبض(١). فالحديثان يدلان على فضل الحسين رضي الله عنه وأنه كان أشبه أهل البيت به، ولكن قد يرد إشكال ولا سيما وأنه قد تقـدم في فضائل الحسـن، أنه لم يكن أحد أشبـه برسول الله ﷺ من الحسن بن علي، فيحدث التـعارض، وقد أزال الإشكال والتعارض ابن حجـر رحمه الله حيث جمع بينهـما فقـال: ويمكن الجمع بأن يكون أنس قـال ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن لأنه يومئذ كـان أشد شبها بالنبي ﷺ من أخيه الحسين وأما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعـد ذلك كما هو ظاهر من سياقـه أو المراد بمن فضل الحسين عليه فـي الشبه مـا عدا الحسـن ويحتمل أن يكون كل مـنهما أشـد شبهًـا في بعض أعضـائه، فقـد روى الترمذي وابن حـبان من طريق هاني بن هانيء عـن علي قال: الحسن أشـبه النبي ﷺ ما بين الرأس إلى الصـدر والحسين أشـبه النبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك(٢)، فهذه بعض الأحاديث الواردة في الحسين رضي الله عنه وأرضاه.

٣- مـا ورد من أحـاديث في مناقب مـشـتـركـة بـين الحـسـن والحسين رضي الله عنهما:

(أ) ما رواه البخاري بإسناده إلى ابن عمر قد سأله رجل من العراق عن المحرم يقتل الذباب، فقـال رضي الله عنه: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قـتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ وقال النبي ﷺ: **«هما ريحانتاي من الدنيا»**(٣).

قال ابن حجـر: والمعنى، أنهما مما أكرمني الله وحبـاني به لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين(٤).

(ب) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أحبـهما فقـد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني يعني حسن وحسين»**(٥).

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٩٨٥) رقم ١٣٩٧ إسناده حسن، مجمع الزوائد (٩/ ١٩٥).
(٢) فضائل الصحابة رقم ١٣٦٦ إسناده صحيح.
(٣) البخاري رقم ٣٧٥٣.
(٤) فتح الباري (١٠/ ٤٢٧).
(٥) صحيح سنن أبي داود (٢/ ٢٩)، فضائل الصحابة رقم ١٣٥٩.

(ت) وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أبصر حسنًا وحسينًا فقال: **«اللهم إني أحبهما فأحبهما»**[١].

(ث) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: **«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»**[٢].

(ج) عن عبـدالله بن بريدة قـال سمعت أبـي بريدة يقول: كـان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعلـيهما قميصان أحمران يمشـيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فـوضعهما بين يديه، ثم قال: **«صدق الله ورسوله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، نظرت إلى هذين الصبـيين يمشيان ويعـثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»**[٣].

(ح) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين: **«أعيـذكمـا بكلمات الله التـامة من كل شيطان وهامة ومن كـل عين لامة، هكذا كان إبراهيم يعـوذ ابنيه إسماعـيل وإسحاق»**[٤]. وهذا الحديث لا يعارض مع مارواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

لا هامة[٥] وما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ في قوله: **«لا هام لا هام»**[٦]، وقوله ﷺ: **«لا عدوى ولا صفر ولا هامة»**[٧]، فقد أجاب أبو جعفر الطحاوي بقوله: ففي هذه الأحاديث نفـيه الهامة ونفي وجودها، فكيف يجوز أن يعـوذهما من معدوم؟ فكان جوابنا له بتوفيق الله عز وجل وعونه: أن الهامة التي عوذهما ﷺ منها هي هوام الأرض التي يخاف غوائلها، والهـامة التي نفاها هي خلافهمـا، وهي ما كانت العرب تقوله في موتها، إنها كانت تقول: فمن ذلك مارثى به لبيد أخاه أربد[٨] بقوله:

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٢٦)، سنن الترمذي رقم ٣٧٨٢.
(٢) مجمع الزوائد (٩/ ١٨٤)، وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة (٢/ ٤٤٨).
(٣) فضائل الصحابة رقم ١٣٥٨ إسناده صحيح.
(٤) البخاري رقم ٣٣٧١.
(٥) صحيح ابن حبان رقم ٦١٢٧ إسناده قوي، الطبراني ١١٧٦٤.
(٦) شرح مشكل الآثار (٧/ ٣٢٨) إسناده صحيح.
(٧) مسلم رقم ٢٢٢٠.
(٨) شرح مشكل الآثار (٧/ ٣٢٩).

فليس الناس بعدك في نَقير ولا هُمْ غيرُ أصداء وهام

ومن ذلك قول شعر أبي داود الأيادي:

سَلَّطَ الموت والمنون عليهم فَلَهمْ في صَدَى المَقَابر هامُ

فنفى رسول الله ﷺ ذلك ما في حديث أبي هريرة الذي رويناه، وأما الهامة التي عوذ منها حسنا وحسينا، فهي موجودة، وهي هوام الأرض المخوفة وهي مشددة الميم، والهامة التي نفاها مخففة الميم، فليست منها في شئ[1].

سادسًا: حديث الكساء ومفهوم أهل البيت:

حديث الكساء روته عائشة ﵂[2]، قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل «وهو الكساء» فأدخل عليًا وفاطمة الحسن والحسين ﵃، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3] [الأحزاب: ٣٣].

وهذا يبين لنا من كذب أن الصحابة يكتمون فضائل علي، فهذه عائشة التي يدعون أنها تبغض عليًا هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة[4].

إن الخطاب في الآيات الكريمة كله لأزواج النبي ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهن قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٣٤]، فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ ومعهنّ الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من

---

(١) المصدر نفسه (٧/ ٣٣٠).
(٢) مسلم رقم ٢٤٠٨ ك فضائل الصحابة.
(٣) مسلم رقم ٢١٦٧ ك الزكاة.
(٤) حقبة من التاريخ ص١٨٧.

المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أخص من غيرهم بذلك لذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم، كما أن أهل بيت النبي ﷺ يتعدى عليًا والحسن والحسين وفاطمة إلى غيرهم كما في حديث زيد بن أرقم وأنه لما قيل له نساؤه من أهل بيته؟ قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته الذين حرموا الصدقة وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس[1]، إذا اتسع مفهوم أهل بيت النبي ﷺ إلى أكثر من ذلك فهم نساؤه بدليل الآية ويشمل أيضا علي وفاطمة والحسن والحسين كحديث الكساء وبحديث زيد بن أرقم، وآل عباس بن عبد المطلب، وآل عقيل بن أبي طالب وآل جعفر بن أبي طالب بدليل حديث زيد بن أرقم وآل الحارث بن عبد المطلب[2]، وسيأتي الحديث عن الآية الكريمة مفصلاً عند مناقشتنا للشيعة بإذن الله تعالى.

سابعًا: ما يخص آل رسول الله ﷺ من الأحكام:

١- تحرم عليهم الزكاة:

لحديث عبد المطلب بن ربيعة أن النبي ﷺ قال: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس»[3].

٢- لا يرثون رسول الله ﷺ:

لحديث أبي بكر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة»[4]. وقد روى هذا الحديث أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن بن عوف والعباس بن عبدالمطلب وأزواج النبي ﷺ وأبو هريرة كما نص على ذلك ابن تيمية وهي ثابتة عنهم في الصحاح والمسانيد[5].

---

(١) مسلم رقم ١٠٧.
(٢) مسلم ك الزكاة رقم ١٦٧.
(٣) مسلم رقم ١٠٧٢.
(٤) البخاري رقم ٣٠٩٣، مسلم ١٧٥٧.
(٥) منهاج السنة (٤/ ١٩٥)، البداية والنهاية (٥/ ٢٥٢).

٣- لهم خمس الخمس في الغنيمة[١] والفيء[٢]:

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾ [الحشر: ٧].

٤- الصلاة عليهم مع النبي ﷺ:

عن كعب بن عجرة قال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم، قال: قولوا: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»[٣].

٥- لهم مودة خاصة ويتمثل هذا فيما رواه زيد بن أرقم:

عن النبي ﷺ: «**أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**»[٤].

قال القرطبي: وهذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم، وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها[٥]، وقد فهم وصية النبي ﷺ بأهل بيته حق الفهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأحبهم وأكرمهم ودعا الناس إلى إكرامهم ومحبتهم، فقد روى البخاري بإسناده إلى أبي بكر رضي الله عنه، أنه قال: أرقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته[٦].

---

(١) ما أصيب من أموال أهل الحرب فأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب النهاية (٣/ ٣٨٩).

(٢) ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد النهاية (٣/ ٤٨٢).

(٣) البخاري رقم ٣٣٧٠، مسلم رقم ٤٠٦.

(٤) مسلم رقم ٢٤٠٨.

(٥) فيض القدير للمناوي (٣/ ١٤).

(٦) البخاري رقم ٧١٣.

فهذا خطاب من الصديق رضي الله عنه ووصية منه للناس في حفظ حقوق آل بيت النبي ﷺ، فالمراقبة للشيء المحافظة عليه، ومعنى قول الصديق احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم[١]، وقال النووي: ومعنى «أرقبوا» راعوه واحترموه وأكرموه[٢]، وقد أكد رضي الله عنه تلك الحقوق بما قاله لعلي رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتي[٣]، ومحبة أهل البيت من أصول أهل السنة والجماعة، يقول ابن تيمية: وإن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت النبي ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ[٤]، وقال القاضي عياض: إن من علامات محبته ﷺ محبته لمن أحب النبي ﷺ ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين فمن أحب شيئًا أحب من يحبه[٥]، وقال ابن كثير: ولا ننكر الوصاية بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا، وحسبا ونسبًا ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، فكانوا من أهل الحق كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين[٦].

ثامنًا: علي رضي الله عنه في غزوة أحد:

في غزوة أحد بدأ القتال بمبارزة بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلحة بن عثمان، وكان بيده لواء المشركين، وطلب المبارزة مرارًا، فخرج إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له علي: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار أو يعجلني بسيفك إلى الجنة، فضربه علي، فقطع رجله فوقع على الأرض فانكشفت عورته فقال: يا ابن عمي أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه، فكبر رسول

---

(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٩٧).

(٢) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص١٧٥.

(٣) البخاري رقم ٣٧١٢.

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٧).

(٥) الشفاء (٢/ ٥٧٣).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١١٣).

الله وقال لعليٍّ بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني الرحم حين انكشفت عورته فاستحييت منه[١] وكان رضي الله عنه بعد الالتحام في ميمنة الجيش وأخذ الرايه بعد مقتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وفي هذه المعركة قتل من المشركين خلقًا كثيرا، رغم ما أصاب المسلمين من الشدة في هذه الغزوة، إضافة إلى بلائه في الدفاع عن رسول الله ﷺ[٢]، وكان علي رضي الله عنه هو الذي أخذ بيد رسول الله ﷺ حينما وقع في الحفرة يوم أحد[٣]، لقد استشهد في تلك الغزوة عدد كبير من خيرة المهاجرين والأنصار، وتركت حزنا عميقًا في نفس الرسول ﷺ ، كما أصاب العدو من الرسول الكريم، فأدموا وجهه الشريف، فقامت ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بمداواة جراحه، وإيقاف الدم الذي كان ينزف على وجهه ولحيته عليه الصلاة والسلام[٤].

وظهرت شجاعة علي رضي الله عنه في تلك المعركة، فعندما أشيع أن الرسول ﷺ قتل، وافتقده علي، رأى أن الحياة لا خير فيها بعده، فكسر جفن سيفه، وحمل على القوم حتى أفرجوا له، فإذا برسول الله ﷺ[٥]، فثبت معه ودافع عنه دفاع الأبطال، وقد أصابته ست عشرة ضربة في ذلك اليوم[٦].

وبعد انسحاب جيش المشركين من أرض المعركة أرسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الغزوة مباشرة، وذلك لمعرفة اتجاه العدو، فقال له: «**اخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم**»، قال علي: فخرجت في أثرهم ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة، فخرج علي رضي الله عنه ،

---

(١) السيرة الحلبية (٢/ ٤٩٧ ، ٤٩٨).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٤).
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٨٩).
(٤) البخاري رقم ٤٠٧٥ .
(٥) مسلم شرح النووي (١٢/ ١٤٨).
(٦) مسند أبو يعلى (١/ ٤١٥ ، ٤١٦) إسناده حسن، خلافة علي بن أبي طالب، عبدالحميد فقيهي ص٣٩.

وأخبر رسول الله ﷺ بخبر القوم[١]، وفي هذا الخبر عدة دروس وعبر منها:

ـ شجاعة النبي ﷺ، حيث كان داخل صـفوف المشركين ولم يصل إليـه سيدنا علي إلا بعد جهد جهيد، فوجد رسول الله ﷺ في قلب العدو يقاتلهم حتى أصيب بعدة جروح.

ـ يقظة الرسول ﷺ، ومراقبته الدقيقة لتحركات العدو، وقدرته ﷺ على تقدير الأمور. وتحليل تصرفات الخصم ومنهم ما يترتب عليها من قرارات.

ـ ظهور قوته المعنوية العـالية ويظهر ذلك في استعـداده لمقاتلة المشركين لو أرادوا المدينة.

ـ وفيه ثقة النبي ﷺ بعلي رضي الله عنه ومعرفته بمعادن الرجال.

ـ المروءة ومكارم الأخـلاق عند علي عندما رجع عن خـصمـه بعدما انكـشفت عورته وإقـرار رسول الله له وهذا العمل يعـلمنا قيمـة التعامل كـيف تكون الأخلاق حتى مع الخصم وحتى في ساحة المعركة.

ـ وجوب التضحية في سبيل الله وأنه بهذه الروح ينتصر الإسلام في الحياة وينال الشهيد الجنة وهذا ما أثبته لنا بعض المهاجرين والأنصار في هذه المعركة وغيرها.

ـ وجوب الأخـذ بسنة الأسبـاب وظهر هذا عندمـا وضع رسول الله ﷺ بعض الصحابة على جبل أحد، فعصوه ونزلوا وكان هذا من أسباب الهزيمة.

ـ وفـيه شـجاعـة علي رضي الله عنه ،لأن هذا الجيـش لو أبصره مـا تورع في محـاولة قتله[٢].

تاسعًا: علي رضي الله عنه في غزوة بني النضير:

يرى المحققون من المؤرخين أن غزوة بني النضـير كانت بعد أحد في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهـجرة، وقد رد ابن القيم على من زعم أن غـزوة بني النضير بعد بدر بستـة أشهر بقوله: وزعم محـمد بن شهاب الزهري: أن غـزوة بني النضير كانت بعد بدر بسـتة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه، بل الذي لا شك فـيه أنها

(١) البداية والنهاية (٤/ ٤١).

(٢) المصدر نفسـه، السيرة النبوية للصَّلاَّبيّ (٢/ ١٤٥)، غزوة أحد لأبي فارس ص٩٥، ٩٦.

بعد أُحـد والذي كانت بعـد بدر بستة أشـهر، هي غزوة بني قـينقاع، وقـريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية[١]، وقال ابن العربي: والصحيح أنها بعد أُحد[٢]، وإلى هذا الرأي ذهب ابن كثير[٣]، ففي هذه الغزوة فقد الصحابة علي بن أبي طالب ﷺ ذات ليلة، فقال النبي ﷺ إنه في بعض شأنكم، فعن قليل جـاء برأس عَزْوَكَ، وقد كمن له حتى خرج في نفر من اليهود يطلب غـرة من المسلمين، وكان شجاعًا راميًا، فشد عليه علي ﷺ فقتله، وفر اليهود[٤].

عاشرًا: علي ﷺ في غزوة حمراء الأسد:

تعتبر هذه الغـزوة مكملة لغزوة أحد، فقد عاد المسلمون من أحـد مساء السبت الخامس عشر من شوال من السنة الثالثة للهـجرة، وما إن أصبح الصباح وخرج الناس من صلاة الفجر إلا وأذَّن مؤذِّن رسول الله بالتـهيؤ على جناح السرعة لمطاردة العدو، وألا يخرج مع الناس إلا من شهد أُحُدًا، فاستجاب الناس لنداء رسول الله ﷺ مع ما بهم من جراحات وتعب، وكان في مقدمتهم رسول الله ﷺ ، ولم يسمح لعبد الله بن أبيٍّ بالخروج معه، ولا لأحـد لم يشهد أحُدًا إلا جابر بن عبـدالله بن عمرو بن حرام الذي استشـهد أبوه في أُحُد، وكان قـد منعه من الاشتراك في بدر وأحد لـيبقى عند أخواته البنات وخرج الجيش وفي مقدمتـهم رسول الله، ويحمل اللواء لواء أحد نفسه عليٍّ بن أبي طالب[٥]، ووصل المسلمون بقيادة رسولهم الكريم ﷺ إلى حمراء الأسد التي تبعـد عن المدينة ثلاثة عشر ميـلاً، حيث حطُّوا الرحال فيهـا، وقد أدهشت هذه الحركة اليهـود والمنافقين لما فيها من جرأة وشجاعـة، وأيقنوا أن الروح المعنوية عالية، وأنهم لو هُزموا لما عملوا على مطاردة قريش[٦]، كما أن في خروج النبي ﷺ إلى حمراء الأسـد إشارة نبوية إلى أهميـة استعمال الحـرب النفسية للتأثيـر على معنويات

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٤٩).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٧٦٥).

(٣) حديث القرآن عن الغزوات (١/ ٢٥٤).

(٤) إمتاع الأسماع للمقريزي (١/ ١٨٠).

(٥) وقد حمل علي ﷺ لواء رسول الله في غزوة الـكدر لبني سليم بعد عودته إلى المدينة بسبع ليال من غزوة بدر.

(٦) علي بن أبي طالب، أحـمد السـيد الرفـاعي ص١ ـ ١٠، تاريخ الإسلام للذهبي، المـغازي ص٢٢٦.

الخصوم، خرج ﷺ بجنوده إلى حمراء الأسد ومكث فيها ثلاثة أيام، وأمر بإيقاد النيران، فكانت تشاهد من مكان بعيد وملأت الأرجاء بأنوارها حتى خيل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لا طاقة لهم به، فانصرفوا وقد ملأ الرعب أفئدتهم[١].

قال ابن سعد: ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت الله تعالى بذلك عدوهم[٢]، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحرب الباردة وسجلها المولى عز وجل في كتابه في معرض الثناء على الصحابة: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٥].

الحادي عشر: علي رضي الله عنه وموقفه من حادثة الإفك:

ورد في حديث الإفك الذي اتهم فيه المنافقون عائشة رضي الله عنها به، أن رسول الله ﷺ استدعى عليا وأسامة واستشارهما في فراق أهله، لما كثر القول وأقلق النبي ﷺ، واستلبث الوحي، فأما أسامة، فأشار عليه بالذي يعلم من براءتها، فقال: يا رسول الله أهلك، ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[٣]، قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «أي بَرِيرة هل رأيت من شيء يَريبك؟» قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن رأيتِ عليها أمراً أغمصُه[٤] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن[٥]، فتأكله، فقام رسول الله، فاستعذر[٦]

(١) غزوة أُحُد لأبي فارس ص٥١.
(٢) الطبقات لابن سعد (٢/ ٤٩).
(٣) البخاري رقم ٤٧٥٠.
(٤) أغمصه: أي أعيبها به وأطعن بها عليه.
(٥) الداجن: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم.
(٦) فاستعذر: أي قال من يقوم بعذرى إن كافأته على سوء صنيعه.

يومئذ من عبد الله بن أبي ابن سَلول قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً[١]، ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي»[٢]. إن الكلام الذي قاله عليّ إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي، لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل.

وكان شديد الغيرة، فرأى عليّ رضي الله عنه في بادئ الأمر أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما[٣]، وقال النووي: رأى عليّ أن ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة، لإرادة راحة خاطره ﷺ[٤]، كما أن عليًا رضي الله عنه لم ينل عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يفهم منها أنه عرَّض بأخلاقها، أو تناولها بسوء[٥]، بل كان رأيه خير لها فهو يقول إن أردت أن ترتاح من المشكلة فإن غيرها كثير وإن أردت الوصول للحقيقة، فاسأل الجارية توصلك إليها عن براءة عائشة ثم بعد ذلك خطب رسول الله الناس وبين براءة عائشة، وخطورة من يخوض في عرضه ظلما وزوراً. وقد بدأت نصيحة علي وأسامة ابن زيد معًا إيجابيتان، وفي صالح عائشة رضي الله عنها، فقد ازداد النبي ﷺ قناعة بما علم من خير في أهله[٦].

وعلى القارئ الكريم أن يحذر من الروايات الباطلة ساقطة الاعتبار التي تزعم بإساءة عليّ إلى عائشة في أمر الإفك والتي بنى عليها بعض الباحثين بأن ذلك جعل عائشة تغضب من عليّ رضي الله عنه وتحقد عليه وتتهمه زوراً بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة عليه الأعداد الهائلة من المسلمين[٧]، ومن أمثال هؤلاء الباحثين، علي إبراهيم

---

(١) هو صفوان بن المعطل السلمي.

(٢) البخاري رقم ٤٧٥٠.

(٣) دور المرأة السياسي، ص٤٦٢.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٥/ ٦٣٤).

(٥) دور المرأة السياسي، أسماء محمد زيادة ص٤٦٢.

(٦) المصدر نفسه ص٤٦٣.

(٧) من أراد التوسع في حادثة الإفك فليراجع السيرة النبوية للصلاّبيّ (٢/ ٩٢٦).

حسن في التاريخ الإسلامي العام، وطه حسين في كتابه: علي وبنوه[١] وغيرهم، وسوف نتحدث عن العلاقة المتينة بين أم المؤمنين عائشة وعليّ بإذن الله عند حديثنا عن موقعة الجمل، لقد كانت قصة الإفك حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله ﷺ من أعداء الدين، وكان من لطف الله تعالى بنبيه وبالمؤمنين أن كشف الله زيفها وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفرية، وهي مواقف يتأسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم في حياتهم مثل هذه الفرية، فقد انقطع الوحي، وبقيت الدروس لتكون عبرة وعظة للأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[٢]، وقد تحدثت في كتابي السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث عن الدروس والعبر والآداب والأحكام التي تؤخذ من حادثة الإفك[٣].

المبحث السادس: أهم أعمال علي رضي الله عنه ما بين الأحزاب إلى وفاة النبي ﷺ:

أولا: علي رضي الله عنه في غزوة (الأحزاب):

كان موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في الأحزاب بطوليًا رائعًا ينم عن مدى رسوخ العقيدة في قلوب أصحاب النبي ﷺ، والدعوة إليها، والموت في سبيلها، والبراءة ممن خالفها، قال ابن إسحاق: وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين بعد أن اقتحمت خيل المشركين ثغرة في الخندق ـ حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعدوا نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراح، فلم يشهد يوم أُحُد، فلما كان يوم الخندق خرج معلما لِيُرَى مكانهُ فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له يا عمرو: إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى أحد خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النّزال، فقال له: لِمَ يا ابن أخي؟ فوالله ما أُحِبُّ أن أقتلك، قال له علي: لكني والله أحب أن

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبدالحميد ص٥٤.
(٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص٤٤٠.
(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (٣/ ٢٤٢ إلى ٢٥٥).

أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقرها، وضرب وجهه، ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة[1].

وقد ذكر ابن كثير ما رواه البيهقي في دلائل النبوة من أشعار قالها عمرو بن ود وعلي رضي الله عنه، فقد قال عمرو لما خرج للمبارزة:

ولقد بحَحْتُ من النداء ... لجَمْعِهم هل من مبارز

ووقفت إذ جَبُنَ المشجَّعُ ... موقف القرنِ المناجز

ولذاك إني لم أَلْ ... متسرعًا قبل الهَزاهِزْ

إن الشجاعة في الفتَى ... والجود من خير الغرائِزْ

فعندما خرج له علي رضي الله عنه قال:

لا تَعْجلَنَّ فقد أتاكَ ... مُجيبُ صَوتكَ غير عاجز

في نية وبصيرة ... والصدق منَجَى كلٍّ فائز

إني لأرجُو أن أُقيم ... عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى ... ذكرها عند الهزاهز[2]

ولما قتل علي رضي الله عنه عمرو بن ود ذكروا أنه قال من الشعر:

أعليُّ تقتحم الفوارس هكذا ... عنّي وعنهم أخرّوا أصحابي

اليوم يمنعني الفرارَ حفيظتي ... ومُصَمَّمٌ في الرأس ليس بنابي[3]

وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت:

فرّ وألقى لنا رمحه ... لعلَّكَ عِكرِمُ لم تفْعلِ

ووليت تعدو كعدو الظَّليم ... ما أن يحوّر عن المَعدلِ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٤٨).

(٢) نجلاء: واسعة ـ الهزاهز: الحروب والشدائد.

(٣) البداية والنهاية (٤/١٠٦).

ولم تلوِ ظهرك مستأنسًا كأن قفاك قفا فَرْعَل[1]

وبعد مقتل عمرو بن ود بعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف، فقال: «**ادفعوا إليهم جيفته، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الديِّة، فلم يقبل منهم شيئًا**». وقد حدث هذا والمسلمون في ضنك من العيش ومع ذلك فالحلال حلال والحرام حرام، إنها مقاييس الإسلام في الحلال والحرام، فأين هذا من بعض المسلمين الذين يحاولون إيجاد المبررات لأكل الربا وما شابهه؟[2].

ثانيا: علي رضي الله عنه في غزوة بني قريظة:

وكان فيها رضي الله عنه حامل راية رسول الله ﷺ في المقدمة[3] إلى أن حكم فيهم سعد ابن معاذ وكان في بادئ الأمر لم ينزلوا على حكمه، قال ابن هشام: إن عليّ بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة، أو لأقتحمن حصونهم، فقالوا: يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ[4]، وهكذا أنزل الله تعالى الرعب والخوف في قلوب أعداء العقيدة والدين، على لسان ذاك التقي النقي لما آتاه الله من حب الاستبسال والموت في سبيل عزة دين الله تعالى، وقد نادى كتيبته بأحب الأسماء التي ينادي بها الله تعالى عباده ألا وهي نداء الإيمان الذي يتجلى فيه صدق الاعتقاد، وصلاح العمل، وحب الجهاد في سبيله تعالى[5].

ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه أن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم الأموال[6]، فكان من الذين يباشرون القتل علي بن أبي طالب والزبير رضي الله عنهما[7].

---

(١) الفرعل: صغار الضباع.

(٢) معين السيرة للشامي ص٩٤.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٥٨).

(٤) البخاري رقم ١٤٢١، السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٦٣).

(٥) الخليفتان عثمان وعلي بين السنة والشيعة، أنور عيس ص٧٨.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٦٣)، البخاري رقم ٤١٢١.

(٧) إمتاع الأسماع للمقريزي (١/ ٢٤٧).

ثالثًا: علي رضي الله عنه في صلح الحديبية وبيعة الرضوان:

في غزوة الحديبية وقبل الصلح، خرج بعض العبيد(الأرقاء) من مكة إلى رسول الله ﷺ ، فكتب إليه مواليهم بإرجاعهم، فرفض رسول الله ﷺ أن يرجعهم وقال: «يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلبه على الإيمان، فسأله الصحابة بتلهف: من هو يا رسول الله؟ وكلهم يرجوا أن يفوز هو بهذه الشهادة العظيمة من رسول الله ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام: هو خاصف النعل، وكان قد أعطى عليًا نعله يخصفها[1]، ولما تمّ الصلح بين المسلمين ومشركي قريش، كتب علي كتابًا بينهم قال: فكتب: محمد رسول الله، فقال المشركون: لا تكتب محمد رسول الله، لو كنت رسول الله لم نقاتلك. فقال لعلي: «امحه» قال: ما أنا بالذي أمحه. فمحاه رسول الله ﷺ بيده، فصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجلبّان[2] السلاح[3]، وقد امتنع عليّ رضي الله عنه من محو كلمة (رسول الله) بدافع محبته لرسول الله ﷺ وتعظيمه[4]، وقد طعن الروافض الغلاة في موقف الصحابة وعمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديبية وذكروا من مراجعة عمر للنبي ﷺ في أمر الصلح وكذلك تأخر الصحابة في بداية الأمر عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله ﷺ وحلق، ولا مطعن في شيء من هذا في أصحاب رسول الله ﷺ لا عمر ولا غيره من الصحابة الذين شهدوا الحديبية، وبيان ذلك، أن الرسول ﷺ كان قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا معه عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام، فلما وقع أمر الصلح وفيه أن يرجعوا عامهم هذا، ثم يعودوا العام القادم شق ذلك على أصحاب رسول الله[5]، فجعل عمر رضي الله عنه على ما عرف به من القوة في الحق والشدة فيه يسأل رسول الله

---

(١) مرويات غزوة الحديبية، حافظ الحكمي ص١٨٣ والحديث صحيح بمجموع طرقه، خلافة علي بن أبي طالب، عبدالحميد علي ناصر ص٣٠.

(٢) الجلبّان: شبه جراب من الأدم يوضع فيه السيف المعمور.

(٣) مسلم (٣/ ١٤٠٩)، خصائص علي للنسائي، تحقيق أحمد البلوشي ص٢٠٣.

(٤) الانتصار للصحب والآل، للرحيلي ص٢٦٢ إلى ٢٧٤.

(٥) البداية والنهاية (٤/ ١٧٠)، تاريخ الطبري (٢/ ٦٣٥).

ﷺ ويراجعه في الأمر، ولم تكن أسئلته التي سألها رسول الله لشك في صدق الرسول ﷺ، أو اعتراض عليه، لكن كان مستفصلا عما كان متقرراً لديه، من أنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، وأراد بذلك أن يحفز رسول الله ﷺ على دخول مكة، وعدم الرجوع إلى المدينة، لما يرى في ذلك من عز لدين الله وإرغام للمشركين(١).

قال النووي: قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكًا بل طلبا لكشف ما خفي عليه، وحثًا على إذلال الكفار وظهور الإسلام، كما عرف من خلقه رضي الله عنه وقوته في نصر الدين وإذلال المبطلين(٢)، فعمر رضي الله عنه كان في هذا مجتهداً حمله على هذا شدته في الحق، وقوته في نصرة الدين، والغيرة عليه، مع ما كان قد عودهم عليه رسول الله ﷺ من المشورة وإبداء الرأي، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد كان كثيراً ما يستشيرهم ويأخذ برأيهم، كما استشارهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، وأخذ بمشورتهم، وشاورهم يوم أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج للعدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليه فخرج إليهم، وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ فأبى عليه السعدان (سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة) فترك ذلك، وشاورهم يوم الحديبية أن يميل على ذراري المشركين، فقال أبو بكر: إنا لم نجئ لقتال، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال(٣) في حوادث كثيرة يطول ذكرها، فقد كان عمر رضي الله عنه يطمع أن يأخذ رسول الله ﷺ برأيه في مناجزة قريش وقتالهم ولهذا راجعه في ذلك، وراجع أبا بكر، فلما رأى اتفاقهما أمسك عن ذلك وترك رأيه، فعذره رسول الله لما يعلم من حسن نيته وصدقه(٤)، أما توقف الصحابة عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله ﷺ وحلق، فليس معصية لأمر رسول الله ﷺ وقد ذكر العلماء له عدة توجيهات قال ابن حجر: قيل كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول وحي بإبطال الصلح المذكور، أوتخصيصه

(١) الانتصار للصحب والآل ص٢٦٤.
(٢) شرح صحيح مسلم (١٢/ ١٤١).
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤٢٠) عند تفسير قوله: ﴿وشاورهم في الأمر﴾.
(٤) الانتصار للصحب والآل ٢٦٦.

بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أنهم ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم، مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم، وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم[١]، وجاء في بعض الروايات أن الرسول ﷺ لما رأى عدم امتثالهم دخل على أم سلمة فذكر لها ذلك فقالت: يا رسول الله لا تكلمهم فإنهم دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح[٢]، فأشارت عليه كما جاء في رواية البخاري: أن اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا[٣]. قال ابن حجر: ويحتمل أنها فهمت عن الصحابة أنه احتمل عندهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذا بالرخصة في حقهم، وأنه يستمر على الإحرام أخذا بالعزيمة في حق نفسه، فأشارت عليه أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله.. ونظير هذا ما وقع لهم في غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر في رمضان، فلما استمروا على الامتناع، تناول القدح فشرب، فلما رأوه شرب فشربوا[٤]. وهذا الوجه حسن، وهو اللائق بمقام أصحاب النبي ﷺ، فإنهم كانوا على قدر كبير من تعظيم الإحرام والحرص على إكمال النسك، فلما أمرهم النبي ﷺ بالتحلل ولم يفعل، ظنوا أن الذي حمله على هذا هو الشفقة عليهم، كما كانت سيرته معهم، فكأنهم رضي الله عنهم آثروا التأسي به على ما رخص لهم فيه من التحلل، ثم لما رأوه قد تحلل أيقنوا أن هذا هو الأفضل في حقهم، فبادروا إليه، وهذا مثل ما حصل منهم في الحج مع النبي ﷺ لما بلغوا مكة وطافوا وسعوا أمرهم أن يحلوا، وأن يصيبوا النساء ويجعلوها عمرة، فكبر ذلك عليهم لتعظيمهم لنسكهم، وقالوا: نذهب إلى عرفة ومذاكيرنا تقطر من المني،

(١) فتح الباري (٥/٣٤٧).
(٢) فتح الباري (٥/٣٤٧).
(٣) المصدر نفسه (٥/٣٤٧).
(٤) البخاري، ك الشروط ٢٧٣٢.

فلما علم بذلك الرسول ﷺ وكان لم يتحلل، قال لهم: أيها الناس أحلوا فلولا الهدي الذي معي فعلت كما فعلتم قال جابر - رضي الله عنه - راوي الحديث: فحللنا وسمعنا وأطعنا[١]، وهذا كله من حرص أصحاب رسول الله ﷺ على الخير والرغبة في التأسي برسول الله ﷺ التأسي الكامل[٢]. إن موقف النبي ﷺ في سكوته على عمر رضي الله عنه عندما عارضه على الصلح يعطي قيمة كبرى بأنه على القيادات الإسلامية من حكام وعلماء ودعاة أن يتحلوا بسعة الصدر وحسن الاستماع للرأي الآخر وإعطاء المجال لكل ذي رأي أن يعبر عن رأيه بما يخدم المصلحة العامة لا أن يفتح السجون ويكمم الأفواه، إن النبي ﷺ في صلح الحديبية بين أن حرية إبداء الرأي مكفوله في المجتمع الإسلامي، وأن للفرد في المجتمع المسلم الحرية في التعبير عن رأيه، ولو كان هذا الرأي نقدا لموقف حاكم من الحكام أو خليفة من الخلفاء فمن حق الفرد المسلم أن يبين وجهة نظره في جو من الأمن والأمان دون إرهاب أو تسلط يخنق حرية الكلمة والفكر، وإذا كان هذا موقف رسول الله مع عمر فمن باب أولى معارضة رئيس الدولة، في رأي من الآراء، وموقف من المواقف، ليست بحد ذاتها جريمة تستوجب العقاب، ويغيب صاحبها في غياهب السجون[٣]، كما أن الهدي النبوي الكريم يعلمنا كيف يربى أصحابه من خلال الأحداث. ولقد نال علي رضي الله عنه في الحديبية مع من حضر من أصحاب رسول الله، رضى الله عز وجل ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ [الفتح:١٨]، وقال رسول الله ﷺ: «**لن يدخل أحد النار بايع تحت الشجرة**»[٤]، وقد نال عليّ رضي الله عنه وإخوانه مثل أبي بكر وعمر وغيرهم من قبل في بدر وساما عظيمًا وشرفًا عاليًا، فقد قال رسول الله في أهل بدر: «**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[٥].

---

(١) البخاري، ك الاعتصام، رقم ٧٣٦٧.

(٢) الانتصار للصحب والآل ص٢٦٨ وهذا من أفضل الكتب في الرد على بعض شبهات الروافض.

(٣) غزوة الحديبية لأبي فارس ص١٣٤، ١٣٥.

(٤) البخاري رقم ٤٨٤٠، مسلم ١٨٥٦.

(٥) البخاري رقم ٣٩٨٣، مسلم ٢٤٩٤.

رابعًا: عمرة القضاء ٧هـ وعلي ﷺ وحضانة ابنة حمزة ﷺ:

لقد تغيرت النفوس والعقول بتأثير الإسلام تغيراً عظيمًا، فعادت البنت ـ التي كان يتعير بها أشراف العرب، وجرت عادة وأدها في بعض القبائل فرارا من العار، وزهدا في البنات ـ حبيبة يتنافس في تربيتها المسلمون، وكانوا سواسية، لا يرجع بعضهم على بعض إلا بفضل أو حق[1]، فلما أراد النبي ﷺ الخروج من مكة، تبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم، فتناولها علي، فأخذ بيدها وقال لفاطمة ﷺ: دونك ابنة عمك، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر قال علي: أنا أخذتها وهي بنت عمي، وقال جعفر: هي ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: **«الخالة بمنزلة الأم»**، وقال لعلي: **«أنت مني وأنا منك»**، وقال لجعفر: **«أشبهت خلقي وخلقي»**، وقال لزيد: **«أنت أخونا ومولانا»**. وقال علي لرسول الله ﷺ: ألا تتزوج بنت حمزة. قال: **«إنها ابنة أخي من الرضاعة»**[2].

*** وفي هذه القصة دروس وعبر وأحكام وفوائد منها:**

(١) الخالة بمنزلة الأم.

(٢) الخالة تقدم على غيرها في الحضانة إذ لم يوجد الأبوان.

(٣) تزكية رسول الله ﷺ لجعفر بن أبي طالب ﷺ ووصفه له بقوله: أشبهت خلقي وخلقي.

(٤) منقبة زيد بن حارثة: يقول له الرسول: أنت أخونا ومولانا، لأنه كان أخا لحمزة بن عبد المطلب، فقد آخى الرسول ﷺ بينهما، وهو باجتهاده يريد أن يكون عليه ما على الأخ الشقيق من واجبات، والواجب أن يكون وليًا على بنت حمزة ﷺ.

(٥) زواج المرأة لا يسقط حقها من الحضانة: لقد حكم النبي ﷺ إلى زوجة جعفر بالحضانة وعمتها صفية بنت عبد المطلب حية موجودة.

(٦) زواج المرأة لا يسقط حقها في الحضانة، فقد حكم الرسول ﷺ بالحضانة لخالة بنت حمزة وهي متزوجة من جعفر بن أبي طالب ﷺ.

---

(١) السيرة النبوية للندوي ص٣٢١.

(٢) البخاري رقم ٤٢٥١.

(٧) لا بد من موافقة الزوج على حضانة زوجته لابنة أختها، لأن الزوجة محتسبة لمصلحته ومنفعته، والحضانة قد تفوت هذه المصلحة جزئيا، فلا بد من استئذانه، ونلاحظ هنا أن جعفر بن أبي طالب قد طالب بحضانة بنت عمه حمزة لخالتها وهي زوجة له، فدل على رضاه بذلك.

(٨) إن الطفل إذا رضع مع عمه يصبح أخًا له في الرضاعة، وتصبح بناته كلهن بنات أخيه من الرضاعة، فيحرم عليه نكاحهن[١].

خامساً: علي رضي الله عنه في غزوة خيبر ٧هـ:

ذكر ابن إسحاق[٢]، أنها كانت في المحرم من السنة السابعة للهجرة، وذكر الواقدي[٣]، أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة، بعد العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد[٤]، إلى أنها في جمادى الأولى سنة سبع، وقال الإمامان الزهري ومالك: إنها في محرم من السنة السادسة[٥]، وقد رجح ابن حجر[٦]، قول ابن إسحاق على قول الواقدي[٧]، وفي هذه الغزوة تجلت فيها بطولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومكانته عند الله وعند رسوله، وما قدر الله من فتح هذه المستعمرة اليهودية، ذات الأهمية العسكرية الاستراتيجية على يده في مظهر جلي رائع[٨]، فقد كانت خيبر مستعمرة يهودية تتضمن قلاعا حصينة، وقاعدة حربية لليهود، آخر معقل من معاقلهم في جزيرة العرب، وكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويتآمرون مع يهود المدينة وخارجها لغزو المدينة، فأراد رسول الله ﷺ أن يستريح منهم، ويأمن من جهتهم، وكانت في الشمال الشرقي للمدينة على بعد سبعين ميلاً منها[٩]، توجه رسول الله ﷺ بجيشه إلى خيبر، وكانوا ألفًا وأربعمائة،

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٣٧٤، ٣٧٥)، صلح الحديبية لأبي فارس ص٢٨٦، ٢٨٧.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٤٥٥).
(٣) المغازي (٢/ ٦٣٤).
(٤) الطبقات (٢/ ١٠٦).
(٥) تاريخ دمشق (١/ ٣٣).
(٦) الفتح (١٦/ ٤١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص٥٠٠.
(٧) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص٥٠٠.
(٨) المرتضى للندوي ص٥٢.
(٩) المرتضى للندوي ص٥٢.

ونازل حصون خيبر، وبدأ يفتحها حصنًا حصنًا، واستعصي حصن الغموص على المسلمين، وكان علي بن أبي طالب رَمِدًا[١]، فقال رسول الله ﷺ: **«لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»**، فبات الناس يدوكون[٢] ليلتهم أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: **«أين عليّ بن أبي طالب؟»** فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: **«فأرسلوا إليه»**، فأتي به، فبصق رسول الله في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال عليّ: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: **«انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حُمُر النَّعَم»**[٣]. فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر، وكان من صور بطولته فيها أن خرج له مرحب ملكهم وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مُجرب
إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبُ

فقال عليّ:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة ... كليث غابات كريه المنظرة
أُو فيهم بالصاع كيل السندرة

فضرب رأس مِرحب، فقتله، ثم كان الفتح على يديه[٤]، وفي موقف علي في غزوة خيبر دروس وعبر وفوائد منها:

١- فضيلة عظيمة ومنقبة ظاهرة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

حيث شهد له النبي ﷺ بالمحبة في قوله: **«يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»** وقال ابن حجر في معنى أن عليًا يحب الله ورسوله أراد بذلك، وجود المحبة وإلا فكل مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفة وفي هذا الحديث تلميح

---

(١) المصدر نفسه ص٥٣.
(٢) أي: بات الناس في اختلاط واختلاف.
(٣) مسلم رقم ٣٤٠٦.
(٤) مسلم (٣/ ١٤٤١) رقم ١٨٠٧.

بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]. فكأنه أشار إلى أن عليًا تام الاتباع لرسول الله ﷺ حتى اتصف بصفة محبة الله له[1].

٢- بركة دعائه ﷺ:

حيث استجاب الله لدعاء رسوله ﷺ، وقد قال علي رضي الله عنه: ما رَمِدْتُ منذ تفل النبي ﷺ في عيني[2]، كما أن عليًا رضي الله عنه مرض مرة، فأتاه النبي ﷺ وهو يقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن متأخرًا فارفعني، وإن كان البلاء فصبرني، فقال له رسول الله ﷺ: **«ما قلت؟»** فأعاد عليه، فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم اشفه، اللهم عافه»**، ثم قال: **«قم»**. فقمت، فما عاد لي ذلك الوجع بعده»[3].

٣- لا علاقة بين هذا الحديث وإمامة علي رضي الله عنه:

ذهب الروافض إلى أن عليًا رضي الله عنه هو الخليفة بعد النبي ﷺ واستدلوا بمجموعة من الأحاديث تدل على فضله ولا تدل على إمامته منها هذا الحديث وزادوا فيه زيادات باطلة لا تصح عند علماء الحديث، كما أنه لا ملازمة بين كونه محبا لله ورسوله ومحبوبًا لهما وبين كونه إمامًا بلا فصل أصلاً على أنه لا يلزم من إثباتهما له نفيهما عن غيره كيف، وقد قال الله تعالى - في حق أبي بكر ورفقائه ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]، وقال في حق أهل بدر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤]، ولا شك أن من يحبه الله يحبه رسوله ومن يحب الله من المؤمنين يحب رسوله، وقال في شأن أهل مسجد قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨]. ولما سئل من أحب الناس إليك؟ قال: **«عائشة»** قيل: ومن الرجال: قال: أبوها[4]. وإنما نص على المحبة والمحبوبية في حق علي مع وجودهما في غيره لنكتة دقيقة تحصل من ضمن قوله: يفتح الله على يديه[5]. وهي أنه لو ذكر مجرد الفتح لربما

(١) فتح الباري (٧/ ٧٢).
(٢) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٥٧٩ إسناده حسن.
(٣) مسند أحمد (٢/ ١٥١) صححه أحمد شاكر.
(٤) البخاري، فتح الباري (٧/ ٢٢).
(٥) مسلم رقم ٣٤٠٦.

توهم أن ذلك غير موجب لفضيلته لما ورد في قوله ﷺ: **«إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»**. فأزال ذلك التوهم بإثبات هاتين الصفتين له فصار المقصود منه تخصيص مضمون **«يفتح الله على يديه»** وما ذكر من الصفات لإزالة ذلك التوهم(١).

٤- وهناك مجموعة من الفوائد من حديث فضل علي في فتح خيبر منها:

فضل الصحابة في انشغالهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح، لأنهم انشغلوا عن بشارة الفتح بالتماسهم معرفة من يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى: لأنَّ الصحابة غدوا على رسول الله مبكرين كلهم يرجو أن يُعطاها ولم يعطوها، وعلي بن أبي طالب مريض ولم يسع لها ومع ذلك أعطي الراية، الأدب في قوله على رسلك. ووجهه أنه أمره بالتمهل وعدم التسرع، الدعوة إلى الإسلام قبل القتال، الدعوة بالحكمة، تؤخذ من قوله: أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، لأن من الحكمة أن تتم الدعوة، وذلك بأن تأمره بالإسلام أولاً، ثم تخبره بما يجب عليه من حق الله، ولا يكفي أن تأمره بالإسلام لأنه قد يطبِّق هذا الإسلام الذي أمرته به، وقد لا يطبقه، بل لابد من تعاهده حتى لا يرجع إلى الكفر، المعرفة بحق الله في الإسلام تؤخذ من قوله ﷺ: **«وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه»**، ثواب من اهتدي على يديه رجل واحد، لقوله ﷺ: **«لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»** أي: خير لك من كل ما يستحسن في الدنيا، وليس المعنى كما قال بعضهم: خير لك من أن تتصدق بنعم حمر، الحلف على الفتيا لقوله ﷺ: **«فوالله لأن يهدي الله... إلخ»**، فأقسم النبي ﷺ، وهو لم يُستقسم، والفائدة: هي حثه على أن يهدي الله به والتوكيد عليه. وقد أمر الله رسوله بالحلف في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، في قوله تعالى: **﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾** [يونس: ٥٣]. وفي قوله: **﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾** [التغابن: ٧]. وفي قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي**

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية ص٧٠.

لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣]. فإذا كان هناك في القَسَم مصلحة ابتداء، أوجوابا لسؤال جاز وربما يكون مطلوبًا[١].

سادسًا: علي رضي الله عنه في فتح مكة وغزوة حنين ٨هـ:

نقضت قريش صلحها مع رسول الله بمساندتها بني بكر على خزاعة حليفة المسلمين، ودعمتهم بالخيل والسلاح والرجال. فقال رسول الله: **«نصرت يا عمرو بن سالم، لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب»** ولما عرض السحاب من السماء قال: **«إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»**[٢] وقد جاء عمرو بن سالم إلى المدينة وأنشد قصيدة بين يدي رسول الله ﷺ جاء فيها:

يا رب إني ناشد محمداً ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا

قد كنتم وُلْداً، وكنا والداً ... ثُم أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر هداك الله نصراً أعتدا ... وادع عباد الله يأتوا مدداً

فيهم رسول الله قد تجردا ... إن سيم خسفا وجهه تربدا

إلى أن قال:

وزعموا أن لست أدعو أحداً ... وهم أذل وأقل عددا

هم بيتونا بالوتير هجّدا ... وقتلونا ركّعا وسجداً

وبعثت قريش أبا سفيان إلى المدينة لتمكين الصلح وإطالة أمده، وعندما وصل إلى المدينة ودخل على رسول الله يعرض حاجته، أعرض عنه النبي ﷺ ولم يجبه فاستعان بكبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي حتى يتوسطوا بينه وبين رسول الله، فأبوا جميعًا، فعاد أبو سفيان إلى مكة من غير أن يحظى بأي اتفاق أو عهد[٣]، وكانت لعلي رضي الله عنه في فتح مكة مواقف متعددة منها:

١- إحباط محاولة تجسس لصالح قريش:

عن حسن بن محمد بن علي عن عبيد الله بن أبي رافع أنه سمع عليًا يقول:

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد صالح (١/ ١٤١، ١٤٢).

(٢) البداية والنهاية (٤/ ٢٧٨).

(٣) التاريخ السياسي والعسكري د. علي معطي ص٣٦٥.

بعثني رسول الله ﷺ يقول أنا والزبير والمقداد، فقال: **«انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخٍ، فإنَّ بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها»**. فانطلقنا تَعَادى بنا خيلُنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي من كتاب. قلنا لتُخرجنَّ الكتاب أو لنُلقينَّ(١) الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عِقاصِها، فأخذنا الكتاب، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله: **«يا حاطب ما هذا؟»** قال: لا تعجل عليَّ، إني كنت امرأً مُلْصَقًا في قريش، ولم أكن من أنفُسها، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النَسب فيهم أن أتَّخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله: **«إنه قد صدقكم»**. فقال عمر: دَعْني أضرب عُنُق هذا المنافق. فقال: **«إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلَعَ إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»**(٢).

٢- أجرنا من أجرت يا أم هانئ:

قالت أم هاني بنت أبي طالب - أخت علي ﷺ - لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فر إليَّ رجلان من أحمائي، من بني مخزوم، وكانت عند هُبيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل عليَّ علي بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل أخذ ثوبه، فتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى، ثم انصرف إليَّ فقال: **«مرحبًا وأهلاً يا أم هانئ ما جاء بك؟»** فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليّ، فقال: **«قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت، فلا يقتلهما»**(٣)، وبناء على ما تقدم، فإنَّ تأمين المسلم للكافر من أهل الحرب يجعله في أمان، ومن ثمّ، فلا يجوز للمسلمين أن يتعرَّضوا له بشيء.. وحتى يُصَانَ حقُّ التأمين هذا من أي ضرر يمكن أن يلحق بالمسلمين من جرَّائه - فقد شرط

---

(١) في رواية: أو لنقلبن.

(٢) إسناده صحيح، الموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم ٦٠٠.

(٣) صحيح السيرة ص ٥٢٧.

الفقهاء لصحَّته أن يتجـرَّدَ مُعْطي الأمان من التُّهَمة، ويَخْلُو ذلك الأمان الممنوح من أيَّة مَفْسَدَة[١]، أو يرفع الأمر إلى ولي الأمر ليرى رأيه فيه.

٣- مقتل الحويرث بن نقيذ بن وهب:

في هذا الفتح العـظيم، كان النبي ﷺ قد عـهد إلى أمرائه ألا يـقاتلوا إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دمَ نفر سمّاهم وإن وجـدوا تحت أستار الكعبة، منهم الحويرث ابن نقيـذ بن وهب، كان ممن يؤذي النبي ﷺ بمكة، ولما تحمل الـعباس بفـاطمة وأم كلثوم، نخس[٢] بهمـا الحويرث الجَمل الذي هما علـيه فسقطتـا على الأرض، فلما أهدر دمُه وظفر به عليٌّ قتله[٣].

٤- علي رضي الله عنه في مهمة إصلاحية:

أرسله الرسول ﷺ إلى بني جـذيمة، ليتـلافى خطأ خـالد بن الوليد في قـتل بعضهم، وذلك أن الرسول ﷺ بعث خالد في السنة الثامنة للهجرة عقب فتح مكة، إلي بني جذيمة يدعوهم إلى الإسلام فلم يحسـنوا أن يقولوا أسلمنا، وقالوا: صبأنا، فأخذ خالد يقتل منهم ويأسر. . . فلما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خالد، رفع يديه فقال: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع**»، مرتين[٤]، فبعث الرسول ﷺ عليًا إليهم، لينظر في أمرهم وبعث معه بمال، فقام علي بمهمته خير قيام، فودى إليهم، وعوضهم عما أصيب في الدماء والأمـوال حتى أنه ليدي ميلغة[٥] الكلب، ولما انتهى من ذلك كله، سألهم هـل بقي لكم بقية من دم أو مـال لم يود إليكم؟ قالوا: لا قـال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال، احتياطيًا لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون، ففعل ولما رجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره بالخبر قال: «**أصبت وأحسنت**»[٦] وبهذه المهمـة الجليلة الموفـقة، أزال علي رضي الله عنه همـا وحملاً أثقـل الرسول ﷺ[٧]، وبهذا

---

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (٣/ ١٠٥١).

(٢) نخس الدابة: هيجها.

(٣) فتح الباري (٨/ ١١)، السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٥٨ ، ٥٩).

(٤) البخاري رقم ٤٣٣٩.

(٥) ميلغة: اسم آلة، والفعل «يلغ» بمعنى يشرب ويطلق على الكلمة.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٧٢ ـ ٧٣) إسناده ضعيف وله شواهد.

(٧) خلافة علي بن أبي طالب ص٤٦.

الهدي النبـوي الحكيم واسى النبي ﷺ بنى جذيمـة، وأزال ما في نفوسـهم من أسى وحزن[١]، وكان قتل خـالد لبني جذيمة تأولا منه واجتهـادا خاطئا، وذلك بدليل أن الرسول ﷺ لم يعاقبه على فعله[٢] ولم يعزله.

٥ - علي رضي الله عنه في غزوة حنـين.

من أعماله الجهادية التي تتسم بالشجـاعة وتدل على الخبرة في القتال ما كان في غزوة حنين في العـام الثامن من الهجرة، فقـد ثبت مع الرسول ﷺ، ومع من ثبت معه من المهاجرين والأنصار، وكان في جيش هوازن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمـحه لمن وراءه فاتبعوه، فأدرك علي بعبـقريته الحـربية، وتجربتـه الطويلة، أن لهذا الرجل عـاملاً مؤثراً في حـماس هوازن وشدتها، فـاتجه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورجل من الأنصار نحـوه واستطاعا إسقـاطـه من على جـمله وقتله، فـما كـانت إلا ساعة حـتى انهزمـوا وولوا الأدبار وانتصر المسلمون[٣].

٦ - سرية علي رضي الله عنه لهدم الصنم الفلس في بلاط طيء:

بعد أن طهر النبي ﷺ البيت الحرام من الأوثان التي كانت فيه، كان لابد من هدم البيوت التي كانت معـالم للجاهلية ردحا طويلا من الزمن[٤] فكانت سرايا رسول الله ﷺ تترى لتطـهير الجـزيرة منها، فكانت من نصـيب علي رضي الله عنه صنم الفلس في بلاد طيء، ففي ربيع الآخـر خرجت سريـة علي بن أبي طالب إلى الفلس ـ صنم لطئ ـ ليهـدمه، وكان تعدادها خـمسين ومائة رجل من الأنصـار، على مائة بعير وخـمسين فرسًا، ومعه راية سوداء ولواء أبيض، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم ـ حاتم الطائي الذي ضرب المثل بجوده ـ مع الفجر فهدموا الفلس وخربوه، وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وفي السبي أخت عدى بن حاتم، وهرب عدى إلى الشام[٥].

---

(١) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٤٦٥).
(٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص٥٧٩.
(٣) مسند أبي يعلى (٣/ ٣٨٨)، حسن الإسناد، الصحيح المسند ص١٤١ للعدوي.
(٤) معين السيرة ص٢٩٤.
(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ص٦٢٤.

سابعًا: استخلاف النبي ﷺ لعلي على أهل بيته في على المدينة في غزوة تبوك ٩هـ:

كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، وتحققت منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب، ومجرى الحوادث في تاريخ الإسلام[(١)]، واستخلف رسول الله ﷺ على أهله في المدينة عليًا وكان الوالي على المدينة في تلك الغزوة محمد بن مسلمة، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس عما بداخلهم من حقد ونفاق، فأخذوا يتكلمون في عليّ رضي الله عنه بما يسيء إليه، فمن ذلك قولهم ما تركه إلا لثقله عليه وهذا العمل والقول السيء منهم في حقه، علامة بارزة واضحة على نفاقهم، ففي الحديث الصحيح أن عليًا رضي الله عنه قال: «**والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق**»[(٢)] عند ذلك أدرك علي الجيش، وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله أتخلفني في الصبيان والنساء، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي**»[(٣)].

ثامنا: علي رضي الله عنه ودوره الإعلامي في حجة أبي بكر بالناس ٩هـ:

كانت تربية المجتمع وبناء الدولة في عهد النبي ﷺ مستمرة على كل الأصعدة والمجالات العقائدية والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية والعسكرية والتعبدية، وكانت فريضة الحج لم تمارس في السنوات الماضية، فحجة عام ٨ هـ بعد الفتح كلف بها عتاب بن أسيد، ولم تكن قد تميزت حجة المسلمين عن حجة المشتركين[(٤)]، فلما حل موسم الحج أراد ﷺ الحج ولكنه قال: «**إنه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت، فلا أحب أن أحج**» وكان ذلك سنة ٩هـ، فخرج أبو بكر ومعه عدد كبير من الصحابة[(٥)]، وساقوا معهم الهدى[(٦)]، فلما خرج الصديق بركب الحجيج نزلت سورة

---

(١) المرتضى للندوي ص٥٥.

(٢) مسلم رقم ٧٨.

(٣) البخاري رقم ٤٠٤٢.

(٤) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/٥٣٦)، دراسات في عهد النبوة ص٢٢.

(٥) نظرة النعيم (١/٩٨)، الطبقات الكبرى (٢/١٦٨).

(٦) فتح الباري (٨/ ٨٢).

براءة، فدعا النبي ﷺ عليًا رضي الله عنه وأمره أن يلحق بأبي بكر الصديق، فخرج على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك الصديق أبا بكر بذي الحليفة، فلما رآه الصديق قال له: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم سارا، فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية، وكان الحج في هذا العام في ذي الحجة كما دلت على ذلك الروايات الصحيحة لافى شهر ذي القعدة كما قيل، وقد خطب الصديق قبل التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم النفر الأول، فكان يعرف الناس مناسكهم: في وقوفهم وإفاضتهم، ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات.. إلخ وعلي يخلفه في كل موقف من هذه المواقف، فيقرأ على الناس صدر سورة براءة ثم ينادي في الناس بهذه الأمور الأربعة، لا يدخل في الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فعهده إلى مدته، ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا[1]، وقد أمر الصديق رهط آخر من الصحابة لمساعدة علي بن أبي طالب في إنجاز مهمته[2].

إن نزول صدر سورة براءة يمثل مفاصلة نهائية مع الوثنية، وأتباعها، حيث منعت حجهم وأعلنت الحرب عليهم[3].

قال تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ① فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ② وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ١-٣] وقد أمهل المعاهدون لأجل معلوم منهم إلى انتهاء مدتهم قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

كما أمهل من لاعهد له من المشركين إلى انسلاخ الأشهر الحرم، حيث يصبحون بعدها في حالة حرب مع المسلمين قال تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا

---

(١) مسند الإمام أحمد الموسوعة الحديثية رقم٥٩٤ حديث صحيح.
(٢) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/٥٣٧).
(٣) نظرة النعيم (١/٣٩٩).

الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

وقد كلف النبي ﷺ عليًّا باعلان نقض العهود على مسامع المشركين في موسم الحج، مراعاة لما تعارف عليه العرب فيما بينهم في عقد العهود ونقضها. أن لا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، وهذا العرف ليس فيه منافاة للإسلام، فلذلك تدارك النبي ﷺ الأمر وأرسل عليا بذلك، فهذا هو السبب في تكليف علي بتبليغ صدر سورة براءة لا مازعمته الرافضة من أن ذلك للإشارة إلى أن عليًا أحق بالخلافة من أبي بكر، وقد علق الدكتور محمد أبو شهبة فقال: ولا أدري كيف غفلوا عن قول الصديق: أمير أم مأمور[1]؟ وكيف يكون المأمور أحق بالخلافة من الأمير[2]، وقد كانت هذه الحجة بمثابة التوطئة للحجة الكبرى وهي حجة الوداع، لقد أعلن في حجة أبي بكر أن عهد الأصنام قد انقضى، وأن مرحلة جديدة قد بدأت، وما على الناس إلا أن يستجيبوا لشرع الله تعالى، فبعد هذا الإعلان الذي انتشر بين قبائل العرب في الجزيرة، أيقنت تلك القبائل أن الأمر جد، وأن عهد الوثنية قد انقضى فعلاً فأخذت ترسل وفودها معلنة إسلامها ودخولها في التوحيد[3].

تاسعا: علي رضي الله عنه ووفد نصارى نجران، وآية المباهلة ٩ هـ:

كتب رسول الله ﷺ إلى نجران[4] كتابا قال فيه: «**أما بعد؛ فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية. فإن أبيتم آذنتكم بحرب. والسلام**»[5] فلما أتي الأسقف الكتاب، جمع الناس وقرأه عليهم، وسألهم عن الرأي فيه؟ فقرروا أن يرسلوا إليه وفدا يتكون من أربعة عشر من أشرافهم، وقيل ستين راكبا، منهم ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم: العاقب، وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذين يصدرون عن رأيه، والسيد وهو صاحب رحلتهم، وأبو الحارث أسقفهم، وحبرهم وصاحب مدارسهم[6]، ولما جاء وفد نصارى نجران إلى

---

(١) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٤٠)، صحيح السيرة ص٦٢٤.
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٤٠).
(٣) قراءة سياسية للسيرة النبوية ص٢٨٣.
(٤) نجران بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن.
(٥) البداية والنهاية (٥/ ٤٨).
(٦) المصدر نفسه (٥/ ٤٨) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٤٧).

رسول الله ﷺ بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللا لهم يجرونها من الحبرة، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه طويلاً، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنهما وكانا معرفة لهم، كانا يخرجان العير في الجاهلية إلى نجران، فيشترى لهما من برها وثمرها وذرتها، فوجدوهما في ناس من الأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان، ويا عبدالرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب، فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه، فلم يرد علينا سلامنا، وتصدينا لكلامه نهارا طويلا، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أنعود؟.

فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ قال: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد ذلك، فوضعوا حللهم وخواتيمهم، ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فرد سلامهم، ثم سألهم وسألوه فلم تزل بهم وبه المسألة[1] وقالوا لرسول الله ﷺ: كنا مسلمين قبلكم فقال النبي ﷺ: «يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن لله ولدًا»[2]، وكثر الجدال والحجاج بينه وبينهم، والنبي يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة، وكان مما قالوه لرسول الله ﷺ ما لك تشتم صاحبنا وتقول إنه عبدالله، فقال: «أجل إنه عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانا قط من غير أب، فإن كنت صادقا فأر مثله؟ فأنزل الله في الرد عليهم قوله سبحانه ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠]. فكانت حجة دامغة شبه فيها الغريب بما هو أغرب منه[3]، فلما لم تُجد معهم المجادلةَ بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة[4]، امتثالا لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٢٩-٦٣٨).

(٢) المصدر نفسه (٣/ ٦٣٣).

(٣) المصدر نفسه (٣/ ٦٣٣).

(٤) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٤٧).

﴿الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. وخرج النبي ﷺ ومعه علي والحسن والحسين وفاطمة وقال: «وإذا أنا دعوت فأمّنوا»(١)، فائتمروا فيمـا بينهم، فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبي حقا، وأنه ما باهل قوم نبـيًا إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب، وألف في صفر(٢).

عاشرًا: علي رضي الله عنه داعيًا وقاضيًا في اليمن ١٠هـ:

بعد فتح مكة استـجابت القبائل العربية بالجـزيرة إلى الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يرسل الدعاة إلى القـبائل التي لم تستجب بعـد، فأرسل عليًّا رضي الله عنه إلى همدان باليمن وهذا البراء بن عازب رضي الله عنه يحدثنا عـمّا حدث في ذهابه مع علي رضي الله عنه لليمن فيقول: . . فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القـوم الخبر، فجمعوا له، فصلى علي بنا الفجر، فلما فـرغ، صفنا صفًا واحدًا ثم تقدم بين أيدينا، فـحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فلما قرأ كتابه خر ساجدا، وقال: «السلام على همدان، السلام على همدان»(٣). لقد كان رسول الله ﷺ حريصا على الجبـهة الجنوبية للدولة وأن تدخل قبائل اليمن في الإسـلام، وظهر هذا الاهتمام في النتائج الباهرة التي حقـقتها الدعوة في كـثرة عدد الوفـود التي كانت تنساب من كل أطراف اليـمن متجـهة إلى المدينة مما يدل على أن نشـاط المبعوثين إلى اليـمن كان متـصلا وبعيـد المدى، وكانت سرايا رسول الله ﷺ تساند هذا النشاط الدعوي السلمي، حيث بعث خالد بن الوليد ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد كان ﷺ يركز على مفاصل القوى، ومراكز التأثير في المجتمعات وبناء الدول ومارس هذا الفقه العظيم في حياته(٤).

هذا وقد أمـر رسول الله ﷺ عليًّا بأن يقضي بين الناس فـي اليمن، وهذا علي رضي الله عنه يحدثنا بنفسه حيث قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت له: يا رسول الله تبعـثني إلى قوم أسن مني وأنا حـدث لا أبصر القـضاء، قال: فـوضع يده على

---

(١) المصدر نفسه (٢/ ٥٤٧).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٤٧).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٦٢٢) إسناده صحيح.

(٤) السيرة النبوية للصلاّبي (٢/ ٥٩٦)، الفقه السياسي للوثائق ص٢٣١.

صدري، وقال: «**اللهم ثبّت لسانه و اهد قلبه، يا علي إذا جلس إليك[(١)] الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر، ما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء**»، قال: فما اختلف علي قضاء بعد أو ما أشكل علي قضاء بعد[(٢)].

لقد احتاج اليمنيون بعد انتشار الإسلام في بلادهم من يفقههم في أمور دينهم، ويعلمهم ويقضي بينهم بحكم الله عز وجل، فبعث رسول الله ﷺ عددا من الصحابة إلى أرجاء اليمن منهم معاذ وأبوموسى الأشعري، وكان من أفضلهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وقد حفظت لنا كتب التاريخ والحديث والفقه مجموعة من القضايا التي حكم فيها علي رضي الله عنه وهو باليمن منها:

١- قضاؤه في الأربعة الذين تدافعوا عند زبية[(٣)] للأسد:

عن حنش عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فانتهينا إلى قوم قد بنوا زُبيَةَ[(٤)]، للأسد فبينما هم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل فتعلق بآخر، ثم تعلق رجل بآخر، حتى[(٥)] صاروا فيه أربعة فَجَرَحَهم الأسد، فانتدب له رجل بِحَرْبة فقتله، وماتوا من جراحتهم كلهم فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر، فأخرجوا السلاح ليقتتلوا، فأتاهم علي على تفيئة ذلك[(٦)]، فقال: تريدون أن تقاتلوا ورسول الله ﷺ حيٌ إني أقضي بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء وإلا حجز بعضكم عن بعض، حتى تأتوا النبي ﷺ فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمن عَدا بعد ذلك فلا حق له، اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة، فللأول الربع لأنه أهلك من فوقه، وللثاني ثلث الدية، وللثالث نصف الدية، فأبوا أن يرضوا فأتوا النبي ﷺ وهو عند مقام إبراهيم فقصُّوا عليه القصة، فقال: أنا أقضي بينكم واحتبى فقال رجل من القوم: إن عليًّا قضى فينا فقصُّوا عليه فأجازه رسول الله ﷺ[(٧)].

---

(١) جلس الخصمان.

(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٨٧١) إسناده حسن رقم ١٩٩٥ .

(٣) الزبية: حفرة تحفر للأسد، ولا تحفر إلا في مكان عال من الأرض.

(٤) الحفرة في الأرض: القاموس (٤/ ٣٤٠)، تاج العروس (١٠/ ١٦).

(٥) فضائل الصحابة (٢/ ٩٠٠) رقم ١٢٣٩ إسناده حسن.

(٦) تفيئة ذلك: أي أثره، النهاية (٣/ ٤٨٣).

(٧) فضائل الصحابة رقم ١٢٣٩ إسناده صحيح.

٢- ثلاثة وقعوا على امرأة في طهر:

عن زيد بن أرقم أنه قال: أتي علي بثلاثة وهو باليمن وقعوا على امرأة في طهر واحد، فسأل اثنين: أتقران لهذا بالولد؟ قالا: لا حتى سألهم جميعـا، فجعل كلما سأل اثنين، قال: لا، فأقرع بينهم، فألحق الـولد بالذي صارت عليه القرعة، وجعل عليه ثلثي الدية[1]، قال فـذكر ذلك لنبي الله ﷺ فضحك حـتى بدت نواجذه[2]. وكان ضحك رسول الله ﷺ فرحًا ومسروراً بتوفيق الله تعالى عليًا للصواب.

ولذلك أقرّه على ذلك[3] ويحتـمل أن ما حـصل من أولئك النفر إنما كـان قبل إسلامهم، لأن فعلهم محرم في دين الله تعالى[4].

الحادي عشر: علي رضي الله عنه في حجة الوداع:

أدرك عليٌّ رضي الله عنه رسول الله في حجة الوداع، ونحـر رسول الله ثلاثًا وستين بدنة بيده، وكان عدد هذا الذي نحره عدد سنيٍّ عمره، ثم أمسك، وأمر عليًّا أن ينحر ما بقي من المائة، فـفعـل وأكمل العـدد، وقد وصف لنـا علي رضي الله عنه بعض المناسك في حجته مع رسول الله ﷺ ، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أن النبي ﷺ وقف بعرفة وهو مُردف أسامـة بن زيد، فقال: «**هذا الموقف وكل عرفـة موقف**»، ثم دفع يسير العَنَقَ، وجـعل الناس يضربون يمـينًا وشمـالاً، وهو يلتفت ويقـول: «**السكينة أيهـا الناس، السكينة أيهـا الناس**» حـتى جاء المزدلفـة، وجمع بين الصـلاتين، ثم وقف بالمُزدلفة، فـوقف على قُزَحَ، وأردف الفضل بن عبّـاس، وقال: «**هذا الموقف، وكل المزدلفـة موقف**» ثم دفع وجعـل يسير العَنَقَ، والـناس يضربون يمينًا وشـمالا، وهو يلتفـت ويقول: «**السَّكينة، السَّكينة، أيهـا الناس**» حتى جـاء مُحسِّرًا فقـرع راحلته فخبَّت، حتى خرج، ثم عاد لسَيْره الأول، حـتى رمى الجمرة، ثم جاء المَنْحَر فقال: «**هذا المَنحَر، وكلّ مـنى منْحَر**». ثم جاءت أمـرأة شابة من خَثْعَمَ، فـقالت: إنْ أبي شيخ كبير، وقد أفنَدَ، وأدركته فريضة الله في الحَجِّ، ولا يستطيع أداءها، فيُجزئ عنه

(١) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص٨٧.

(٢) نواجذه: جمع ناجذ: آخر الأضراس، وللإنسـان أربعة نواجذ وهناك رواية أخرى في فضائل الصحابة رقم ١٠٩٥ إسناده حسن لغيره.

(٣) سنن النسائي (٦/ ١٨٢) حاشية السندي.

(٤) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص٨٨.

أن أؤديها عنه؟ قال رسول الله ﷺ : «نعم»، وجعل يصرفُ وجه الفضل بن العباس عنها. ثم أتاه رجل فقال: إني رميت الجمرة، وأفضت ولبستُ ولم أحْلِقْ. قال: «فلا حرج، فاحْلِق». ثم أتاه رجل آخر، فقال: إني رميت وحلفت ولبست ولم أنحر. فقال: «لا حرج فانحر». ثم أفاض رسول الله ﷺ ، فدعا بسَجْلٍ من ماء زمزم، فشربَ منه وتوضأ، ثم قال: «انزعوا[1] يا بني عبد المطلب، فلولا أن تُغْلَبُوا عليها لَنَزَعْتُ». قال العباس: يا رسول الله، إني رأيتك تصرف وجه ابنِ أخيك؟ قال: «إني رأيتُ غلامًا شابًا، وجارية شابة، فخشيت عليهما الشيطان»[2]، وقد كان علي رضي الله عنه يعلن على الناس ما أمره به النبي ﷺ ، فعن عمرو بن سُليم عن أمه قالت بينما نحن بمنى إذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «إن هذه أيام أكل وشرب، فلا يصومها أحد» واتَّبع الناس على جمله يصرخ بذلك[3].

الثاني عشر: تشرفه بغسل النبي ﷺ ودفنه:

لما توفي النبي ﷺ كان علي ممن باشر غسله مع الفضل بن العباس وأسامة بن زيد[4]، وقال علي رضي الله عنه : غسلت رسول الله ﷺ ، فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئًا وكان طيبًا حيًا وميتًا[5]، وقال: بأبي الطيب، طبت حيًّا وطبت ميتًا[6]، وكان علي رضي الله عنه من ضمن من نزل في قبر رسول الله وباشروا دفنه هو والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ[7]، لقد كان لنبأ وفاة رسول الله على الصحابة الكرام كالصاعقة لشدة حبهم له وما تعوّدوه من العيش في كنفه، عيش الأبناء في حجر الآباء، بل أكثر من ذلك، وكان حظ أهل البيت والأسرة الهاشمية ـ وعلى رأسها فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ـ أوفر وأكثر بطبيعة الحال،

---

(١) المرتضى للندوي ص٥٧ وقد جاء في رواية البخاري أن النبي ﷺ نحر سبع بدن بيده قياما رقم ١٧١٢ وكلف علي بالإشراف على قسمتها وهي مائة رقم ١٧١٨ النزع: استخراج الماء من زمزم لسقي الحجيج.

(٢) مسند أحمد (٢/ ٩) الموسوعة الحديثية رقم ٥٦٤ إسناده حسن.

(٣) المصدر نفسه رقم ٥٦٧ إسناده صحيح.

(٤) أبو داود (٣/ ٢١٣) عن الشعبي مرسلا رقم ٣٢٠٩ صححه الألباني في أحكم الجنائز ص٥١.

(٥) سنن ابن ماجه (١/ ٣٦٢) رقم ١٤٦٧ صححه الألباني في أحكام الجنائز ص٥٠.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٣٢١).

(٧) المصدر نفسه (٤/ ٣٢١).

وبحكم الفطرة السليمة والقرابة القريبة، وما يمتازون به من رقة الشعور، وقوة العطافة، وشدة الحب ولكن احتملوه بقوة إيمانهم والرضا بقضاء الله والاستسلام لأمره[١].

الثالث عشر: قصة الكتاب الذي هم النبي ﷺ بكتابته في مرض موته:

ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: لما حُضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ : **«هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده»**، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ : **«قوموا»**. قال عبد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب الكتاب لاختلافهم ولغطهم[٢]. وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: **«ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا فتنازعوا»**، ولا ينبغي عند نبي نزاع، فقالوا: ما شأنه؟ أهجر، استَفْهِمُوه، فذهبوا يردون عليه فقال: **«دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه»**، وأوصاهم بثلاث، قال: **«أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالث، أو قال: فنسيها»**[٣]. وليس فيما ثبت في هذا الحديث ورواياته الصحيحة أي مطعن على أصحاب رسول الله، وأما ما ذكره الروافض من مطاعن فباطلة معلومة الفساد، وقد أجاب العلماء قديما عن بعضها ومن هذه الردود:

١ ـ إن اختلاف الصحابة ثابت، وكان سببه اختلافهم في فهم قول الرسول ﷺ ومراده لا عصيانه، قال القرطبي صاحب المفهم: وسبب ذلك أن ذلك كله إنما حمل عليه الاجتهاد المسوغ، والقصد الصالح، وكل مجتهد مصيب، أو أحدهما مصيب، والآخر غير مأثوم بل مأجور كما قررناه في الأصول[٤] ثم ذكر أن النبي ﷺ لم

---

(١) المرتضى للندوي ص٥٩.

(٢) البخاري رقم ٤٤٣٢.

(٣) البخاري رقم ٤٤٣١.

(٤) المفهم لما أشكل على تلخيص كتاب مسلم (٤/٥٥٩).

يعنفهم ولاذمهم بل قال: للجميع: «**دعوني فالذي أنا فيه خير**»[١]. وهذا نحو ما جرى لهم يوم الأحزاب حيث قال لهم الرسول ﷺ: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**»[٢]، فتخوف ناس فوات الوقت، فصلوا دون بني قريظة وقال آخرون لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ فما عنف أحد الفريقين[٣].

٢ ـ وأما ما ادعاه الروافض من أن اختلاف الصحابة وما ترتب عليه من عدم كتابة النبي ﷺ لهم ذلك الكتاب هو الذي حرم الأمة من العصمة، فهذا باطل لأنه يعني أن الرسول ﷺ قد ترك تبليغ أمته ما فيه عصمتها من الضلال، ولم يبلغ شرع ربه لمجرد اختلاف أصحابه عنده حتى مات على ذلك، وأنه بهذا مخالف لأمر ربه في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [المائدة: ٦٧] وإذا كان الرسول ﷺ مبرأ من ذلك ومنزهًا بتزكية ربه له في قوله: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٢٨]، فوصفه بالحرص على أمته، أي على هدايتهم، ووصول النفع الدنيوي والأخروي لهم، ذكره ابن كثير في تفسيره[٤]، وإذا كان هذا الأمر معلومًا بالاضطرار من دين الإسلام عند الخاص والعام، لا يشك فيه من في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان، أن هذا الرسول الكريم قد بلغ كل ما أمر به، وكان أحرص ما يكون على أمته، بما هو متواتر من جهاده وتضحيته، وأخباره الدالة على ذلك، علمنا علمًا يقينًا لا يشوبه أدنى شك، أنه لو كان الأمر كما يذكر الروافض من الوصف لهذا الكتاب من أن به عصمة الأمة من الضلال في دينها، ورفع الفرقة، والاختلاف فيما بينها، إلى أن تقوم الساعة، لما ساغ في دين ولا عقل أن يؤخر رسول الله كتابه إلى ذلك الوقت الضيق، ولو أخره ما كان ليتركه لمجرد اختلاف أصحابه عنده[٥]، ولا يتصور أن النبي ﷺ بترك أمر ربه، ولو قدر أنه تركه في ذلك الوقت لتنازعهم عنده لمصلحة رآها فما الذي يمنعه من أنه يكتبه بعد ذلك، وقد ثبت أنه عاش بعد ذلك عدة

---

(١) البخاري رقم ٤٤٣١.
(٢) البخاري رقم ٤١١٩.
(٣) المفهم (٤/٥٥٩).
(٤) تفسير ابن كثير (٢/٤٠٤).
(٥) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص٢٥١، الانتصار للصحب والآل ص٢٢٨، ٢٢٩.

أيام، فقد كانت وفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ يوم الاثنين على ما جاء مصرحا به في رواية أنس في الصحيحين[١]، وحادثة الكتاب يوم الخميس بالاتفاق[٢]، وقد ثبت باتفاق السنة والرافضة، أن رسول الله لم يكتب ذلك الكتاب حتى مات، علمنا أنه ليس من الدين الذي أمر بتبليغه لما دل عليه القرآن من أن الله قد أكمل له ولأمته الدين، فأنزل عليه قبل ذلك في حجة الوداع: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ [المائدة:٣]، قال ابن تيمية: ولم تكن كتابة الكتاب مما أوجبه الله عليه أن يكتبه أو يبلغه في ذلك الوقت، إذ لو كان كذلك لما ترك ﷺ ما أمره الله به، لكن ذلك مما رآه مصلحة لدفع النزاع في خلافة أبي بكر، ورأى أن الخلاف لابد أن يقع[٣]. وقال في موضوع آخر: وأما قصة الكتاب الذي كان رسول الله ﷺ يريد أن يكتبه، فقد جاء مبينًا كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: **«ادعى لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول، قائلاً: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»**[٤]. إلى أن قال بعد ذكر روايات الحديث: والنبي ﷺ قد عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة، فلما رأى أن الشك قد وقع، علم أن الكتاب لايرفع الشك، فلم يبق فيه فائدة، وعلم أن الله يجمعهم على ما عزم عليه كما قال: **«ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»**[٥]. وأما قوله في الحديث: **«لن تضلوا بعدي»** فيقول الدهلوي في توجيهه: فإن قيل لو لم يكن ما يكتب أمرا دينيا فلم قال: لن تضلوا بعدي؟ قلنا: للضلال معان، والمراد به هنا عدم الخطأ في تدبير الملك، وهو إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد بنحو ما كان يجيزه، وتجهيز جيش أسامة منه، لا الضلالة والغواية عن الدين وهو ما فعله أبوبكر والصحابة من بعده[٦].

٣ ـ وأما معنى قول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ

---

(١) البخاري رقم (٤٤٤٨)، ومسلم رقم (٤١٩).
(٢) الانتصار للصحب والآل ص٢٢٩.
(٣) منهاج السنة (٦/٣١٦).
(٤) مسلم رقم (٢٣٨٧).
(٥) منهاج السنة (٦/ ٢٣، ٢٥).
(٦) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص٢٥١.

وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب[١]، فكما قال ابن تيمية في معناه: يقتضي أن الحائل كان رزية، وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق، واشتبه عليه الأمر، فإنه لو كان هناك كتاب لزال الشك، فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية في حقه ولله الحمد[٢]، ويوضح ذلك أن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ ما قال ذلك إلا بعد ظهور أهل الأهواء والبدع، من الخوارج والروافض، نص على هذا ابن تيمية[٣]، وابن حجر[٤].

٤ ـ وأما ادعاؤهم أن النبي ﷺ أراد بذلك الكتاب أن ينص على خلافة علي رضي الله عنه وزعم بعض الروافض أنه ليس هناك تفسير معقول غيره وهذا الادعاء باطل قال ابن تيمية: ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضال باتفاق عامة الناس، من علماء السنة والشيعة، أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه، وأما الشيعة القائلون بأن عليًا كان مستحقًا للإمامة فيقولون: إنه قد نص على إمامته قبل ذلك نصًا جليًا ظاهرًا معروفًا، وحينئذ فلم يكن يحتاج إلى الكتاب[٥].

٥ ـ وأما طعن الروافض على عمر رضي الله عنه وزعمهم بأنه قد اتهم رسول الله ﷺ بأنه لا يعي ما يقول، وقال «إنه يهجر» ولم يمتثل قوله، وقال: «عندكم كتاب الله»، «حسبنا كتاب الله»، فجوابه، أن ما ادعاه أولاً بأن عمر اتهم رسول الله بالهجر وأنه لا يعي ما يقول فهذا باطل، وذلك أن هذه اللفظة (أهجر) لا تثبت عن عمر رضي الله عنه أصلا، وإنما قالها بعض من حضر الحادثة من غير أن تعين الروايات الواردة في الصحيحين قائلها، وإنما الثابت فيها «فقالوا ما شأنه أهجر»[٦]، هكذا بصيغة الجمع دون الإفراد، ولهذا أنكر بعض العلماء أن تكون هذه اللفظة من كلام عمر، قال ابن حجر: ويظهر لي ترجيح ثالث الاحتمالات، التي ذكرها القرطبي، ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله في الإسلام، وكان يعهد أن من اشتد عليه الوجع، قد يشتغل

---

(١) البخاري رقم (٤٤٣٢).
(٢) منهاج السنة (٦/ ٢٥).
(٣) منهاج السنة (٦/ ٣١٦).
(٤) فتح الباري (١/ ٢٠٩).
(٥) منهاج السنة (٦/ ٢٥) الانتصار للصحب والآل ص(٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣).
(٦) البخاري رقم (٤٤٣١).

به عن تحرير ما يريد[١]، وقال الدهلوي: من أين يثبت أن قائل هذا القول هو عمر مع أنه وقع في أكثر الروايات(قالوا) بصيغة الجمع[٢].

إن الثابت الصحيح من هذه اللفظة أنها وردت بصيغة الاستفهام هكذا(أهجر؟) وهذا بخلاف ما جاء في بعض الروايات بلفظ(هجر، ويهجر) فإنه مرجوح على ما حقق ذلك المحدثون وشراح الحديث، منهم القاضي عياض[٣]، والقرطبي[٤]، والنووي[٥]، وابن حجر[٦]، فقد نصوا أن الاستفهام جاء على سبيل الإنكار ـ على من قال: لا تكتبوا[٧]، قال القرطبي بعد أن ذكر الأدلة على عصمة النبي ﷺ من الخطأ في التبليغ في كل أحواله وتقرر ذلك عند الصحابة: وعلى هذا يستحيل أن يكون قولهم(أهجر)، لشك عرض لهم في صحة قوله، زمن مرضه، وإنما كان ذلك من بعضهم على وجه الإنكار على من توقف في إحضار الكتف والدواة، وتلكأ عنه، فكأنه يقول لمن توقف: كيف تتوقف أتظن أنه قال:هذيانا، فدع التوقف وقرب الكتف، فإنه يقول الحق لا الهجر، وهذا أحسن ما يحمل عليه[٨]، وهذا يدل على اتفاق الصحابة على استحالة الهجر على الرسول ﷺ، حيث إن قائليها أوردوها على سبيل الإنكار الملزم، الذي لا يشك فيه المخالف، وبه تبطل دعوى الروافض من أصلها[٩].

٦ ـ أما ادعاؤهم من معارضة عمر لرسول الله ﷺ بقوله: عندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله، وأنه لم يمتثل أمر رسول الله ﷺ فيما أراد من كتابة الكتاب، فالرد على هذه الشبهة الواهية، أن عمر رضي الله عنه ومن كان على رأيه من الصحابة، ظهر لهم، أن أمر الرسول بكتابه الكتاب ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى

---

(١) فتح الباري (٨/ ١٣٣).
(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية(ص٢٥٠).
(٣) الشفا (٢/ ٨٨٦).
(٤) المفهم(٤/ ٥٥٩).
(٥) شرح صحيح مسلم (١١/ ٩٣).
(٦) فتح الباري (٨/ ١٣٣).
(٧) الانتصار للصحب والآل ص٢٢٨.
(٨) المفهم (٤/ ٥٥٩).
(٩) الانتصار للصحب والآل ص٢٨٩، وهذا المرجع من أحسن ما اطلعت عليه في الرد على هذه الشبهة.

الأصلح، وقد نبه على هذا القاضي عياض[١]، والقرطبي[٢]، والنووي[٣] وابن حجر[٤]، ثم إنه قد ثبت بعد هذا صحة اجتهاد عمر ﷺ وذلك بترك الرسول ﷺ كتابة الكتاب، ولو كان واجبًا لم يتركه لاختلافهم، لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف، ولهذا عد هذا من موافقات عمر[٥]، كما أن قول عمر ﷺ حسبنا كتاب الله، رد على من نازعه لا على أمر النبي ﷺ، وهذا ظاهر من قوله: عندكم كتاب الله، فإن المخاطب جمع وهم المخالفون لعمر ﷺ في رأيه، كما أن عمر ﷺ كان بعيد النظر، ثاقب البصيرة، سديد الرأي، وقد رأى أن الأولى ترك كتابة الكتاب - بعد أن تقرر عنده أن الأمر به ليس على الوجوب - وذلك لمصلحة شرعية راجحة للعلماء في توجيهها أقوال منها: شفقته على رسول الله مما يلحقه من كتابة الكتاب مع شدة المرض ويشهد لهذا قوله: إن رسول الله قد غلبه الوجع، فكره أن يتكلف رسول الله ما يشق ويثقل عليه[٦]، مع استحضار قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨] وقوله تعالى: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، قال النووي: وأما كلام عمر ﷺ فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث، على أنه من دلائل فقه عمر، وفضائله ودقيق نظره[٧].

كما أن عمر ﷺ كان مجتهدا في موقفه من كتابة الكتاب، والمجتهد في الدين معذور على كل حال، بل مأجور لقول النبي ﷺ: **«إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»**[٨]، فكيف وقد كان اجتهاد عمر بحضور رسول الله ﷺ فلم يؤثمه ولم يذمه به، بل وافقه على ما أراد من ترك الكتاب، وبهذا يظهر بطلان طعن الروافض على الصحابة في هذه الحادثة، وينكشف زيف ما قالوه في حقهم[٩].

---

(١) الشفا (٢/ ٨٨٧).
(٢) المفهم (٢/ ٥٥٩).
(٣) شرح النووي (١١/ ٩١).
(٤) فتح الباري (١/ ٢٠٩).
(٥) فتح الباري (١/ ٢٠٩).
(٦) الشفا (٢/ ٨٨٨).
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم(١١/ ٩٠)،الانتصار للصحب والآل ص٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢.
(٨) البخاري رقم (٧٣٥٢).
(٩) الانتصار للصحب والآل ص٢٩٤، ٢٩٥.

الفصل الثاني

علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الخلفاء الراشدين

المبحث الأول: علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الصديق رضي الله عنه:

أولاً: مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما بالخلافة:

وردت أخبار كثيرة في شأن تأخر علي عن مبايعة الصديق وكذا تأخر الزبير بن العوام، وجُلّ هذه الأخبار ليست بصحيحة وقد جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن عليًا والزبير رضي الله عنهما بايعا الصديق في أول الأمر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما توفى رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار.. فذكر بيعة السقيفة[1]، ثم قال: ثم انطلقوا فلما قعد أبوبكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليًا، فسأل عنه، فقام أناس من الأنصار، فأتوا به. فقال أبوبكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ، فبايعه ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاءوا به، فقال: ابن عمّة رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعاه[2]. ومما يدل على أهمية حديث أبي سعيد الخدري الصحيح أن الإمام مسلم ابن الحجاج صاحب الجامع الصحيح الذي هو أصح الكتب الحديثية بعد صحيح البخاري ـ ذهب إلى شيخه الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ صاحب صحيح ابن خزيمة، فسأله عن هذا الحديث، فكتب له ابن خزيمة الحديث، وقرأه عليه، فقال مسلم لشيخه ابن خزيمة: هذا الحديث يساوي بدنة، فقال ابن خزيمة: هذا الحديث لا يساوي بدنة[3] فقط، إنه يساوي بدرة مال[4]، وعلق على هذا الحديث ابن كثير ـ رحمه الله ـ فقال: هذا إسناد صحيح محفوظ، وفيه فائدة جليلة، وهي

---

(١) مجمع الزوائد (٥/ ١٨٣)رجاله رجال الصحيح (البداية والنهاية) ٥/ ٢٨١، قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح محفوظ.

(٢) المستدرك (٣/ ٧٦) السنن الكبرى (٨/ ١٤٣) بإسنادين صحيحين.

(٣) البدنة: ناقة أو بقرة تنحر بمكة ولعظمها وضخامتها سميت بدنة.

(٤) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار: والمعني: أنه كنز ثمين.

مبايعة علي ابن أبي طالب إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة، وهذا حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه[١]، وفي رواية حبيب بن أبي ثابت، حيث قال: كان علي بن أبي طالب في بيته، فأتاه رجل، فقال له: قد جلس أبوبكر للبيعة، فخرج عليّ إلى المسجد في قميص له، ما عليه إزار ولا رداء، وهو متعجِّل، كراهة أن يبطىء عن البيعة، فبايع أبابكر، ثم جلس، وبعث إلى ردائه فجاءوه به، فلبسه فوق قميصه[٢]. وقد سأل عمرو بن حريث سعيد بن زيد ﵁، فقال له: أشهدتَ وفاة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال له: متى بويع أبو بكر؟ قال سعيد: يوم مات رسول الله ﷺ، كره المسلمون أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة.

قال: هل خالف أحد أبابكر؟

قال سعيد: لا. لم يخالف إلا مرتد، أو كاد أن يرتد، وقد أنقذ الله الأنصار، فجمعهم عليه وبايعوه. قال: هل قعد أحد من المهاجرين عن بيعته؟ قال سعيد: لا لقد تتابع المهاجرون على بيعته[٣]، وكان مما قال علي ﵁ لابن الكواء وقيس بن عباد حينما قدم البصرة وسألاه عن مسيره قال: «لو كان عندي من النبي ﷺ عهد في ذلك ما تركت أخابني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهما ولو لم أجد إلا بردي هذا ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة، مكث في مرضه أياما وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبابكر فيصلي بالناس، وهو يرى مكاني، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال: أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر يصل بالناس فلما قبض الله نبيه ونظرنا في أمورنا، فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله لديننا، وكانت الصلاة أصل الإسلام وهي أعظم الأمور وقوام الدين، فبايعنا أبا بكر، وكان لذلك أهلا، ولم يختلف عليه منا

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٢٣٩).

(٢) الطبري (٣/ ٢٠٧) والأثر مرسل وفي الإسناد سيف بن عمر متروك، وعبدالعزيز بن سياه صدوق يتشيع تقريب(٣٥٧).

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٠٧) إسناد الخبر ضعيف انظر خلافة أبي بكر الصديق، عبدالعزيز سليمان ص٦٦.

اثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم نقطع منه البراءة، فأديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزوه إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي»[١].

وكان مما قال في خطبته على منبر الكوفة في ثناءه على أبي بكر وعمر: فأعطى المسلمون البيعة طاعين، فكان أول من سبق في ذلك من ولد عبد المطلب أنا[٢]، وجاءت روايات أشارت إلى مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنه في أول الأمر وإن لم تصرح بذلك، فعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: إن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه . . ثم قام أبو بكر فخطب الناس، واعتذر إليهم وقال: والله ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغبًا، ولا سألتها الله عز وجل في سر ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمرًا عظيمًا مالي به من طاقة ولابد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم. فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به قال علي رضي الله عنه والزبير: ما غضبنا إلا لأنا قد أخرنا عن المشاورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه، وكبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي[٣]. وعن قيس العبدي قال: شهدت خطبة علي يوم البصرة قال: فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي ﷺ وما عالج من الناس، ثم قبضه الله عز وجل إليه، ثم رأي المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه فبايعوا وعاهدوا وسلموا، وبايعت وعاهدت وسلمت، ورضوا ورضيت، وفعل من الخير وجاهد حتى قبضه الله عز وجل رحمة الله عليه[٤].

إن عليًا رضي الله عنه لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات وكان يشاركه في المشورة، وفي تدبير أمور المسلمين ويرى ابن كثير ومجموعة من أهل العلم أن عليًا جدد بيعته بعد ستة أشهر من البيعة الأولى أي

(١) تاريخ الإسلام، عهد الخلافة الراشدة ص٣٨٩ إسناده ضعيف خلافة أبي بكر الصديق عبدالعزيز سليمان ص٦٥.

(٢) أسد الغابة (٤/١٦٦ ، ٦٧) خلافة أبي بكر ص٦٦.

(٣) البداية والنهاية (٦/٣٤١) إسناده جيد خلافة أبي بكر ص٦٧.

(٤) السنة، عبدالله بن أحمد (٢/٥٦٣) رجال الإسناد ثقات.

بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، وجاءت في هذه البيعة روايات صحيحة[١]. ولكن لما وقعت البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليًّا لم يبايع قبلها، فنفى ذلك والمثبت مقدم على النافي[٢]. وهناك كتاب اسمه الإمام علي جدل الحقيقة والمسلمين الوصية والشورى لمحمود محمد العلي زعم صاحبه بأنه يبحث ويناشد الحقيقة، ولكن صاحبه لم يتخلص من المنهج الشيعي الرافضي في الطرح ووضع السمّ في العسل، ولذلك وجب التنبيه، وقد تعرض لبيعة علي رضي الله عنه، وزعم بأن أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة قائمة على الوصية.

ثانيا: علي رضي الله عنه ومساندته لأبي بكر رضي الله عنه في حروب الردة:

كان علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه عيبة[٣] نصح له، مرجحا لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أي شيء آخر، ومن الدلائل الساطعة على إخلاصه لأبي بكر ونصحه للإسلام والمسلمين وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين ما جاء من موقفه من توجه أبي بكر رضي الله عنه بنفسه إلى ذي القصة، وعزمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، وما كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي[٤]، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما برز أبو بكر إلى ذي القصة، واستوى على راحلته أخذ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بخطامها وقال: أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا، فرجع[٥] فلو كان علي رضي الله عنه - أعاذه الله من ذلك - لم ينشرح صدره لأبي بكر وقد بايعه على رغم من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها علي، فيترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو الجو له، وإذا كان فوق ذلك - حاشاه الله - من كراهته له، وحرصه على التخلص منه، أغرى به أحدًا يغتاله، كما يفعل الرجال السياسيون بمنافسيهم

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٤٩).

(٢) البداية والنهاية (٥/ ٤٩).

(٣) العيبة: وعاء من خوص ونحوه ينقل فيه الزرع المحصور إلى الجرين، ووعاء من أدم ونحوه يكون فيه المتاع.

(٤) المرتضى للندوي ص٩٧.

(٥) البداية والنهاية (٦/ ٣١٤، ٣١٥).

وأعدائهم[١]، وقد كان رأي علي رضي الله عنه مقاتلة المرتدين وقال لأبي بكر لما قال لعلي: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال أقول: إنك إن تركت شيئا مما كان أخذه منهم رسول الله فأنت على خلاف سنة الرسول، فقال: أما لئن قلت: ذاك لأقاتلنهم وإن منعوني عقالا[٢].

ثالثًا: تقديم علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه:

تواترت الأخبار عن علي رضي الله عنه في تفضيله وتقديمه لأبي بكر رضي الله عنه، فمن ذلك:

١- عن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[٣].

٢- عن علي رضي الله عنه قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر. ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر عمر[٤].

٣- عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[٥].

٤- وقال علي رضي الله عنه: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى[٦].

٥- قول علي لأبي سفيان رضي الله عنه: إنا وجدنا أبا بكر لها أهلا وهناك آثار يستأنس بها في إيضاح العلاقة الطيبة بين علي وأبي بكر منها:

(أ) عن عقبة بن الحارث قال: خرجت مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليال وعلي يمشي إلى جنبه، فمر بحسن بن علي يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته وهو يقول:

---

(١) المرتضى للندوي ص٩٧.
(٢) المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشري ص ٤٨، الرياض النظرة ص٦٧٠.
(٣) البخاري.
(٤) مسند أحمد (١/١٠٦ ، ١١٠ ، ١٢٧) صحح أحمد شاكر معظم طرق هذه الأحاديث.
(٥) المستدرك (٣/٧٩) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٦) فضائل الصحابة (١/ ٨٣) في سنده ضعف.

بأبي يشبه النبي ليس شبيهًا بعلي

قال: وعلي يضحك[١].

(ب) وعن علي ﷺ قال: من فارق الجماعة شبرا، فقد نزع ربقة الإسلام من عنقه[٢]، فهل كان علي يفعل ذلك؟ كان ﷺ يكره الاختلاف ويحرص على الجماعة. قال القرطبي: من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الاتفاق عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانا، لكن الديانة ترد ذلك - والله الموفق[٣] - وأما ما قيل من تخلف الزبير بن العوام عن البيعة لأبي بكر، فإنه لم يرد من طريق صحيح، بل ورد ما ينفي هذا القول، ويثبت مبايعته في أول الأمر، وذلك في أثر أبي سعيد السابق الصحيح وغيره من الآثار[٤].

(ج) قال ابن تيمية: وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: خير الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وقد روي هذا عنه من طرق كثيرة قيل أنها تبلغ ثمانين طريقًا. وعنه أنه كان يقول: لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى[٥]. وقال أيضًا: ولم يقل أحد قط إني أحق بهذا - أي الخلافة - من أبي بكر ولا قاله أحد في أحد بعينه إن فلانا أحق بهذا الأمر من أبي بكر. وإنما قال من فيه أثر الجاهلية عربية أو فارسية أن بيت الرسول أحق بالولاية لأن العرب في جاهليتها كانت تقدم أهل الرؤساء وكذلك الفرس يقدمون أهل بيت الملك، فنقل عمن نقل عنه كلام يشير به إلى هذا[٦].

---

(١) مسند أحمد(١/ ١٧٠) إسناده صحيح تحقيق أحمد شاكر.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة(١٥/ ٢٤) من مرسل أبي طاق الأزدي وهو صدوق ورجال الإسناد ثقات، خلافة أبي بكر الصديق ص٨٠.
(٣) فتح الباري (٧/ ٤٩٥).
(٤) خلافة أبي بكر الصديق عبدالعزيز سليمان ص٨١.
(٥) منهاج السنة (٣/ ١٦٢).
(٦) منهاج السنة (٣/ ٢٦٩)، مرويات أبي مخنف ص٣٠٩.

(د) تسمية أبي بكر بالصديق وشهادة عليّ له بالسباق والشجاعة :

عن يحيى بن حكيم بن سعد قال سمعت عليًا رضي الله عنه يحلف: لله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق[١]، وعن صلة بن زفر العبسي قال: كان أبو بكر إذا ذكر عند علي قال: السباق تذكرون والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر[٢]، وعن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال: خطبنا علي فقال: أيها الناس من أشجع الناس؟ قلنا: أنت يا أمير المؤمنين. قال: ذاك أبو بكر الصديق إنه لما كان في يوم بدر وضعنا لرسول الله العريش[٣] فقلنا: من يقيم عنده لا يدنو إليه أحد من المشركين؟ فما قام عليه إلا أبو بكر وأنه كان شاهراً السيف على رأسه كلما دنا إليه أحد هوى إليه أبو بكر بالسيف ولقد رأيت رسول الله وأخذته قريش عند الكعبة فجعلوا يتعتعونه ويترترونه[٤]، ويقول: أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحداً، فوالله ما دنا إليه إلا أبو بكر ولأبي بكر يومئذ ضفرتان[٥]، فأقبل يجأ[٦]، هذا ويدفع هذا ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم.. وقطعت إحدى ضفيرتي أبي بكر، فقال علي لأصحابه: ناشدتكم الله أي الرجلين خير، مؤمن آل فرعون أو أبو بكر؟ فأمسك القوم، فقال علي: والله ليوم من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذلك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه، وهذا أبو بكر بذل نفسه ودمه لله[٧].

رابعًا: اقتداء علي بالصديق في الصلوات وقبول الهدايا منه :

إن عليًّا رضي الله عنه كان راضيا بخلافة الصديق ومشاركا له في معاملاته وقضاياه، قابلا منه الهدايا رافعا إليه الشكاوى، مصليا خلفه، محبا له، مبغضا من بغضه[٨]،

(١) المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٥) رجاله ثقات قاله الحافظ في الفتح.
(٢) الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٠٧، ٢٠٨) إسناده ضعيف.
(٣) العريش: ما يستظل به وجمعه عروش وعُرُش.
(٤) يترترونه: الترترة: تحريك الشيء.
(٥) ضفرتان: عقيصتان.
(٦) يجأ: الوجأ: اللكز.
(٧) المستدرك (٣/ ٦٧) صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٨) الشيعة وأهل البيت، إحسان إلهي ظهير ص٦٩.

وشهد بذلك أكبر خصوم الخلفاء الراشدين وأصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بهديهم، وسلك بمسلكهم، ونهج بمنهجهم[١]، فهذا اليعقوبي الشيعي الغالي في تاريخه يذكر أيام خلافة الصديق فيقول: وأراد أبو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول الله، فقدموا وأخروا فاستشار علي بن أبي طالب فأشار أن يفعل، فقال: إن فعلت ظفرت؟ فقال: بشرت بخير، فقام أبو بكر في الناس خطيبا، وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم وفي رواية سأل الصديق عليًا كيف ومن أين تبشر؟ قال: من النبي ﷺ حيث سمعته يبشر بتلك البشارة، فقال أبو بكر: سررتني بما أسمعتني من رسول الله يا أبا الحسن سرك الله[٢]، ويقول اليعقوبي أيضا: وكان مما يؤخذ عنه الفقه في أيام أبي بكر علي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود[٣]، فقدم عليًا على جميع أصحابه، وهذا دليل واضح على تعاملهم مع بعضهم وتقديمهم عليا في المشورة[٤] والقضاء، فعندما كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر بقوله له: أنه وجد رجلاً في بعض نواحي العرب يُنكح كما تنكح المرأة، فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله ﷺ منهم علي، فقال علي: إن هذا ذنب لم يعمل به إلا أمة واحدة[٥]، ففعل الله بهم ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله أن يحرق بالنار، فأمر به أبو بكر أن يحرق بالنار[٦] وكان علي رضي الله عنه يمتثل أوامر الصديق فعندما جاء وفد من الكفار إلى المدينة، ورأوا بالمسلمين ضعفًا وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستيصال شأفة المرتدين والبغاة الطغاة وأحس منهم الصديق خطرا على عاصمة الإسلام والمسلمين، أمر الصديق بحراسة المدينة وجعل الحرس على أنقابها يبيتون بالجيوش، وأمر عليا والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا ذلك حتى أمنوا منهم[٧] وللتعامل الموجود بينهم وللتعاطف والتوادد

(١) الشيعة وأهل البيت ص٦٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٣٢، ١٣٣) نقلا عن الشيعة وأهل البيت ص٧٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٣٨) نقلا عن الشيعة وأهل البيت ص٧٠.

(٤) الشيعة وأهل البيت ص٧٠.

(٥) الا وهي أمة لوط عليه السلام.

(٦) المغني والشرح الكبير (١٢/ ٢٢٠) المختصر من كتاب الموافقة ص٥١.

(٧) تاريخ الطبري (٤/ ٦٤)، الشيعة وأهل البيت ص٧١.

والوئام الكامل كان عليّ وهو سيد أهل البيت ووالد سبطي الرسول صلوات الله وسلامه عليه يتقبل الهدايا والتحف دأب الأخوة المتشاورين ما بينهم والمتحابين كما قبل الصهباء الجارية التي سبيت في معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية[١] وأيضًا منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت مع من أسر في حرب اليمامة وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن والحسين وهو محمد ابن الحنفية، وكانت خولة من سبي أهل الردة وبها يعرف ابنها ونسب إليها محمد ابن الحنفية[٢] .يقول الإمام الجويني عن بيعة الصحابة لأبي بكر: وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبي بكر رضي الله عنه وكان علي رضي الله عنه سامعا لأمره، وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد، ونهض إلى غزو بني حنيفة[٣].

ووردت روايات عديدة في قبوله هو وأولاده الهدايا المالية والخمس وأموال الفيء من الصديق رضي الله عنهم أجمعين وكان عليّ هو القاسم والمتولي في عهده على الخمس والفيء وكانت هذه الأموال بيد علي، ثم كانت بيد الحسن، ثم بيد الحسين، ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن[٤]، وكان علي رضي الله عنه يؤدي الصلوات الخمس في المسجد خلف الصديق، راضيا بإمامته، ومظهرًا للناس اتفاقه ووئامه معه[٥]، وكان علي رضي الله عنه يروي عن أبي بكر بعض أحاديث رسول الله ﷺ، فعن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليًا رضي الله عنه يقول: كنت إذا سمعت من رسول الله علما نفعني الله به وكان إذا حدثني عنه غيري استحلفته فإذا حلف صدقته وحدثني أبو بكر ـ وصدق أبو بكر ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من عبد مسلم يذنب ذنبا ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له»**[٦] ولما قبض رسول الله ﷺ اختلف أصحابه فقالوا: ادفنوه في البقيع[٧] وقال آخرون: ادفنوه في موضع الجنائز وقال

---

(١) الطبقات (٣/ ٢٠)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣١ ـ ٣٣٣).
(٢) الطبقات(٣/ ٢٠) المصدر نفسه.
(٣) الإرشاد للجويني ص ٤٢٨ نقلا عن أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية للقفاري (١/ ٨٥).
(٤) الشيعة وأهل البيت ٧٢.
(٥) المصدر نفسه ص٧٢.
(٦) مسند أحمد رقم ٤٧.
(٧) البقيع: مقبرة أهل المدينة وهي داخل المدينة.

آخرون: ادفنوه في مقابل أصحابه، فقال أبو بكر: أخروا فإنه لا ينبغي رفع الصوت عند النبي حيًا ولا ميتًا، فقال عليّ رضي الله عنه: أبو بكر مؤتمن على ما جاء به قال أبو بكر عهد إليّ رسول الله أنه ليس من نبي يموت إلا دفن حيث يقبض[1]، وشهد علي رضي الله عنه للصديق عن عظيم أجره في المصاحف، فعن عبد خير قال سمعت عليًا يقول: أعظم الناس أجرا في المصاحف: أبو بكر الصديق، هو أول من جمع بين اللوحين[2].

خامسًا: الصديق والسيدة فاطمة رضي الله عنها وميراث النبي ﷺ:

قالت عائشة رضي الله عنها: إن فاطمة والعباس رضي الله عنهما أتيا أبا بكر رضي الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله يقول: **«لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال»**[3] وفي رواية قال أبو بكر رضي الله عنه: ... لست تاركا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ[4] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أزواج النبي ﷺ، حين توفي رسول الله، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أبي بكر، ليسألنه ميراثهن من النبي ﷺ، فقالت عائشة رضي الله عنها لهن: أليس قد قال رسول الله ﷺ: **«لا نورث ما تركنا صدقة»**[5]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يقتسم ورثتي دينارا، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة»**[6].

وهذا ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها امتثالا لقوله ﷺ، لذلك قال الصديق لست تاركا شيئا كان رسول الله يعمل به إلا عملت به[7] وقال: والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته[8].

---

(١) مسند أحمد (١/٨) إسناده ضعيف قاله أحمد شاكر وقال ابن حجر في الفتح(١/ ٦٣١): إسناده صحيح لكنه موقوف.

(٢) المختصر من كتاب الموافقة ص٤٤.

(٣) البخاري رقم ٦٧٢٦.

(٤) مسلم رقم ١٧٥٩.

(٥) البخاري رقم ٦٧٣٠، مسلم رقم ١٧٥٨.

(٦) البخاري رقم ٦٧٢٩.

(٧) مسلم ١٧٥٨.

(٨) البخاري رقم ٦٧٢٦.

وقد تركت فاطمة رضي الله عنها منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله ﷺ، قال ابن قتيبة[١]: وأما منازعة فاطمة أبا بكر رضي الله عنه في ميراث النبي ﷺ فليس بمنكر، لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله ﷺ وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم، فلما أخبرها بقوله كَفَّت[٢] وقد غلا الرافضة في قصة ميراث النبي ﷺ غلوا مفرطا مجانبين الحق والصواب، معرضين متجاهلين ما ورد من نصوص صحيحة في أنه ﷺ لا يورث وجعلوا ذلك من أصول الخلاف بين الصحابة وآل البيت رضي الله عنهم أجمعين وامتدادا لأمر الخلافة، فاتهموا الصحابة رضوان الله عليهم بإيقاع الظلم والجور على آل البيت، ولا سيما أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق رضي الله عنهما اللذين غصبا الخلافة من آل البيت كما في زعمهم وأضافوا إلى ذلك غصب أموال آل البيت، وغصب ما فرض الله لهم من حقوق مالية، ويعتبر الرافضة قضية فدك، ومنع فاطمة من إرثها من أهم القضايا، التي تواطأ عليها الصحابة بعد غصب الصديق رضي الله عنه للخلافة منهم على حد تعبيرهم وذلك حتى لا يميل الناس إلى آل البيت بسبب هذا المال فيجتمعوا عليه ويخلعوه من الخلافة[٣].

والمتتبع لكتب الرافضة في هذه المسألة يجد أنها تنصب على إنكار حديث رسول الله ﷺ: **«نحن معاشر الانبياء، لا نورث ما تركناه صدقة»**[٤] واستقطاب الأدلة لمحاولة إبطاله فمن ذلك:

١ ـ زعمهم أن هذا الحديث وضعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وفي ذلك يقول الحلي: إن فاطمة لم تقبل بحديث اخترعه أبو بكر من قوله: ما تركناه صدقة وقال أيضا: والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها[٥] وقال المجلسي بعد أن نص على أن أبا بكر وعمر آخذا فدكًا: ولأجل ذلك وضعوا تلك الرواية الخبيثة المفتراة: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»[٦] ويقول الخميني في ذلك: نقول بأن

---

(١) شذرات الذهب (٢/ ١٦٩).

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ١٩/ ١.

(٣) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص٤٣٥.

(٤) مسلم ١٧٥٨.

(٥) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة (٤/ ١٩٣) نقلا عن العقيدة في أهل البيت.

(٦) حق اليقين ص ١٩١ نقلا عن العقيدة في أهل البيت ص٤٤٣.

الحديث المنسوب إلى النبي لا صحة له، وأنه قيل من أجل استئصال ذرية النبي[١].
ويجاب على ذلك: بأن هذا القول كذب محض وافتراء واضح، إذ هذه الرواية لم ينفرد بها أبو بكر رضي الله عنه بل إن قوله ﷺ: **«لا نورث ما تركناه فهو صدقة»**. رواه عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة، والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبي ﷺ وأبو هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم أجمعين[٢] وفي ذلك يقول ابن تيمية: والرواية عن هؤلاء ثابتة في الصحاح والمسانيد مشهورة يعلمها أهل العلم بالحديث فقول القائل: أن أبا بكر انفرد بالرواية يدل على فرط جهله أو تعمده الكذب[٣] وقال ابن كثير: بعد ذكره لمن روى الحديث وأن هذا الزعم من الرافضة باطل: ولو تفرد بروايته الصديق رضي الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له في ذلك[٤]، وقد قال الدكتور سليمان بن رجاء السحيمي صاحب الكتاب القيم العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ويؤيد هذا ما جاء من كتب الرافضة عن الإمام جعفر الصادق الإمام الخامس المعصوم عندهم فيما رواه الكليني والصفار والمفيد أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، والعلماء أمناء، والأتقياء حصون والأوصياء سادة، وفضل العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وأن العلماء ورثة الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهمًا، ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر»[٥] وفي رواية: **«إن العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم»**[٦]. وما أرث منك يا رسول الله؟ قال: ما أورث النبيون.

٢ - زعمهم أن هذا الحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ

---

(١) كشف الأسرار للخميني ص١٣ ـ ١٣٣ نقلا عن العقيدة في أهل البيت.
(٢) العقيدة في أهل البيت ص٤٤٤.
(٣) منهاج السنة (٤/١٩٩).
(٤) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٠).
(٥) الكافي للكليني (١/ ٣٢ ـ ٣٤).
(٦) الكافي للكليني (١/ ٣٢ ـ ٣٤)، وبصائر الدرجات للصفار (١٠ ـ ١١) والاختصاص للمفيد ص(٤) وانظر: علم اليقين للكاشاني (٢/٧٤٧، ٧٤٨) نقلا عن العقيدة لأهل البيت ص٤٤٤.

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] وقالوا: ولم يجعل الله ذلك خاصا بالأمة دونه ﷺ[١].

والحقيقة أن الخطاب شامل للمقصودين بالخطاب وليس فيه ما يوجب كون النبي ﷺ من المخاطبين بها[٢]. فهو ﷺ لا يقاس بأحد من البشر فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ولأن الله حرم عليه صدقة الفرض والتطوع، وخص بأشياء لم يخص بها أحد غيره ﷺ، ومما خصه الله به، هو وإخوانه من الأنبياء عليه السلام كونهم لا يورثون، وذلك صيانة من الله لهم لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وخلفوها لورثتهم، أما بقية البشر فلا نبوة لهم يقدح فيها بمثل ذلك، كما صان الله تعالى نبينا ﷺ عن الخط والشعر صيانة لنبوته عن الشبهة وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة[٣].

وقال ابن كثير في رده على استدلال الرافضة بالآية: إن رسول الله ﷺ قد خص من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها.. فلو قدر أن غيره من الأنبياء يورثون وليس الأمر كذلك، لكان ما رواه الصحابة وعلى رأسهم مبينا لتخصيصه بهذا الحكم دون من سواه[٤] وبهذا يتبين بطلان استدلالهم بمخالفة الحديث.

٣ - زعمهم أن منع الإرث والاستدلال بهذا الحديث مخالف لقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: ١٦]. ومخالف لما حكاه الله عن نبيه زكريا عليه السلام ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥، ٦].

حيث قالوا: إن الميراث يقتضي الأموال وما في معناه، وليس لأحد أن يقول إن المراد بالآية العلم دون المال[٥].

ويجاب على ذلك بما يلي: أن الإرث اسم جنس يدخل تحته أنواع، فيستعمل في

---

(١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة ٤/ ١٩٤).
(٢) منهاج السنة (٤/ ١٩٤، ١٩٥) العقيدة في أهل البيت ص٤٤٥.
(٣) منهاج السنة (٤/ ١٩٤-١٩٥) العقيدة في أهل البيت ص٤٤٥.
(٤) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٤)، العقيدة في أهل البيت ص٤٤٦.
(٥) منهاج الكرامة ص١٠٩ نقلاً عن العقيدة في أهل البيت.وغيرها من الكتب كالطرائف ص٣٤٧.

إرث العلم والنبوة، والملك، وغير ذلك من أنواع الانتقال. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⁽¹⁰⁾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١] وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الشأن، وإذا كان كذلك فقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ وقوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ إنما يدل على جنس الإرث، ولا يدل على إرث المال وذلك أن داود عليه السلام كان له أولاد كثيرون غير سليمان فلا يختص سليمان بماله فدل على أن المراد بهذا الإرث إرث العلم والنبوة ونحو ذلك لا إرث المال، والآية سيقت في بيان مدح سليمان وما خصه الله به من النعمة، وحصر الإرث في المال لا مدح فيه، إذ إن إرث المال من الأمور العادية المشتركة بين الناس، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ليس المراد به إرث المال لأنه لا يرث آل يعقوب شيئا من أموالهم، وإنما يرث ذلك منهم أولادهم وسائر ورثتهم لو ورثوا[1].

كما أن قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ لا يدل على أن الإرث إرث مال، لأن زكريا لم يخف أن يأخذوا ماله من بعده إذا مات، فإن هذا ليس بمخوف، وزكريا عليه السلام لم يعرف له مال، بل كان نجاراً يأكل من كسب يده كما في صحيح مسلم[2]، ولم يكن ليدخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولداً يرث عنه ماله، فدل على أن المراد بالوراثة في هاتين الآيتين وراثة النبوة، والقيام مقامه[3].

يقول القرطبي في تفسيره للآية: وعليه فلم يسل من يرث ماله، لأن الأنبياء لا تورث، وهذا هو الصحيح من القولين في تأويل الآية، وإنه عليه الصلاة والسلام أراد وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة**»[4]، وهذا الحديث يدخل في التفسير المسند لقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ وعبارة عن قول زكريا ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ⁽⁵⁾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ وتخصيص للعموم في ذلك وأن سليمان لم يرث من

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٢٢٢ - ٢٢٤).

(٢) مسلم رقم ٢٣٧٩ .

(٣) منهاج السنة (٤/ ٢٢٥)، البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣) العقيدة في أهل البيت ص٤٤٨.

(٤) مسلم رقم ١٧٥٨ .

داود مالا خلفه داود بعده، وإنما ورث منه الحكمة والعلم وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب، وهكذا قال أهل العلم بتأويل القرآن ما عدا الروافض[(١)].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الرافضة خالفوا ما استدلوا به على وجوب الميراث وذلك أنهم حصروا ميراثه ﷺ في فاطمة رضي الله عنها فزعموا أنه لم يرث النبي ﷺ ، إلا هي، فأخرجوا أزواجه وعصبته مخالفين عموم الآيات التي استدلوا بها، فقد روي الصدوق بسنده عن أبي جعفر الباقر قوله: لا والله ما ورث رسول الله ﷺ العباس ولا علي، ولا ورثه إلا فاطمة عليها السلام، وما كان أخذ علي عليه السلام السلاح وغيره إلا أنه قضي عنه دينه[(٢)] وورث الكليني والصدوق والطوسي بأسانيدهم إلى الباقر أيضا قوله: وورث علي عليه السلام من رسول الله ﷺ علمه، وورثت فاطمة عليها السلام تركته[(٣)]، بل وأخرجوا حتى فاطمة من ذلك، حيث زعموا أن النساء لا يرثن العقار، فقد بوب الكليني في كتابه الكافي بابا بعنوان: أن النساء لا يرثن من العقار شيئا وساق تحته روايات منها: عن أبي جعفر الصادق أنه قال: النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئا[(٤)].

روى الصدوق بسنده إلى ميسر قال سألته يقصد الصادق عن النساء ما لهن في الميراث، فقال: أما الأرض والعقارات فلا ميراث لهن فيه[(٥)]، وبهذا يتبين عدم استحقاق فاطمة رضي الله عنها شيئا من الميراث، بدون الاستدلال بحديث: نحن معاشر الأنبياء لا نورث[(٦)]. فما دامت المرأة لا ترث العقار والأرض، فكيف كان لفاطمة أن تسأل فدك - على حسب قولهم - وهي عقار لا ريب فيه[(٧)]، وهذا دليل كذبهم وتناقضهم فضلا عن جهلهم[(٨)].

---

(١) تفسير القرطبي (١١/ ٣٥ - ٤٥).
(٢) من لا يحضره الفقيه (٤/ ١٩٠، ١٩١) العقيدة في أهل البيت ص٤٥١.
(٣) الكافي للكليني (٢/ ٢٥٩)، العقيدة في أهل البيت ص٤٥١.
(٤) الكافي للكليني (٧/ ١٣٧)، العقيدة في أهل البيت ص٤٥١.
(٥) الشيعة وأهل البيت ص٨٩.
(٦) مسلم ١٧٦٨.
(٧) الشيعة وأهل البيت ص٩٨.
(٨) العقيدة في أهل البيت ص٤٥٢.

وأما ما زعموه من كون الصديق ﷺ سأل فاطمة أن تحضر شهودًا، فأحضرت عليًا وأم أيمن فلم يقبل شهادتهما فهو من الكذب البين الواضح، قال حماد بن إسحاق: فأما ما يحكيه قوم أن فاطمة عليها السلام طلبت فدك، وذكرت أن رسول الله ﷺ أقطعها إياها، وشهد لها علي عليه السلام فلم يقبل أبو بكر شهادته لأنه زوجها، فهذا أمر لا أصل له ولا تثبت به رواية أنها ادعت ذلك، وإنما هو أمر مفتعل لا ثبت فيه[١].

٤ - أن السنة والإجماع قد دلا على أن النبي ﷺ لا يورث:

قال ابن تيمية: كون النبي ﷺ لا يورث ثبت بالسنة المقطوع بها، وبإجماع الصحابة، وكل منهما دليل قطعي، فلا يعارض ذلك بما يظن أنه عموم، وإن كان عمومًا فهو مخصوص، لأن ذلك لو كان دليلاً لما كان إلا ظنيًا فلا يعارض القطعي، إذ الظني لا يعارض القطعي، وذلك أن هذا الخبر رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس، وليس فيهم من ينكره بل كلهم تلقاه بالقبول والتصديق، ولهذا لم يصرّ أحد من أزواجه على طلب الميراث ولا أصرّ العمّ على طلب الميراث، بل من طلب من ذلك شيئًا فأخبر بقول النبي ﷺ رجع عن طلبه، واستمر الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين إلى علي، فلم يغير من ذلك شيئا ولا قسم له تركة[٢] قال ابن تيمية: قد تولى الخلافة (عليٌ) بعد ذي النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئا لأحد من أولاد فاطمة ولا من زوجات النبي ﷺ ولا ولد العباس فلو كان ظلمًا، وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه افتراه يقاتل معاوية مع ما جرى في ذلك من الشر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليلا من المال، وأمره أهون بكثير[٣]، وبإجماع الخلفاء الراشدين على ذلك احتج الخليفة العباسي أبو العباس السفاح على بعض مناظريه في هذه المسألة على ما نقل ابن الجوزي في تلبيس إبليس قال: وقد روينا عن السفاح أنه خطب يوما فقام رجل من آل علي ﷺ قال: أنا من أولاد علي ﷺ، فقال: يا أمير المؤمنين أعدني على من

---

(١) منهاج السنة (٤/٢٣٦ - ٢٣٨).
(٢) منهاج السنة (٤/ ٢٢٠).
(٣) منهاج السنة (٦/ ٣٤٧).

ظلمني قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي رضي الله عنه والذي ظلمني أبو بكر رضي الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة، وقال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، ومن قام بعده؟ قال: عمر رضي الله عنه قال: ودام على ظلمكم؟. قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عثمان رضي الله عنه قال: نعم، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكانًا يهرب منه[١]، وبتصويب أبي بكر رضي الله عنه في اجتهاده صرح بعض أولاد علي من فاطمة رضي الله عنها على ما روى البيهقي بسنده عن فضيل بن مرزوق قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: أما لو كنت مكان أبي بكر، لحكمت بما حكم به أبو بكر في فدك[٢]، كما نقل أبو العباس القرطبي اتفاق أهل البيت بدأ بعلي رضي الله عنه ومن جاء بعده من أولاده، ثم أولاد العباس الذين كانت بأيديهم صدقة رسول الله ﷺ، أنهم ما كانوا يرون تملكها، وإنما كانوا ينفقونها في سبيل الله قال رحمه الله: إن عليا لما ولي الخلافة ولم يغيرها عما عمل فيها في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان، ولم يتعرض لتملكها، ولا لقسمة شيء منها، بل كان يصرفها في الوجوه التي كان من قبله يصرفها فيها، ثم كانت بيد حسن بن علي، ثم بيد حسين بن علي، ثم بيد علي بن الحسين، ثم بيد الحسين بن الحسن، ثم بيد زيد بن الحسين، ثم بيد عبد الله بن الحسين، ثم تولاها بنو العباس على ما ذكره أبو بكر البرقاني في صحيحه، وهؤلاء كبراء أهل البيت رضي الله عنهم وهم معتمدون عند الشيعة وأئمتهم، لم يرو عن واحد منهم أنه تملكها ولا ورثها ولا ورثت عنه، فلو كان ما يقوله الشيعة حقا لأخذها علي أو أحد من أهل بيته لما ظفروا بها ولم فلا[٣].

وقال ابن تيمية: قد تولى الخلافة بعد ذي النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئا لأحد من أولاد فاطمة، ولا من زوجات النبي ﷺ ولا ولد العباس، فلو كان ظلما، وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه افتراه يقاتل معاوية مع ما جرى في ذلك من الشر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليلا من المال، وأمره أهون بكثير[٤]؟

---

(١) تلبيس إبليس ص١٣٥.

(٢) تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ٢٠٠) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).

(٣) المفهم للقرطبي (٣/ ٥٦٤).

(٤) منهاج السنة (٦/ ٣٤٧).

وقال ابن كثير: وقد تكلمت الرافضة في هذا المقام بجهل، وتكلفوا مالا علم لهم به، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله، وأدخلوا أنفسهم فيما لا يعنيهم[١]، فلو تفهموا الأمور على ما هي عليه لعرفوا للصديق فضله وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل أحد قبوله، ولكنهم طائفة مخذولة، وفرقة مرذولة، يتمسكون بالمتشابه، ويتركون الأمور المقدرة عند أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء المعتبرين في سائر الأعصار والأمصار ﷺ وأرضاهم أجمعين[٢].

٥ ـ تسامح السيدة فاطمة مع أبي بكر:

وقد ثبت عن فاطمة رضي الله عنها أنها رضيت عن أبي بكر بعد ذلك، وماتت وهي راضيه عنه، على ما روى البيهقي بسنده عن الشعبي أنه قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها، فقال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك؟ فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم، فأذنت له فدخل عليها يترضاها، فقال: والله ما تركت الدار والمال، والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت[٣]. قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي والظاهر أن عامر الشعبي سمعه من علي أو ممن سمعه من علي[٤].

وبهذا تندحض مطاعن الرافضة على أبي بكر التي يعلقونها على غضب فاطمة عليه، فلئن كانت غضبت على أبي بكر في بداية الأمر فقد رضيت عنه بعد ذلك وماتت وهي راضية عنه، ولا يسع أحد صادق في محبته لها، إلا أن يرضى عمن رضيت عنه[٥]، ولا يعارض هذا ما ثبت في حديث عائشة: إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال، وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شيئًا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).
(٢) المصدر نفسه (٥/ ٢٥١).
(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٣٠١).
(٤) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).
(٥) الانتصار للصحب والآل ص٤٣٤.

تكلمه حتى توفيت[١]، فإن هذا بحسب علم عائشة رضي الله عنها رواية الحديث، وفي حديث الشعبي زيادة علم، وثبوت زيادة أبي بكر لها وكلامها له ورضاها عنه، فعائشة رضي الله عنها نفت والشعبي أثبت، ومعلوم لدى العلماء أن قول المثبت مقدم على قول النافي، لأن احتمال الثبوت حصل بغير علم النافي، خصوصًا في مثل هذه المسألة، فإن عيادة أبي بكر لفاطمة رضي الله عنها ليست من الأحداث الكبيرة التي تشيع في الناس، ويطلع عليها الجميع، وإنما هي من الأمور العادية التي تخفى على من لم يشهدها، والتي لا يعبأ بنقلها لعدم الحاجة لذكرها. على أن الذي ذكره العلماء أن فاطمة رضي الله عنها لم تتعمد هجر أبي بكر رضي الله عنه أصلاً، ومثلها ينزه عن ذلك لنهي النبي ﷺ عن الهجر فوق ثلاث، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك[٢]، قال القرطبي صاحب المفهم في سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم: ثم إنها (أي فاطمة) لم تلتق بأبي بكر لشغلها بمعيبتها برسول الله ﷺ وللازمتها بيتها فعبر الراوي عن ذلك بالهجران، وإلا فقد قال رسول الله ﷺ: **«لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث»**[٣] وهي أعلم الناس بما يحل من ذلك ويحرم، وأبعد الناس عن مخالفة رسول الله ﷺ كيف لا يكون كذلك وهي بضعة من رسول الله ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة[٤].

وقال النووي: وأما ما ذكر من هجران فاطمة أبا بكر رضي الله عنه فمعناه انقباضها عن لقائه، وليس هذا من الهجران المحرم، الذي هو ترك السلام والإعراض عند اللقاء، وقوله في هذا الحديث (فلم تكلمه) يعني في هذا الأمر، أو لانقباضها لم تطلب منه حاجة ولا اضطرت إلى لقائه فتكلمه، ولم ينقل قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته[٥] لقد انشغلت فاطمة رضي الله عنها عن كل شيء بحزنها لفقدها أكرم الخلق، وهي مصيبة تزري بكل المصائب، كما أنها انشغلت بمرضها الذي ألزمها الفراش عن أية مشاركة في أي شأن من الشئون فضلا عن لقاء خليفة المسلمين المشغول - لكل لحظة

(١) البخاري رقم ٤٢٤٠ رقم ١٧٥.
(٢) الانتصار للصحب والآل ص٤٣٤.
(٣) البخاري رقم ٦٠٧٧.
(٤) المفهم (١٢/ ٧٣).
(٥) شرح صحيح مسلم (١٢/ ٧٣).

من لحظاته - بشئون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب لحوقها بأبيها فقد أخبرها رسول الله ﷺ بأنها أول من يلحق به من أهله[1] ومن كان في مثل علمها لا يخطر بباله أمور الدنيا، وما أحسن قول المهلب الذي نقله العيني: ولم يرو أحد أنهما التقيا وامتنعا عن التسليم، وإنما لازمت بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران[2].

ومما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة بين الصديق والسيدة فاطمة إلى حد أن زوجة أبي بكر أسماء بنت عميس هي التي كانت تمرض فاطمة بنت النبي ﷺ ورضي الله عنها في مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة وشاركت في غسلها وترحيلها إلى مثواها، وكان علي رضي الله عنه يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وقد وصتها بوصايا في كفنها ودفنها وتشييع جنازتها.

فعملت أسماء بها[3]، فقد قالت السيدة فاطمة لأسماء إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء انه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء يا بنت رسول الله ﷺ: ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبة فنحتنها ثم طرحت عليها ثوبا، فقالت فاطمة ما أحسن هذا وأجمله، به تعرف المرأة من الرجال[4]، وعن ابن عبد البر: فاطمة رضي الله عنها أول من غطي نعشها في الإسلام، ثم زينب بنت جحش وكان الصديق دائم الاتصال بعلي من ناحية ليسأله عن أحوال بنت النبي ﷺ خلاف ما يزعمه القوم، فمرضت (أي فاطمة رضي الله عنها) وكان علي يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ ومن ناحية أخرى من زوجه أسماء حيث كانت هي المشرفة والممرضة الحقيقية لها، ولما قبضت فاطمة من يومها فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله، فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان عليًا ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله[5]، وقد توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من

(١) مسلم رقم ٢٤٥٠.
(٢) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص١٠٨.
(٣) الشيعة وأهل البيت ص٧٧.
(٤) الاستيعاب (٤/ ٣٧٨).
(٥) الشيعة وأهل البيت ص٧٧، كتاب سليم بن قيس ص٢٥٥.

رمضان سنة إحدى عشرة، عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين، قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء، فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فلما وضعت ليصلى عليها، قال علي: تقدم يا أبا بكر، قال أبو بكر رضي الله عنه: وأنت يا أبا الحسن؟ قال: نعم، فوالله لا يصلي عليها غيرك، فصلى عليها أبو بكر رضي الله عنه ودفنت ليلا وجاء في رواية: صلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكبر عليها أربعًا[1]، وفي رواية مسلم صلى عليها علي بن أبي طالب وهي الرواية الراجحة[2].

ولقد أجاد وأفاد محمد إقبال في قصيدته العصماء (فاطمة الزهراء) فقال:

نسب المسيح بنى لمريم سيرة ... بقيت على طول المدى ذكراها

والمجد يشرف من ثلاث مطالع ... في مهد فاطمة فما أعلاها

هي بنت من هي زوج من هي أم من ... مَن ذا يداني في الفخار أباها

هي ومضة من نور عين المصطفى ... هادي الشعوب إذا تروم هداها

من أيقظ الفطر النيام بروحه ... وكأنه بعد البلى أحياها

وأعاد تاريخ الحياة جديدة ... مثل العرائس في جديد حُلاها

هي أسوة للأمهات وقدوة ... يترسم القمر المنير خطاها

جعلت من الصبر الجميل غذاءها ... ورأت رضى الزوج الكريم رضاها

إلى قال:

لولا وقوفي عند شرع المصطفى ... وحدود شرعته ونحن فداها

لمضيت للتطواف حول ضريحها ... وغمرت بالقبلات طيب ثراها[3]

(١) المختصر من كتاب الموافقة ص٦٨ في سنده ضعف.

(٢) مسلم رقم ١٧٥٩.

(٣) الدوحة النبوية الشريفة ص ٦٢، ٦٣.

سادساً: مصاهرات بين الصديق وأهل البيت وتسمية أهل البيت بعض ابنائهم باسم أبي بكر رضي الله عنه:

كانت صلة سيدنا أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ بأعضاء أهل البيت، صلة ودية تقديرية تليق به وبهم، كانت هذه المودة والثقة متبادلة وكانت من المتانة بحيث لا يتصور معها التباعد والاختلاف مهما نسج المتآمرون الأساطير والأباطيل، فالصديقة عائشة بنت الصديق بنت أبي بكر كانت زوجة النبي ﷺ ، ومن أحب الناس إليه مهما احترق الحساد ونقم المخالفون، فانها حقيقة ثابتة، وهي طاهرة مطهرة بشهادة القرآن مهما جحدها المبطلون وأنكرها المنكرون ثم أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب شقيق علي، فمات عنها وتزوجها الصديق وولدت له ولداً سماه محمداً الذي ولاه علي مصر، ولما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له ولداً سماه يحيى[1]. وحفيدة الصديق كانت متزوجة من محمد الباقر - الإمام الخامس عند الروافض وحفيد علي رضي الله عنه ، وقد نقل الأستاذ إحسان الهي ظهير من كتب الروافض ما يثبت التلاحم والمصاهرة بين بيت النبوة وبيت الصديق فقد أثبت بأن قاسم بن محمد بن أبي بكر حفيد أبي بكر، وعلي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب حفيد علي كانا ابني خالة فأم قاسم بن محمد وعلي بن الحسين هما بنتي يزدجرد بن شهريار - بن كسرى اللتين كانتا من سبايا الفرس في عهد عمر رضي الله عنه وتوسع إحسان الهي ظهير في إثبات المصاهرات وعلاقات المودة والتراحم والاحترام المتبادل بين أهل البيت وبيت الصديق[2]، وكان من حب أهل البيت للصديق والتوادد ما بينهم أنهم سموا أبناءهم بأسماء أبي بكر رضي الله عنه ، فأولهم علي بن أبي طالب حيث سمى أحد ابنائه بأبي بكر، وهذا دليل على حب ومؤاخاة وإعظام وتقدير علي للصديق رضي الله عنه ، والجدير بالذكر أنه ولد له هذا الولد بعد تولية الصديق الخلافة والإمامة، بل وبعد وفاته كما هو معروف بداهة، وهل يوجد في الشيعة اليوم المتزعمين حب علي وأولاده رجل يسمى بهذا الاسم، وهل هم موالون له أم مخالفون؟ وعلي رضي الله عنه لم يسم بهذا الاسم ابنه إلا متيمناً بالصديق وإظهاراً له المحبة والوفاء وحتى بعد وفاته وإلا فلا يوجد في بني هاشم رجل قبل علي سمى ابنه

---

(١) خلافة عليّ بن أبي طالب، وترتيب وتهذيب، كتاب البداية والنهاية للسُّلمي ص٢٢.
(٢) الشيعة وأهل البيت ص ٧٨ الى ٨٣.

بهذا الاسم، ثم لم يقتصر عليّ بهذا التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصداقة للصديق بل بعده بنوه أيضًا مشوا مشيه ونهجوا منهجه، فالحسن والحسين، سميا كل واحد منهما أحد أولادهما بأبي بكر، فقد ذكر ذلك اليعقوبي والمسعودي وهما من مؤرخي الروافض(١)، واستمر أهل البيت يسمون من أسماء أولادهم بأبي بكر، فقد سمي ابن أخ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب فإنه سمى أحد أبنائه باسم أبي بكر، وهذا من إحدى علائم الحب والود بين القوم خلاف ما يزعمه الروافض اليوم من العداوة والبغضاء والقتال الشديد والجدال الدائم بينهم(٢). وقد كان جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين الذي يلقب بالصادق عند الشيعة الروافض يقول: ولدني أبوبكر مرتين(٣)، فأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، كان أحد الفقهاء المدينة السبعة تربى في حجر أم المؤمنين عائشة، وأما أمها فهي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وكان جعفر يغضب من الرافضة ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر، فكيف يرضى من يدعي محبة جعفر وآل البيت أن يلعن جد جعفر؟

وعن عروة بن عبد الله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف؟ فقال: لا بأس به، قد حَلَّى أبوبكر الصديق سيفه قال: قلت: وتقول الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة، ثم قال: نعم الصديق، نعم الصِّديق، نعم الصِّدِّيق، من لم يقل له الصِّديق فلا صَدَّق الله له قولا في الدُّنيا والآخرة(٤).

سابعًا: علي رضي الله عنه في وفاة الصديق رضي الله عنه:

كان علي رضي الله عنه من ضمن من استشارهم الصديق فيمن يتولى الخلافة بعده وكان رأي علي أن يتولى الخلافة بعد الصديق الفاروق(٥)، ولما حان الرحيل ونزل الموت بأبي بكر، كان آخر ما تكلم به الصديق في هذه الدنيا قول الله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا

(١) تاريخ اليعقوبي (٢/٢٢٨)، التنبيه والإشراف ص٨٢.
(٢) الشيعة وأهل البيت ص٨٣، الدّر المنثور من تراث أهل البيت والصحابة السيد علاء الدين المدرّس ص ٣٨ إلى ٤٤، رحماء بينهم صالح بن عبد الله الدرويش.
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٤).
(٤) صفة الصفوة (٢/١٠٩، ١١٠) مختصر الاثني عشرية ص٣٤.
(٥) الكامل لابن الاثير (٢/٧٩)، المختصر من كتاب الموافقة للزمخشري ص ٧٠ الى ١٠٠.

وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. وارتجت المدينة لوفاة أبي بكر الصديق ولم تر المدينة منذ وفاة الرسول ﷺ يومًا، أكثر باكيًا وباكية من ذلك المساء الحزين وأقبل علي بن أبي طالب مسرعًا، باكيًا، مسترجعًا ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر فقال رحمك الله يا أبا بكر كنت إلف رسول الله ﷺ وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم يقينا، وأشدهم لله يقينًا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله عز وجل، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله هديًا وسمتًا، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عندهم، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء. صدقت رسول الله حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله في تنزيله صديقًا، فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] واسيته حين بخلوا، وقمت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين صاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، وخليفته في دين الله، وأمته أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، ونهضت حين وهن أصحابه وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ وهنوا، وكنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفا في بدنك قويا في أمر الله متواضعا في نفسك عظيما عند الله تعالى، جليلا في أعين الناس كبيرًا في انفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة الضعيف عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه، القريب والبعيد عندك سواء وأقرب الناس عندك أطوعهم لله عز وجل، وأتقاهم.. شأنك الحق والصدق، والرفق، قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين، وقوي بك الإيمان، وظهر أمر الله، فسبقت - والله - سبقًا بعيدًا، وأتعبت من بعدك إتعابا شديدًا، وفزت بالخير فوزًا مبينًا، فإنا لله وإنا اليه راجعون رضينا عن الله عز وجل قضاءه وسلمنا له أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبدًا، كنت للدين عزًا، وحرزًا وكهفًا فألحقك الله عز وجل بنبيك محمد ﷺ، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم

وقالوا: صدقت[١]، وجاء في رواية: أن عليًا قال عندما دخل على أبي بكر بعدما سُجِّي: ما أحد أحب أن ألقى الله بصحيفته أحب إليّ من هذا المسجَّى[٢].

المبحث الثاني: عليّ رضي الله عنه في عهد الفاروق رضي الله عنه:

كان علي رضي الله عنه عضوا بارزا في مجلس شورى الدولة العمرية بل كان هو المستشار الأول، فقد كان عمر رضي الله عنه يعرف لعلي فضله، وفقهه، وحكمته، وكان رأيه فيه حسنا، فقد ثبت قوله فيه أقضانا علي[٣]، وقال ابن الجوزي: كان أبو بكر وعمر يشاورنه، وكان عمر يقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن[٤]، وقال مسروق: كان الناس يأخذون عن ستة، عمر وعلي وعبد الله وأبي موسى وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب وقال: شاممت أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة نفر: عمر وعلي وعبد الله وأبي الدرداء وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، ثم شاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين منهم: إلى علي، وعبدالله[٥]، وقال أيضًا: انتهى العلم إلى ثلاثة، عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق فعالم المدينة علي بن أبي طالب، وعالم الكوفة عبد الله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق، عالم المدينة ولم يسألهم[٦]، فكان علي من هؤلاء المقربين، يشد من أزر أخيه، ولا يبخل عليه برأيه، ويجتهد معه في إيجاد حلول للقضايا، التي لم يرد فيها نص، وفي تنظيم أمور الدولة الفتية، والشواهد على ذلك كثيرة، نذكر منها:

أولاً: ففي الأمور القضائية:

١ـ امرأة تعتريها نوبات من الجنون:

عن أبي ظبيان الجنبي: أن عمر بن الخطاب أُتِيَ بامرأة قد زنت، فأمر برجمها،

---

(١) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٤٧٧ - ٤٧٩) نقلا عن أصحاب الرسول (١/ ١٠٨).
(٢) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين ص ١٢٠.
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ١١٠٢، المعرفة والتاريخ (١/ ٤٨١).
(٤) فضائل الصحابة رقم ١١٠٠ إسناده ضعيف.
(٥) علل الحديث ومعرفة الرجال، علي بن المديني ص٤٢، ٤٣ نقلا عن خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ٧٠ البخاري رقم ٤٤٨١.
(٦) المعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٤٤٤).

فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم عليٌّ ﷺ، فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت فأمر عمر برجمها، فانتزعها عليٌّ من أيديهم وردّهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: ما ردّكم؟ قالوا ردّنا عليٌّ. قال: ما فعل هذا عليٌّ إلا لشيء قد علمه، فأرسل إلى عليٍّ، فجاء وهو شبه المغضب، فقال: مالك رَدَدْتَ هؤلاء؟ قال: أما سمعت النبي ﷺ يقول: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المُبتلى حتى يعقل؟**» قال: بلى. قال عليٌّ. فإن هذه مبتلاة بني فلان، فلعله أتاها وهو بها. فقال عمر: لا أدري. قال: وأنا لا أدري، فلم يرجمها[1]، فقد كان عمر لا يعلم بأنها مجنونة.

٢ـ مضاعفة الحد لمن شرب الخمر:

أخذ عمر برأي علي ﷺ في مضاعفة الحد لمن شرب الخمر، وذلك لانتشار شرب الخمر وخاصة في البلاد المفتوحة، وهي حديثة العهد بالإسلام، فأشار علي على عمر ﷺ بأن يجلد فيها ثمانين، كأخف الحدود، وعلل ذلك بقوله: نراه إذا سكر هذي وإذا هذي افترى، وعلى المفترى ثمانون[2]، وقد ثبت عن علي ﷺ أنه قال: ما كنت أقيم حداً على أحد، فيموت، وأجد في نفسي، إلا صاحب الخمر، فإنه لو مات وديته، وذلك لأن رسول الله ﷺ لم يسنه[3] وأوّل البيهقي قوله: (لم يسنه) زيادة على الأربعين، أو لم يسنه بالسياط وقد سنه بالنعال وأطراف الثياب مقدار أربعين والله أعلم[4]، وقد استنبط الفقهاء من أفعال الخلفاء الراشدين مقدار الحد في الخمر، على قول مالك والثوري وأبي حنيفة ومن تبعهم ثمانون، لإجماع الصحابة، ومن قال أن الحد أربعون: أبو بكر، والشافعي، وقول لأحمد، وتحمل الزيادة على ذلك من عمر ﷺ، على أنها تعزير يجوز فعلها إذا رآه الإمام، وهذا هو القول الصحيح للشافعي[5]، وهذا الرأي مال إليه ابن تيمية أيضا وقال: .. فأما مع قلة الشاربين وقرب أمر الشارب، فتكفي الأربعون[6].

---

(١) مسند احمد الموسوعة الحديثية رقم ١٣٢٨ صحيح لغيره.
(٢) إرواء الغليل للألباني(٨/ ٤٦، ٤٧) للألباني قال: إسناده ضعيف، وحقق هذا الأثر عبدالحميد علي في رسالته(خلافة علي بن أبي طالب) ملحق ٣٠.
(٣) فتح الباري (١٢/ ٦٦).
(٤) السنن الكبرى (٨/ ٣٢٢).
(٥) المغنى (٨/ ٣٠٧).
(٦) الفتاوي (٢٨/ ٣٣٦، ٣٣٧)، منهاج السنة (٦/ ٨٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص٧٣.

٣- لا سلطان لك على ما في بطنها:

أتي عمر رضي الله عنه بامرأة حامل فسألها عمر فاعترفت بالفجور فأمر بها عمر ترجم، فلقيها علي فقال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر بها أمير المؤمنين أن ترجم، فردها علي فقال: أأمرت بها أن ترجم؟ قال: نعم اعترفت عندي بالفجور. قال: هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها؟ قال علي فلعلك انتهرتها[1]، أو أخفتها؟ قال: قد كان ذاك، قال: أو ما سمعت ﷺ يقول: لا حدّ على معترف بعد بلاء أنه من قيدت أو حبست أو تهددت فلا إقرار له، فخلى عمر سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن تلد مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر[2]، وقد علق ابن تيمية على هذه القصة فقال: إن هذه القصة إن كانت صحيحة، فلا تخلو من أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل، فأخبره علي بحملها، ولا ريب أن الأصل عدم العلم، والإمام إذا لم يعلم أن المستحقة للقتل أو الرجم حامل، فعرفه بعض الناس بحالها، كان هذا من جملة أخباره بأحوال الناس... إلى أن قال عن عمر، يعطي الحقوق ويقيم الحدود ويحكم بين الناس كلهم، وفي زمنه انتشر الإسلام وظهر ظهور لم يكن قبله مثله، وهو دائما يقضي ويفتي ولولا كثرة علمه لم يطق ذلك، فإذا خفيت عليه قضية من مائة ألف قضية ثم عرفها أو كان نسيها فذكرها فأي عيب في ذلك[3].

وكان رده هذا في سياق رده على الروافض.

٤- ردوا الجهالات إلى السنة:

أتى عمر بامرأة أنكحت في عدتها ففرق بينهما وجعل صداقها في بيت المال وقال: لا أجيز مهر أرد نكاحه، وقال: لا تجتمعان أبدا، فبلغ ذلك عليًا فقال: وإن كانوا جهلوا السنة لها المهر بما استحل من فرجها ويفرق بينهما، فإذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب، فخطب عمر الناس فقال: ردوا الجهالات إلى السنة ورجع عمر إلى قول علي[4].

---

(١) انتهرتها: زجرتها.

(٢) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٦٩) رقم ٢٠٨٣ المختصر من كتاب الموافقة ص١٣١.

(٣) منهاج السنة (٦/ ٤٢).

(٤) المغني والشرح الكبير(١١/ ٦٦، ٦٧).

٥- هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي:

قال جعفر بن محمد: أتي عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهـواه، فلما لم يساعدها احـتالت عليه، فأخـذت بيضة، فألقت صـفارها، وصبت البياض على ثوبهـا وبين فخذيها ثم جاءت إلى عمر صـارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفـسي وفضحني في أهلي، وهـذا أثر فعاله، فـسأل عمـر النساء فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المني، فهم بعقـوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين تثـبت في أمري، فوالله ما أتيت فـاحشة وما هممت بهـا، فقد راودتني عن نفسي فاعتـصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن مـا ترى في أمرهما، فنظر علي إلى ما على الـثوب، ثم دعا بماء حـار شديد الغليـان، فصب على الثـوب فجـمد ذلك البيـاض ثم أخذه واشتـمه، وذاقه، فـعرف طعم البـيض، وزجر المرأة فاعـترفت[1] ونستخلص من هذه الواقعة بعض الدروس.

(أ) أن وسائل الإثبات كانت مرة في القضاء الإسلامي تشمل الإقرار والشهادة واليمين والنكول.. وتتسع لتشمل الأمارات والفراسة.

(ب) اهتمام عمر بمشاورة كـبار الصحابة في النوازل وعلى الخصوص علي رضي الله عنه الذي كانت منزلته عنده متميزة[2].

ثانيًا: علي رضي الله عنه والتنظيمات المالية والإدارية العمرية:

١- في الأمور المالية:

(أ) نفقات الخليفة:

لما ولي عمر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبي بكر مكث زمانا، لا يأكل من بيت المال شيئا حتى دخلت عليه في ذلك خصاصـة، ولم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته، لأنه اشتغل عنها بأمور الرعـية فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فاستشارهم في ذلك فقال: قد شغلت نفسي في هذا الأمر فما يصلح لي فـيه؟ فقال عثمان بن عفان أكل وأطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقال عمر لعلي: ما تقول

(١) الطرق الحكيمة لابن القيم ص٤٨ رواية ضعيفة.

(٢) الاجتهاد في الفقه الإسلامي، عبدالسلام السليماني ص١٤٥.

أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عـمر بذلك، وقد بين عمر حفظه من بيت المال فقال: أني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قـيم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف[١].

(ب) رأي علي في أرض السواد بالعراق:

لما فتحت أرض السواد بالعراق عنوة، أشار عدد من الصحابة رضوان الله عليهم على عمر بتقسـيمها بين الفاتحين، ولكن لسعة الأرض وجودتها، ونظرة عـمر البعيدة لمن سيأتي بعد ذلك، لم يطمـئن عمر لتقسيمهـا، فاستشار عليًا في ذلك فكان رأيه موافقا لرأي الخليـفة عمر أن لانقسم فأخذ برأيه وقال: لولا آخـر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبي ﷺ خيبر[٢].

(ج) لا جرم لتقسمنه:

أتى عمر بمال فقسمة بين المسلمين، وفضلت منه فضلة، فاستشار فيها الصحابة، فقالوا له: لـو تركته لنائبة إن كانـت، وفي القوم علي ساكت، فأراد عـمر أن يسمع رأي علي في ذلك، فذكره علي بحديث مال البحرين حين جاء إلى النبي ﷺ، وأنه قسمـه كله فقال عمر لعلي: لا جـرم لتقسمنه، فقـسمه علي[٣] ويبدو هذا كان قبل تقسيم الدواوين[٤].

٢ـ علي رضي الله عنه والأمور الإدارية:

عندما احتاج عمر رضي الله عنه أن يضع تاريخا رسميا ثابتا لتنظيم أمور الدولة وضبطها، جمع الناس وسألهم: من أي يوم نكتب التاريخ؟ فقال علي رضي الله عنه من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك، ففـعله عمر[٥]، وقد كان عـمر رضي الله عنه يراه من أفضل من يقـود الناس فقـد ورد عنه أنه كان يناجي رجـلا من الأنصار فـقال: من تحـدثون أنه يستخلف من بعدي؟ فعـد الأنصاري المهاجرين ولم يذكر عليًا، فقال عمر: فأين أنتم

---

(١) الخلافة الراشدة، سنده صحيح د. يحيى ص٢٧٠.
(٢) الأموال، القاسم بن سلام ص٥٧، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص٧٥.
(٣) مسند أحمد (١/ ٩٤) إسناده ضعيف لإنقطاعه.
(٤) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص٧٥.
(٥) التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٩).

من علي؟ فوالله لو استخلفتموه، لأقامكم على الحق وإن كرهتموه[١] وقال لابنه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما بعد أن طعن إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق[٢].

٣- استخلف عمر عليا على المدينة مرارًا:

(أ) استخلافه حين خرج عمر إلى ماء صراء فعسكر فيه، وكان الروم قد حشدوا للمسلمين، فجمع عمر الناس فاستشارهم فكلهم أشار عليه بالمسير[٣].

(ب) استخلافه عند نزول عمر بالجابية:

وذلك حين نزل عمرو بن العاص بأجنادين، فكتب إليه أرطبون الروم، والله لا تفتح من فلسطين شيئا بعد أجنادين، فارجع لا تُغر، وإنما صاحب الفتح رجل اسمه على ثلاثة أحرف، فعلم عمرو أنه عمر، فكتب يعلمه أن الفتح مدخر له، فنادى له الناس، واستخلف علي بن أبي طالب[٤].

(ج) استخلاف علي حين حج عمر بأزواج النبي ﷺ:

وهي آخر حجة حجها بالناس كانت سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وكان مع أمهات المؤمنين أولياؤهن ممن لا يحتجبن منه وخلف على المدينة علي بن أبي طالب[٥].

ثالثًا: استشارة عمر لعلي رضي الله عنهما في أمور الجهاد وشئون الدولة:

كان علي رضي الله عنه المستشار الأول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر يستشيره في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي موضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور[٦]، وكان

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص ٧٦ قيل أن الرواية مرسلة.

(٢) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث تحقيق حسين أحمد (٣/ ٧٤١) صحيح الإسناد، خلافة علي بن أبي طالب ص٧٦.

(٣) المنتظم (٤/ ١٩٢).

(٤) المنتظم (٤/ ١٩٢).

(٥) المنتظم (٤/ ٣٢٧)، الفتح (٤/ ٨٧).

(٦) علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين ص٩٩.

علي رضي الله عنه طيلة حياة عمر مستشارا ناصحا لعمر محبا له خائفًا عليه، وكان عمر يحب عليًا وكانت بينهم مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أعداء الإسلام إلا أن يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التي تناسب أمزجتهم ومشاربهم ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن: أن كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر لينقضَّ عليه، وكل أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس[١] إن من أبرز ما يلاحظه المتأمل في خلافة عمر تلك الخصوصية في العلاقة وذلك التعاون المتميز الصافي، بين عمر وعلي رضي الله عنهما، فقد كان علي هو المستشار الأول لعمر في سائر القضايا والمشكلات،وما اقترح علي على عمر رأيا إلا واتجه عمر إلى تنفيذه عن قناعة، وكان علي رضي الله عنه يمحضه النصح في كل شؤونه وأحواله[٢] فمثلاً عندما تجمع الفرس بنهاوند في جمع عظيم لحرب المسلمين جمع عمر رضي الله عنه الناس واستشارهم في المسير إليهم بنفسه، فأشار عليه عامة الناس بذلك، فقام إليه علي رضي الله عنه فقال: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم وإنك إن شخصت أهل اليمن إلى ذراريهم من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم وإنك إن أشخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة، فليتفرقوا ثلاث فرق، فرقة في حرمهم وذراريهم، وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة. مددًا لهم إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا قالوا: هذا أمير العرب وأصلها، فكان ذلك أشد لكلبهم عليك، وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر. فقال عمر: هذا هو الرأي كنت أحب أن أتابع عليه[٣]، كانت نصيحة علي نصيحة المحب لعمر الغيور عليه والضنين، أن لا يذهب، وأن يدير رحى الحرب بمن دونه من العرب وهو في مكانه، وحذره من أنه إذا ذهب، فلسوف ينشأ وراءه من الثغرات ما هو أخطر من العدو الذي سيواجهه، أرأيت لو أن

(١) المصدر نفسه ص ١٣٨.

(٢) فقه السيرة النبوية للبوطي ص٥٢٩.

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٤٨٠)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٩٤).

رسول الله ﷺ أعلن أن الخلافة من بعده لعلي، أفكان لعلي أن يرغب عن أمر رسول الله ﷺ هذا، وأن يؤيد المستلبين لحقه بل لواجبه في الخلافة بمثل هذا التعاون المخلص البناء؟ بل أفكان للصحابة رضوان الله عليهم كلهم أن يضيعوا أمر رسول الله ﷺ؟ بل أفكان من المتصور أن يجمعوا وفي مقدمتهم علي رضوان الله عليه على ذلك؟ بوسعنا أن نعلم إذن بكل بداهة، أن المسلمين إلى هذا العهد - نهاية عهد عمر - بل إلى نهاية عهد علي كانوا جماعة واحدة، ولم يكن في ذهن أي من المسلمين أي إشكال بشأن الخلافة أو شأن من هو أحق بها[1].

إن كثرة مشاورة عمر لعلي رضي الله عنهما، وغيره من الصحابة، لا يعني هذا أنه دونهم في الفقه والعلم، فقد بينت الأحاديث الصحيحة التي تدل على علو علمه، واكتمال دينه ولكن إيمانه وحبه للشورى، وتعويده للحكام فيما بعد على المشاورة، وعدم الاستبداد بالأمر والرأي، وإلا فإن عليًا رضي الله عنه كان كثيرا ما يرجع عن رأيه إلى رأي عمر[2]، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها في معرض حديثها عن عمر قولها: وقد كان علي رضي الله عنه يتابع عمر بن الخطاب، فيما يذهب إليه ويراه، مع كثرة استشارته عليًا، حتى قال علي رضي الله عنه: يشاورني عمر في كذا، فرأيت كذا، ورأى هو كذا، فلم أر إلا متابعة عمر[3].

رابعًا: علي رضي الله عنه وأولاده وعلاقتهم بعمر رضي الله عنهم:

كان عمر رضي الله عنه شديد الإكرام لآل رسول الله ﷺ وإيثارهم على أبنائه وأسرته، نذكر من ذلك بعض المواقف:

١ - أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر:

جاء فيما رواه الحسين بن علي رضي الله عنهما: أن عمر قال لي ذات يوم: أي بني لو جعلت تأتينا وتغشنا؟ فجئت يومًا وهو خال بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقيني بعد، فقال: يا بني لم أرك أتيتنا؟ قلت: جئت وأنت خال بمعاوية

---

(١) فقه السيرة للبوطي ص ٢٩٥.

(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص٧٧.

(٣) الإمامة والرد على الرافضة للأصبهاني ص٢٩٥.

فرأيت ابن عمر رجع، فرجعت فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنبت في رؤوسنا ما ترى: الله، ثم أنتم، ووضع يده على رأسه[١].

٢ - والله ما هنأ لي ما كسوتكم:

روى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه علي بن الحسين، قال: قدم على عمر حلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صاربين عينيه، ثم قال: والله ما هنأ لي ماكسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كبرت عنهما وصغراً عنها، ثم كتب إلى اليمن أن ابعث بحلتين لحسن وحسين، وعجل، فبعث إليه بحلتين فكساهما[٢].

٣ - تقديم بني هاشم في العطاء:

عن أبي جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعدما فتح الله عليه، وجمع ناسًا من أصحاب النبي ﷺ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول الله ﷺ، ومن بني هاشم رهط رسول الله ﷺ، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتى والى بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بني عدي بن كعب، فكتب: من شهد بدراً من بني هاشم، ثم شهد بدراً من بني أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله[٣].

٤ - كساني هذا الثواب أخي وخليلي:

خرج علي وعليه برد عدني فقال: كساني هذا الثوب أخي وخليلي وصفيي وصديقي أمير المؤمنين عمر[٤]، وفي رواية عن أبي السفر قال: رؤي على علي بن

---

(١) المرتضى ص١١٨، كنز العمال (٧/ ١٠٥) الإصابة (١/ ١٣٣).

(٢) المرتضى ص١١٨، الإصابة (١/ ١٠٦).

(٣) الخراج لأبي يوسف ص ٢٤، ٢٥، المرتضى ص ١١٨.

(٤) المختصر من كتاب الموافقة ص ١٤٠.

أبي طالب رضي الله عنه برد كان يكثر لبسه قال: فقيل: يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا البرد؟ فقال: نعم، إن هذا كسانيه خليلي وصفيي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ناصح الله فنصحه، ثم بكى[١].

٥ ـ أقطاع ينبع:

أقطع عمر بن الخطاب عليًا ينبع، ثم اشترى علي إلى قطيعة عمر أشياء فحفر فيها عينا.فبينما هم يعملون فيها إذ تفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء، فأتي علي وبشر فتصدق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله ليوم تبيض وجوه وتسود وجوه ليصرف الله تعالى بها وجهه عن النار ويصرف النار عن وجهه، وكتب في صدقته: هذا ما أمر به علي بن أبي طالب وقضي في ماله: إني تصدقت بنبع ووادي القرى والأذنية وراعة في سبيل الله ووجهه، أبتغي مرضات الله، ينفق منها في كل منفعة في سبيل الله ووجهه، وفي الحرب والسلم والجنود وذوي الرحم القريب والبعيد، لا يباع ولا يوهب ولا يورث حيًا أنا أو ميتًا، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخره، ولا أبتغي إلا الله عز وجل، فإنه يقبلها وهو يرثها وهو خير الوارثين، فذلك الذي قضيت فيها بيني وبين الله عز وجل[٢].

٦ ـ لتقولن يا أبا الحسن:

اجتمع عند عمر جماعه من قريش فيهم علي فتذكروا الشرف، وعلي ساكت. فقال عمر: مالك يا أبا الحسن ساكتًا؟ فكأن عليًّا كره الكلام، فقال عمر: لتقولن يا أبا الحسن، فقال علي:

في كل معترك تزيل سيوفنا ... فيها الجماجم عن فراخ الهام[٣]

الله أكرمنا بنصر نبيه ... وبنا أعز شرائع الإسلام

ويزورنا جبريل في أبياتنا ... بفرائض الإسلام والأحكام[٤]

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة (١٢/ ٢٩) رقم ١٢٠٤٧ نقلا عن الشريعة للآجري (٥/ ٢٣٢٧) إسناده حسن.

(٢) المحلى (٦/ ١٨٠)، مصنف عبدالرزاق (١٠/ ٣٧٥) فقه علي، قلعجي ص٦٢٦.

(٣) فراخ الهام: فراخ الرأس على التشبيه.

(٤) المختصر من كتاب الموافقة ص١٣٨.

٧ - حوار بين أمير المؤمنين عمر وعلي حول الرؤيا:

قال عـمر بن الخطاب رضي الله عنه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أعـجب من رؤيا الرجل إنه يبيت فـيرى الشـيء لم يخطر لـه على بـال، فـتكون رؤيـاه كأخـذ اليد، ويرى الرجل الشيء، فلا تكون رؤياه شـيئا، فقـال علي بن أبي طالب: أفــلا أخـبــرك بــذلك يا أميـر المؤمـنين؟ إن الله يقـول[1]: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

خامساً: زواج عمر من ام كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنته من فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم من الفاروق حينما سأله زواجها منه رضي الله عنه بما يطلب، وثقة فيه وإقراراً لـفضله ومناقبه، واعترافًا بمحاسنه وجمال سـيرته، وإظهاراً بأن بينهم من العـلاقات الوطيدة الطيبة والـصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحسـاد من أعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم[2]، فقد كان عمر يكن لأهل البيت مـحبة خاصة لا يكنها لغيـرهم لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من إكرام أهل البيت ورعاية حقوقهم، فمن هذا الباعث خطب عمر أم كلثوم ابنته علي وفاطمة رضوان الله عليهم وتودد إليه في ذلك قائلاً: فوالله مـا على الأرض رجل يرصد من حسن صـحبتهـا ما أرصد، فقـال علي: قد فعلت فأقبل عـمر إلى المهاجرين، وهو مسرور قائلاً: رفـئوني... ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامه إلا ما كان من سببي ونسبي**»، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب[3]، ولقد أقر بهذا الزواج كافة أهل التـاريخ والانساب وجميع محدثي الشيـعة وفقائهم ومكابرهم ومجادليـهم وائمتهم المعصومين حـسب زعمهم ولقد أورد الشيخ إحسـان الهي ظهير

---

(١) الفتاوى (٥/ ٢٧٠، ٢٧١).

(٢) الشيعة وأهل البيت ص١٠٥.

(٣) إسناده حسن: أخـرجه الحاكم في المستدرك(٣/ ١٤٢) صـحيح الإسناد ولم يخرجـاه وقال الذهبي متـعقبـا منقطع وأورده الهيـثمي في(مجمع الزائد ٩/ ١٧٣) وقـال رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار - ورجالهما رجـال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة، وهناك من ضعفه.

روايات بخصوص ذلك في كتابه الشيعة والسنة[١]، ولقد ذكر هذا الزواج علماء أهل السنة في التاريخ وأجمعت مصادرهم عليه ومن العلماء الذين ذكروا هذا الزواج، الطبري[٢]، وابن كثير[٣]، والذهبي[٤]، وابن الجوزي[٥]، والديار بكري[٦]، وقد ذكر هذا[٧] الزواج كتب التراجم، كابن حجر[٨]، وابن سعد[٩]، وأسد الغابة وقد قام الأستاذ أبو معاذ الإسماعيلي في كتابه زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ﷺ حقيقة وليس افتراء بتتبع مراجع ومصادر الشيعة وأهل السنة فيما يتعلق بهذا الزواج ورد على الشبهات التي ألصقت بهذا الزواج الميمون وقد ذكرت شيئًا من سيرتها ومواقفها في حياتها في عهد الفاروق في كتابي (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، شخصيته وعصره).

هذا وقد ولدت أم كلثوم بنت علي من عمر ﷺ ابنة سميت (رقية) وولد سمته زيدا، وقد روى أصحاب السير أن زيد بن عمر حضر مشاجرة في قوم من يني عدي بن كعب ليلا فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابته ضربة شجت رأسه ومات من فوره، وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشيا عليها، من الحزن فماتت من ساعتها، ودفنت أم كلثوم وابنها زيد بن عمر في وقت واحد، وصلى عليهم عبد الله ابن عمر بن الخطاب، قدمه الحسن بن علي بن أبي طالب وصلى خلفه[١٠].

سادسًا: قول عمر لفاطمة ﷺ يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك:

عن أسلم العدوي قال: لما بويع لأبي بكر بعد النبي ﷺ كان علي والزبير بن

---

(١) الشيعة وأهل البيت ١٠٥.
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٢٨).
(٣) البداية والنهاية (٥/ ٢٢٠).
(٤) تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ص١٦٦.
(٥) المنتظم (٤/ ١٣١).
(٦) تاريخ الخميس نقلا عن زواج عمر من أم كلثوم لأبي معاذ ص١٩.
(٧) الإصابة لابن حجر ص٢٧٦ كتاب الكنى وكتاب النساء.
(٨) المصدر نفسه.
(٩) أسد الغابة (٧/ ٤٢٥).
(١٠) المصدر نفسه (٧/ ٤٢٥)، ونساء أهل البيت منصور عبدالحكيم ص١٨٥ ، ١٨٦.

العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها، فبلغ عمر، فدخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك، وكلمها، فدخل علي والزبير على فاطمة فقالت: انصرفا راشدين، فما رجعا إليها حتى بايعا[1]، وهذا هو الثابت الصحيح والذي مع صحة سنده ينسجم مع روح ذلك الجيل وتزكية الله له وقد زاد الروافض في هذه الرواية واختلقوا إفكا وبهتانا وزورا وقالوا بأن عمر قال: إذا اجتمع عندك هؤلاء النفر أن أحرق عليهم هذا البيت، لأنهم أرادوا شق عصى المسلمين بتأخرهم عن البيعة، ثم خرج عنها، فلم يلبث أن عادوا إليها، فقالت لهم: تعلمون أن عمر جاءني وحلف بالله لإن أنتم عدتم إلى هذا البيت ليحرقنه عليكم، وايم الله إنه ليصدقن فيما حلف عليه، فانصرفوا عني فلا ترجعوا إلي، ففعلوا ذلك، ولم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا[2]، وهذه القصة لم تثبت عن عمر رضي الله عنه، ودعوى أن عمر رضي الله عنه همّ بإحراق بيت فاطمة، من أكاذيب الرافضة، أعداء صحابة رسول الله، وقد أوردها مع أكاذيب أخرى الطبري الطبرسي في كتابه دلائل الإمامة[3]، عن جابر الجعفي، وهو رافضي كذاب باتفاق أئمة الحديث كما في الميزان[4] للذهبي وتهذيب التهذيب[5]، وزعم بعض الروافض أن عمر ضرب فاطمة حتى أسقط ولدها محسنًا وهو في بطنها، وهذه من الأكاذيب الرافضية التي لا أساس لها من الصحة وما علموا أنهم يطعنون في علي رضي الله عنه وذلك باتهامه بالجبن والسكوت عن عمر وهو من أشجع أصحاب النبي ﷺ[6]، بل إن بعض كتب الروافض أنكر صحة هذا الهذيان والزور[7]. علمًا بأن محسن ولد في حياة النبي كما ثبت ذلك بالرواية الصحيحة.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: المصنف (١٤/٥٦٧) إسناده صحيح.
(٢) عقائد الثلاثة والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (١/ ١٤٠).
(٣) دلائل الإمامة ص٢٦ نقلاً عن عقائد الثلاثة والسبعين (١/ ١٤٠).
(٤) الميزان للذهبي (١/٢٧٩).
(٥) تهذيب التهذيب (٢/٤٧).
(٦) حقبة من التاريخ ص٢٢٤.
(٧) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص٢٥٢.

سابعًا: الخلاف بين العباس وعلي وحكم عمر رضي الله عنه بينهما:

قال مالك بن أوس: بينما أنا جالس في أهلي حين متع النهار[1]، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني، فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلق معه حتى دخل على عمر، فإذا هو جالس على رمال[2] سرير ليس بينه وبينه فراش، متكئ على وسادة من آدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مالك إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برضخ، فاقبضه فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أمرت به غيري، قال: اقبضه أيها المرء، فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ، فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص، يستأذنونه؟ قال: نعم فأذن لهم فدخلوا فسلموا وجلسوا ثم جلس يرفأ يسيرًا، ثم قال: هل لك في علي، وعباس؟ قال نعم: فأذن لهما، فدخلا فسلما فجلسا، فقال عباس: يا امير المؤمنين اقض بيني وبين هذا. وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من مال بني النضير، فقال الرهط عثمان وأصحابه: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر. قال عمر: تيدكم[3]، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله، قال: «لا نورث ما تركناه صدقة»، يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على علي، وعباس، فقال: أنشدكما بالله أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك، قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، أن الله قد خص رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدًا غيره، ثم قرأ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:٦]. فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ووالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموها، وبثها فيكم، حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكم بالله، هل تعلمان ذلك؟ قالا: نعم، قال عمر: ثم توفى الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر: أنا وليّ رسول الله ﷺ والله

---

(١) متع النهار: ارتفع قبل الزوال.

(٢) المراد أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف ولم يكن.

(٣) التيد: الرفق، يقال: تيدك هذا، أي اتئل.

يعلم إنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا وليّ أبا بكر فقبضتها سنتين من إمارتي، اعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم أني فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني تكلماني وكلمتكما واحدة وأمركم واحد، جئتني يا عباس، تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا «يريد عليًا» يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله قال: «لا نورث ما تركناه صدقة»، فلما بدا لي ان أدفعه إليكما؟.

قلت إن شئتما دفعتها إليكما، على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ وما عمل أبو بكر، وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل على عليٍّ وعباس فقال: أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتمسان مني قضاء غير ذلك، فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضي فيها قضاء غير ذلك فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي، فإني أكفيكماهما[1].

ثامنًا: ترشيح عمر علي للخلافة مع أهل الشورى وما قاله علي في عمر بعد استشهاده:

١ – ترشيح علي مع أهل الشورى:

لما طعن عمر رضي الله عنه وظن أنه سيفارق الحياة، وأخذ المسلمون يدخلون عليه، ويقولون له: أوصي يا أمير المؤمنين، استخلف، فقال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر – أو الرهط – الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى عليًا، وعثمان، والزبير، وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن[2]، ثم دعا خاصتهم وهم عبدالرحمن، وعثمان، وعلي فوعظهم[3]، إن عمر رضي الله عنه إمام وعليه أن يستخلف الأصلح للمسلمين، فاجتهد في ذلك ورأى أن الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض أحق من غيرهم، وهو كما رأى، فإنه لم يقل أحدًا غيرهم أحق منهم،

---

(١) البخاري رقم ٣٠٩٤ مسلم ١٧٥٧ واللفظ للبخاري.
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٤٢).
(٣) البخاري رقم ٣٧٠٠.

وجعل التعيين إليهم خوفًا أن يعين واحداً منهم، ويكون غيره أصلح لهم، فإن ظهر له رجحان الستة دون رجحان التعيين، وقال الأمر في التعيين إلى الستة يعينون واحدا منهم، وهذا اجتهاد إمام عادل ناصح لا هوى له ﷺ وهو نموذج واقعي لتطبيق قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨] وقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، فكان ما فعله من الشورى مصلحة[١].

إن الفاروق ﷺ رأى الأمر في الستة متقاربا فإنهم وإن كان لبعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض، فلذلك المفضول مزية أخرى ليست للآخر، ورأى إنه إذا عين واحداً فقد يحصل بولايته نوع من الخلل فيكون منسوبا إليه، فترك التعيين خوفا من الله تعالى، وعلم أنه ليس واحداً أحق بهذا الأمر منهم فجمع بين المصلحتين بين تعيينهم إذ لا أحق منهم وترك تعيين واحد منهم لما تخوفه من التقصير والله تعالى قد أوجب على العبد أن يفعل المصلحة بحسب الإمكان فكان ما فعله غاية ما يمكن من المصلحة[٢]، ولا يقال أنه بجعله الأمر شورى بين الستة قد خالف به من تقدمه كما هو زعم الشيعة الرافضة، لأن الخلاف نوعان، خلاف تضاد وخلاف تنوع وما فعله عمر ﷺ من النوع التالي[٣]، وقد أقره على اجتهاده كل الصحابة ولم نسمع أحداً عارضه، وقد بسطت ما ابتكره عمر من طريقة جديدة في اختيار الخليفة من بعده في كتابي فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره، فمن أراد التوسع فليرجع إليه مشكوراً.

٢ - ما قاله علي ﷺ في عمر ﷺ بعد استشهاده :

قال ابن عباس كما في صحيح البخاري: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، إذا علي بن أبي طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدا أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وحسبت أني

---

(١) منهاج السنة (٣/ ١٦٢ - ١٦٤)، المنتقى ص٣٦٢ - ٣٦٤.
(٢) منهاج السنة (٣/ ١٦٢ - ٦٤)، المنتقى ص٣٦٢ - ٣٦٤.
(٣) عقيدة أهل السنة (٣/ ١٠٤٢).

كنت كثيراً ما أسمع النبي ﷺ يقول: «ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»[١].

٣ - قول علي في عمر:

إن عمر كان رشيد الأمر، وحرصه على عدم مخالفته بعد وفاته: عن عبد خير قال: كنت قريبا من علي حيث جاء أهل نجران قال قلت: فإن كان رادا على عمر شيئا فاليوم، قال: فسلموا واصطفوا بين يديه، قال: ثم أدخل بعضهم يده في كمه فأخرج كتابًا فوضعه في يد علي، قالوا: يا أمير المؤمنين، خطك بيمينك ما أملى رسول الله ﷺ عليك، قال: فرأيت عليًا وقد جرت الدموع على خده قال: ثم رفع رأسه إليهم فقال: يا أهل نجران، إن هذا لآخر كتاب كتبته بين يدي رسول الله ﷺ، قالوا: فأعطنا ما فيه، قال: سأخبركم عن ذاك: إن الذي أخذه عمر لم يأخذه لنفسه، إنما أخذه بجماعة من المسلمين، وكان الذي أخذه منكم خيراً مما أعطاكم والله لا أرد شيئا مما صنعه عمر، إن عمر كان رشيد الأمر[٢]، وهذه الحادثة أصل الفقهاء عليها قولهم: لا يرد القاضي اجتهاد قضاء من قبله عند علي[٣]، وروي عنه أنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون حتى تكونوا جماعة، فإني أخشى الاختلاف[٤]، وهو قول جمهور الفقهاء[٥]، وقد قال علي: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر[٦].

٤ - إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك:

لما فرغ علي من وقعة الجمل، ودخل البصرة، وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة، سار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الاثنين، لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن

---

(١) البخاري، رقم ٣٦٨٥.

(٢) معجم البلدان (٥/ ٢٦٩)، المختصر من كتاب الموافقة ص١٣٩ فقه الإمام علي (٢/ ٨١٣) نقلاً عن السنن للبيهقي، إسناده مرسل الآجري (٤/ ١٧٧٧) إسناده مرسل.

(٣) فقه الإمام علي (٢/ ٨١٣).

(٤) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٣٢٩) نقلا عن فقه الإمام علي (٢/ ٨١٣).

(٥) فقه الإمام علي (٢/ ٨١٣).

(٦) المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة ص ١٤٠ إسناده منقطع، ابن أبي شيبة في المصنف(١٢/ ٣٣) رقم ١٢٠٥٤.

عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك، فنزل في الرحبة وصلى في الجامع الأعظم ركعتين[١].

٥ ـ حب أهل البيت لعمر رضي الله عنه:

إن من دلالة محبة أهل البيت للفاروق رضي الله عنه تسمية أبنائهم باسمه، حبا وإعجابا بشخصيته، وتقديراً لما أتي به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقراراً بالصلات الودية الوطيدة والتي تربطه بأهل بيت النبوة والرحم، والصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمي ابنه باسمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سمى ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية عمر[٢]، وقد جاء في كتاب صاحب الفصول، تحت ذكر أولاد علي بن أبي طالب: وعمر من التغلبية، وهي الصهباء بنت ربيعة من السبي الذي أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر، وعمِّر عمر هذا حتى بلغ خمسا وثمانين سنة فحاز نصف ميراث علي رضي الله عنه، وذلك أن جميع أخواته وأشقائه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين رضي الله عنه - يعني أنه لم يقتل معهم - بالطف فورثهم[٣]، هذا وتبعه حسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فسمّى أحد أبنائه عمر أيضًا[٤]، وكذلك الحسين بن علي سمّى عمر، ومن بعد الحسين ابنه علي الملقب بزين العابدين سمّى أحد أبنائه باسم عمر[٥]، وكذلك موسى بن جعفر الملقب بالكاظم سمى أحد أبنائه باسم عمر[٦]، فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدي النبي ﷺ ومعالم منهج أهل السنة والجماعة بسيرتهم العطرة يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه في صدورهم من حبهم وولائهم له بعد وفاته بمدة، وقد جرى هذا الاسم وكذلك أبو بكر وعثمان في ذرية أهل البيت ممن ساروا على مذهب الحق وهو منهج أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا ونجد أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين في البيوت الهاشمية التي التزمت

---

(١) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان ص٣٨٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي (٢/٢١٣)، الشيعة وأهل البيت ص١٣٣.

(٣) الفصول المهمة ص١٤٣، الشيعة وأهل البيت ١٣٣.

(٤) الشيعة وأهل البيت ص١٣٣.

(٥) المصدر نفسه ص١٣٤.

(٦) المصدر نفسه ص١٣٥.

بالكتاب والسنة، فقد سموا طلحة، وعبد الرحمن وعائشة وأم سلمة، ونحن ندعو الشيعة اليوم، بالاقتداء بعلي والحسن والحسين وسائر الأئمة من آل البيت، فيسمون بعض أبنائهم وبناتهم بأسماء الخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين[١]. نرجو ذلك.

٦ - عمر بن الخطاب جعله الله سببًا في ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم:

أعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحسين بن علي رضي الله عنه من غنائم الفرس ابنة يزدجرد ملك الفرس، فولدت له زين العابدين علي بن الحسين الذي لم يبق من أبناء الحسين غيره، وكل ذرية الحسين تناسلوا منه وينسبون إليه[٢]، فيحذر الذين يسبون عمر بن الخطاب ممن ينتسبون إلى الحسين، فلولاه بعد الله لما كان لهم وجود[٣]، كما أن عمر رضي الله عنه أعطى أختها لمحمد بن أبي بكر فكان عديلاً للحسين، وأنجبت له القاسم بن محمد بن أبي بكر، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعلي بن الحسين زين العابدين ابن خالته[٤].

٧ - قول عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب في عمر رضي الله عنهم[٥]:

عن حفص بن قيس، قال: سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخُفَّين، فقال: امسح، فقد مسح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: فقلت: إنما أسألك أنت تمسح؟ قال: ذاك أعجَزُ لك، أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي، فعمر كان خيراً مني ومن ملء الأرض. فقلت: يا أبا محمد، فإن ناسًا يزعمون أنّ هذا منكم تقية، قال: فقال لي - ونحن بين القبر والمنبر : اللهم إن هذا قولي في السر والعلانية، فلا تسمعنّ عَلَيَّ قول أحد بعدي. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن عليًا رضي الله عنه كان

---

(١) اذهبوا فأنتم الرافضة، عبد العزيز الزبيري ص٢٣٠.

(٢) عمدة الطالب في أنساب أبي طالب الفصل الثاني عنوان (عقب الحسين) نقلا عن اذهبوا فأنتم الرافضة ص٢٣٢.

(٣) اذهبوا فأنتم الرافضة ص٢٣٢.

(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٤).

(٥) هو عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو محمد الهاشمي كان ذا هيبة ولسان وشرف وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز توفي سنة ١٤٥ الأعلام للزركلي (٤/٢٠٧)، تاريخ بغداد (٩/ ٤٣١).

مقهوراً، وأن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه؟ وكفى بإزراء على علي ومنقصة أن يزعم أن رسول الله ﷺ أمره بأمر ولم ينفذه[١].

المبحث الثالث: علي رضي الله عنه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

أولاً: بيعة علي لعثمان رضي الله عنهما:

لم يكد يفرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى أسرع رهط الشورى وأعضاء مجلس الدولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وقيل أنهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهرية أخت الضحاك بن قيس، ليقضوا في أعظم قضية عرضت في حياة المسلمين - بعد وفاة عمر - وقد تكلم القوم وبسطوا آراءهم واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء رضيها الخاصة والكافة من المسلمين[٢]، وقد أشرف على تنفيذ عملية الشورى واختيار الخليفة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وحقق رضي الله عنه أول مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختيار من يتحمل أعباء الخلافة ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة والصبر والحزم وحسن التدريب ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمى[٣]، وقاد ركب الشورى بمهارة وتجرد، مما يستحق أعظم التقدير[٤]، قال الذهبي: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزل نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابيا فيها لأخذ لنفسه، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص[٥]، وقد تم الاتفاق على بيعة عثمان بعد صلاة صبح يوم البيعة اليوم الأخير من شهر ذي الحجة ١٣هـ/٦ نوفمبر ٦٤٤م، وكان صهيب الرومي الإمام إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف، وقد اعتم بالعمامة التي عممه بها رسول الله ﷺ، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، منهم:

---

(١) النهي عن سبب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب لمحمد عبد الواحد المقدسي ص٥٧.
(٢) عثمان بن عفان، لصادق عرجون، ص٦٢، ٦٣.
(٣) المصدر نفسه ص٧٠، ٧١.
(٤) مجلة البحوث الإسلامية العدد ١٠ ص٢٥٥.
(٥) سير أعلام النبلاء (٨٦/١).

معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر وصاحبوه إلى المدينة[١]، وجاء في رواية البخاري: فلما صلى للناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال أما بعد؛ يا عليُّ إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل على نفسك سبيلا. فقال[٢]: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون[٣]، وجاء في رواية صاحب التمهيد والبيان أن علي بن أبي طالب أول من بايع بعد عبد الرحمن بن عوف[٤].

ثانيًا: أباطيل رافضية دست في قضية الشورى:

هناك أباطيل رافضية دست في التاريخ الإسلامي منها في قصة الشورى وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين والمحدثين، ولم يمحصوا الروايات ويحققوا في سندها ومتنها، فانتشرت بين المسلمين، لقد اهتم مؤرخو الشيعة الرافضة بقصة الشورى وتولية عثمان ابن عفان الخلافة ودسوا فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتبا خاصة، فقد ألف أبو مخنق كتاب الشورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه[٥]، ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقدي في خبر الشورى وبيعة عثمان وتاريخ توليه للخلافة[٦]، ورواية من طريق عبيد الله بن موسى تضمنت مقتل عمر وحصره للشورى في الستة ووصيته لكل من علي وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيب في هذا الأمر[٧]، وقد نقل البلاذري خبر الشورى وبيعة عثمان عن

---

(١) شهيد الدار ص٣٧.
(٢) قوله: فقال: أي عبد الرحمن مخاطبًا عثمان.
(٣) البخاري، ك الاحكام، رقم ٧٢٠٧.
(٤) التمهيد والبيان ص٢٦.
(٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (١٤/٢٤٦).
(٦) الطبقات الكبرى (٣/٦٣)، (٣/٦٧).
(٧) المصدر السابق.

أبي مخنف[(١)]، وعن هشام الكلبي منها مانقله عن أبي مخنف ومنها ما تفرد به[(٢)]، وعن الواقدي[(٣)]، وعن عبيد الله بن موسى[(٤)]، واعتمد الطبري في هذه القصة على عدة روايات منها رواية أبي مخنف[(٥)]، ونقل ابن أبي الحديد بعض أحداث قصة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهري[(٦)]، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشورى) للواقدي[(٧)]، وقد تضمنت الروايات الشيعية الرافضية عدة أمور مدسوسة ليس لها دليل من الصحة، وهي:

١ - اتهام الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين:

اتهمت الروايات الشيعية الرافضية الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين، وعدم رضا علي بأن يقوم عبد الرحمن باختيار الخليفة، فقد ورد عند أبي مخنف وهشام الكلبي عن أبيه وأحمد الجوهري أن عمر جعل ترجيح الكفتين إذا تساوتا بعبد الرحمن بن عوف، وأن عليًا أحس بأن الخلافة قد ذهبت منه، لأن عبد الرحمن سيقدم عثمان للمصاهرة التي بينهما[(٨)]، وقد نفى ابن تيمية أي ارتباط في النسب القريب بين عثمان وعبد الرحمن فقال: فإن عبد الرحمن ليس أخا لعثمان ولا ابن عمه ولا من قبيلته أصلا، بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية، وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلا منهم إلى بني أمية، فإن بني زهرة أخوال النبي ﷺ، ومنهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص الذي قال له النبي ﷺ: **«هذا خالي، فليرني امرؤ خاله»**[(٩)]، فإن النبي ﷺ لم يؤاخ بين مهاجري ومهاجري ولا بين أنصاري وأنصاري، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار فآخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن الربيع الأنصاري[(١٠)]، وحديثه مشهور ثابت في الصحاح وغيرها، يعرفه أهل

---

(١) أنساب الأشراف (٥/ ١٨، ١٩).
(٢) المصدر السابق (٥/ ١٨، ١٩).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ١٨، ١٩).
(٤) المصدر نفسه (٥/ ٦).
(٥) أثر التشيع على الروايات التاريخية ص٣٢١.
(٦) شرح نهج البلاغة (٩/ ٤٩، ٥٠، ٥٨).
(٧) شرح نهج البلاغة (٩/ ١٥).
(٨) أثر التشيع على الروايات التاريخية ص٣٢٢.
(٩) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٢٠) رقم ٤٠١٨.
(١٠) البخاري، ك مناقب الأنصار رقم ٣٧٨٠.

العلم بذلك(١)، وقد بنت الروايات الشيعية الرافضية محاباة عبد الرحمن لعثمان للمصاهرة التي كانت بينهما، متناسية أن قوة النسب أقوى من المصاهرة من جهة، ومن جهة أخرى تناسوا طبيعة العلاقة بين المؤمنين في الجيل الأول وأنها لا تقوم على نسب ولا مصاهرة وأما كيفية المصاهرة التي كانت بين عبد الرحمن وعثمان فهي أن عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد(٢).

٢- حزب أموي وحزب هاشمي:

أشارت رواية أبي مخنف إلى وقوع مشادة بين بني هاشم وبني أمية أثناء المبايعةوهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة(٣)، وقد انساق بعض المؤرخين خلف الروايات الشيعية الرافضية لحاجة في نفوسهم مع بطلانها سندًا ومتنًا من جهة وثبوت روايات صحيحة تناقض ما ذهبوا إليه من جهة أخرى وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الروايات فصوّروا تشاور أصحاب الرسول ﷺ في تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائري وأن الناس قد انقسموا إلى حزبين حزب أموي وحزب هاشمي، وهو تصور موهوم واستنتاج مردود لا دليل عليه، إذ ليس نابعًا من ذلك الجو الذي كان يعيشه أصحاب رسول الله حينما كان يقف المهاجري مع الأنصاري ضد أبيه وأخيه وابن عمه وبني عشيرته، وليس نابعًا من تصور هؤلاء الصحب وهم يضحون بكل شيء من حطام الدنيا في سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة، فالأحداث الكثيرة التي رويت عن هؤلاء تثبت أن هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزاوية الضيقة في معالجة أمورهم فليست القضية تمثيل عائلي أو عشائري، فهم أهل شورى لمكانتهم في الإسلام(٤).

٣- أكاذيب نسبت زورًا وبهتانًا لعلي رضي الله عنه:

قال ابن كثير: وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن عليًّا قال لعبد الرحمن خدعتني، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك

(١) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢٧١ - ٢٧٢).
(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ١٢٧).
(٣) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص١٧٧، ١٧٨.
(٤) الخلفاء الراشدون، أمين القضاة ص٧٨، ٧٩.

كل يوم في شأنه وأنه تلكأ حتى قال عبدالرحمن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]. إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائليها وناقليها والله أعلم، والمظنون من الصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها ومستقيمها وسقيمها[١].

ثالثًا: المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما:

الذي عليه أهل السنة من قدم عليًّا على أبي بكر وعمر فإنه ضال مبتدع، ومن قدم عليًّا على عثمان فإنه مخطئ ولا يضللونه، ولا يبدعونه[٢]، وإن كان بعض أهل العلم قد تكلم بشدة على من قدم عليًّا على عثمان بأنه قال: من قدم عليًّا على عثمان فقد زعم أن أصحاب رسول الله ﷺ خانوا الأمانة حيث اختاروا عثمان على علي رضي الله عنه[٣]، وقد قال ابن تيمية: استقر أمر أهل السنّة على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ومن طعن في خلافة هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله[٤]، وذكر أقوال أهل العلم في مسألة تفضيل علي على عثمان: فقال: فيها روايات: إحداهما، لا يسوغ ذلك، فمن فضل عليًّا على عثمان خرج من السنة إلى البدعة، لمخالفته لإجماع الصحابة، ولهذا قيل: من قدم عليًّا على عثمان، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، يروى ذلك عن غير واحد، منهم أيوب السختياني وأحمد ابن حنبل والدارقطني والثانية: لا يبدع من قدم عليًّا، لتقارب حال عثمان وعلي[٥].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٥٢).
(٢) مجموعة الفتاوى (٣/ ١٠١ ، ١٠٢).
(٣) حقبة من التاريخ لعثمان الخميس ص٦٦.
(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠١، ٢٠١).
(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٧).

رابعًا: علي رضي الله عنه يقيم الحدود ويستشار في شئون دولة عثمان رضي الله عنه:

١ - إقامة علي للحدود في عهد عثمان رضي الله عنه:

عن حصين بن المنذر، قال: شهدت عثمان بن عفان، وأتي بالوليد فشهد عليه رجلان أحدهما، حمران أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه لم يتقيأ، فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال: يا علي قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال: الحسن ولِّ حارّها من تولى قارّها[(١)]، فكأنه وجد عليه، فقال يا عبدالله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلي يعد، حتى بلغ أربعين فقال أمسك، ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين، وأبوبكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إلي[(٢)]، ويؤخذ من هذا الحديث بأن عليًا رضي الله عنه كان قريبًا من عثمان ومعينا له على طاعة الله، وكان علي رضي الله عنه يقول: في معرض دفاعه عن عثمان ردا على من يعيب على عثمان بفعل المنسوب للوليد: إنكم ما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل رِدَءَه[(٣)]، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله وعزله عن عمله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا[(٤)].

٢ - استشارة عثمان لعلي رضي الله عنه وكبار الصحابة في فتح إفريقية:

جاء في رياض النفوس أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان جاءه من واليه على مصر «عبدالله بن سعد» أن المسلمين يغيرون على أطراف إفريقية فيصيبون من عدوهم، وأنهم قريبون من حَوز المسلمين، فأعرب عثمان بن عفان رضي الله عنه - على إثر ذلك - للمسور بن مخرمة عن رغبته في بعث الجيوش لغزو إفريقية. جاء في هذا الصدد ما نصه: فما رأيك يا ابن مخرمة؟ قلت: أغزهم. قال: أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله، واستشيرهم، فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته.. إيت عليًا، وطلحة والزبير والعباس، وذكر رجالاً، فخلا بكل واحد منهم في المسجد، ثم دعا أبا الأعور «سعيد بن زيد» فقال له عثمان: لم كرهت - يا أبا

---

(١) أي: ول بشدتها وأوساخها من تولى هنيئها ولذاتها.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ك الحدود (١١/٢١٦).
(٣) الردء هو العون: تاريخ الطبري (٥/٢٧٨).
(٤) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١/ ٤٢١).

الأعور - من بعثة الجيوش إلى إفريقية؟ فقال له: سمعت «عمر» يقول: لا أغزيها أحدًا من المسلمين ما حملت عيناتي الماء. فلا أرى لك خلاف عمر، فقال له عثمان: والله ما نخافهم وإنهم لراضون أن يقروا في مواضعهم، فلا يغزون، فلم يختلف عليه أحد ممن شاوره غيره، ثم خطب الناس، وندبهم إلى الغزو، إلى إفريقية، فخرج بعض الصحابة منهم عبدالله بن الزبير، وأبو ذر الغفاري[١].

٣ - رأي علي رضي الله عنه في جمع عثمان رضي الله عنه الناس على قراءة واحدة:

جمع عثمان رضي الله عنه المهاجرين والأنصارو وشاورهم في الأمر وفيهم أعيان الصحابة وفي طليعتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعرض عثمان رضي الله عنه هذه المعضلة على صفوة الأمة وقادتها الهادين المهديين، ودارسهم أمرها ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيه، وظهر للناس في أرجاء الأرض ما انعقد عليه إجماعهم، فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف، ولا عرف عند أحد نكير، وليس شأن القرآن الذي يخفى على آحاد الأمة فضلاً عن علمائها وأئمتها البارزين[٢] أن عثمان رضي الله عنه لم يبتدع في جمعه المصحف، بل سبقه إلى ذلك أبوبكر الصديق رضي الله عنه كما أنه لم يضع ذلك من قبل نفسه إنما فعله عن مشورة للصحابة رضي الله عنهم، وأعجبهم هذا الفعل وقالوا: نعم ما رأيت، وقالوا: أيضًا: قد أحسن - أي في فعله في المصاحف[٣]، وقد أدرك مصعب بن سعد صحابة النبي ﷺ حين مشق[٤] عثمان المصاحف فرآهم قد اعجبوا بهذا الفعل منه[٥]، وكان علي رضي الله عنه ينهى من يعيب على عثمان رضي الله عنه بذلك ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً - أو قولوا خيرا - فوالله ما فعل الذي فعل - أي في المصاحف - إلا عن ملأ منا جميعا أي الصحابة... والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[٦]، وجاء في رواية أخرى عن علي قوله: لما اختلف الناس في القرآن وبلغ ذلك عثمان جمعنا أصحاب

---

(١) رياض النفوس (١/ ٨، ٩)، الجهاد والقتال هيكل (١/ ٥٥٦).

(٢) عثمان بن عفان، صادق عرجون ص١٧٥.

(٣) فتنة مقتل عثمان (١/ ٧٨).

(٤) مشق: الحرق (لسان العرب ١٠/ ٣٤٤).

(٥) التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٩٤) إسناده حسن لغيره.

(٦) فتح الباري (٩/ ١٨) إسناده صحيح.

رسول الله واستشارنا في جميع الناس على قراءة، فأجمع رأينا مع رأيه على ذلك وقال بعد ذلك: لو وليت الذي ولي، لصنعت مثل الذي صنع(١).

خامساً: موقف علي رضي الله عنه في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه:

كانت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، كالرخاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعي، ومجئ عثمان بعد عمر رضي الله عنهما وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتآمر الحاقدين، والتدبير المحكم لإشارة المآخذ ضد عثمان، واستخدام الوسائل والأساليب المهيجة للناس، وأثر السبئية في أحداث الفتنة وقد فصلت وشرحت تلك الأسباب في كتابي «تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان شخصيته وعصره».

لقد استخدم أعداء الإسلام في فتنة مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيجة للناس، من إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيرا، والتحريض، والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس، والطعن على الولاة، واستخدام تزوير الكتب واختلاقها على لسان الصحابة رضي الله عنهم، عائشة وعلي وطلحة والزبير، والإشاعة بأن علياً ابن أبي طالب رضي الله عنه الأحق بالخلافة وأنه الوصي بعد رسول الله ﷺ، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر أربع فرق من كل مصر مما يدل على التدبير المسبق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاءوا إلا بدعوة الصحابة، وصعدوا الأحداث حتى وصل إلى القتل(٢)، وإلى جوار هذه الوسائل، استخدموا مجموعة من الشعارات منها، التكبير، ومنها أن جهادهم هذا ضد المظالم ومنها أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا في جرأتهم وطالبوا بل سارعوا إلى قتل الخليفة وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزادهم حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة، والتشوق إلى قتله بأي وسيلة(٣).

---

(١) سنن أبي داود، ك المصاحف ص٢٩، ٣٠ إسناده صحيح خلافة علي بن أبي طالب، علي عبد الحميد ص٨٠.

(٢) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٤٠١.

(٣) المصدر نفسه ص٤٠٢.

كان التنظيم السبئي بقيادة عبد الله بن سبأ اليهودي خلف تلك الأحداث والتي بعدها وسيأتي الحديث عنه بإذن الله، وعن عثمان الذي هز مقتله العالم الإسلامي وأثره في كثير من الأحداث إلى يومنا هذا.

١- موقف علي رضي الله عنه في بداية الفتنة:

استمر علي رضي الله عنه في طريقته المعهودة مع الخلفاء، وهي السمع والطاعة والإدلاء بالمشورة والنصح، وقد عبر بنفسه عن مدى طاعته للخليفة عثمان والتزام أمره ولو كان شاقًا بقوله: لو سيرني عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت[١]، وعندما نزل المتمردون في ذي المروة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهرًا ونصفًا، أرسل إليهم عثمان عليًا ورجلا آخر لم تسمه الروايات والتقى بهم علي رضي الله عنه فقال لهم: تعطون كتاب الله، وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك[٢]، وفي رواية أنهم شادوه وشادهم مرتين أو ثلاثا، ثم قالوا: ابن عم رسول الله ﷺ، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله فقبلوا[٣]، فاصطلحوا على خمس: على أن المنفي يقلب. والمحروم يعطى، ويوفر الفيء ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك في كتاب ، أن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبوموسى على الكوفة[٤]، وهكذا اصطلح عثمان رضي الله عنه مع كل وفد على حده ثم انصرفت الوفود إلى ديارها[٥]، وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعا راضين تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطا آخر يذكي الفتنة ويحييها يقتضي تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان رضي الله عنه وبرز ذلك فيما يأتي: في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكبا على جمل يتعرض لهم، ويفارقهم - فكأنه يقول: خذوني فقبضوا عليه، وقالوا له: مالك؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله فتحوا الكتاب فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها[٦]، ونفى عثمان رضي الله عنه أن يكون كتب هذا الكتاب،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٢٥) سنده صحيح.
(٢) تاريخ دمشق ترجمة عثمان ص٣٢٨، تاريخ خليفة ص١٦٩ .
(٣) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٢٩).
(٤) المصدر نفسه (١/ ١٢٩).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٣٢٩).
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٣٧٩).

وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمين بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمليت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم، فلم يصدقوه[١] وهو الصادق البار لغاية في نفوسهم، وهذا الكتاب الذي زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبي سرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزور مكذوب على لسان عثمان وذلك لعدة أمور منها[٢]، كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين، الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم - مسافة شاسعة، فالعراقيون في الشرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعًا في آن واحد، كأنما كانوا على ميعاد؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوّروا الكتاب واستأجروا راكبًا ليحمله ويمثل الدور في البُوَيْب أمام المصريين، قد استأجروا راكبًا آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتابًا بعث فيه عثمان لقتل المنحرفين المصريين، وهذا ما احتج به علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا[٣]، بل إن عليًّا يحزم: هذا والله أمر أبرم بالمدينة[٤].

إن هذا الكتاب المشؤوم ليس أول كتاب يزوِّره هؤلاء المجرمون، بل زوَّروا كتبًا على لسان أمهات المؤمنين، وكذلك على لسان علي وطلحة والزبير، فهذه عائشة رضي الله عنها تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتنفي وتقول: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا[٥]، ويعقب الأعمش فيقول: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها[٦] ويتهم الوافدون عليًّا بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتابًا[٧]، كما ينسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل

---

(١) فتنة مقتل عثمان (٥/ ١٣٢)، البداية والنهاية (٧/ ١٩١).
(٢) تيسير الكريم المنّان في سيرة عثمان بن عفان للصَّلاَّبيِّ ص٤١٠.
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٣٥٩).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٣٥٩).
(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٤).
(٦) تاريخ خليفة بن خياط ص١٦٩.
(٧) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥)، البداية والنهاية (٧/ ١٩١).

الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم فدين محمد قد فسد وترك، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة[1]، ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً: وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كتب من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج قتلة عثمان كُتُبٌ مزورة عليهم أنكروها، وكذلك زوّر هذا الكتاب على عثمان أيضًا، فإنه لم يأمر به، ولم يعلم به[2]، ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبري وخليفة من استنكار كبار الصحابة علي وعائشة والزبير أنفسهم لهذه الكتب في أصحّ الروايات[3]، إن الأيدي المجرمة التي زوّرت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهي التي زورت وروّجت على عثمان تلك الأباطيل، وإنه فعل وفعل، ولقنتها للناس، حتى قبلها الرعاع، ثم زورت على لسان عثمان ذلك الكتاب، ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيداً سعيداً، ولم يكن عثمان الشهيد هو المجني عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنيًا عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوّه المحرَّف، والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوّهًا هي كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي، وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين، أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب في هذا العصر من المسلمين أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره[4].

٢- موقف علي رضي الله عنه أثناء الحصار:

اشتد الحصار على عثمان رضي الله عنه، حتى منع من أن يحضر للصلاة في المسجد، وكان صابراً على هذه البلوى التي أصابته كما أمره رسول الله ﷺ بذلك وكان مع إيمانه القوي بالقضاء والقدر، يحاول أن يجد حلاً لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة دم المسلم، وأنه لا يحل سفكه إلا بحقه وتارة يتحدث في الناس ويظهر فضائله وخدماته الجليلة في الإسلام ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضوان

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥)، البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥).

(٤) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر ص٢٢٨، ٢٢٩.

الله عليهم[١] وكـأنه يقول، من هذا عـمله وفـضله هل من الممكن أن يطمع بالدنيـا ويقدمها على الآخرة وهل يعقل يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عنـد الله وهو الذي تربى على عين النبي والذي شـهد له وزكاه وكـذلك أفاضل الصحابة، أهكذا تكون معاملتـه؟ واشتدت سيطرة الثوار على المدينة حتى إنهم ليصلون بالـناس في أغلب الأوقات[٢]، وحينهـا أدرك الصحـابة أن الأمر ليس كـما حسبـوا، وخشوا من حدوث ما لا يحمـد عقباه، وقد بلغـهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم بسبـبه[٣]، وأرسل كبـار الصحـابة أبناءهم دون استشـارة عثـمان رضي الله عنه، ومن هؤلاء الحسن بن علي رضي الله عنهما، وعبدالله بن الزبير، حيث تذكر بعض الروايات أن الحسن حمل جريحًا من الدار يوم الدار[٤]، كما جرح غير الحسن، عـبدالله بن الزبير، ومحمد بن حاطب ومروان بن الحكم، كـما كان معهم الحـسين بن علي وابن عمر رضي الله عنهم[٥]، وقد كان عـلي من أدفع الناس عن عثـمان رضي الله عنه، وشـهد له بذلك مـروان بن الحكم[٦]، أقرب الناس إلى عـثمان رضي الله عنه، وألصـقهم به في تلك المحنة القاسـية الأليمـة، وقد أخرج ابن عساكـر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عليًا أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسـمائة دارع، فأذن لي، فأمنعك من القوم، فإنك لم تحدث شيـئًا يستحل به دمك، فقال: جزيت خيـرًا، ما أحب أن يهراق دم في سببي[٧]، وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان رضي الله عنهما، أثناء الحصار فمن ذلك: أن الثائرين منعوا عن عثمـان الماء حتى كاد أهله أن يموتوا عطشًا، فأرسل علي رضي الله عنه إليـه بثلاث قرب مملوءة ماء، فما كادت تـصل إليه، وجرح بسببها عدة من مـوالي بني هاشم وبني أمية حتى وصلت[٨]، ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغاء على عثمان وقتلوه رضي الله عنه وأرضاه،

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبدالحميد علي ص٨٥.
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٥).
(٣) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٧)، المسند (١/ ٣٩٦) أحمد شاكر.
(٤) الطبقات لابن سعد (٨/ ١٢٨) بسند صحيح.
(٥) تاريخ خليفة ص١٧٤.
(٦) تاريخ الإسلام للذهبي الخلفاء الراشدون ص٤٦٠، ٤٦١ إسناده قوي.
(٧) تاريخ دمشق ص٤٠٣.
(٨) أنساب الأشراف للبلاذري (٥/ ٦٧).

ووصل الخبر إلى الصحابة وأكثرهم في المسجد، فذهبت عقولهم، وقال علي لأبنائه وأبناء إخوانه: كيف قتل عثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن، وكان قد جرح[1] وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله ويقول: تبا لكم سائر الدهر، اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن أكون قتلت أو مالأت على قتله[2]، وهكذا كان موقف علي رضي الله عنه، نصح وشورى، سمع وطاعة، وقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه لكن الأمر فوق طاقته، وخارج إرادته إنها إرادة الله عز وجل أن يفوز أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بالشهادة[3].

٣- المصاهرات بين آل علي وآل عثمان رضي الله عنهم:

لم يكن بين بني هاشم وبني أمية من المباغضة والعداوة والمنافرة التي اخترعها وابتكرها أعداء الإسلام والمسلمين ونسجوا الأساطير والقصص حولها، ولقد اتضح لكل منصف أن بني أمية مع بني هاشم علاقتهم فيما بينهم علاقة أبناء العمومة والإخوان والخلان، فهم من أقرب الناس فيما بينهم يتبادلون الحب والتقدير والاحترام، ويتقاسمون الهموم والآلام والأحزان، فبنو أمية وبنو هاشم كلهم أبناء أب واحد، وأحفاد جد واحد، وأغصان شجرة واحدة قبل الإسلام وبعد الإسلام، وكلهم استقوا من عين واحدة ومنبع صاف واحد، وأخذوا الثمار من دين الله الحنيف الذي جاء به رسول الله الصادق الأمين، المعلم، المربي، خاتم الأنبياء والمرسلين، ولقد كان بين أبي سفيان وبين العباس صداقة يضرب بها الأمثال[4]، كما كانت بينهم المصاهرات قبل الإسلام وبعده، فلقد زوج رسول الله ﷺ بناته الثلاثة من الأربعة من بني أمية من أبي العاص بن الربيع وهو من بني أمية، ومن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وهو مع ذلك ابن بنت عمة رسول الله ﷺ التي ولدت مع والد رسول الله عليه الصلاة والسلام عبدالله بن عبدالمطلب توأمين أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس وهي أم عثمان وأمها أم حكيم وهي البيضاء بنت عبدالمطلب عمة النبي ﷺ، هذا

---

(١) ابن أبي عاصم الآحاد والثماني (١/ ١٢٥) نقلا عن خلافة علي ص٨٧.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٠٩) إسناده صحيح.

(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص٨٧.

(٤) الشيعة وأهل البيت ص١٤١.

ولقد تزوج بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه من بني هاشم ابنه إبان بن عثمان، وكانت عنده أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر (الطيار) بن أبي طالب شقيق علي رضي الله عنه[(١)]، وحفيدة علي وبنت الحسين سكينة كانت متزوجة من حفيد عثمان زيد بن عمرو بن عثمان رضي الله عنهم أجمعين، وحفيدة علي الثانية وابنة الحسين فاطمة كانت متزوجة من حفيد عثمان الآخر، محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان سيد بني أمية متزوجة من سيد بني هاشم وسيد ولد آدم رسول الله الصادق الأمين كما هو معروف، كما أن هند بنت أبي سفيان كانت متزوجة من الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم فولدت له ابنه محمد[(٢)].

وتزوجت لبابة بنت عبيدالله بن عباس بن عبد المطلب، العباس بن علي بن أبي طالب، ثم خلف عليها الوليد بن عتبة(ابن أخ معاوية) بن أبي سفيان[(٣)]، وتزوجت رملة بنت محمد بن جعفر ـ الطيار ـ بن أبي طالب سليمان بن هشام بن عبدالملك (الأموي) ثم أبا القاسم بن وليد بن عتبة بن أبي سفيان[(٤)]، وكذلك تزوجت ابنة علي بن أبي طالب رملة من ابن مروان بن الحكم[(٥)] بن أبي العاص بن أمية، فقد كانت رملة بنت علي عند أبي الهياج.. ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص[(٦)]، وتزوجت حفيدة علي بن أبي طالب من حفيد مروان بن الحكم، فنفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب تزوجها وليد بن عبدالملك بن مروان فتوفيت عنده، وأمها لبابة بنت عبدالله بن عباس[(٧)]، وقد اكتفيت ببيان بعض منها، وفيها كفاية لمن أراد الحق والتبصر[(٨)].

سادساً: من أقوال علي رضي الله عنه في الخلفاء الراشدين:

إن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم قد أجمع على صحتها وانعقادها

---

(١) المعارف للدينوري ص٨٦، الشيعة وأهل البيت ص١٤١.
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ١٥)، الإصابة (٣/ ٥٨ ، ٥٩).
(٣) نسب قريش ص١٣٣، الشيعة وأهل البيت ص١٤٣.
(٤) الشيعة وأهل البيت ص١٤٣.
(٥) المصدر نفسه ص ١٤٣.
(٦) جمهرة أنساب العرب ص٨٧، نسب قريش ص٤٥.
(٧) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٤).
(٨) الشيعة وأهل البيت ص١٤٤.

الصحابة الكرام، ومن طعن في أحد منهم فقد خالف قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقول النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ» فهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ ومن اتبعهم بإحسان[١]، وما أحسن ما قاله أيوب السختياني في هذا المقام. حيث قال: من أحب أبابكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله عز وجل، ومن أحب عليًا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحاب محمد فقد بريء من النفاق[٢].

قال الشاعر:

إني رضيت عليًا قدوة علمًا	كما رضيت عتيقًا صاحب الغار
وقد رضيت أبا حفص وشيعته	وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
كل الصحابة عندي قدوة علم	فهل علي بهذا القول من عار
إن كنت تعلم أني لا أحبهم	إلا لوجهك أعتقني من النار[٣]

هذا وقد جاءت الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة في العلاقة المتميزة بين علي والخلفاء الراشدين ﷺ، وقد تمّ توضيح ذلك في الصفحات الماضية وهذه بعض الأدلة نضيفها إلى ما سبق من براهين ساطعة على مكانه الخلفاء الراشدين عند أمير المؤمنين علي ﷺ:

١- سيدا كهول أهل الجنة وشبابها:

عن علي ﷺ قال: كنت عند النبي ﷺ، فأقبل أبوبكر وعمر، فقال: يا عليُّ، هذان سيدا كهول أهل الجنة، وشبابها، بعد النبيين والمرسلين[٤].

(١) الشريعة للآجري (١٧٦٨/٤).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ١٧٧٢ ، ١٧٧٣).
(٣) الشريعة (٥/ ٢٥٣٦).
(٤) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٦٠٢ حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

٢- ما أضمر لهما إلا الذي أتمنى المضي عليه:

عن سويد بن غفلة، قال: مررتُ بنفر من الشيعة يتناولون أبابكر وعمر فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين، مررت بنفر من أصحابك آنفًا يتناولون أبابكر وعمر بغير الذي هما له من هذه الأمة أهل، فلولا أنك تُضْمِرُ على مثل ما أعلنوا عليه ما تجرَّؤوا على ذلك. فقال علي: ما أضمر لهما إلا الذي أتمنى المُضيَّ عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل. ثم نهض دامع العين يبكي، قابضًا على يدي حتى دخل المسجد، فصعد المنبر وجلس عليه متمكنًا قابضا على لحيته ينظر فيها وهي بيضاء، حتى اجتمع له الناس، ثم قام فخطب خطبة موجزة بليغة، ثم قال: ما بال قوم يذكرون سيِّدَي قريش وأبوي المسلمين؟ أنا مما قالوا بريء وعلى ما قالوا مُعاقِبٌ، ألا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر رديّ، صحبا رسول الله على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله، ولا كان رسول الله يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحدًا، قضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راض، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، أمر رسول الله أبابكر لصلاة المؤمنين فصلَّى بهم تسعة أيام(١) في حياة رسول الله، فلما قبض الله تعالى نبيه ﷺ واختار له ما عنده، ولاَّه المؤمنون أمرهم، وقضوا إليه الزكاة، لأنهما مقرونتان ثم أعطوه البيعة طائعين غير كارهين، أنا أول من سَنَّ ذلك من بني عبدالمطلب، وهو لذلك كاره يودُّ أنَّ أحدنا كفاه ذلك، وكان والله خير من بقي، أرحمه رحمة، وأرأفه رأفة، وأثبته ورعًا، وأقدمه سنًا وإسلامًا.. فسار فينا سيرة رسول الله حتى مضى على ذلك، ثم ولي عمر الأمر من بعده، فمنهم من رضي، ومنهم من كره، فلم يفارق الدنيا حتى رضي به من كان كرهه فأقام الأمر على منهاج النبي ﷺ وصاحبه، يتبع آثارهما كتباع الفصيل(٢)، أمه، وكان والله رفيقًا رحيما، وللمظلومين عونا راحمًا وناصرًا، لا يخاف في الله لومة لائم، ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى كنا نظن أن ملكًا ينطق على لسانه، أعزَّ الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قواما، ألقى الله تعالى له في قلوب المنافقين الرّهبة، وفي قلوب المؤمنين المحبة.. إلى أن قال: فمن

---

(١) في الأصل سبعة، وورد تصويبها في الهامش.

(٢) الفصيل ولد الناقة إذا فُصل عن أمه.

لكم بمثلهما رحمة الله عـليهما ورزقنا المضيَّ على سبيلهما، فإنـه لا يبلغ مبلغهما إلا باتّباع آثارهما والحبِّ لهما، ألا فمن أَحبَّني فليُحبهما، ومن لم يُحبَّهما فقد أبغضني، وأنا منه بريء، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما. لعاقبت على هذا أشد العقوبة، ولكن لا ينبغي أن أعـاقب قبل التقدم، ألا فـمن أُتيتُ به يقول هذا بعد اليـوم، فإنّ عليه مـا على المفتَرى، ألا وخيـر هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر وعمـر، ولو شئت سمّيت الثالث، وأستغفر الله لي ولكم[١].

٣- هذا عثمان بن علي سميته بعثمان بن عفان:

عن أبي سعيـد الخدري: نظرت إلى غلام أيفع[٢]، له ذؤابة[٣] وجمة[٤]، والله يعلم إني منه حينئذٍ لفي شك، ما أدري غلام هو أو جارية، فمررنا بأحسن منه وهو جالـس إلى جنب عليّ فقلت: عـافاك الله، من هذا الفـتى إلى جانبك؟ قـال: هذا عثمـان بن عليّ سميته بعـثمان بن عفان، وقـد سميت بعمـر بن الخطاب، وسميت بعـباس عم رسـول الله، وقد سمـيت بخـير البـرية محـمد، فأمـا حسن وحسين ومحسن[٥]، فإنما سمـاهم رسول الله وعقّ عنهم وحلق رؤوسهم[٦]، وتصدق وزنها وأمر بهم فسـموا وختنوا[٧]، فقد ولدوا في عهده علـيه الصلاة والسلام ورسول الله هو الذي سماهم وعقّ عنهم.

٤- أبوبكر وعمر وعثمان ﭬ كان لهم بالنبي ﷺ اختصاص عظيم:

قد عرف بالتواتر الذي لا يخـفى على العامة والخاصة أن أبا بكر وعمـر وعثمان ﭬ كان لهم بالنبي ﷺ اختـصاص عظيم وكانوا من أعـظم الناس اختصـاصًا به، وصحبة له وقربة إلـيه، وقد صاهرهم كلهم وكان يحبهم ويثني عليهم، وحـينئذ فإما

(١) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ص٤٣، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكائي رقم ٤٤٥٦.
(٢) أيفع: شارف الاحتلام.
(٣) الذؤابة: هي الشعر المضفور من شعر الرأس.
(٤) الجمة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين.
(٥) مسند أحمد (٢/ ١١٥) رقم ٧٦٩ قال أحمد شاكر، إسناده صحيح.
(٦) المختصر من كتاب الموافقة ص١٤١.
(٧) وختنوا: الختن للرجال، والخفض للنساء، المختصر من كتاب الموافقة ص١٤١.

أن يكونوا على الاستقامة ظاهرًا وباطنًا في حياته وبعد موته، وإما أن يكونوا بخلاف ذلك في حياته، أو بعد موته، فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا القرب فأحد الأمرين لازم، إما عدم علمه بأحوالهم، أو مداهنته لهم، وأيهما كان فهو من أعظم القدح في الرسول ﷺ كما قيل:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول في خواص أمته، وأكابر أصحابه، ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله، فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين؟ فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول ﷺ كما قال: الإمام مالك وغيره: إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ﷺ ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين، ولهذا قال أهل العلم: إن الرافضة دسيسة الزندقة[١].

٥- ما يترتب عليه في مذهب الرافضة من تكفير الصحابة:

إن مذهب الرافضة في تكفير الصحابة يترتب عليه تكفير أمير المؤمنين لتخليه عن القيام بأمر الله، ويلزم عليه إسقاط تواتر الشريعة، بل بطلانها ما دام نقلتها مرتدين، ويؤدي إلى القدح في القرآن العظيم، لأنه وصلنا عن طريق أبي بكر وعمر وعثمان وإخوانهم، وهذا هو هدف واضع هذه المقالة، ولذلك قال أبو زرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة[٢]، ولذلك اعترفت كتب الشيعة أن الذي وضع هذه المقالة هو ابن سبأ فقالت إنه: أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعى أن عليًا عليه السلام أمره بذلك[٣].

---

(١) منهاج السنة (٤/ ١٢٣)، أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣١).

(٢) الكفاية ص٤٩.

(٣) المقالات والفرق للقمي ص٢٠ نقلا عن أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٣).

٦ - قرائن عملية وأدلة واقعية على حقيقة العلاقة بين علي والخلفاء الراشدين:

قامت القرائن العملية والأدلة الواقعية من سيرة أمير المؤمنين علي في علاقته مع إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان مما اشتهر وذاع نقله وقد نقلنا منه الكثير فيما مضى ما يثبت المحبة الصادقة والإخاء الحميم بين هذه الطليعة المختاره، والصفوة من جيل الصحابة رضوان الله عليهم، وتأتي في مقدمة هذه الأدلة والقرائن تزويج أمير المؤمنين علي ابنته أم كلثوم لأمير المؤمنين عمر[1]، فإذا كان عمر فاروق هذه الأمة قد صار عند الشيعة الروافض أشد كفراً من إبليس، أفلا يرجعون إلى عقولهم ويتدبروا فساد ما ينتهي إليه مذهبهم؟ إذ لو كان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما كافرين كما يفترون لكان علي بتزويجه ابنته أم كلثوم الكبرى من عمر رضي الله عنه كافراً أو فاسقا معرضا بنته للزنا، لأن وطء الكافر للمسلمة زنا محض[2]، والعاقل المنصف البريء من الغرض، الصادق في محبته للنبي ﷺ وأهل بيته واتباعه لهم لا يملك إلا الإذعان لهذه الحقيقة، حقيقة الولاء والحب بين الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، ولذلك لما قيل لمعز الدولة أحمد بن بويه وكان رافضيًا يشتم صحابة رسول الله إن عليًّا رضي الله عنه زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب، استعظم ذلك وقال: ما علمت بهذا، وتاب وتصدق بأكثر من ماله وأعتق مماليكه ورد كثيراً من المظالم وبكى حتى غشي عليه[3]، لشعوره بعظم جرمه فيما سلف من عمره، الذي أمضاه ينهش في أعراض هؤلاء الأطهار مغتراً بشبهات الروافض[4]، وقد حاول شيوخ الشيعة الروافض إبطال مفعول هذا الدليل فوضعوا روايات مكذوبة عن لسان الأئمة تقول: ذلك فرج غصبناه[5]، فزادوا الطين بلة، حتى صوروا أمير المؤمنين في صورة «الديوث» الذي لا ينافح عن عرضه، ويقر الفاحشة في أهله، وهل يتصور مثل هذا في حق أمير المؤمنين علي بطل الإسلام؟ إن أدنى العرب ليبذل نفسه دون عرضه، ويقتل دون حرمه، فضلا عن بني هاشم الذين هم سادات العرب وأعلاها نسبًا وأعظمها مروءة وحمية، فكيف

---

(١) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٢).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٩٣٢).

(٣) المنتظم (٧/ ٣٨ ، ٣٩).

(٤) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٧).

(٥) فروع الكافي (٢/ ١٠)، أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٧).

يثبتون لأمير المؤمنين وابنته حفيدة رسول الله مثل هذه المنقصة الشنيعة، وهو الشجاع الصنديد، ليث بني غالب، أسد الله في المشارق والمغارب[١].

ويبدو أن بعضهم لم يعجبه هذا التوجيه، فرام التخلص من هذا الدليل بمنطق أغرب وأعجب، حيث زعم أن أم كلثوم لم تكن بنت علي ولكنها جنية تصورت بصورتها[٢]. فأتوا بما يستخف به أصحاب العقول ويستطيع كل من أراد أن يدّعي على من يكرهه بأنه جني أو جنية وهكذا يعيش الناس في الخرافات وتضيع الحقيقة.

ومن القرائن أيضا علاقات القربى القائمة بينهم، ووشائج الصلة، وكذلك مظاهر المحبة، حتى أن عليًا والحسن والحسين كما مرّ معنا يسمون بعض أولادهم باسم أبي بكر وعمر، وهل يطيق أحد أن يسمي أولاده بأسماء أشد أعدائه كفراً وكرها له؟ وهل يطيق أن يسمع أسماء أعدائه تتردد في أرجاء بيته يرددها مع أهله في يومه مرات وكرات[٣].

إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لا يحفظ عنه الصحابة ومن تبعهم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلا محبة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في حياتهم وفي خلافتهم وبعد وفاتهم، فأما في خلافتهم فسامع لهم مطيع، يحبهم ويحبونه، ويعظم قدرهم ويعظمون قدره، صادق في محبتهم، مخلص في الطاعة لهم، يجاهد من يجاهدون، ويحب ما يحبون، ويكره ما يكرهون، يستشيرونه في النوازل فيشير مشورة ناصح مشفق محب، فكثير من سيرتهم بمشورته جرت[٤]، وهم يبادلونه نفس الشعور ويقال: إنه لا يجتمع حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إلا في قلوب أتقياء هذه الأمة[٥]، وقال سفيان الثوري: لا يجتمع حب عثمان وعلي رضي الله عنهما إلا في قلوب نبلاء الرجال[٦]، وقال أنس بن مالك: قالوا: إن حب عثمان وعلي رضي الله عنهما لا يجتمعان في قلب مؤمن، كذبوا. فقد جمع الله عز وجل حبهما بحمد الله في قلوبنا[٧].

---

(١) مؤتمر النجف للسويدي ص٨٦ نقلا عن أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٧).

(٢) الأنوار النعمانية (١/ ٨٣، ٨٤) نقلا عن أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٨).

(٣) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٨).

(٤) الشريعة للآجري (٥/ ٢٣١٢).

(٥) المصدر نفسه (٥/ ٢٣١٢).

(٦) حلية الأولياء (٧/ ٣٢).

(٧) الشريعة للآجري (٥/ ٢٣١٢) إسناده صحيح.

سابعًا: وصف لأصحاب النبي ﷺ في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن المناسب أن أختم هذا الفصل بهذه الآية الكريمة لتكون دليلا على ما ذكرته من المحبة والرحمة والتعاون بين الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، فهذه الآية تضمنت ذكر منزلة الرسول ﷺ بالثناء ثم ثنى الله تعالى فيها بالثناء على سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فذكر تعالى أن صفاتهم الشدة والغلظة على أهل الكفر، كما وصفهم بالتراحم والتعاطف فيما بينهم، ووصفهم بأنهم يكثرون من الأعمال الصالحة المقرونة بالإخلاص وسعة الرجاء، وفي مقدمة تلك الأعمال الصالحة إكثارهم من الصلاة ابتغاء الحصول على فضل من الله ورضوان كما بين ـ سبحانه ـ أن آثار ذلك يظهر على وجوههم «سيماهم في وجوههم من أثر السجود» والسيما العلامة. وقد قيل بها بياض يكون في الوجوه يوم القيامة قاله الحسن وسعيد بن جبير وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواية أخرى عنه وعن مجاهد: السيماء في الدنيا هو السمت الحسن: «وعن مجاهد أيضا: هو الخشوع والتواضع»[(١)].

وهذه الأقوال لا منافاة بينها إذ يمكن أن يكون في الدنيا هو السمت الذي ينشأ عن التواضع والخشوع وفي الآخرة يكون في جباههم نور[(٢)] قال ابن كثير: فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم وقال مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة، ولهذا قال سبحانه ههنا

---

(١) تفسير الطبري (٢٦/ ١١٠، ١١١)، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٣، ٢٩٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٦/ ١١٢).

﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ ثم قال ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي: فراخه ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي: شده وقواه ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ اي: شب وطال ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي: فكذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر. لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك.. ثم قال تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم﴾ أي: ثوابًا جزيلاً ورزقًا كريمًا ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الامة رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل[1]، وفي قوله سبحان في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ أخطر حكم وأغلظ تهديد وأشد وعيد في حق من غيظ بأصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه غل لهم[2]، وأما قوله تعالى في ختام الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيها وعد من الله تعالى لجميع الصحابة بالجنة وكذلك كل من آمن وعمل الصالحات من أمة الإجابة إذ هذا الوعد عام لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة[3] وكلمة منهم في الآية السابقة من لبيان الجنس وليست للتبعيض.

قال ابن تيمية: ولا ريب أن هذا مدح لهم بما ذكر من الصفات وهو الشدة على الكفار والرحمة بينهم والركوع والسجود يبتغون فضلا من الله ورضوانا والسيماء في وجوههم من أثر السجود وأنهم يبتدئون من ضعف إلى كمال القوة والاعتدال كالزرع والوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم ليس على مجرد هذه الصفات بل على الإيمان والعمل الصالح فذكر ما به يستحقون الوعد وأن كانوا كلهم بهذه الصفة ولولا ذكر ذلك لكان يظن أنهم بمجرد ما ذكر يستحقون المغفرة والأجر العظيم ولم يكن فيه بيان سبب الجزاء بخلاف ما إذا ذكر الإيمان والعمل الصالح فإن الحكم إذا علق باسم مشتق مناسب كان ما منه الاشتقاق سبب الحكم[4].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٦٥).

(٢) قبس من هدي الإسلام، عبدالمحسن العباد ص٨٦.

(٣) عقيدة أهل السنة من الصحابة (١/ ٧٦).

(٤) منهاج السنة (١/ ١٥٨).

إن ما ذكرته في هذا الفصل ينسجم كليا مع حديث القرآن الكريم عن الرحمة بين الصحابة والشدة على الكفار وخصوصا بين الخلفاء الراشدين فهم السادة الكرام، وعلية القوم، وقادة الأمة بعد وفاة نبيها، فالحذر كل الحذر من الروايات الضعيفة والقصص الموضوعة التي اختلقها أعداء الأمة ليشوهوا به تاريخ صدر الإسلام أنصدق الروايات الكاذبة والقصص الواهية التي تصور العداء بين الخلفاء الراشدين أم نصدق كتاب ربنا وما جاء في حقهم على لسان نبينا وما يوافقه مما دونه العلماء الثقات من أهل السنة والجماعة؟

قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣] فهذا وصف القرآن الكريم لحقيقة الألفة بين قلوب الصحابة فهي منحة ربانية ونعمة إلهية أعطاها الله لذلك الجيل الطاهر لا دخل لبشر فيها وبين القرآن الكريم أن الألفة بين الصحابة نعمة من الله تعالى امتن بها على رسول الله ﷺ وهذا التصوير القرآني لحقيقة الصحابة ينسجم مع الروايات الصحيحة التي تبين محبة الصحابة والمودة بينهم، وبذلك يفتضح أمر الذين وضعوا الروايات المكذوبة والموضوعة، والآية تشمل كل من سار على هدي القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين قال ابن عباس: قرابة الرحم تقطع، ومنة المنعم تكفر، ولم نر مثل تقارب القلوب[1].

قال الشاعر:

ولقد صحبت الناس ثم خبرتهم	وبلوت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعًا	وإذا المودة أقرب الأسباب[2]

---

(١) الدر المنثور في تفسير المأثور (٤/ ١٠٠).

(٢) المصدر نفسه (٤/ ١٠٠).

الفصل الثالث
بيعة عليّ رضي الله عنه
وأهم صفاتـه وحياتـه في المجتمع

المبحث الأول: بيعة علي رضي الله عنه:

أولاً: كيف تمت بيعة علي رضي الله عنه:

تمت بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة بطريقة الاختيار وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه على أيدي الخارجين المارقين الشذاذ الذين جاءوا من الآفاق ومن أمصار مختلفـة، وقبائل متباينة لا سابقة لهم، ولا أثر خيـر في الدين، فبعد أن قتلوه رضي الله عنه ظلمًا وزوراً وعدوانًا، يوم الجـمعة لثماني عشرة ليلة مـضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين[1] قام كل من بقي بالمدينة مـن أصحاب رسول الله بمبـايعة علي رضي الله عنه بالخلافـة وذلك لأنه لم يكن أحد أفـضل منه على الإطلاق في ذلك الوقت، فلم يدع الإمامة لنفسه أحد بعد عثمان رضي الله عنه ولم يكن أبو السبطين رضي الله عنه حريصا عليها، ولذلك لم يقبلهـا إلا بعد إلحاح شديـد ممن بقي من الصحابة بالمدينة وخـوفا من ازدياد الفتن وانتشـارها ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الجـهال أثر تلك الفتن كـموقعـة الجمل وصفين الـتي أوقد نارها وأنشـبها الحـاقدون على الإسـلام كابن سـبأ وأتباعـه الذين استخفهم فأطاعوه لفسقهم ولزيغ قلوبهم عن الحق والهدى، وقد روى الكيفية التي تم بها اختيـار علي رضي الله عنه للخلافة بعض أهل العلم[2]، فقد روى أبو بكر الخلال بإسناده إلى محمد ابن الحنفية قال: كنت مع علي رحمه الله وعثمان محاصر قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة قـال: فقام علي رحمه الله: قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفا عليه فقال: خل لا أم لك قـال: فأتى علي الدار وقد قتل الرجل رحمه الله فأتى داره فدخلها فأغلق بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا قد قتل، ولا بد للناس من خليفة ولا نعلم أحدًا أحق بها منك فقال لهم علي:

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣١).

(٢) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٢/ ٦٧٧).

لا تريدوني فإني لكم وزير خير مني لكم أمير فقالوا: لا والله لا نعلم أحدا أحق بها منك قال: فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سرا، ولكن أخرج إلى المسجد فبايعه الناس[١]، وفي رواية أخرى عن سالم بن أبي الجعد عن محمد ابن الحنفية: فأتاه أصحاب رسول الله فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد أحدا أحق بها منك أقدم مشاهد، ولا أقرب من رسول الله ﷺ، فقال علي: لا تفعلوا فإني وزير خير مني أمير، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قال: ففي المسجد فإنه لا ينبغي لبيعتي أن تكون خفيا ولا تكون إلا عن رضا المسلمين قال: فقال سالم بن أبي الجعد: فقال عبد الله بن عباس فلقد كرهت أن يأتي المسجد كراهية أن يشغب عليه وأبى هو إلا المسجد فلما دخل المسجد جاء المهاجرون والأنصار فبايعوا وبايع الناس[٢]، ومن هذه الآثار الصحيحة بعض الدروس والعبر والفوائد، منها:

١- نصرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه ودفاعه عنه وهذا متواتر عن علي رضي الله عنه بل كان أكثر الناس دفاعا عن عثمان رضي الله عنه جاء ذلك بأسانيد كثيرة وشهد بذلك مروان بن الحكم حيث قال: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم يعني عليًّا عن عثمان[٣].

٢- زهد علي رضي الله عنه في الخلافة وعدم طلبه لها أو طمعه فيها، واعتزاله في بيته حتى جاءه الصحابة يطلبون البيعة.

٣- إجماع أن الصحابة من المهاجرين والأنصار والناس عامة في المدينة على بيعته، ويدخل في هؤلاء أهل الحل والعقد - هم الذين قصدوا عليًّا وطلبوا منه أن يوافق على البيعة، وألحوا عليه حتى قبلها، وليس للغوغاء وقتلة عثمان كما في بعض الروايات الضعيفة والموضوعة.

٤- إن عليًّا كان أحق الناس بالخلافة يومئذ ويدل على ذلك قصد الصحابة له، وإلحاحهم عليه، ليقبل البيعة، وتصريحهم بأنهم لا يعلمون أحق منه بالخلافة يومئذ.

---

(١) كتاب السنة لأبي بكر الخلال ص٤١٥.
(٢) الخلال في السنة ص٤١٦ رجال الإسناد ثقات.
(٣) بيعة علي بن أبي طالب، أم مالك الخالدي ص٢ نقلا تاريخ الذهبي عهد الخلفاء الراشدين ص٤٦٠ إسناده قوي.

٥- أهمية الخلافة، ولذلك رأينا أن الصحابة أسرعوا في تولية علي، وكان علي يقول: لولا الخشية على دين الله لم أجبهم[١].

٦- إن الشبهة التي أدخلوها على بيعة علي، كون الخوارج الذين حاصروا عثمان، وشارك بعضهم في قتله، كانوا في المدينة وأنهم أول من بدءوا بالبيعة وأن طلحة والزبير بايعا مكرهين، وهذه أقاويل المؤرخين، لا تقوم على أساس وليس لها مسند صحيح، والصحيح أنه لم يجد الناس بعد أبي بكر وعمر وعثمان، كالرابع قدرا وعلما وتقى ودينا، وسبقا وجهاداً، فعزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضًا عليه، فانقاد إليه، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي، لأدى ذلك إلى فتن واختلافات في جميع الأقطار الإسلامية، فكان من مصلحة المسلمين أن يقبل علي البيعة مهما كانت الظروف المحيطة بها، ولم يتخلف عن علي أحد من الصحابة الذين كانوا بالمدينة وقد خلط الناس بين تخلف الصحابة عن المسير معه إلى البصرة وبين البيعة: أما البيعة فلم يتخلف عنها، وأما المسير معه تخلفوا عنه لأنها كانت مسألة اجتهادية[٢]، كما أن عليًا لم يلزمهم بالخروج معه كما سيأتي التفصيل بإذن الله عند حديثنا عن الجمل.

٧- لا بد من الحذر من مبالغات الإخباريين التي تزعم أن المدينة بقيت خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه[٣]، وتزعم أن الغوغاء من مصر عرضت الأمر على علي فرفضه، وأن خوارج الكوفة عرضوا الخلافة على الزبير، فلا يجدونه، ومن جاء من البصرة عرضوا على طلحة البيعة فهذا لا يثبت أمام الروايات الصحيحة، ولا يصح إسناده[٤]، كما أن المعروف تمكن الصحابة من المدينة وقدرتهم على القضاء على الغوغاء لولا طلب عثمان رضي الله عنه بالكف عن استخدام القوة ضدهم وقد فصلت ذلك في كتابي تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان والصحيح أن بيعة علي كانت عن طواعية واختيار من المسلمين وليس لأهل الفتنة دور في مبايعة علي، وإنما كل من كان من الصحابة في المدينة[٥]. هم الذين اختاروا أمير المؤمنين علي.

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٧٥) إسناده صحيح، بيعة علي ص١٠٥.
(٢) المدينة النبوية، محمد شرّاب (٢/ ٣١١).
(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٢).
(٤) استشهاد عثمان ووقعة الجمل د. خالد الغيث ص١٣٦ إلى ١٤٠.
(٥) استشهاد عثمان ص٢٤٠.

٨- بلغت الروايات الصحيحة والشواهد في بيعة علي إحدى عشرة رواية[١]، كما سيأتي تفصيل بعضها بإذن الله.

ثانيًا: أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة:

إن أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهذا معتقد أهل السنة والجماعة وهذا ما يجب على المسلم اعتقاده والديانة لله به في شأنه ترتيب الخلافة الراشدة، وقد ورد الإيماء إلى أحقية خلافة علي رضي الله عنه في كثير من النصوص الشرعية منها:

١- قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥] ووجه الاستدلال بها على حقية خلافة علي رضي الله عنه أنه أحد المستخلفين في الأرض الذين مكن الله لهم دينهم.

٢- قوله ﷺ: «**عليكم بستني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد**»[٢]. ووجه الدلالة في هذا الحديث على أحقية خلافة علي رضي الله عنه أنه أحد الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وحافظوا على حدود الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وساروا بسيرة رسول الله ﷺ في العدل وإقامة الحق.

٣- قوله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك من يشاء**»[٣]. وفي هذا الحديث إشارة إلى أحقية علي رضي الله عنه حيث إن خلافته كانت آخر الثلاثين من مدة خلافة النبوة التي حددها النبي ﷺ في هذا الحديث وبموجب هذا قال أهل العلم[٤]، قال أحمد بن حنبل: حديث سفينة في الخلافة صحيح وإليه أذهب في الخلفاء[٥]،

---

(١) بيعة علي بن أبي طالب ص١٢٢.
(٢) سنن أبي داود (٤/٢٠١)، الترمذي (٥/٤٤) حسن صحيح.
(٣) صحيح ابن حبان رقم ٦٦٥٧، الطبراني في الكبير ٦٤٤٢ السلسلة الصحيحة للألباني (١/٧٤٢ - ٧٤٩).
(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/٦٨٦).
(٥) السنة لعبد الله بن حنبل ص٢٣٥.

وقال عبد الله بن أحـمد: قلت لأبي إن قوما يقولون إنه ليس بخليـفة قال: هذا قول سوء رديء فقال: أصحاب رسول الله كـانوا يقولون له يا أمير المؤمنين أفنكذبهم وقد حج وقطع ورجم فيكون هذا إلا خليفة[١].

- وقال ابن تيمـية في حديث سفـينة: وهو حديث مشهـور من رواية حماد بن سلمة وعبـد الوارث بن سعيد والعوام بن حوشـب عن سعيد بن جمهـان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ رواه أهل السنن كأبي داود وغـيره واعتـمد عليه الإمام أحـمد وغيـره في تقرير خلافة الخلفـاء الراشدين الأربعة وثبـته أحمد واسـتدل به على من توقف في خلافـة علي من أجل افتراق الناس عليـه حتى قال أحـمد: من لم يرض بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ونهى عن مناكحته[٢].

وقال شارح الطحاوية: ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي ﷺ لما قتل عثمان وبايع الناس عليًا صار إماما حقا واجب الطاعة وهو الخليـفة في زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سفينة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»**[٣].

٤- عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه، فـانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فـأخذ رداءه فاحتبى، ثـم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين فرآه النبي ﷺ فينفض التـراب عنه ويقول: **«ويح[٤] عمـار تقتله الفئـة الباغـية يدعـوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»** قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن[٥]، وفي رواية مسلم عن أبي سعيد قال لعمار حين جـعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول: **«بؤسى[٦]**

(١) المصدر نفسه ص٢٣٥، عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٦٨٦).
(٢) هذه الرسالة بالمكتبة الظاهرية بخطه في مسودته نقلا عن عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٨٦).
(٣) شارح الطحاوية ص٥٤٥، السلسلة الصحيحة (١/ ٧٤٢-٧٤٩).
(٤) ويح: كلمة رحمة تقـال لمن وقع في هلكة لا يستحقها: الويل فـيوح والويح: ترحم غريب الحـديث لابن الجـوزي (٢/ ٤٨٦) لطائف في غـريب الحـديث(٤/ ٨٥) النهـاية في غـريب الحديث (٥/ ٢٣٥).
(٥) البخاري رقم ٤٤٧.
(٦) كأنه ترحم له من الشدة التي يقع فيها.

ابن سمية تقتلك فئة باغية»[1] قال ابن تيمية: بعد ذكره لقوله ﷺ **تقتل عمار الفئة الباغية**[2]: وهذا يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار وإن كان متأولا، أو باغ بلا تأويل وهو أصح القولين لأصحابنا وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليًا وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين وعندما أنكر يحيى بن معين على الشافعي استدلاله بسيرة علي في قتال البغاة المتأولين قال: أيجعل طلحة والزبير معا بغاة؟ رد عليه الإمام أحمد فقال: ويحك وأي شيء يسعه أن يصنع في هذه المقام يعني: إن لم يقتد بسيرة علي في ذلك لم يكن معه سنة من الخلفاء الراشدين في قتال البغاة - إلى أن قال - ولم يتردد أحمد ولا أحد من أئمة السنة في أنه غير علي أولى بالحق منه[3]، فلو قال قائل: إن قتل عمار كان بصفين، وهو مع علي والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار، فالجواب أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها وهو طاعة الإمام وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك لكونهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم[4].

قال النووي بعد قوله ﷺ: **«بؤسى ابن سمية تقتلك فئة باغية»**[5] قال العلماء، هذا الحديث حجة ظاهرة في أن عليًا رضي الله عنه كان محقا مصيبًا والطائفة الأخرى بغاة لكنهم مجتهدون فلا إثم عليهم لذلك.. وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ من أوجه: منها: أن عمارا يموت قتيلا وأنه يقتله مسلمون وأنهم بغاة، وأن الصحابة: يقاتلون وأنهم يكونون فرقتين باغية وغيرها وكل هذا وقع مثل فلق الصبح صلى الله وسلم على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى[6].

---

(١) مسلم رقم ٢٢٣٥.
(٢) مسلم رقم ٢٢٣٥.
(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٧، ٤٣٨).
(٤) فتح الباري (١/ ٥٤٢).
(٥) مسلم رقم ٢٢٣٥.
(٦) شرح النووي علي صحيح مسلم (١٨/ ٤٠، ٤١).

٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق**». وفيه أيضا: أنه قال: «**تكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق**»، وفي لفظ: قال: «**تمرق مارقة في فرقة من الناس فيلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق**». وجاء بلفظ: «**يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق**»(١)، فقوله ﷺ «**على حين فرقة**» - بضم الفاء - أي: في وقت افتراق الناس أي: افتراق يقع بين المسلمين وهو الافتراق الذي كان بين علي ومعاوية رضي الله عنهما(٢)، والمراد بالفرقة المارقة هم أهل النهروان كانوا في عسكر علي رضي الله عنه في حرب صفين فلما اتفق علي ومعاوية على تحكيم الحكمين خرجوا وقالوا: إن عليًا ومعاوية استبقا إلى الكفر كفرسي رهان فكفر معاوية بقتال علي ثم كفر علي بتحكيم الحكمين وكفروا طلحة والزبير فقتلتهم الطائفة الذين كانوا مع علي وقد شهد النبي ﷺ أن الطائفة التي تقتلهم أقرب إلى الحق وهذا شهادة من النبي ﷺ لعلي وأصحابه بالحق وهذا من معجزات النبي ﷺ لكونه أخبر بما يكون فكان على ما قال وفيه دلالة واضحة على صحة خلافة علي رضي الله عنه وخطأ من خالفه(٣).

ثالثًا: بيعة طلحة والزبير لعلي رضي الله عنهم:

عن أبي بشير العابدي قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان رضي الله عنه واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا عليًا، فقالوا: يا أبا الحسن هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به.. فاختاروا والله فقالوا: ما نختار غيرك(٤).. إلخ الرواية وفيها تمام البيعة لعلي رضي الله عنه والروايات في هذا كثيرة ذكر بعضها ابن جرير في تاريخه(٥)، وهي دالة على مبايعة الصحابة رضي الله عنهم لعلي رضي الله عنه واتفاقهم على بيعته بما فيهم طلحة والزبير، كما جاء مصرحا به في الرواية

---

(١) هذه الأحاديث في صحيح مسلم (٢/ ٧٤٥، ٧٤٦).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٦٦).

(٣) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين لابن قدامة ص ٧٥، ٧٦ نقلا عن عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٦٨٣).

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٩) إسناد الرواية حسن لغيره حملة رسالة الإسلام الأولون محب الدين الخطيب ص٥٧.

(٥) انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٨-٤٥٠) وقد قام بجمع هذه الروايات ودرسها الدكتور محمد أمحزون تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٥٩-٧٥).

السابقة وأما ما جاء في بعض الروايات من أن طلحة، والزبير بايعا مكرهين فهذا لا يثبت بنقل صحيح، والروايات الصحيحة على خلافه[١]، فقد روى الطبري عن عوف ابن أبي جميلة قال: أما أنا فأشهد أني سمعت محمد بن سيرين يقول: إن عليا جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك. فقال طلحة: أنت أحق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، فبسط علي يده فبايعه[٢]، وعن عبد خير الخيواني أنه قام إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى، هل كان هذان الرجلان - يعني طلحة والزبير - ممن بايع عليًا قال: نعم[٣]، كما نص على بطلان ما يدعى من أنهما بايعا مكرهين. الإمام المحقق ابن العربي وذكر أن هذا مما لا يليق بهما، ولا بعلي قال - رحمه الله -: فإن قيل بايعا مكرهين «أي طلحة والزبير»، قلنا: حاشا لله أن يكرها، لهما ولمن بايعهما ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك، لأن واحد واثنين تنعقد البيعة بهما وتتم - وهذا اجتهاد مردود، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له، وهو مكره على ذلك شرعا، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما، ولا في بيعة الإمام وأما من قال يد شلاء وأمر لا يتم[٤]، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع ولم يكن كذلك، فإن قيل فقد قال طلحة: بايعت واللج على قفي قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في (القفا) لغة (قفى)، كما يجعل في (الهوى) (هوي) وتلك لغة هذيل لا قريش[٥]، فكانت كذبة لم تدبر، وأما قولهم (يد شلاء) لو صح فلا متعلق لهم فيه، فإن يدا شلت في وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل أمر، ويتوقى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه[٦]، إن الروايات التي تقول بأن

---

(١) الانتصار للصحب والآل ص٢٣٦.

(٢) تاريخ الطبري (٥/٤٥٦)، الانتصار للصحب والآل ص٢٣٦.

(٣) المصدر نفسه (٥/٥١٧).

(٤) إشارة إلى ما جاء في بعض الروايات: أن أول من بايع عليا طلحة ﷺ وكان بيده اليمنى شلل، لما وقى بها رسول الله ﷺ يوم أحد، فقال رجل في القوم: أول يد بايعت أمير المؤمنين شلاء لا يتم هذا الأمر، تاريخ الطبري (٥/٤٥٧)، البداية والنهاية (٧/٢٣٧).

(٥) وقيل لغة طيء: ذكره ابن الأثير في النهاية (٤/ ٩٤) وكذلك اللج ليس من لغة قريش بل من لغة طي، قال ابن الأثير: هو بالضم: السيف بلغة طيء النهاية (٤/ ٢٣٤) وقيل هو السيف بلغة هذيل وطوائف من اليمن لسان العرب (٢/ ٣٥٤).

(٦) العواصم من القواصم ص ١٤٨، ١٤٩.

طلحة والزبير أكرهوا على البيعة باطلة[١]، وهناك روايات صحيحة أشارت كما ذكرت إلى بيعتهما لعلي رضي الله عنه وهناك رواية صحيحة أوردها ابن حجر[٢]، من طريق الأحنف ابن قيس وفيها أن عائشة وطلحة والزبير رضوان الله عليهم قد أمروا الأحنف بمبايعة علي رضي الله عنه بعدما استشارهم في من يبايع بعد عثمان رضي الله عنه[٣].

إن سابقة علي رضي الله عنه وفضله، والتزامه بأحكام الكتاب والسنة، وتمسكه الشديد بالعمل بهما، وتعهده في خطبه بتطبيق الأوامر والنواهي الشرعية، ما كان ليفتح لأحد باب الطعن في ولايته على المسلمين، ويمكن القول أن عليًّا كان أقوى المرشحين للإمامة بعد مقتل عمر رضي الله عنه فالفاروق عينه في الستة الذين أشار بهم، وهو واحد منهم، على أن الأربعة من رجال الشورى، وهم عبد الرحمن، وسعد، وطلحة والزبير بتنازلهم عن حقهم فيها له ولعثمان تركوا المجال مفتوحا أمام الاثنين، فلم يبقى إلا هو وعثمان، وهذا إجماع من أهل الشورى على أنه لولا عثمان لكانت لعلي، وبعد موت عثمان، وقد قدمه ورجحه أهل دار الهجرة صار مستحقا للخلافة، على أنه لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ الموجودين في ذلك الحين أحق بالخلافة منه رضي الله عنه فهو من السابقين والمهاجرين الأولين، وابن عمّ رسول الله، وصهره، بالإضافة إلى ذلك له من القدرة والكفاءة ما لا ينكر، وله من الشجاعة، والإقدام والذكاء والعقلية القضائية النادرة، والحزم في المواقف، والصلابة في الحق، وبعد نظره في تصريف الأمور، فكل هذه العوامل تجعله بلا منازع المرشح الوحيد لإمامة المسلمين في تلك الفترة الحساسة من حياتهم[٤]، ومع هذا كله فإن خلافته صحت بعدما انعقد إجماع المهاجرين والأنصار عليه ومبايعتهم له.

رابعًا: انعقاد الإجماع على خلافة علي رضي الله عنه:

انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن عليًّا رضي الله عنه كان متعينا للخلافة بعد عثمان رضي الله عنه لبيعة المهاجرين والأنصار له لما رأوا لفضله على من بقي من الصحابة،

---

(١) استشهاد عثمان ص١٤١.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٣٨).

(٣) استشهاد عثمان ص١٤١، المصنف لابن أبي شيبة (١١/ ١١٨) ورجاله رجال الصحيح عدا عمر بن جاوان مقبول وصححه ابن حجر في فتح الباري (٣٤/ ١٣-٥٧).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٩١، ٩٢).

وأنه أقدمهم إسلامـا، وأوفرهم علما، وأقربهم بالنبي ﷺ نسبا، وأشجعهم نفسا، وأحبهم إلى الله ورسوله وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأشرفهم منزلة وأشبههم برسول الله ﷺ هديا وسمتا، فكان رضي الله عنه متعـينا للخلافة دون غيره، وقد قام من بقي مـن أصحاب النبي ﷺ بالمدينة بعقـد البيعة له بالخلافـة بالإجماع فكان حينئذ إمامـا حقا وجب على سائر الناس طاعته وحرم الخروج عليـه ومخالفته وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم منهم:

١- نقل محمد بن سعد إجماع من له قدم صدق وسابقة في الدين ممن بقي من أصحـاب النبي ﷺ بالمدينة على بيـعة علـي رضي الله عنه حيث قـال: وبويع لعلي بن أبي طالب رحمه الله بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة بايعه طلحة والزبير، وسعد ابن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نـفيل وعمار بن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة ابن ثابت وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله وغيرهم(١).

٢- وذكر ابن قـدامة رحـمه الله أن الإمام أحـمد رحمـه الله روى بإسناده عن عبدالرزاق عن محمد بن راشـد عن عوف قال: كنت عند الحسن فكأن رجلا انتقص أبا موسى باتباعه عليًا فغضب الحسن ثم قـال: سبحان الله قتل أميـر المؤمنين عثمان فاجتمع الناس على خيرهم فبايعوه أفيلام أبو موسى باتباعه(٢).

٣- وقال أبو الحسن الأشـعري: ونثبت إمامـة علي بعد عثمـان رضي الله عنه بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد لأنه لم يدع أحد من أهل الشورى غيره في وقته وقـد اجتمع على فضله وعـدله، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لـنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حـقا لعلمه أن ذلك وقت قيامه، ثم لما صـار الأمر إليه أظهر وأعلن ولم يقصر حـتى مضى على السداد والرشاد، كـما مضى من قبله من الخـلفاء وأئمة العدل على السـداد والرشاد متـبعين لكتاب ربهـم وسنة نبيهم هؤلاء الأربعـة المجمع على عدلهم وفضلهم رضي الله عنهم(٣).

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٣١).
(٢) منهـاج القاصدين في فـضل الخلفاء الـراشدين ص٧٧، ٧٨ نقلا عـن عقيـدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٦٨٩).
(٣) الإبانة عن أصول الديانة ص٧٨، مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٦).

٤-وقال أبو نعيم الأصبهاني: فلما اختلف الصحابة كان على الذين سبقوا إلى الهجرة والسابقة والنصرة والغيرة في الإسلام الذين اتفقت الأمة على تقديمهم لفضلهم في أمر دينهم ودنياهم لا يتنازعون فيهم ولا يختلفون فيمن أولى بالأمر من الجماعة الذين شهد لهم رسول الله بالجنة في العشرة ممن توفي وهو عنهم راض فسلم من بقي من العشرة الأمر لعلي رضي الله عنه ولم ينكر أنه من أكمل الأمة ذكرا وأرفعهم قدرا لقديم سابقته وتقدمه في الفضل والعلم، وشهوده المشاهد الكريمة يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله ويحبه المؤمنون ويبغضه المنافقون لم يصنع منه تقديم من تقدمه من أصحاب رسول الله ﷺ بل ازداد به ارتفاعا لمعرفته بفضل من قدمه على نفسه إذ كان ذلك موجودا في الأنبياء والرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إلى قوله ﴿مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣]. فلم يكن تفضيل بعضهم على بعض بالذي يضع ممن هو دونه فكل الرسل صفوة الله عز وجل- وخيرته من خلقه، فتولى أمر المسلمين عادلا زاهدا آخذا في سيرته بمنهاج الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله عنهم حتى قبضه الله عز وجل - شهيدا هاديا مهديا سلك بهم السبيل المستبين والصراط المستقيم(١).

٥- وقال أبو منصور البغدادي: أجمع أهل الحق والعدل على صحة إمامة علي رضي الله عنه وقت انتصابه لها بعد قتل عثمان رضي الله عنه(٢).

٦- وقال الزهري: .. وكان قد وفى بعهد عثمان حتى قتل وكان أفضل من بقي من الصحابة فلم يكن أحد أحق بالخلافة منه، ثم لم يستبد بها مع كونه أحق الناس بها حتى جرت له بيعة وبايعه مع سائر الناس من بقي من أصحاب الشورى(٣).

٧- وقال عبد الملك الجويني: وأما عمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم فسبيل إثبات إمامتهم وإجماعهم لشرائط الإمامة كسبيل إثبات إمامة أبي بكر، ومرجع كل قاطع في الإمامة إلى الخبر المتواتر والإجماع.. ولا اكتراث بقول من يقول: لم

---

(١) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص٣٦٠، ٣٦١.

(٢) كتاب أصول الدين ص٢٨٦، ٢٨٧.

(٣) الاعتقاد ص١٩٣.

يحصل إجماع على إمامة علي رضي الله عنه فإن الإمامة لم تجحد له وإنما هاجت الفتن لأمور أخر[(١)].

٨- وقال أبو عبدالله بن بطة: كانت بيعة علي رحمه الله بيعة اجتماع ورحمة لم يدع إلى نفسه ولم يجبرهم على بيعته بسيفه ولم يغلبهم بعشيرته ولقد شرف الخلافة بنفسه وزانها بشرفه وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو قدره ولقد أباها فأجبروه، وتقاعس عنها فأكرهوه[(٢)].

٩- وقال الغزالي: وقد أجمعوا على تقديم أبي بكر، ثم نص أبوبكر على عمر، ثم أجمعوا بعده على عثمان، ثم على علي رضي الله عنه، وليس يظن منهم الخيانة في دين الله تعالى لغرض من الأغراض وكان إجماعهم على ذلك من أحسن ما يستدل به على مراتبهم في الفضل، ومن هذا اعتقد أهل السنة هذا الترتيب في الفضل، ثم بحثوا عن الأخبار فوجدوا فيها ما عرف مستند الصحابة وأهل الإجماع في هذا الترتيب[(٣)].

١٠- قال أبو بكر بن العربي: فلما قضى الله من أمره ما قضى ومضى في قدره ما مضى علم أن الحق لا يترك الناس سدى، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه، ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرا وعلما وتقى ودينا فانعقدت له البيعة ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي لجري على من بها من الأوباش ما لا يرقع خرقة ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار ورأى ذلك فرضا عليه فانقاد إليه[(٤)].

١١- وقال ابن تيمية: واتفق أصحاب رسول الله ﷺ على بيعة عثمان بعد عمر وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»**[(٥)]. فكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه آخر الخلفاء الراشدين

---

(١) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص٣٦٢، ٣٦٣ بقصد القصاص من قتلة عثمان.
(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/٣٤٦)، عقيدة أهل السنة (٢/٦٩٢).
(٣) الاقتصاد في الاعتقاد ص١٥٤.
(٤) العواصم من القواصم ص١٤٢.
(٥) سنن أبي داود (٤/٢٠١)، الترمذي (٥/٤٤) حسن صحيح.

المهديين، وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي[(١)].

١٢- وقال ابن حجر: وكانت بيعة علي بالخلافة عقب قتل عثمان في أوائل ذي الحجة سنة خمس وثلاثين فبايعه المهاجرون والأنصار وكل من حضر وكتب بيعته إلى الآفاق فأذعنوا كلهم إلا معاوية في أهل الشام فكان بينهم بعد ما كان[(٢)]. والذي نستفيده من هذه النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة علي ﷺ محل إجماع على أحقيتها وصحتها في وقت زمانها وذلك بعد قتل عثمان ﷺ حيث لم يبق على الأرض أحق بها منه ﷺ، فقد جاءته ﷺ على قدر في وقتها ومحلها[(٣)]، وقد اعترض بعض الناس على الإجماع على خلافة علي ﷺ من وجوه:

(١) تخلف عنه من الصحابة جماعة منهم سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر وأسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم[(٤)].

(٢) إنما بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان[(٥)].

(٣) أن أهل الشام معاوية ومن معه لم يبايعوه بل قاتلوه[(٦)].

وهذه الاعتراضات لا تأثير لها على الإجماع المذكور، ولا توجب معارضته وذلك أنها مردودة من وجوه:

الوجه الأول: أن دعوى أن جماعة من الصحابة تخلفوا عن بيعته دعوى غير صحيحة إذ إن بيعته لم يتخلف عنها وأما نصرته فتخلف عنها قوم منهم من ذكر لأنها كانت مسألة اجتهادية فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره[(٧)]، وأما ما قاله ابن خلدون: إن الناس كانوا عند مقتل عثمان مفترقين في الأمصار، فلم يشهدوا بيعة علي، والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس

---

(١) الوصية الكبرى ص٢٣.
(٢) فتح الباري (٧/ ٧٢).
(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٦٩٣).
(٤) العواصم من القواصم ص١٤٦، ١٤٧.
(٥) المصدر السابق ص١٤٥.
(٦) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٦٩٥).
(٧) التمهيد للباقلاني ص ٢٣٣، ٢٣٤، العواصم من القواصم ص ١٤٧.

ويتفقوا على إمام كسعد وسعيد وابن عمر.. إلخ[١]، ما ذكر فهذا مبالغة من ابن خلدون رحمه الله، أما سعد بن أبي وقاص فقد نقل بيعته ابن سعد، وابن حبان، والذهبي[٢]، وغيرهم، وكذلك البقية قد بايعوا كما ذكرنا الإجماع في ذلك في من حضر من الصحابة في المدينة، على أن ابن خلدون نفسه نقل اتفاق أهل العصر الثاني من بعد الصحابة في المدينة، على انعقاد بيعة علي ولزومها للمسلمين أجمعين وقد نقلت ما قاله ابن خلدون لأنه كثير من الكتاب والباحثين اعتمدوا عليه فيما بعد.

الوجه الثاني: أن عقد الخلافة ونصب إمام واجب لا بد منه، ووقف ذلك على حضور جميع الأمة واتفاقهم مستحيل متعذر فلا يجوز اشتراطه لإفضاء ذلك إلى انتفاء الواجب ووقوع الفساد اللازم من انتقائه[٣].

الوجه الثالث: أن الإجماع حصل على بيعة أبي بكر بمبايعة الفاروق وأبي عبيدة ومن حضرهم من الأنصار مع غيبة علي وعثمان وغيرهما من الصحابة وكذلك حصل الإجماع على خلافة علي بمبايعة سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد وعمار ومن حضر من البدريين وغيرهم من الصحابة ولا يضر هذا الإجماع من غاب عن البيعة أولم يبايعه من غيرهم رضي الله عنهم جميعا، قال الحسن البصري: والله ما كانت بيعة علي إلا كبيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[٤].

الوجه الرابع: دعوى أنه إنما بويع على أن يقتل قتلة عثمان: هذا لا يصح في شرط البيعة، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب وتقع الدعوى ويكون الجواب وتقوم البينة ويقع الحكم[٥] بعد ذلك. وأما الروايات التي تزعم أن طلحة والزبير وبعض الصحابة رضوان الله عليهم قد اشترطوا

---

(١) المقدمة ص٢١٤.

(٢) الطبقات (٣/ ٣١)، الثقات (٢/ ٢٦٨)، دول الإسلام (١/ ١٤)، عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص١٧١ ، ١٧٢.

(٣) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين ص ٧٦، ٧٧ نقلا عن عقيدة أهل السنة.

(٤) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٦٩٦).

(٥) المصدر نفسه (٢/ ٦٩٦).

في بيعتهم لعلي إقـامة الحدود، فهذا الخبر على ضعف سنده فـإن في متنه مقالا[١]، وفي ذلك يقول ابن العربي: فإن قيل بايعوه عـلى أن يقتل قتلة عثمان، قلنا: هذا لا يصح في شرط البيعة[٢].

الوجه الخامس: أن معاوية رضي الله عنه لم يقاتل عليًا على الخلافة ولم ينكر إمامته وإنما كان يقاتل من أجل إقامـة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قـتل عثمان مع ظنه أنه مصـيب في اجتهاده ولكنه كـان مخطئا في اجتـهاده ذلك فله أجر الاجـتهاد فقط[٣]، وقد ثبت بالروايات الصـحيحة أن خـلافه مع علي رضي الله عنه كان في قـتل قتلة عثمان ولم ينازعه في الخلافة بل كان يقر له بذلك، فعن أبي مسلم الخولاني أنه جاء وأناس معه إلى مـعاوية وقالوا: أنت تـنازع عليًا أم أنت مثله؟ فـقال: لا والله إني لأعلم أنه أفـضل مني وأحق بالأمـر مني، ولكن ألسـتم تعلمـون أن عـثمـان قـتل مظـلوما، وأنا ابن عـمه والطـالب بدمه فـأتوه، فقـولوا له فليدفع إلى قتلة عـثمان وأسلم له، فأتوا عليـا فكلموه فلم يدفعـهم إليه[٤]، ويروى ابن كـثير من طرق ابن ديزيل بسـنده إلى أبي الدرداء وأبي أمامة رضي الله عنهما: أنهـما دخلا على معاوية فقـالا له: يا معـاوية علام تقاتل هذا الرجل؟ فـوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلامـا، وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ وأحق بهذا الأمر منك، فقال: أقـاتله على دم عثمان، وإنه آوى قتلته، فاذهبا إليه فقولا له: فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من أبايعه من أهل الشام[٥]، والروايات في هذا كـثيرة مـشهورة بين الـعلماء[٦]، وهي دالة على عدم منازعة معـاوية لعلي رضي الله عنه في الخلافة ولهذا نص المحقـقون من أهل العلم على هذه المسألة وقرروها[٧]، يقول إمـام الحرمين الجويني: إن مـعاوية وإن قاتل عليـا فإنه لا ينكر إمامته، ولا يدعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظنا منه أنه مصيب وكان

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٩، ٤٦٠).
(٢) العواصم من القواصم ص١٥٠.
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٦٩٦).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٥)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٧).
(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠) الانتصار للصحب والآل ص٢٣٩.
(٦) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٦٨- ٢٧٠) وقد جـمع هذه الروايات الدكتور محمد أمحزون في كتابه، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ١٤٦- ١٥٠).
(٧) الانتصار للصحب والآل ص٢٣٩.

مخطئًا[١]، ويقول ابن حجر الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من الحروب فلم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلي كما مر فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم، لكون معاوية ابن عمه فامتنع علي[٢]، وسوف تبين موقف علي رضي الله عنه من عدم تسليم قتلة عثمان في حينه وإنما الشاهد هنا هو إثبات عدم مبايعة معاوية ليس اعتراض على شخص علي ويقول ابن تيمية: ومعاوية لم يدع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل عليًا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه.. وكل فرقة من المتشيعين[٣] مقره مع ذلك بأنه ليس معاوية كفأ لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضي الله عنه فإن فضل علي وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله: كانت عندهم ظاهرة معروفة[٤]، فثبت بهذا أنه لم ينازع عليًا رضي الله عنه أحد في الخلافة لا من الذين خالفوه ولا من غيرهم[٥]، فهذه الأقوال عن هؤلاء العلماء كلها في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في ترتيب الخلافة الراشدة، فلا بد من الذود عنها والتبشير وتربية الأجيال عليها، والاعتزاز والافتخار في الانتساب إليها.

خامسًا: شروط أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في بيعته وأول خطبة خطبها رضي الله عنه:

جاء في بعض الروايات أن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه اشترط في بيعته أمور منها: أن تكون البيعة في ملأ وليس في خفية، وفي المسجد وعن رضا المسلمين وأنه يدير أمرهم كما يراه ويعلمه فوافقوه وتواعدوا صباح اليوم التالي في المسجد للبيعة[٦]، وكان يوما حافلاً وحاسمًا، فقد خرج أمير المؤمنين وقد لبس ملابسه كاملة... ثم

(١) لمعة الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة ص١١٥ .

(٢) الصواعق المحرقة نقلا عن الانتصار للصحب والآل ص٢٣٩ .

(٣) أي المتشيعين لعثمان أو علي رضي الله عنهما وقد كان المطالبون بدم عثمان رضي الله عنه قد انضموا إلى معاوية ما كانوا يفضلونه على علي رضي الله عنه .

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢، ٧٣).

(٥) الانتصار للصحب والآل ص٢٤١ .

(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٨)، دراسات في عهد النبوة ص٢٨١.

بعد الحمد والثناء على الله بين للناس المحاولات التي بذلت معه وقال: إني كنت كارها لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وأنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح ما لكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم[1]، ثم قال: يا أيها الناس: إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أجد على أحد، ثم رفع صوته قائلا: رضيتم؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد عليهم وأقبل الناس يبايعونه[2]، وبعد أداء البيعة قال أمير المؤمنين: أيها الناس: إنكم بايعتموني على ما بايعتم عليه أصحابي فإذا بايعتموني فلا خيار لكم علي، وعلى الإمام الاستقامة وعلى الرعية التسليم، وهذه بيعة عامة... إلخ[3]، ومما مضى دروس وعبر وفوائد منها:

١- مبدأ الشورى:

إن البيعة للخليفة الرابع علي رضي الله عنه لم تختلف من حيث مبدأ الشورى عن مثيلتها السابقة بالرغم من الأزمة التي ألمت بالأمة، والأحوال المدلهمة والمشكلات المتتابعة، فلم تتم البيعة على أساس عشائري، أو أسري أو قبلي، أو على أساس عهد ووصية من رسول الله ﷺ ولو وجد شيء من هذا القبيل لما حصل هذا الحوار الطويل، ولما رفض أمير المؤمنين ولكان أول من يطالب بحقه. بينما كان الناس هم الذين يدفعونه إلى البيعة دفعا ويلحون عليه في الطلب إلحاحا وهو يروغ منهم متخلصا لعله يحدث ما يمنعه من ذلك إلى أن قبل على كره منه ولم يطالبوه بهذا على أساس وصية من رسول الله له - ولو وجدوا شيئًا من ذلك لما ترددوا في تنفيذه - ولا على أساس أنه من عبد مناف، أو لأنه من قريش فحسب، بل لأنه من السابقين ومن العشرة المبشرين بالجنة، ولأنه الثاني بعد عثمان في اختيار الناس لهما عند تطبيق عملية الشورى بعد مقتل عمر بن الخطاب، فكان عبد الحمن بن عوف لا يشير عليه أحد بتنصيب عثمان خليفة بعد عمر إلا سأله لو لم يكن عثمان موجودا فمن تختار؟ فيقول: علي رضي الله عنه[4].

---

(١) تاريخ الطبري (٥/٤٤٩).

(٢) تاريخ الطبري (٥/٤٤٩).

(٣) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٢٨٢.

(٤) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص٢٨٢.

٢- أهل الحل والعقد في عهد أمير المؤمنين علي:

كان أهل الحل والعقد عند استخلاف أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ بقية العشرة المبشرين ورؤساء بطون الأوس والخزرج وكان هؤلاء من أهل المدينة، لأنهم هم السابقون الراسخون في العلم والإيمان[١]، وكان علي ﷺ يرى أن أمر اختيار الخلافة لمن كان باقيا في المدينة من المهاجرين والأنصار وأهل الحل والعقد من أهل بدر، وأصحاب الشورى، إلا إن الحسن بن علي ﷺ كان يرى ضرورة مراعاة الأمور المستجدة في تركيبة المجتمع الإسلامي، وقد بدا ذلك في هذا الحوار بين الحسن بن علي وأبيه علي بن أبي طالب ﷺ، قال الحسن: قد أمرتك فعصيتني فتقتل غدا بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك ما زلت تحن حنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان ﷺ أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر[٢]. . وكان جواب علي ﷺ: وأما قولك لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر[٣]، على أن عليًا ﷺ، كان يرى أن البيعة تجوز في غير أهل المدينة من المهاجرين والأنصار ولكنه كان يكره أن يتحول ذلك عنهم إلى غيرهم أو أن يشركهم فيه غيرهم تقا وورعا إن يحدث بعد رسول الله ﷺ وخلفائه شيئا يبتعد به عن نهجهم وسبيلهم أو أنه كان يرى أن الوقت ما زال مبكرا على إشراك غير المهاجرين والأنصار في أمور اختيار الحاكم المسلم ولذلك فإنه كان يكره أن يضيع هذا الأمر من المهاجرين والأنصار[٤]، والدليل على ذلك أنه ﷺ عرض عليه أهل الكوفة بيعة الحسن: قال لا أنهاكم ولا آمركم وهذا فيه تجويز لغير أهل المدينة في اختيار الحاكم. ونستفيد من الحوار الذي حدث بين الحسن بن علي وأبيه ﷺ أمور منها:

أ - احترام الرأي في النقاش من الجانبين.

ب - لطف المعاملة من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ لولده.

---

(١) الخلافة بين التنظير والتطبيق، محمود المرادوي ص٢٨٨.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٥).

(٣) المصدر نفسه (٧/ ٢٤٥).

(٤) الخلافة بين التنظير والتطبيق ص٢٩٣ ، ٢٩٤.

جـ - صراحة الولد مع والده وإبداء كل ما يراه صوابًا في موضوع النقاش.

د - حسن الاستماع للطرف الثاني، حيث استمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من ابنه الحسن جميع ما عنده من الحجج.

هـ - تفنيد الحجج واحدة بعد الأخرى تفنيداً علميًا[١].

٣- الحرص على أن لا يظل منصب الخليفة شاغراً:

لقد عزم المهاجرون والأنصار بالمدينة على علي رضي الله عنه أن يقبل الخلافة رغما عنه، تداركا لخطر فساد أمر الأمة واختلاف الناس، فقبل، وحرص على زحزحة الغوغاء خطوة أخرى إلى الوراء، بأن اشترط أن تكون البيعة له علانية في المسجد، وبذلك يظل أهل الحل والعقد هم الذين يعقدون الإمامة، أما العامة فموضعهم هو: البيعة العلنية العامة[٢]، وحرص على تأكيد هذا المبدأ من فوق المنبر، بقوله: أيها الناس إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم[٣].

٤-الرد على بعض الكتب المعاصرة التي تحدثت عن بيعة علي رضي الله عنه:

يقول العقاد - وهو يتكلم عن اختيار الخليفة بعد مقتل عثمان - : وهذا الخبر-على وجازته- قد حصر لنا أسماء جميع المرشحين للخلافة بالمدينة بعد مقتل عثمان، وربما كان أشدهم طلبا لها طلحة والزبير اللذان أعلنا الحرب على علي بعد ذلك، فقد كانا يمهدان لها في حياة عثمان، ويحسبان أن قريشا قد أجمعت أمرها ألا يتولاها هاشمي، وأن عليًّا وشيك أن يذاد عنها بعد عثمان كما ذيد عنها قبله، وكانت السيدة عائشة تؤثر أن تؤول الخلافة إلى واحد من هذين، أو إلى عبد الله بن الزبير، لأن طلحة من قبيلة تيم، والزبير زوج أختها أسماء، وفي تأييد السيدة عائشة لواحد منهم مدعاة أمل كبير في النجاح[٤].

وقال في موضع آخر: فمما لا شك فيه أن الإمام أنكر إجحافا أصابه في تخطيه

---

(١) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص٤٢٧ ، ٤٢٨.

(٢) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، السيد عمر ص٧٢.

(٣) تاريخ الطبري (٥/٤٤٩).

(٤) عبقرية علي ص٨٤.

بالبيعة إلى غيره بعد وفاة ابن عـمه صلوات الله وسلامه عليه وسلامه، وأنه كان يرى أن قرابته من النبي مـزية ترشحه للخلافـة بعده، لأنها فرع من النبوة على اعـتقاده، وهم شجرة النبوة ومحط الرسالة، كما قال[١].

وقال: فمن المعلوم أن عليًا كان يرى أنه أحق بالخلافة من سابقيه، وأنه لم يزل مدفوعا عن حقه هذا منـذ انتقل النبي عليه السلام إلى الرفيق الأعلى[٢]، وغير ذلك من الطامـات والأكـاذيب والإفك المبين التي تورط فـيـها العـقـاد بسـبب الروايات الموضوعة، وسار على منهـجه خالد محمد خالد في كـتابه خلفاء الرسول ونقل عن علي كلاما مفترى، ذكر فيه أن أبا بكر وعمر قد اغتصبا الخلافة من علي[٣]، وجانب الصواب خالد البـيطار في كتابه علي بن أبي طالب، عندما علق على مـوقف السيدة فاطمة من ميراث أبيها ومـوقف علي من خلافة أبي بكر، وهذا مثال لفيلق طويل لا ينتهي خاض هذه المعمعـة وخبط فيها والتي تدعي أن عليًا ﷺ ذيد عن الخلافة بعد عثمان كـما ذيد عنها قبله، وأن الصحابة كـانوا يتأمرون لنيل الخلافة بدافع العـصبية ضد بني هاشم، أو لمطامع دنيوية، وأن عليًا أنكر إجحافـًا أصابه في تخطيه بالبـيعة إلى غيره بعد وفاة النبي ﷺ، وأنه كان يرى أنه أحق بالخلافة من سابقيه، وأن النبي ﷺ مهّـد لخلافته وحـببه للناس بما أمّـره حينًا واستـخلفه حينًا آخـر، وأن ليس ثمة علاقـة حميمـة بين الإمام وبين الصحابة، وأنه غـفر للشيـخين تعديهما عليـه بأخذ الخـلافة، وأنه بايع الصـدّيق بعد وفـاة فاطمـة[٤]. وكل هذا بهتـان وزور، وكذب وافتـراء، يأباه الحق والعـدل والإنصاف، وينكره التـاريخ الصحـيح، ويكذبه الكلام الصريح الذي صـدر عن علي نفسـه الذي سبق ذكـره، فقد اعـترف علي بأفـضلية الخلفاء، حينما كان هو الخليفة فـكان يعلن ذلك على المنبر ويتوعد من يفضله عليهم بالعقـاب وهذا ثابت بالأسانيد الصـحيحـة وكان لهم ناصراً ومـعينًا، وعلاقـته بهم وطيدة وشيـجة لا تؤثر في رسوخهـا العواصف الهوج[٥] التي يثيرها من تورط في الروايات الضعـيفة والأخـبار الموضوعـة من الكتاب الذين ذكرنا بعـض نقولهم على

(١) المصدر نفسه ص ١٤٨.
(٢) عبقرية علي ص ١٨١.
(٣) خلفاء الرسول ص٥٢٦، ٥٢٧.
(٤) علي بن أبي طالب: خالد البيطار ص٨٤.
(٥) المصدر نفسه ص١٣٠.

سبيل المثال لا الحصر والسبب الذي أسقطهم في هذه الهوة هو جهلهم بمنهج أهل السنة والجماعة في كتابة التاريخ وبعدهم عن التمييز بين المصادر الصحيحة والمصادر الساقطة وعدم تفريقهم بين الروايات الصحيحة والروايات الضعيفة والموضوعة والاعتماد على الموضوعات في تحليلاتهم.

٥- أول خطبة خطبها علي رضي الله عنه:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في أول خطبة خطبها حين تولى الخلافة: إن الله عز وجل أنزل كتابًا هاديًا، بين فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض أدوها إلى الله (سبحانه) يؤدِّكم إلى الجنة إن الله حرَّم حُرَمًا غير مجهولة وفضَّل حرمة المسلم على الحُرم كلها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد المسلمين، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة، خاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم وأن من خلفكم الساعة تحدوكم، تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم، اتقوا الله عباده في عباده وبلاده، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾[1] [الأنفال:٢٦] ولمّا كانت بيعة علي جاءت بعد فتنة عمياء ذهب ضحيتها خليفة المسلمين السابق، فقد دعا المسلمين إلى الخير ونبذ الشرّ وبين لهم أن حرمة المسلم فوق كل الحرمات، فلا يجوز أذاه في حال من الأحوال، ثم ذكرهم بالموت والآخرة وحثّهم على التقوى والطاعة والعمل الصالح[2]، وقد جاءت محاور الخطبة حول جانب العقيدة، والعبادة، والأخلاق، واهتمت ببعض مقاصد الشريعة، ولو شئنا أن نلخص خطته التي يريد أن يرسمها للناس لقلنا: يريد أن يقول لهم ارجعوا إلى العهد الذي كنتم عليه أيام رسول الله[3]، والخلفاء والراشدين الذين سبقوه وقد أشار أمير المؤمنين في حكمة وبلاغة إلى النهج الذي سيقبلون به عهد الخلافة الجديد بقوله: إذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه. وختم بالآية الكريمة التي كانوا في حاجة إلى استحضارها، ليقارنوا بها بين ما كانوا عليه قبل الإسلام وبعد الإسلام - إلى أمد بعيد -

---

(١) تاريخ الطبري (٥/٤٥٨ ، ٤٥٩).

(٢) الأدب الإسلامي، نايف معروف ص٥٧.

(٣) الخلفاء الراشدون للنجار ص٣٧٨.

من القلة والضعف والضَّعة والخمول حتى كانوا كقطعة لحم على كف يتخطفها الطير، ثم ما صاروا إليه من القوة والسعة والأمن والسَّلام، والرخاء والشراء، وما أكرمهم به عليهم من النِعَم، فطنّت حصاتهم وحققت راياتهم ودان لهم العباد والبلاد[١].

٦ - الترادف بين ألفاظ: الإمام والخليفة وأمير المؤمنين:

قال النووي: يجوز أن يقال للإمام: الخليفة والإمام وأمير المؤمنين[٢]، وقال ابن خلدون: وإذ قد بيَّنا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإمام[٣]، ويعرف ابن منظور الخلافة بأنها الإمارة[٤]، ويفسر أبو زهرة الترادف بين لفظي الخلافة وهي الإمامة الكبرى وسميت خلافة لأن الذي يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبي ﷺ في إدارة شؤونهم، وتسمى إمامة، لأن الخليفة كان يسمى إماما، ولأن طاعته واجبة، ولأن الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم[٥]، كما فسر الأستاذ محمد المبارك سبب اختيار هذه الألفاظ، الإمام والخليفة وأمير المؤمنين بأنه: ابتعادا بالمفهوم الإسلامي للدولة ورياستها عن النظام الملكي بمفهومه القديم عند الأمم الأخرى من الفرس والرومان المختلف اختلافا أساسيا عن المفهوم الإسلامي الجديد[٦]، هذا وقد كان الخلفاء الأول يُلقبون بالخلفاء كما يلقبون بالأئمة، ومنذ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه استعمل المسلمون لقب «أمير المؤمنين»، ولقد ورد لفظ «إمام» في القرآن الكريم في أكثر من موضع بمعنى الزعيم أو الدليل أو الرئيس قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. أي جاعلك قدوة يؤتم به[٧]، وقال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، أي يقتدون بنا في أمر الدين، وقال تعالى:

---

(١) المرتضى للندوي ص١٤٠، ١٤١.
(٢) روضة الطالبين (١٠/ ٤٩).
(٣) المقدمة ص١٩٠.
(٤) لسان العرب (٩/ ٨٣).
(٥) تاريخ المذاهب لأبي زهرة ص٢١.
(٦) نظام الإسلام (الحكم والدولة) ص٦١.
(٧) نظام الحكم في الإسلام، عارف خليل ص٨٠.

﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، أي بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين، وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها[١]، وورد لفظ الإمام في مواطن كثيرة من السنة النبوية منها قول رسول الله ﷺ: **«من بايع إماما، فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»**[٢]، وقوله ﷺ: **«تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»**[٣]، وقوله: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل»**[٤].

ومن الملاحظ أن لفظ الإمامة يغلب استعماله عند أهل السنة في مباحثهم العقدية والفقهية بينما الغالب استعمالهم لفظ (الخلافة) في كتاباتهم التاريخية ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن هذه المباحث خاصة العقدية ـ قد كتبت للرد على المبتدعة في هذا الباب كالشيعة الروافض والخوارج[٥]. فالشيعة الروافض يستخدمون لفظ الإمام دون الخلافة ويعتبرونها إحدى أركان الإيمان عندهم، ويفرقون بين الإمامة والخلافة، فهم يعتبرون الإمامة رئاسة دين، والخلافة رئاسة دولة[٦]، ويريدون من ذلك إثبات أن عليًا رضي الله عنه كان إمامًا زمن خلافة الثلاثة الذين سبقوه[٧]، وقال ابن خلدون: إن الشيعة خصوا عليًا باسم الإمام نعتا له بالإمامة التي هي أخت الخلافة، وتعريضا بمذهبهم في أنه أحق بإمامة الصلاة من أبي بكر[٨].

إن هذه الألقاب: الخليفة، الإمام، أمير المؤمنين، ليست من الأمور التعبدية، وإنما هي مصطلحات وجدت بعد وفاة الرسول ﷺ، واصطلح الناس عليها، وقد أطلق المسلمون غير هذه الألقاب في وقت لاحق كلقب الأمير، كما كان الحال في الأندلس، وكذلك لقب السلطان، كما تسمى بذلك الحكام في الدولة الإسلامية، لقب من هذه الألقاب، إذ إن المهم في هذا المجال أن يكون المسلمين ورئيسهم

---

(١) المصدر نفسه ص٨١.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ٢٣٣).
(٣) المصدر نفسه (١٢/ ٢٣٧).
(٤) فتح الباري (٣/ ٢٩٣).
(٥) الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة للدميجي ص٣٦.
(٦) المصدر نفسه ص٣٦.
(٧) المصدر نفسه ص٣٦.
(٨) نظام الحكم، عارف خليل ص٨١.

خاضعين للتشريع الإسلامي عقيدة وشريعة، بغض النظر عن الألقاب التي يمكن أن تطلق على هذا الرئيس، سواء كان لقبه الخليفة أم أمير المؤمنين أم رئيس الدولة أم رئيس الجمهورية، فيمكن إطلاق أحد هذه الألقاب أو غيرها، وهذا يرجع إلى ما يتعارف عليه الناس، وإن كان الأفضل الالتزام بالألقاب السابقة، لما لها من مفهوم سياسي متميز عن المفاهيم المختلفة عند الأمم الأخرى ولما لها من معان دونت عبر التاريخ على أنها رمز للحضارة الإسلامية[1].

٧ـ أيهما أصح عند ذكر أمير المؤمنين علي هل نقول ﵁ أم كرم الله وجهه أم عليه السلام:

إن الأصل عند ذكر الصحابة الترضيّ عنهم جميعًا، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]. لذلك اصطلح أهل السنة على الترضي على كل صحابي يجري ذكره أو يروى عنه حديث، فيقال مثلا: عن أبي بكر ﵁ ولم يستعمل السلام ـ فيما أعلم ـ عند ذكر أحد منهم، مع أن السلام تحية المسلمين فيما بينهم، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً﴾ [النور: ٦١]، على هذا فالترضي أفضل من السلام قال تعالى ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وأخبر النبي ﷺ أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: «**أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا**»[2]، ولكن اصطلح العلماء على أن السلام يختص بالانبياء لقوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١]. ولقوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم: ١٥]. ولما ورد في حق علي «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**»[3]، أخذ الغلاة كالرافضة يستعملون في حق أمير المؤمنين علي: عليه السلام، أو كرم الله وجهه، ولا شك أنه أهل لذلك، لكن يشركه في ذلك جميع الصحابة[4]، وقد وقع

(١) المصدر نفسه ص٨٢.
(٢) مشكاة المصابيح للبغوي (٣/٨٨).
(٣) البخاري رقم ٤٠٤٢.
(٤) فتاوى في التوحيد، عبدالله بن جبرين ص٣٧.

هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب ومن بعض علماء أهل السنة أن يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه وهذا وإن كان معناه صحيحًا لكن ينبغي أن يساوي بين الصحابة في ذلك(١).

المبحث الثاني: شيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه:

قال الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسائي، وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي(٢)، وقال الحافظ: ابن حجر: وكان السبب في ذلك أنه تأخر، أي آخر الخلفاء الراشدين، ووقع الاختلاف في زمانه وخرج من خرج عليه فكل ذلك سببًا لانتشار مناقبه من كثرة من كان بيَّنها من الصحابة ردًا على من خالفه فاحتاج أهل السنة إلى بثّ فضائله فكثر الناقل لذلك وإلاَّ فالذين في نفس الأمر أنّ لكل من الأربعة من الفضائل، إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلاً(٣)، وقال ابن كثير: من فضائله أنّه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة إلى رسول الله ﷺ نسبًا(٤)، وقد ذكرت كثيراً من فضائله فيما مضى من البحث كل في موضعه وإتمامًا للفائدة نشير إلى مزيد من الفضائل لعلي رضي الله عنه منها:

* عن زر رضي الله عنه قال: قال علي والذي فلق الحبة وبرأ النَّسمَةَ إنه لعهد النبي الأُمّيِّ ﷺ إليَّ: «أن لا يُحبني إلا مؤمن ولا يُبغضني إلا منافق»(٥).

* عن أبي إسحاق: سأل رجل البراء وأنا أَسْمَعُ قال: أشَهِدَ عليٌّ بدراً قال: بارز وظاهر(٦).

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبوبكر وعمر وعثمان

---

(١) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية ص٢٦ في الحاشية من تعليق المحقق أحمد التويجري.
(٢) فتح الباري (٧/ /٧١).
(٣) المراد ترتيبهم في الفضل هو حسب ترتيبهم في الخلافة فتح الباري (٧/ ٧١).
(٤) البداية والنهاية (١١/ ٢٩).
(٥) الصحيح المسند في فضائل الصحابة ص١١١.
(٦) ظاهر: أي لبس درعا على درع الصحيح المسند ص١١٢.

وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ : «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»[1].

* قال سعيد بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النبي في الجنة، وأبوبكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، ولو شئت أن أسمي العاشر»[2].

* قالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سب عليًا فقد سبني»[3].

* جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر محاسن عمله، قال: لعلَّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم.. قال: فأرغم الله بأنفك ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبيِّ ﷺ ثم قال: لعلَّ ذاك يسوؤك؟ قال أجل قال فأرغم الله بأنفك انطلق فاجهد على جَهدك[4]، هذه بعض الفضائل الثابتة لعلي رضي الله عنه، وأما صفاته رضي الله عنه، فقد كانت صفات القائد الرباني المضحي في سبيل الله وكتابه وسنة نبيه، ونجملها في أمور ونركز على بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصفات:

سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة، والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضع، والحلم، والصبر، وعلو الهمة، والحزم، والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على التعليم وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات التي ظهرت للباحث في الفترة المكية في صحبته للنبي ﷺ وفي العهد المدني في غزواته مع رسول الله وحياته في المجتمع، وظهر البعض الآخر لما تسلم قيادة الدولة الراشدية وأصبح أمير المؤمنين رضي الله عنه ومن أهم هذه الصفات:

أولاً: العلم والفقه في الدين:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من علماء الصحابة الكبار، وقد تميز رضي الله عنه بجده في

(١) الصحيح المسند في فضائل الصحابة ص١١٧.
(٢) الصحيح المسند ص١١٧.
(٣) الصحيح المسند ص١٢١.
(٤) الصحيح المسند من فضائل الصحابة ص١٤٠.

التحصيل، والتحري في قبول العلم، والسؤال في طلبه، واستخدم وسائل ضبط العلوم في زمنه، من كتابة، وتعهد، ولزوم النبي ﷺ، حيث يقول ﷺ في جمعه للقرآن الكريم: آليت بيمين أن لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن[١]، وقال: ما دخل نوم عيني، ولا غمض رأسي على عهد رسول الله حتى علمت ذلك اليوم ما نزل به جبريل عليه السلام، من حلال أو سنة، أو كتاب، أو أمر، أو نهي، وفيمن نزل[٢]، وكان ﷺ يتلقى النص من رسول الله ﷺ مباشرة، ولكن عندما يبلغه الحديث من غيره فإنه شديد التحري في قبوله، خشية أن ينسب لرسول الله ﷺ قولاً لم يقله، ومما يدل على هذا المنهج قوله ﷺ: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله حديثًا نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، قال: وحدثني أبوبكر ـ وصدق أبوبكر ـ ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله يقول: «**ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له**»، ثم قرأ هذه الآية ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ**﴾ [آل عمران: ١٣٥] إلى آخر الآية»[٣]. نعم، علي بن أبي طالب ﷺ يستحلف أصحاب رسول الله ﷺ وهم الثقاة العدول، ما هذا إلا دليل على شدة تحريه في تلقي الحديث الذي يتلقاه من غير رسول الله[٤]، وكان ﷺ صاحب لسان سؤول وقلب عقول، فقد قال: ... إن ربي وهب لي قلبًا عقولاً ولسانًا سؤولا[٥]، وعلّل ﷺ كثرة علمه بطلبه إياه من رسول الله ﷺ بالسؤال، بقوله: كنت إذا سألت أعطيت وإذا سكت ابتديت[٦]، وعندما يكون عائق الحياء بينه وبين رسول الله ﷺ يتغلب عليه بطلب من أحد الصحابة بسؤال رسول الله، فعن محمدًا ابن الحنفية قال: قال علي: كنت رجلاً مذاء[٧]، فاستحييت أن

(١) الطبقات (٢/ ٣٣٨). يعني في قوله أجمع القرآن: أحفظه.
(٢) مسند الإمام زيد ص٣٤٣ نقلا عن منهج علي بن أبي طالب في الدعوة.
(٣) صحيح سنن الترمذي (١/ ١٢٨)، مشكاة المصابيح (١/ ٤١٦).
(٤) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة ص٥٢.
(٥) الطبقات (٢/ ٣٣٨)، الحلية (١/ ٦٧).
(٦) فضائل الصحابة (٢/ ٦٤٧) إسناده صحيح.
(٧) أي كثير المذي ما يخرج عند الملاعبة.

أسأل رسول الله ﷺ ، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: فيه الوضوء[١]، وكان رضي الله عنه يحذر الناس من ترك العلم بسبب الحياء، فقد قال: ولا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم[٢]، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من بين القلة من المسلمين الذين كانوا يعرفون الكتابة في صدر الإسلام، وفوق هذا فقد كان من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ ، وقد ساعدته هذه المهارة في القراءة والكتابة على التبحر في العلوم الشرعية، وكان رضي الله عنه يرى أن تكون كتابة النصوص بخطٍّ بيِّن مع التفريج بين السطور، والتقريب بين الحروف، فعن أبي عثمان عمرو بن بحر بن الجاحظ، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: الخط علامة، فكلما كان أبين كان أحسن[٣]، وقد أمر كاتبه عبيد الله بن أبي رافع بقوله: ألف دواتك وأطل سِنَّ قلمك، وافرج بين السطور، وقرمط[٤] بين الحروف[٥]، وعن أبي حكيمة العبدي قال: كنا نكتب المصاحف بالكوفة، فيمر علينا علي ونحن نكتب فيقول: أَجِلَّ قلمك[٦]، قال: فقططت منه، ثم كتبت. فقال هكذا نوروا ما نور الله[٧]، وكان رضي الله عنه يتعهد ما تعلمه بالعمل وتطبيقه، وكان من أحرص الناس على تطبيق ما سمعه من رسول الله ولو كان ذلك في أصعب الظروف، كما مرّ معنا في تعليم رسول الله له والسيدة فاطمة رضي الله عنها الأذكار، فقد قال أمير المؤمنين: ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ قيل له ولا ليلة صفين، قال ولا ليلة صفين[٨]، وقد أشار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى ضبط النص بالعمل به بقوله: تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله[٩]، وكان يرى أن العالم لا يسمى عالمًا إلا إذا كان عاملا بعلمه، لذا يقول مخاطبًا حملة العلم: يا حملة العلم، اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق

---

(١) مسلم، ك (١/٢٤٧).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٨٤).
(٣) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٦٢).
(٤) قرمط بين الحروف: أي قرب بينها.
(٥) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٦٢).
(٦) أي عظم قلمك، وهو كناية عن تكبير الخط.
(٧) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٦٠).
(٨) مسلم (٤/ ٢٠٩١ ، ٢٠٩٢).
(٩) البداية والنهاية (٨/٦).

علمه عَمَلَه[١]، وقال رضي الله عنه: هتف العلم بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل[٢]، وكان علي رضي الله عنه من المكثرين من الفتيا في أصحاب رسول الله، قال ابن القيم: الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله مائة ونيف وثلاثون نفسًا، ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة، عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر[٣]، وقد عد ابن حزم علي رضي الله عنه في المرتبة الثالث من بين الصحابة رضي الله عنهم في كثرة الفتيا، وسيأتي الحديث بإذن الله تعالى عن المسائل القضائية، وكثيرا من اجتهاداته الفقهية، عند حديثنا عن المؤسسة القضائية. وكان رضي الله عنه يحث على التزاور والمدارسة، حيث يقول: تزاوروا وتدارسوا الحديث، ولا تتركوه يدرس[٤]، وفي رواية: تزاوروا وتحدثوا، فإن لم تفعلوا فإنه يدرس[٥]، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يحث على لزوم الشيخ، والحرص على الأخذ منه، ويقول: ولا تشبع من طول صحبته، فإنها هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء[٦]، وقد تهيأ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ملازمة رسول الله ﷺ صغيراً حين تربى في حجره، وكبيراً حينما كان صهره ووالد سبطيه، فكان بذلك قريبًا من رسول الله، يأخذ عنه ويتعلم منه، وقد شهدت السيدة عائشة لعلي بلزومه لرسول الله ﷺ، فعن المقدام بن شريخ، عن أبيه قال: سألت عائشة فقلت أخبريني برجل من أصحاب النبي ﷺ أسأله عن المسح على الخفين، فقالت: ائت عليًا فسله، فإنه كان يلزم النبي ﷺ قال: فأتيت عليًا فسألته، فقال أمرنا رسول الله ﷺ بالمسح على خفافنا إذا سافرنا[٧]، وكان رضي الله عنه يرى الانتقاء في العلوم فقد قال: العلم أكثر من أن يحفظ، فخذوا من كل علم محاسنه[٨]، وقد

---

(١) بيان العلم وفضله ص٢٨٥.
(٢) منهج علي بن أبي طالب ص٦٣.
(٣) إعلام الموقعين.
(٤) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٣٦).
(٥) شرف أصحاب الحديث للبغدادي ص٩٣.
(٦) تذكرة السامع ص١٠٠.
(٧) مسند أحمد (٢/ ١٩٥) إسناده صحيح، تحقيق أحمد شاكر.
(٨) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٥).

وصل من العلم مرتبة جعلته يقول للناس وهو في العراق سلوني، فعن سعيد بن المسيب رحمه الله قال: ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب[١] رضي الله عنه، وقد وثق الناس بعلمه سواء الصحابة أو التابعين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به[٢]، وعنه أيضا قال: إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لا نعدوها[٣]، وعن سويد بن غفلة أنه جاءه رجل يسأله عن فريضة رجل ترك ابنته وامرأته، قال: أنا أنبئك قضاء علي. قال: حسبي قضاء علي. قال: قضى علي لامرأته الثمن، ولابنته النصف، ثم رد البقية على ابنته[٤]، وقد أثنى الناس عليه في علمه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أما إنه أعلم الناس بالسنة[٥]، وكان معاوية رضي الله عنه يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب[٦]، وعن الحسن بن علي، أنه خطب الناس بعد وفاة علي رضي الله عنه فقال: لقد فارقكم رجل أمس، ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون[٧]، وعن عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة ـ وقد سئل عن علي ـ فقال: كان لله والله ما شاء من ضرس قاطع، السطة[٨] في النسب، وقرابته من رسول الله ومصاهراته، والسابقة في الإسلام، والعلم بالقرآن والفقه بالسنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون[٩]، وعن مسروق قال: انتهى علم أصحاب رسول الله إلى عمر، وعلي، وابن مسعود، وعبدالله رضي الله عنهم[١٠]، وقد ترك أمير المؤمنين رضي الله عنه نصائح وإرشادات لطلاب العلم والعلماء والفقهاء تستحق أن تحفظ ويعمل بها ومن هذه النصائح:

---

(١) الاستيعاب ص١١٠٣.
(٢) الاستيعاب ص١١٠٤.
(٣) الطبقات (٢/ ٣٣٨).
(٤) سنن الدارمي (٢/ ٣٧٥).
(٥) الاستيعاب ص١١٠٤.
(٦) الاستيعاب ص١١٠٨.
(٧) فضائل الصحابة (٢/ ٥٩٥) إسناده صحيح.
(٨) السطة: التوسط، والوسط في النسب هو أكرمه وأشرفه.
(٩) ذخائر العقبى للمحب الطبري ص٧٩.
(١٠) تاريخ السيوطي ص١٩٦.

١ـ الناس ثلاثة، عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق:

روى الحافظ أبو نعيم عن كُميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبَّان ـ يعني الصحراء ـ فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد، القلوب أوعيه فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهَمَجٌ رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق[١]، إن هذه الوصية البليغة قد اشتملت على دُرر المواعظ وغُرَر الحِكَم، فقد قسم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الناس إلى ثلاثة أقسام:

(أ) العلماء الربانيون:

والمقصود بالعلماء علماء الدين، والربانيون الذين يجمعون بين الفقه والحكمة كما جاء في تفسير ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: حكماء فقهاء، أخرجه الإمام البخاري، وبذلك فسره عبدالله بن مسعود رضي الله عنه[٢]، فالذين يجمعون بين الحكمة والفقه هم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها، لأن الحكمة وضع الشيء في موضعه المناسب ومن ذلك التوفيق إلى تطبيق الحكم الشرعي على واقع الناس، وذلك يقتضي فهما دقيقًا لواقع المجتمع الإسلامي، ومن الحكمة القيام بتربية الأمة بهذا الدين، وذلك يقتضي الجمع بين تعليم الدين والتربية على التقوى ومكارم الأخلاق، وأما الفقه فهو فهم الأحكام الدينية من مصادرها الشرعية، ولذلك كان العلماء الربانيون هم أفضل الأمة، لأنهم جمعوا بين فضيلتين: تلقِّي العلم، والتعليم مع التربية، فهم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها[٣]، وقد عرّف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الربانيين بأنهم هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها[٤].

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٩).
(٢) التاريخ الإسلامي للحميدي (١١ ، ١٢/ ٤٣٨).
(٣) التاريخ الإسلامي (١١ ، ١٢/ ٤٣٨).
(٤) الفتاوى (١/ ٤٩).

(ب) طلاب العلم الذين أخلصوا نياتهم في طلب العلم:

ليكون وسيلة إلى نجاتهم من المسؤولية أمام الله تعالى، وقد عبر علي رضي الله عنه عن هذا القسم بقوله ومتعلم على سبيل نجاة وهذا لا يختص بالدارسين الذين تفرغوا لطلب العلم، وإنما يشمل كل من حمل مسؤولية تطبيق هذا الدين، وأهمَّه أمر نجاته في الآخرة، فاستفتى في أمور دينه العلماء الربانيين، ليعبد الله على بصيرة وليستقيم في معاملته مع الناس على منهج الله، فهذا يعتبر من المتعلمين على سبيل نجاة وإن لم يجلس في حلقات العلم[1]، إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يرينا أهمية إخلاص النية لله في طلب العلم ويدعوهم لتقديم ما عند الله والدار الآخرة على حطام الدنيا وشهوات النفس والدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ودين الحق والصبر على ذلك.

(ج) الذين هجروا العلم الديني ولم يكن لهم ارتباط بالعلماء الربانيين:

في معرفة أمور دينهم، وقد عبر عنهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقوله: وهَمَجٌ رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم.

تحدث أمير المؤمنين عن صنف الهمج الرعاع أتباع كل ناعق الذين يميلون مع كل ريح وليس لهم نورا يستضيئون به وحذر من هذا الصنف الأمعي، وكأنه رضي الله عنه يدعوا الناس بأن يكون همهم الحق والثبات عليه، وبأن يعمّروا الدنيا والآخرة بطاعة الله وأن يستضيئوا بنور الله ويجعلوا الدنيا مطية للآخرة.

٤- المقارنة بين العلم والمال:

وجاء في وصية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لكميل بن زياد: ... العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، وصنعة المال تزول بزواله ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يُكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد مماته، مات خُزّان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة[2]، عقد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مقارنة بين العلم والمال، باعتبار أن العلم

---

(١) التاريخ الإسلامي للحميدي (١١ ، ١٢/٤٣٨).

(٢) حلية الأولياء (١/٧٥)، صفة الصفوة (١/٣٢٩).

الشرعي هو عماد أهل الآخرة ومعقد عزهم وشرفهم في الدنيا والآخرة والمقصود بالمال هنا الذي يجمعه صاحبه لذاته ولا يتوجه فيه بالطاعات وفق شرع ربه، وقد سوغ هذا الحكم بعدة أمور:

(أ) ان العلم يحرس صاحبه بينما صاحب المال هو الذي يحرسه:

فأما حراسة العلم صاحبه فإن العلم الإلهي يقي صاحبه من المهالك في الدنيا والآخرة، فأما أمر الآخرة فظاهر معلوم، حيث إن هذا العلم يقود صاحبه إلى رضوان الله تعالى والجنة ويجنبه طريق النار، وما أعظمها من مطالب وما أبلغها من مكاسب، وأما الوقاية من مهالك الدنيا فإن السعادة الروحية الحقة لا تكون إلا باليقين الذي تتضاءل أمامه الحياة الدنيا فتصبح جميع مآسيها ونكباتها بردًا وسلامًا على أصحاب اليقين لأنهم لا يلقون لها بالا ولا يعيرونها اهتمامًا بينما تتحول هذه المآسي والنكبات إلى حياة جحيمية على أهل الدنيا الذين يعتبرون الحياة الدنيا هي رأس المال والمكسب، وأما حراسة صاحب المال ماله فأمرها ظاهر، فكم تململ أصحابها من الهم والخوف عليها تململ المريض وباتوا يحرسون أموالهم بالهم والقلق والحزن المنهك[1]، والعلم ينور بصيرة صاحبه في الاختيار الأفضل وفي استخلاص العبر من الأمم الماضية والعيش بها في الحياة والعلم يفتح آفاقًا واسعة في فقه الخلاف، ومعرفة المصالح والمفاسد، والمقاصد، وترتيب الأولويات فيسير صاحبه بنور بين الناس.

(ب) أن العلم ينمو ويترسخ بالعمل:

لأن العمل تطبيق للعلم فهو بذلك يزيده عمقًا في الذاكرة بخلاف المال فإن الإنفاق منه ينقصه، ولا يغيبنَّ عن البال أن المقصود هنا أموال أهل الدنيا التي ينفقون منها من أجل الدنيا، أما أموال أهل الآخرة فإنها محكومة بالعمل الشرعي، فالإنفاق منها يزيدها نموًا كما جاء في قول الرسول ﷺ: **«ما نقص مال عبد من صدقة»**[2].

(ج) ان العلم الشرعي حاكم لأنه به تنتظم به شؤون الحياة:

وعلى منهاجه يجب أن تقرر جميع الأنظمة التي تحكم الناس، فهو الحاكم

---

(١) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٢/ ٤٤٢).

(٢) المصدر نفسه (١٢/ ٤٤٢).

الحقيقي، أما المال فأنه محكوم عليه لأن إصداره وإيراده يخضع للأنظمة الحاكمة سواء كانت شرعية أو غير شرعية(١).

(د) أن العلاقات الاجتماعية التي تقوم على المصالح المالية المشتركة تزول بزوال المال:

لأنه هو الذي عقد تلك العلاقات بناء على تبادل المصلحة بوجوده فإذا زال زالت تلك المصالح، أما العلاقات الأخوية التي تقوم على تبادل العلم الشرعي بين العالم ومحبيه فإنها باقية خالدة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

(هـ) أن العلم الشرعي يكسب صاحبه ولاء المسلمين وطاعتهم لأهله اختيارًا منهم:

من غير أن تفرض عليهم هذه الطاعة، وذلك على امتداد حياتهم كما يكسبهم الذكر الحسن بعد مماتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث لا يفقد الناس إلا صورهم وأشكالهم، وإننا لو استعرضنا التاريخ إلى عصرنا هذا لوجدنا العلماء من عهد الصحابة ﷺ تردد أسماؤهم ويذكر التاريخ حياتهم في الكتب والخطب والدروس العلمية، بينما اندرست أسماء كبار أهل الدنيا بانقضاء حياتهم، وأحيانا يشاهدون انطفاء سمعتهم وهم أحياء(٢).

٣- الفقيه كل الفقيه:

أن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنِّط الناس من رحمة الله ولا يؤَمِّنهم من عذاب الله ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبُّر فيها(٣).

في هذا النص يبين أمير المؤمنين علي ﷺ أن من الفقه في الدين التزام صفة الاتزان والاعتدال في عرض أمور الدين ومحاولة إصلاح الناس، وذلك بأن يسير الداعية في خط وسط بين مقامي الخوف والرجاء، فلا ينطلق في تخويف الناس إلى

(١) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٢/ ٤٤٢).
(٢) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٢/ ٤٤٣).
(٣) حلية الأولياء (١/ ٧٧)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٥).

الحد الذي يجعلهم يقنطون من رحمة الله، ولا ينطلق في ترغيب الناس إلى الحد الذي يجعلهم يأمنون من عذاب الله تعالى، ونجد عليًا رضي الله عنه في هذا النص يبين أن من مظاهر الفقه في الدين ألا يهوِّن العالم من شأن المعاصي فيجرئ الناس على ارتكابها، وأن يحافظ على مستوى الإيمان والتقوى لدى الناس مع محاولة رفعهم نحو الكمال في ذلك، كما يبين أن من الفقه أن يحاول العالم ربط المسلمين بكتاب الله تعالى، وهنا يبين علي رضي الله عنه أهمية القرآن الكريم وتفضيله المطلق على كل ما سواه وفيه تبيين أو تعليم للطريقة التي نتعامل بها مع القرآن الكريم. وأن لا يتجاوزه إلى غيره رغبة عنه لأنه مصدر الهداية الأول، ومن المعلوم أن السنة النبوية بيان تفصيلي للقرآن الكريم فالتوجيه إلى القرآن يعتبر توجيهًا إلى السنة، ثم يبين أن من أهم شروط العبادة الشرعية المقبولة أن تكون صادرة عن علم بالكتاب والسنة وأن العلم لا يكون نافعًا إلا إذا رافقه الفهم الصحيح، ويختم وصيته النافعة ببيان أهمية تدبُّر معاني كتاب الله تعالى حال التلاوة لأن الخير كل الخير في فهم مقاصد القرآن الكريم للعمل بأحكامه، والتوجه الكامل لله بالقلب والعقل والروح والجوارح عند قراءتنا لكتابه وبذل كل ما نستطيع لفهم مراد الله والعمل بأوامره واجتناب نواهيه والتخلص من كل العوائق التي تحول بيننا وبين كتاب الله، فهذا يدعونا للتجرد لله بالكلية وإخلاص الدين له وتحري مراد الله ورسوله ودين الحق ولو أدى إلى مفارقة الأهل والمال والولد والوجاهة الدنيوية، فإنما عند الله خير وأبقى. والاتعاظ بمواعظه وتنمية الإيمان بتذكر معاني هذا الكتاب العظيم[١].

٤- ما أبردها على الكبد:

عن الشعبي عن علي رضي الله عنه أنه خرج عليهم وهو يقول: ما أبردها على الكبد فقيل له: وما ذلك؟ قال: أن تقول للشيء لا تعلمه، الله أعلم[٢].

٥- أهل العلم وتعليم الناس:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلِّموا[٣].

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٣١ إلى ٤٣٣).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٦).
(٣) فرائد الكلام ص٣٦١.

٦- الخير في كثرة العلم لا المال والولد:

قال علي رضي الله عنه : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا أحد رجلين، رجل أذنب ذنبًا فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات،ولا يقل عمل في تقوى وكيف يقل ما يتقبل[١].

٧- العلم والجهل:

قال رضي الله عنه : كفى بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نُسب إليه، وكفى بالجهل صَنَعَةً أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه[٢].

٨- سبب زهد الناس في العلم:

قال رضي الله عنه : إنما زهد الناس في طلب العلم، لما يرون من قلة انتفاع من عَلِم بما عَلِم[٣]. وهذا فيه تحذير لعلماء السوء الذين يصدون عن سبيل الله ودعوة للعلماء بالعمل بعلمهم ودعوة الناس إليه والصبر على أذاهم في سبيل الله تعالى.

٩- من حقوق العلماء على أمتهم:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته بالجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشين له سرًا، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته[٤].

١٠- مكانة العلماء العاملين عند الله:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : من عَلِمَ وعَمِلَ دُعِيَ في ملكوت السموات عظيمًا[٥]، وهذه دعوة للعلم والعمل، وحث للسعي للمقامات العالية التي يكرم الله بها من علم وعمل ابتغى مرضاته سبحانه وتعالى.

---

(١) حلية الأولياء ص٧٥.
(٢) فرائد الكلام ص٣٦٦.
(٣) أدب الدين والدنيا ص٨٢ ، ٨٥.
(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥١٩).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٤٩٧).

١١- الاشتغال بالعلم أولى من الاشتغال بالعبادات التطوعية:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف مثله[١]. وهذا التوجيه فيه دلالة على فقه ترتيب الأولويات عند أمير المؤمنين علي، فهو يرى العمل المتعدي لخير الناس وهو العلم أولى بالتقديم من العمل التعبدي الذي ترجع فائدته على الشخص نفسه. هذه بعض التوجيهات النافعة والإرشادات الصالحة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لطلاب العلم.

ثانياً: زهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وورعه:

فهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من خلال معايشته للقرآن الكريم وملازمته للنبي الأمين ﷺ ومصاحبته للصحابة الكرام، ومن تفكره في هذه الحياة بأن الدنيا دار اختبار وابتلاء، فقد تربى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على كتاب الله، واستوعب الآيات التي تحدثت عن الدنيا وأخبرتنا بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها والآيات التي رغبت في الآخرة، وأخبرت بشرفها ودوامها كقوله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦]، وتربى على يدي النبي ﷺ الذي كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها، إذ هو القائل ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**»[٢]، وقال ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمِّ فلينظر بما ترجع**»[٣]، وقال ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[٤]، وقد تأثر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالتربية القرآنية والنبوية، فكان من أصدق النماذج التي زكتها تربية النبي عليه الصلاة والسلام قال الله فيها ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ..**﴾ [البقرة: ١٥١]، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة في الزهد وهذه بعض المواقف المدهشة في هذا الباب.

---

(١) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للدمياطي ص١٣.
(٢) سنن الترمذي رقم ٤١١٠ صحيح غريب.
(٣) مسلم رقم ٢٨٥٨.
(٤) مسلم رقم ٢٨٥٦.

١- يا صفراء، ويا بيضاء غري غيري:

عن علي بن ربيعة الوالبي أن علي بن أبي طالب جاءه ابن النبـاح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مـال المسلمين من صفراء وبيضاء، فـقال: الله أكبر، فقام مـتوكئًا على ابن النباح حتى قام على بيت مال المسلمين فقال:

هذا جَنَايَ خـياره فيـه وكلُّ جَانٍ يده إلى فيه

يا ابن النباح عليَّ بأشياع الكوفة، قـال: فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقـول: يا صفراء ويا بيضـاء غُرِّي غيري، ها، ها، حـتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمره بنضحه وصلى فيه ركعتين، وفي رواية أخرى لأبي نعيم من خـبر مجمع التـيمي قال: كـان علي يكنس بيت المال ويصلي فيه ويتـخذه مسجداً رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

ففي هذا مـثل بليغ في الترفُّع عن مـتاع الدنيا الزائل، فـبيت المال قد امـتلأ من الذهب والفضة، ولا ينظر إليه أميـر المؤمنين علي رضي الله عنه نظرة إعجاب وغرور، بل كان جوابه حينمـا أبلغه المسؤول المالي عن ذلك أن قال: الله أكبـر، فإذا كان بعض الناس يكبرون الدنيا ويعظمـونها فالله تعالى أكبر منها ومن كل شـيء، وما دام المسلم يشعر حقا بأن الله أكـبر فلماذا يجعل قلبـه مستسلمـا لما هو أصغر، إنه فقه عـظيم من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حينمـا تذكر هوان الدنيا وحقـارتها فكبَّر الله تعالى، ولـسان حاله يؤنِّب من انخدع بمتـاع الدنيا الزائد ونسي أن الله جل وعلا أكـبر من كل شيء، وأنه لميزان دقيق يحســه المؤمن الذي نَوَّرَ الله سبحانه بصيرته، فكلـما كان الله تعالى أعظم وأكبر من كل شيء في قـلبه كانت الدنيا وما فـيها أهون شيء عليه، وأصـبح يُسَخِّر المال الحـلال في طاعة الله جل وعـلا، وكلما عظمت الدنيـا في قلبه كـان ذلك على حساب نقص تعظيمه لله تعالى، ونجد أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه يُحَلِّق في آفاق العظمة وهو يخاطب الدنيا بقـوله: يا صفراء يا بيضاء غُرِّي غـيري.. مما يدل على الوجدان الحيّ والحسّ المرهف الذي يصور الدنيـا كخصم يخـتال ويراوغ خصمـه.. وهو بهذا يعلن انتصاره على جموح النـفس وجنوح العواطف، ويُحكِّم عقله الذي يعطي الدنيا حجمها المناسب لزمنها المحدود في شقائهـا ونعيمها، ويعطي الآخرة حجمها المناسب لخلودها وعظمة نعـيمها وهول جـحيمها، ونجـده رضي الله عنه يصل إلى قمة المعالي حـينما

صلى في بيت المال ركعتين لتكونا شاهدتين له يوم القيامة بأنه عدل في حكمه واستقام في أمره، ولعل في اتخاذ بيت المال مسجداً رمزاً لعلو الآخرة على الدنيا، وهو مكمِّل للسلوك العالي الذي مارسه في تصريف ذلك المال في وجوهه المشروعة[١].

٤- والله ما أرزؤكم من مالكم شيئًا:

ومن مواقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في الزهد والورع ما رواه هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخَوْرنَق[٢]، وهو يُرعَد[٣] تحت سمل قطيفة[٤]، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع، فقال: والله ما أرزؤكم من مالكم شيئًا وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي - أو قال من المدينة[٥]. وهنا نتساءل فنقول: ما الذي حمل أمير المؤمنين عليًا على أن يعيش عيشة الفقراء وأن يتحمل البرد القارس وهو قادر على أن يشتري أفخر ما يوجد في الأرض من الملابس وأكثرها دفئًا؟ إنه مثال للزهد الحقيقي حيث يرغب عن متاع الدنيا مع القدرة على تحصيله، إنه تلميذ المدرسة النبوية التي تربى فيها على الزهد في متاع الدنيا الزائل، والتنافس على نعيم الآخرة الخالد، فلقد عاش رسول الله ﷺ عيشة الفقراء وهو يستطيع أن يكون كأفضل الأغنياء[٦].

٣- باعني رضاي وأخذه رضاه:

عن أبي مطر عمر بن عبدالله الجهني قال: رأيت عليًا عليه السلام متَّزرا بإزار مرتديا برداء ومعه الدِّرَّة[٧]، كأنه أعرابي بدوي، ثم ذكر دخوله إلى السوق ومساومته أحد التجار في ثوب بثلاثة دراهم، وأن التاجر عرفه، قال: فلما عرفه لم يشتر منه شيئًا، فأتى آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئًا، فأتى غلامًا حدثًا فاشترى منه قميصًا بثلاثة دراهم، ثم جاء أبو الغلام فأخبره، فأخذ أبوه درهمًا ثم جاء به فقال: هذا

(١) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٢٧) للحميدي.
(٢) موضع بالكوفة.
(٣) يرعد: من شدة البرد.
(٤) سمل قطيفة: يعني قطيفة قديمة.
(٥) حلية الأولياء (١/ ٨٢)، صفة الصفوة (١/ ٣١٦).
(٦) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٢٨).
(٧) الدرة بكسر الدال وتشديد العصا.

الدرهم يا أمير المؤمنين، قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان ثمن القميص درهمين، فقال: باعني رضاي وأخذه رضاه[١]، فهذا مثل في الزهد من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلقد كان مظهره في لباسه يوحي بأنه رجل أعرابي لخشونة ملابسه، وحينما اشترى له ثوبًا اختار نوعًا متواضعًا رخيص الثمن مع أنه كان آنذاك أعلى مسؤول في العالم، حيث كان خليفة المسلمين، وهذا يدل على تواضعه وزهده في الدنيا، على بأن له حقه من الفيء ومن بيت المال وغيرها من مصادر الدولة كشخص مفرغ خليفة وحاكم لمراعاة مصالح المسلمين، ومثل آخر في الورع والاحتياط للدين حينما امتنع من الشراء ممن يعرفونه حتى لا يراعوه في الثمن لمنصبه، فهو لا يريد أن يستثمر منصبه الكبير لمصالحه الخاصة، وهذا فهم دقيق لمجالات الورع والتقوى، فالخلافة عنده وعند أمثاله عمل صالح، والخليفة إذا صاحبه العدل كان أول السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم القيامة فهو لا يريد أن يدنس هذا العمل الصالح بمصالح دنيوية فيتحول العمل إلى مَجْلَبَةً للوزر بدلاً من الأجر، فكان بهذا السلوك العالي قدوة حسنة لمن أتوا بعده[٢].

٤- يخشع القلب ويقتدي به المؤمن:

قال عمر بن قيس: قيل لعلي رضي الله عنه: لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن[٣]، فهذا مثل من زهده رضي الله عنه وحرصه على تربية المسلمين على حياة الزهد والتقشف، فقد لاحظ في لبس الثوب المرقوع ملحظين: الأول أنه وسيلة إلى خشوع القلب وتواضع النفس والبعد عن أسباب العجب والكبرياء، والثاني أنه يعتبر بذلك قدوة للمسلمين فإذا رآه الناس ـ وهو في أعلى منصب ـ يلبس الثوب المرقوع فإن نفوسهم تتواضع ويبتعدون عن التنافس في شراء الملابس الغالية الثمن، ويتقوى بذلك الزاهدون الذين يتعرضون لملامة الناس على سلوكهم حياة الزهد[٤].

---

(١) الزهد ص١٣٠.
(٢) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٢٩) للحميدي.
(٣) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص٦٤٧ للذهبي.
(٤) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٣٠) للحميدي.

٥- لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان:

عن عبدالله بن زُرَير الغافقي قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقرب إلينا خزيرة[١]، فقلت: أصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط - يعني الوزّ - فإن الله عز وجل قد أكثر الخير فقال: يا ابن زرير إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضعها بين يدي الناس**»[٢]، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يضرب مثلاً عاليا في الورع والزهد في متاع الدنيا الزائل من طعام وشراب، فلقد كان بإمكانه أن يأخذ من بيت المال ما شاء من الأموال مما لا يلفت النظر إليه، حيث يؤَمِّن له معيشة مساوية لأغنياء المسلمين، ولكنه رضي بخشونة العيش إيثاراً للآجلة على العاجلة، واحتياطًا لأمر دينه، وإبرازاً للقدوة الصالحة، لأنه إذا كان أعلى رجل في الدولة يعيش هذا المستوى من العيش فإن في ذلك عزاء للفقراء ليصبروا ويرضوا بقضاء الله تعالى وقدره، وعظًا للأغنياء ليشكروا الله تعالى، فيخفضوا من اندفاعهم نحو الترف والإسراف[٣].

٦- لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول: لا أُحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم[٤]، وقال سفيان: إن عليًا لم يبن آجُرّة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة وإن كان ليؤتى بحبوبه من المدينة في جراب[٥].

٧- إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم:

يروي عدي بن ثابت، وحبة بن جوين أنه أتى بطستخوان فالوذج[٦] إلى عليٍّ فلم يأكل، فقال علي: إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم، ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده[٧].

---

(٣) الخزيرة لحم يقطع ويطبخ بالماء ويذر عليه الدقيق.
(٤) مسند أحمد (١/ ٧٨) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر وهناك من ضعفه.
(١) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٣١).
(٢) الكامل في التاريخ (٢/ ٤٤٣).
(٣) الكامل في التاريخ (٢/ ٤٤٣).
(٤) الطستخوان: عبارة عن طست كبير يوضع وسط المائدة.
(٥) الحلية (١/ ٨١)، صحيح التوثيق ص٧٤.

٨- أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب:

قال الحسن بن صالح بن حيّ: تذاكروا الزُّهاد عند عمر بن عبدالعزيز، فقال: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب[١]، وقد ذكر الذهبي أن عليًا ركب حمارًا ودلّى برجليه إلى موضع واحد ثمّ قال: أنا الذي أهنتُ الدنيا(وفعله هنا من باب التربية العملية على الزهد والتقوى والترفع على الدنيا وليس على سبيل الخيلاء)[٢]، وأخرج أبو عبيد في الأموال عن علي رضي الله عنه أنه أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصبهان، فقال: اغدوا إلى عطاء رابع، إني لست بخازنكم، فأخذها قوم وردها قوم[٣]، وخطب علي الناس فقال: أيها الناس، والله الذي لا إله إلا هو، ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثيرًا إلا هذه، وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب، فقال: أهدى إلى دهقان، وقال: ثم أتى بيت المال وقال: خذوا، وأنشأ يقول:

أفلح من كانت له قوصرة[٤] ... يأكل منها كل يوم تمرة[٥]

لقد كان الزهد من الصفات البارزة في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان زهده رضي الله عنه مع توافر أسباب الرخاء والثراء وثقة الناس وتوقيرهم وإجلالهم له الذي يمنع من النقد والحسبة والمؤاخذة[٦]، ولم يكن رضي الله عنه مع زهده وورعه وتصلُّبه في دينه، على شيء من الغظاظة والخشونة والعبوس والكلح، ولم يكن ثقيل الظل، بل كان ودودًا بشوشًا فيه دعابة ملحوظة، وقد جاء في وصفه: كان حسن الوجه، ضحوك السنِّ خفيف المشي على الأرض[٧]. وقد عرّف علي رضي الله عنه الزهادة فقال: أيها الناس الزهادة، قصر الأمل، والشكر عند النعم والتورع عن المحارم[٨]. وقصر الأمل ضد طول الأمل الذي ينسي الإنسان الآخرة، وأما قصره فيجعله يجمع بين الدنيا والآخرة

(١) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين ص٦٤٥.
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ص٦٤٥.
(٣) كنز العمال (٢/ ٣٢٠).
(٤) القوصرة: وعاء من قصب يجعل فيه التمر ونحوه.
(٥) المرتضى للندوي ص٢١٢.
(٦) المصدر نفسه ص٢١٠.
(٧) المصدر نفسه ص٢١٣.
(٨) علي بن أبي طالب، محمد رشيد رضا ص٣٠٤.

ابتغاء مرضات الله، وأما الشكر عند النعم فهي صفات المسلم الرباني الذي يستشعر نعم الله عليه المادية والمعنوية ما ظهر منها وما بطن ويقابلها بالشكر للعزيز الوهاب، وأما التورع عن المحرمات فهو يبتعد عن الاقتراب من حرمات الله عز وجل، فتعريف أمير المؤمنين يبين حقيقة الزهد، ولا شك أن زهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قد أثر في من حوله وأصبح مدرسة مؤثرة في تاريخ الأمة، وقد ربط أبو الحسن الندوي بين الزهد والتجديد في المجتمع الإسلامي فقال: ولقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين في تاريخ الإسلام، فلا نعرف أحدًا ممن قلب التيار، وغير مجرى التاريخ، ونفخ روحًا جديدة في المجتمع الإسلامي، أو فتح عهدًا جديدًا في تاريخ الإسلام، وخلف تراثًا خالدًا في العلم والفكر والدين، وظل قرونًا يؤثر في الأفكار والآراء ويسيطر على العالم والأدب، إلا وله نزعة في الزهد، وتغلب على الشهوات، وسيطرة على المادة ورجالها، ولعل السر في ذلك أن الزهد يكسب الإنسان قوة المقاومة، والاعتداد بالشخصية والعقيدة، والاستهانة برجال المادة، ويصرع الشهوات، وأسرى المعدة[1].

ثالثًا: تواضع أمير المؤمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

من الأخلاق القرآنية التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خلق التواضع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨، ١٩].

وفي آية الإسراء دعوة واضحة إلى التحلي بمكارم الأخلاق من التواضع واللين، ومعرفة قدر النفس، لأن النهي الصريح عن رُعونات النفس من الكبر والبطر والأشر والاحتقار للناس، والأمر بضده وهو التواضع والقصد من الأمور صراحة بعد أن علم بالمفهوم من النهي السابق، وذيل الله تعالى النهي والأمر بما ذيل به النهي السابق من عدم رضاه وشدة سخطه على من اتصف بتلك الصفات فقال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ فعدم محبته لمن كان كذلك، يعني بغضه له، كما دلت عليه الآية السابقة، وفي هذا من الحث على التواضع ما فيه الكفاية

(١) رجال الفكر والدعوة في حديثه عن الإمام أحمد (١/ ١٠٥).

للمؤمن[١]، غير أن القرآن الكريم لم يقتصر على ذلك ،بل نوه بالمتواضعين أيما تنويه حيث قال الله جل ذكره ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

وهذا تنويه عظيم بالمتواضعين حيث وصفهم بالعبودية له ،وذلك أعظم تشريف لهم، لأن العبودية له سبحانه، هي أشرف الأوصاف ومن أعلى مراتب المحبين، وبذلك يتفاخرون ولذلك يقول الشاعر:

ومما زادني شرفًا وتيهًا وكدت بأخمَصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيَّرت أحمدَ لي نبيًا[٢]

وكان نبينا محمد ﷺ في ذروة الذُّرا من هذا الخلق العظيم في كل صوره وأشكاله، ولا غرابة في ذلك فهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ،وكان مما أدبه الله تعالى به في هذا الخلق قوله سبحانه وتعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. وخفض الجناح كناية عن التواضع لهم والرفق بهم[٣]، وقد قام النبي ﷺ بذلك حق القيام وظهر أثر هذا التواضع في كل أحواله الذاتية والاجتماعية والأسرية، وفي كل زمان ومكان بحيث لا يخلو حال من أحواله ﷺ عن التواضع لله تعالى والمؤمنين[٤]، وقد تأثر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالتربية القرآنية الكريمة، والتربية النبوية الرشيدة، فكانت هذه الصفة متجسدة في شخصيته الفذة وإليك بعض المواقف:

(أ) أنا الذي أهنت الدنيا:

عن صالح بن أبي الأسود عمن حدثه أنه رأى عليًا قد ركب حمارا ودلى رجليه إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا[٥]، وهكذا يشعر أمير المؤمنين علي

---

(١) أخلاق النبي في القرآن والسنة، د. أحمد الحداد (١/ ٤٥٤).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٤٥٥)، ينسب للمصدر الأصلي.

(٣) روح المعاني للآلوسي (٥/ ٨٠).

(٤) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ٤٥٩).

(٥) البداية والنهاية (٨/ ٥).

ابن أبي طالب رضي الله عنه بالفرح لانتصاره على نفسه، وظهوره بمظهر التواضع أمام الناس وهو خليفة المسلمين، إن مناصب الدنيا خداعة غرارة، وإن فتنة الجاه بها أعظم من فتنة المال، فلطالما رأى الناس مسئولين كانوا متواضعين قبل أن يلوا، فلما تولوا مناصب كبيرة بدأ التعاظم في نفوسهم شيئا فشيئا، حتى يكون من الصعب في آخر الأمر مخاطبتهم واللقاء معهم، لكن أولياء الله المتقين كلما ازدادوا رفعة في المناصب الدنيوية زادوا تواضعًا للناس، وشعروا بالسرور وهم يقومون بمظاهر التواضع التي تنفي عنهم صفة التجبر والكبرياء[١].

(ب) أبو العيال أحق أن يحمل:

روي عن علي رضي الله عنه : أنه اشترى تمرا بدرهم فحمله في ملحفة، فقالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل[٢]، فهذا مثل من تواضعه حيث حمل متاعه بنفسه مع كونه أمير المؤمنين ومع كبر سنه، فلم ير في ذلك مسوغا لقبول خدمة الناس له، وهو بهذا يجعل من نفسه قدوة حسنة للمسلمين في التواضع فلو نازعت أحد الكبراء نفسه في تصور العيب من حمل المتاع فإنه بتذكره لموقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يزول ما في نفسه من ذلك، ولو اعترض على أحد المتواضعين معترض فإن له من الاقتداء بأكبر أمير على وجه الأرض ما يرد هذا الاعتراض[٣].

(جـ) معاملته لعمه العباس رضي الله عنهما:

عن صهيب مولى العباس، قال: رأيت عليًا يقبل يد العباس ورجله ويقول: يا عم، ارض عني[٤] ولنتأمل ما ورد في وصف ضرار الصدائي لعلي رضي الله عنه حيث يقول: يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا تنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له[٥].

ومن أقوال أمير المؤمنين في التواضع: تواضع المرء يكرمه[٦] إن العبد كلما رسخ

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٧/ ٦٣) للحميدي.
(٢) الزهد للإمام أحمد ص ١٣٣.
(٣) التاريخ الإسلامي (١٧/ ٦٤).
(٤) أصحاب الرسول (١/ ٢٢٤)، السير للذهبي (٢/ ٩٤) إسناده صحيح.
(٥) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).
(٦) منهج أمير المؤمنين علي في الدعوة ص٥٢٣.

في العلم بالكتاب والسنة وعمل بهما، وعرف حقيقة نفسه ازداد تواضعا لله ولخلقه، كما إن علة من أعجب بنفسه من بعض دعاة اليوم إنما هي من قلة العلم والفهم، إضافة إلى انصراف نظر الداعي إلى كثرة من حوله من الأتباع، وغفلته عن النظر إلى من عند الله ثم إلى من فوقه من العلماء الربانيين، وهذا من مداخل الشيطان الخفية على طلاب العلم والمحسوبين على حق الدعوة، وقد قيل من منشور الحكم: إذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء[1]، ونختم هذه الصفة بقول أمير المؤمنين علي: ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة ثواب الله، وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل[2]، والتيه المقصود به الاستغناء بالله عما في أيدي الأغنياء ولا يعني أبدًا التكبر والغرور.

رابعًا: كرمه وجوده:

من الأخلاق القرانية الكريمة التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، خلق الكرم والجود، وقد كان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم عظيما، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول سبحانه في مستهل ثاني سورة بعد البسملة: ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ثم وصفهم بقوله ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١ - ٥].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ㉒ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ㉓ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤]، وقد كان رسول الله ﷺ قد بلغ مبلغ الكمال والعظمة في كافة الأخلاق ولا سيما خلق الكرم، وقد وصفته خديجة رضي الله عنها بقولها: «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[3]، فهي تصفه بهذه الصفات البالغة عظمة

---

(١) هداية المرشدين ص١٠٥ علي محفوظ.

(٢) موعظة المؤمنين (٢/ ٣٤٤)، فرائد الكلام ص٣٣٩.

(٣) السيرة النبوية (١/ ١١٦).

وخطورة التي كان عليها قبل بعثته ورسالته، ولم يكن قد تحمل أعباء أمته، ولا قد أضفت عليه النبوة زيادة كمال وعظمة، فكيف به بعد ذلك كله لا جرم أن كرمه ﷺ بعد ذلك سيكون بالغا ذروة الذرى في كرم الأنبياء وسائر البشر، وهو ما دلت عليه الدلائل النقلية الكثيرة[١]، وقد تأثر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالتربية القرآنية والنبوية وترك لنا آثاراً بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم في شخصيته العظيمة، فقد ذكر الحافظ ابن كثير من خبر الأصبغ بن نباتة: أن رجلا جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفعتها إلى الله تعالى قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال علي: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكتب: إني محتاج، فقال علي: علي بحلة، فأتى بها، فأخذها الرجل فلبسها، ثم أنشأ يقول:

كسوتني حلة تبلى محاسنها	فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة	ولست أبغي بما قد قلته بدلا
إن الثنا ليحيى ذكر صاحبه	كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في خير تواقعه	فكل عبد سيجزى بالذي عملا

فقال علي: علي بالدنانير، فأتى بمائة دينار فدفعها إليه، فقال الأصبغ: يا أمير المؤمنين، حلة ومائة دينار قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أنزلوا الناس منازلهم، وهذه منزلة هذا الرجل عندي»**[٢]، فهذا موقف جليل لأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في الوقوف عند حاجات المحتاجين والاهتمام بأمورهم ورعاية مشاعرهم، وإن أروع ما في هذا الخبر قوله: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكم يعاني المحتاجون من الذل بين يدي من يعرضون عليهم حوائجهم، وقد يتلعثمون فلا يستطيعون النطق، ولقد كانت مشاعر ذلك المحتاج عظيمة حينما واجهه أمير المؤمنين علي بهذه المعاملة السامية، ولقد صاغ هذه

---

(١) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (٢/٦٤٨).
(٢) البداية والنهاية (٨/٩).

المشاعر بالأبيات المذكورة[١]، وقد كان ﷺ يفرح بقدوم الضيف، ويكرم إخوانه في الله ويتفقدهم، فعن أمير المؤمنين علي ﷺ قال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانني[٢].

وقال: لعشرون درهما أعطيها أخي في الله أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين[٣]، وعندما سئل عن السخاء، قال: ما كان منه ابتداء، فأما ما كان من مسألة فحياء وتكرم[٤]، وقد جعل في حياته أوقافا لله تعالى، حيث جعل أرضه بينبع وقفا وكتب فيها كتابا: هذا ما أمر به علي بن أبي طالب، وقضى في ماله: إني تصدقت بينبع ووادي القرى الأذينة وراعة في سبيل الله وذي الرحم القريب والبعيد، ولا يوهب ولا يورث، حيًا أنا أو ميتًا[٥]، وقد قال عن صدقته: لقد رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار[٦]، ولم يرد بقوله أربعة آلاف دينار زكاة ماله، وإنما أراد الوقوف التي جعلها صدقة، كان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد، فإن أمير المؤمنين علي ﷺ لم يدخر مالا، ودليل ذلك[٧]، ما قاله ابنه الحسن بعد مقتله: لقد فارقكم رجل ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم، بقيت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادما، يعني عليًا[٨] ﷺ، وكان يحث الناس على إكرام العشيرة فيقول: أكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي به تطير، فإنك بهم تصول، وبهم تطول، وهم العدة عند الشدة، أكرم كريمهم، وعد سقيمهم وأشركهم في أمورك، ويسر عن معسرهم[٩].

خامساً: الحياء من الله تعالى:

الحياء من أجل مكارم الأخلاق، لأنه يدل على طهارة النفس، وحياة الضمير

---

(١) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٧/١٢٧).
(٢) فرائد الكلام ص٤٠٢، موعظة المؤمنين (٢/٢٥٢).
(٣) موعظة المؤمنين (١/١٣٩).
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٤.
(٥) تراث الخلفاء الراشدين ص٥١٧.
(٦) أسد الغابة (٤/٧).
(٧) صحيح التوثيق ص٧٧.
(٨) الطبقات (٣/٣٨).
(٩) فرائد الكلام ص٣٤٨.

ويقظة الوازع الديني ومراقبة الله تعالى، إذ من لم يكن ذا حياء لم يقر الضيف، ولم يف بالوعد، ولم يؤد الأمانة، ولم يقض لأحد حاجة، ولا تحرى الجميل فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه- لم يؤد شيئا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقًّا، ولم يصل له رحما، ولا بر له والدا فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني - وهو رجاء عاقبتها الحميدة - وإما دنيوي علوي وهو حياء فاعلها من الخلق وقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق، وإما من الخلائق لم يفعلها صاحبها[1]، وعلى حسب حياة القلب تكون قوة خلق الحياء، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم، وقلة الحياء من موت القلب والروح[2]، وهو من شعب الإيمان، لأنه يكون باعثا على أفعال البر، ومانعا من المعاصي[3]، ولهذا كان من الأخلاق العليا التي كان للقرآن الكريم بها عناية عظيمة[4]، فقد تحدث القرآن الكريم عن الحياء في الجانب النبوي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فترى كيف حمله الحياء على عدم مواجهة أصحابه بما كان يرغب فيه من خروجهم، ولم يستطع مشافهتهم بما يوده منهم[5]، لأنه ﷺ كان أشد حياء من العذراء في خدرها[6]، وقد قال ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»[7]، وقد تجسد هذا الخلق في شخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد حدثنا عن هذا الخلق فقال: إني لأستحي من الله أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أعظم من حلمي، أو عورة لا يواريها ستري، أو خلة لا يسدها جودي[8]، فهذه أربع صفات من النقص قابلهن أمير المؤمنين علي بن أبي

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٧٧).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٩).
(٣) شرح مسلم للنووي (٣/ ٥).
(٤) أخلاق القرآن الكريم (١/ ٤٧٨).
(٥) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ٤٧٨).
(٦) مسلم رقم ٢٣٢٠.
(٧) مسلم رقم ٣٧.
(٨) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥١٧) نقلا عن التاريخ الإسلامي للحميدي (٢٠/ ٢٧٤).

طالب رضي الله عنه بأربع صفات من الكمال، فالحياء من الله عز وجل يقتضي من الإنسان أن يتصف بالعفو عند المقدرة، وذلك فيما إذا لم يكن الذنب فيه حد من حدود الله تعالى وأن يتصف بالعلم الذي يحتوي جهل الجاهلين، وأن يكون ستارا لعيوب الناس، وأن يتسع كرمه لسد حاجة من احتاج إليه، ومما أعطى هذه الحكم وزنها الراجح أن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه ربطها بالحياء من الله تعالى، فهذه الصفات الأربع تعتبر من صفات الكمال عند العقلاء، لكن كثيرا من العقلاء يتصف بها لكسب السمعة الدنيوية وسياسة الأمور بكسب الناس ورضاهم، أما أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فإنه ربطها بالحياء من الله تعالى لأن هدفه الأعلى ابتغاء مرضات الله جل وعلا، ولا شك أن من هذا هدفه سيكون تمثيله لهذه الصفات أقوى بكثير ممن كان هدفه دنيويا[١].

سادسًا: شدة عبوديته وصبره وإخلاصه لله تعالى:

مارس علي رضي الله عنه مفهوم العبادة الشامل في حياته، وتميز بقيامه الليل، وأصبح من أهل التهجد الذي قال الله فيهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] وقال تعالى فيهم: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨] وقال تعالى فيهم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣، ٦٤] وهذا ضرار بن ضمرة الكناني يصف علي ابن أبي طالب لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: كان يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه يتململ في محرابه، قابضا لحيته، يتململ تململ السليم[٢] ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: أبي تغررت أم إلى تشوفت هيهات هيهات، غري غيري، قد بتتك[٣] ثلاثا، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير[٤]، آه من قلة الزاد، وبعد

---

(١) التاريخ الإسلامي للحميدي (٢٠/ ٢٧٥).

(٢) السليم: الملدوغ.

(٣) بتتك: أي طلقتك.

(٤) خطرك بمعنى: القدر والمنزلة.

السفر ووحشه الطريق، فوكفت[١] دموع معاوية على لحيته، ما يملكها وجعل ينشفها بكُمِّه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن رحمه الله، كيف وجدُكَ عليه يا ضرار؟ قال وجدُ من ذبح زوجـها في حجرها، لا يرقأ[٢] دمعها، ولا يسكن حزنها. ثم قام فخرج[٣].

ودخل الأشتـر النخعي على أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو قـائم يصلي بالليل، فقال له: يا أمـير المؤمنين: صومٌ بالنهار وسهر بالليل وتعـبٌ فيما بين ذلك، فلما فـرغ «علي» من صلاته قال له: سفـر الآخرة طويل، فيـحتاج إلى قطعه بسـير الليل[٤]، وكـان أميـر المؤمنين علي رضي الله عنه يحث النـاس على تقوى الله ومـراقـبتـه، وخشيته، فقد قال: أيها الناس، اتقوا الذي إن قلتم سمع وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم وإن أقمتم أخذكم[٥]، وكان يقول: يا أيها الناس خذوا عني هؤلاء الكلمات، فلو ركـبتهم المُطِيَّ حتـى تُنضوها ـ يعني تهزلوها ـ ما أصـبتم مثلها: لا يرجـون عبد إلا ربه، ولا يخافنَّ إلا ذنبه، ولا يـستحي ـ إذا لم يعلم ـ أن يتعلم، ولا يستـحي ـ إذا سئل عما لا يعلم ـ أن يقول لا أعلم، واعلمـوا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له[٦] ففي هذه الوصية الجمع بين تصحيح التوحيد، والإرشاد إلى آداب العلم، حيث يوصي رضي الله عنه بتصحيح الاتجاه في مـقامي الخوف والرجـاء، فالمؤمن الحق لا يرجـو إلا الله لأنه وحده المنعم بسائر النعم، والذي تجـري على أيديهم النعم من المخلوقين إنما هم وسائط وأسـباب في وصول تلك النعم، أما منشئ النعم وموجدها فـهو الله سبحانه وتعالى، والمؤمن الحق لا يخاف إلا من الله تعالى لأنه هو الذي يملك ضـره ونفعه، والمخلوقون الذين يتوهم الناس أنهم مصدر خوف إنما هم وجمـيع الخلق في قبضة الله تعالى، وإذا كان الله تعالى وحـده هو الرازق وهو الخالق وحـده، وهو المالك وحده القـادر على كل

(١) فوكفت: أي سالت.

(٢)يرقأ: لا يسكن ولا يجف.

(٣) حلية الأولياء (١/ ٨٤،٨٥)، الرقة والبكاء ص١٩٨.

(٤) لطائف المعارف لابن رجب، التحمس لقيام الليل، محمد صالح ص٩٣.

(٥) أدب الدنيا والدين ص١٢٣، فرائد الكلام ص٣٦٩.

(٦) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٦).

شيء فلمَ يرجو المؤمن سواه أو يخاف من غيره ولقد عبر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن الخوف من الله تعالى بالخوف من الذنوب لأن المراد هو الخوف من عاقبتها وهو عذاب الله تعالى فهو إرشاد لأهم السبل الموصلة إلى تحقيق مقام الخوف من الله تعالى، ثم بين شيئًا من آداب التعلم لأن أمور الدين إنما تؤخذ بالعلم فيذكر من آداب المتعلم أن لا يمنعه الحياء من التعلم حتى لو كان كبير السن، أو القدر، ويذكر من آداب المعلّم أن لا يمنعه الحياء من أن يقول لا أعلم فيما لا أعلم له به لأن ذلك يحفظ عليه دينه ودين من سأله، ثم يختم وصيته النافعة ببيان أصل من أصول الإيمان ألا وهو الصبر حيث يعتبره من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وذلك أن نجاح الأمور كلها يقوم على الصبر سواء في أمور الدنيا أو الآخرة[1]، وقد مارس أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مقام الصبر في حياته منذ نعومة أظافره، وإسلامه سرًّا مع رسول الله ﷺ مرورًا بما لاقاه في المغازي والسرايا وعهد الخلفاء الراشدين وما صحبها من أحداث جسام، ومن ثم ما واجهه من صنوف الفتن في خلافته، إلى أن انتهى الأمر بقتله، كل هذه المراحل في حياته فيها الدروس البليغة لدعاة اليوم، والتنبيه لهم لما تحتاجه الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من الصبر والتحمل ودفع الثمن[2] ابتغاء مرضات الله تعالى، وكان رضي الله عنه يحث أصحابه على مقام الصبر، فقد قال رضي الله عنه للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وان جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور[3]، وقال رضي الله عنه : ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له[4]، وقال: الصبر مطية لا تكبو، والصبر له مكانته المعروفة في دين الله، فقد ذكر الله تعالى الصبر في آيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقد جاء ذكر فضائله في أحاديث كثيرة والصبر له ثلاثة أقسام وهي الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على البلاء.

وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حريصًا على أن تكون أعماله خالصة

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٣٤).

(٢) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص٥٢٥.

(٣) أدب الدنيا والدين ص٢٧٨، فرائد الكلام ص٣٧١.

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ص١٥٣.

لوجه الله تعالى، عامـلا بقوله تعالى ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤] وقوله جـل شأنه ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر:٦٥]، فقد كان أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب قد تعلم من رسول الله ﷺ أن الأعمال لا تقبل إلا إذا خلصت النية، فمعنى ذلك أن الأخلاص ركن أساسي في العبادة، وأن العبادة التي يفقد منها الإخـلاص ترد على صاحبها كما جاء في الحديث القدسي: **«أنا أغنى الشـركاء على الشـرك من عمل عـملاً أشـرك فيه غيـري تركتـه وشركه»**[1]، فقد كان عـلي رضي الله عنه محاربًا للشرك بجميع أشكاله وأنـواعه سواء شرك الربوبية أو شرك الألوهية، وكان حريصًا في سكناته وحركاته أن تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى وكان يحث الناس خصوصًـا طلاب العلم عن البعد عن الرياء، فقد قال رضي الله عنه: يا حملـة العلم، اعملوا به، فإنما العالم من عـمل بما علم، ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتُهم علانيتهم، ويخالف عملهم علـمهم، يجلسون حلقًا، فيـباهي بعضهم بعضـا، حتى أن أحدهم ليغـضب على جليسه حين يجـلس إلى غيره ويدعـه، أولئك لا تصعد أعـمالهم في مجالسـهم تلك إلى الله عز وجل[2]، وقد أشار أمـير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى إحدى الأمراض الخطيـرة عند بعض من يجلس للتعليم للمـباهاة والسمعـة، ويغضب على طلابه لو تركـوه وذهبوا لغـيره، ولو كـان هذا الذهاب فـيه مـصلحة لهم، فليـست مصلحة طلابه عنده هي المـهمة، بل المهم عنده مكانته وسمـعته، وإن لم يقل ذلك بلسـان المقال، فـإنه يتبين من حكاية الحـال[3]، لأن من إخلاص الداعي إلى الله أن يكون همه أن يتبع الناس الحق ولو خالفوا رأيه، وهذه حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد قال: اقضوا كما كنتم تقضون فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة، أو أموت كـما مات أصحابي[4]، وكان ذلك في رأي رآه في عدم جواز بيع

---

(١) مسلم، ك الزهد رقم ٥٩٨٥.

(٢) سنن الدارمي في المقدمة (١/ ١٠٦)، الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٩٠).

(٣) منهج علي بن أبي طالب ص٥١٣.

(٤) البخاري، ك فضائل الصحابة (٣/ ٢٣).

أم الولد، وكان عمر يرى رأيه هذا ثم رجع علي عن رأيه الأول فرأى أنهن يبعن[١]، وهذا تعليم للدعاة وطلاب العلم أن الخلاف في الرأي المشروع أمر طبيعي يجب أن لا تضيق به الصدور ولا يؤثر على وحدة الصف، إن دعاة اليوم في أشد الحاجة أن يراجعوا أنفسهم في هذا الخلق وأين هم منه وأن يتضرعوا إلى الله أن يمدهم بهذه الصفة الجميلة حتى ينالوا ثواب الله بعد مماتهم، وتثمر دعوتهم إلى الله في دنياهم، لقد كانت عبادة علي ﷺ قائمة على كمال الإخلاص لله تعالى، واتباع هدى النبي ﷺ، فالله هو المستحق للعبادة وحده، فقد كانت حياته كلها عبادة، يتنقل فيها من نوع إلى نوع، ومن حال إلى حال يمتثل قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، لقد كانت العبادة عاملاً مهمًا في تزكية الأخلاق والاستقامة على شرع الله تعالى، ولذلك عرّف أمير المؤمنين الاستقامة في تفسيره لمعنى استقاموا فقال: أدوا الفرائض[٢].

سابعًا: شكره لله:

والشكر هو صرف العبد كل ما أنعم به عليه إلى ما خلق لأجله[٣]، يعني من نعمه الظاهرة والباطنة في النفس والمال فيصرف ذلك كله إلى عبادة ربه بما يليق بكل جارحة على الوجه الأكمل، وإذا ما فعل ذلك كان قد أظهر نعم الله عليه، وأدى واجب شكرها[٤]. يعتبر الشكر من أجل الأخلاق السلوكية الإيمانية التي على المؤمن أن يتحلى بها في كل أحواله لما فيه من الاعتراف بالنعم لمسديها، وقد دل على عظم مكانته انضواء جُل الأخلاق الإيمانية تحته من محبة ورضا وتوكل، لأن الشكر لا يتم إلا بعد التحلي بها، ولا يكون إلا عند استشعارها[٥]، ولقد كانت عناية القرآن الكريم بهذا الخلق عظيمة كعظم مكانته في الأخلاق، فقد ورد ذكره في نحو من سبعين آية، آمراً به، وحثًا عليه، وثناء على أهله، ووعداً لهم بحسن جزائه، ونهيًا

(١) فتح الباري (٧/ ٧٣).
(٢) زاد المسير (٧/ ٢٥٤).
(٣) التوقيف على مهمات التعاريف ص٤٣٥.
(٤) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة ص١٨٥.
(٥) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٩).

عن ضده مما يدل على أمر هذا الخلق عظيم الشأن[١]، فقد قرن الله سبحانه في كتابه الذكر بالشكر، فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقرن سبحانه العبادة بالشكر، قال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]. مما يدل على تلازم العبودية بالشكر تلازمًا وثيقا[٢] وكان رسول الله ﷺ صاحب القدح المعلى في كل الأخلاق الحميدة ومنها هذا الخلق، وربى أصحابه ومنهم علي بن أبي طالب على هذا الخلق، فكان لا يشعر بنعمة إلا شكر الله عليها، وكان إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده، وقال: يا لها من نعمة لو يعلم العباد شكرها[٣]، وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال لرجل من أهل همدان: إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلّق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله عز وجل حتى ينقطع الشكر من العبد[٤]، وكان رضي الله عنه يرى أن من شكر النعمة العفو عن الخصم، فقد قال رضي الله عنه: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للمقدرة عليه[٥].

ثامنًا: الدعاء لله:

فالدعاء باب عظيم، فإذا فتح للعبد تتابعت عليه الخيرات وانهالت عليه البركات، ولذلك حرص أمير المؤمنين على حسن الصلة بالله وكثرة الدعاء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقد لازم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه رسول الله ﷺ ورأى كيف كان رسول الله ﷺ يستغيث بالله ويستنصره ويطلب المدد منه، وقد حرص أمير المؤمنين على أن يتعلم هذه العبادة من رسول الله، وأن يكون دعاؤه وتسبيحه على الصيغة التي يأمر بها رسول الله ويرتضيها، إذ ليس للمسلم أن يفضل على الصيغة المأثورة في الدعاء

---

(١) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/١٨٦).
(٢) المصدر نفسه (١/١٨٧).
(٣) عدة الصابرين ص١٢٢، علو الهمة (٥/٤٨١).
(٤) الشكر لابن أبي الدنيا، نقلا عن علو الهمة (٥/٤٨١).
(٥) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ص٣٠.

والتسبيح والصلاة على النبي صيغًا أخرى مهما كانت في ظاهرها حسنة اللفظ، جيدة المعنى، لأن رسول الله ﷺ وهو معلم الخير والهادي إلى الصراط المستقيم، هنا وهو أعرف بالأفضل والأكمل وقد نسب أقوام من الدعاء والذكر المبتدع لأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كذبًا وزورًا وبهتانا، فمن كان محبا لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فعليه أن يتبع هديه ومنهجه، فقد أرشدنا لمتابعة النبي ﷺ في الأقوال والأفعال، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه صاحب دعوة مستجابة، فعن زاذان أبي عمر أن رجلاً حدث عليًا بحديث فقال: ما أراك إلا قد كذبتني، قال: لم أفعل قال: أدعو عليك إن كنت كذبت، قال: ادع: فدعا فما برح حتى عمى[1]، وكان رضي الله عنه يقول عندما يثنى عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرا مما يظنون[2]، ويروى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله أنه قال: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليرد عليه من حوله: يرحمك الله، وليرد عليهم يهديكم الله، ويصلح بالكم**»[3]، وفي هذا الفعل من حسن الخلق تأدب مع الله سبحانه وتعالى بحمده والثناء عليه في مناسبة أمر فيها العبد بذلك.

قال الحليمي العطاس يدفع الأذى من الدماغ، الذي فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب، التي هي معدن الحس وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بذلك أنها نعمة جليلة، فناسب أن تقابل بالحمد لله، لما فيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه لا إلى الطبائع[4]، ويبين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أدبًا من آداب المسافر فيما يرويه عن رسول الله ﷺ بقوله: «كان النبي ﷺ إذا أراد سفرًا قال: **بك اللهم أصول وبك أجول، وبك أسير**»[5]. ويبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أدبًا آخر من آداب المسافر، وذلك لما أراد سفرًا ووضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد الله ثلاثًا، وكبر ثلاثًا، ثم قال: اللهم لا إله إلا

---

(١) البداية والنهاية (٨/٦).

(٢) فرائد الكلام، موعظة المؤمنين (٢/٢٢٨).

(٣) سنن ابن ماجه (٢/١٢٢٤)، صحيح سنن ابن ماجه للألباني (٢/٣٠٣).

(٤) فتح الباري (١٠/٦٠٢).

(٥) مسند أحمد (٢/٨٣) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، قال: فقيل ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبي ﷺ فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا ما يضحكك يا نبي الله قال: «**عجبت للعبد، إذا قال لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو**»(١)، وعن ابن أعبد قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا ابن أعبد، هل تدري ما حق الطعام؟ قال: قلت: وما حقه يا ابن أبي طالب؟ قال: تقول: بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، قال: وتدري ما شكره إذا فرغت، قال: قلت وما شكره؟ قال تقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا(٢)، وكان رضي الله عنه إذا رأى الهلال قال: اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وفتحه ونصره وبركته ورزقه ونوره وطهوره وهداه، وأعوذ بك من شره وشرّ ما فيه وشر ما بعده(٣)، وكان يقول في السجود، رب إني ظلمت نفسي فاغفرلي(٤)، وكان يقول بين السجدتين: اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني(٥)، وكان يُعَلِّم من دخل السوق هذا الدعاء فيقول: إذا دخلت السوق فقل: «بسم الله الرحمن الرحيم، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة، وصفقة خاسرة، ومن شرما أحاطت به هذه السوق»(٦)، وكان يقول: «ما من كلمات أحب إلى الله من أن يقول العبد: الله لا إله إلا أنت، اللهم لا أعبد إلا إياك، اللهم لا أشرك بك شيئًا، اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت(٧)، وكان يقول: «اللهم ثبتنا على كلمة العدل بالرضى والصواب، وقوام الكتاب، هادين مهديين، راضيين مرضيين، غير ضالين، ولا مضلين»(٨)، ومن أدعيته رضي الله عنه: «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، وبجبروتك التي غلبت بها كل شيء، وبعظمتك

---

(١) مسند أحمد (٢/ ١٨٣) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.
(٢) مسند أحمد (٢/ ٣٢٩) قال المحقق إسناده حسن.
(٣) كنز العمال رقم ٢٤٣١٠، فقه علي بن أبي طالب، قلعجي ص٢٥١.
(٤) فقه علي بن أبي طالب، قلعجي ص٢٥١.
(٥) المصدر نفسه ص٢٥١.
(٦) فقه علي بن أبي طالب ص٢٥١.
(٧) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ١٤٩).
(٨) فقه علي بن أبي طالب ص٢٥٢.

التي غلبت بها كل شيء، وسلطانك الذي ملأت به كل شيء، وبقوتك التي لا يقوم لها شيء، وبنورك الذي أضاء له كل شيء، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء، وباسمك الذي تبيد كل شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء يا الله يا رحمن يا رحيم، اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، والذنوب التي تورث الندم، واغفر لي الذنوب التي تحبس القسم، واغفر لي الذنوب التي تغير النعم، واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، وتديل الأعداء، واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء وترد الدعاء، واغفر لي الذنوب التي تردني إلى النار»[١]، وهذا الدعاء يبين افتقار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى ربه وخوفه من ذنوبه، ويعلمنا كيفية التعامل مع أسماء الله الحسنى ودعاء الله بها سبحانه وتعالى، وهذا الدعاء يسلط الأضواء على عبودية أمير المؤمنين لله عز وجل.

وعن عليّ رضي الله عنه قال لقّنني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كربة أو شدة أن أقولها: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحانه، تبارك الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين»[٢]، وكان عبدالله بن جعفر يلقنها الميت وينفث بها على الموعوك[٣]، ويعلمها المغتربة من بناته[٤]. هذه بعض صفاته التي كانت ثمارا لتوحيده وإيمانه بالله واستعداده للقدوم على الله تعالى، وسوف يلاحظ القارئ الكريم كثيرا من صفاته بإذن الله تعالى، كالشجاعة والحلم والفصاحة والبلاغة وغيرها من الصفات من خلال الأحداث التي تمر بها في هذا الكتاب.

تاسعا: المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

كانت المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والاقتداء بالشيخين في هديهم.

١- المصدر الأول: كتاب الله تعالى:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن

---

(١) فقه علي بن أبي طالب ص٢٥٢.
(٢) سنن البيهقي (٧/١٢٩)، معرفة الصحابة لأبي نعيم رقم ٣٥٢.
(٣) الموعوك من الوعك وهو الحمى وقيل ألمها.
(٤) فضائل الصحابة (٢/ ٨٢٠) إسناده حسن.

لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، فكتاب الله تعالى يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشئون الحياة، كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها دولتهم، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: . . . الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه[1].

٢- المصدر الثاني: السنة المطهرة:

التي يستمد منها الدستور الإسلامي أصوله ومن خلاله يمكن معرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية لأحكام القرآن الكريم[2]، فقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدى واستنوا بسنته، فإنها أفضل السنن[3].

٣- الاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه:

قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر»[4]. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في أبي بكر وعمر ﷺ. . . والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر ردي، صحبا رسول الله على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله، ولا كان رسول الله يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحدا، قضى رسول الله وهو عنهما راض ومضيا والمؤمنون عنهما راضون - واستمر في حديثه إلى أن قال في أبي بكر - وكان والله خير من بقي، أرحمه رحمة، وأرافه رأفة، وأثبته ورعا، وأقدمه سنا وإسلاما، فسار فينا سيرة رسول الله حتى مضى على ذلك، ثم ولي عمر الأمر من بعده. . . فأقام الأمر على منهاج النبي ﷺ وصاحبه، يتبع آثارهما كاتباع الفصيل[5] أمه. . . إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما - رحمة الله عليهما - ورزقنا المضي على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحب لهما، ألا من

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٦).
(٢) فقه التمكين في القرآن الكريم للصلابي ص ٤٣٢.
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).
(٤) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٠٠).
(٥) الفصيل ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

أحبني فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه بريء[١]، وكان رضي الله عنه يدافع عن اجتهادات عثمان بن عفان ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً - أو قولوا خيرا - فوالله ما فعل الذي فعل - أي في المصاحف - إلا عن ملأ منا جميعا أي الصحابة.. ووالله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[٢]، وكان يقول: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر[٣].

عاشراً: حق الأمة في الرقابة على الحكام:

إن للأمة الحق في مراقبة الحكام وتقويمهم قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]. وكان أول ما قاله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أثر توليه.. إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم إلا أنه ليس لي أمر دونكم[٤]، وهذا نفس ما قاله أبو بكر عندما تولى حيث قال: فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني[٥]، وما قاله عمر: أحب الناس إلى من رفع إلى عيوبي[٦]، وقال: إني أخاف أن أخطئ فلا يردني أحد منكم تهيبًا مني[٧]، وما قاله عثمان: إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد فضعوا رجلي في القيد[٨]، وبذلك يكون قد جرى العمل في عهد الخلفاء الراشدين على التسليم للأمة بحق الرقابة على الحكام ولم ينكره أحد فدل ذلك على الإجماع[٩]، كما أن إجماع الصحابة - حكاما ومحكومين - في عهد الخلافة الراشدة ليس له إلا معنى واحد وهو الفهم الصحيح للكتاب، والطريق السليم للعمل بالسنة، فهم الذين عاصروا عهد تنزيل الكتاب وعاشوا طريقة النبي ﷺ في

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكائي رقم ٤٤٥٦.
(٢) فتح الباري (٩/٨) إسناده صحيح.
(٣) المختصر من كتاب الموافقة ص١٤٠، إسناده منقطع ابن أبي شيبة المصنف رقم ١٢٠.
(٤) تاريخ الطبري (٥/٤٤٩، ٤٥٧).
(٥) البداية والنهاية (٦/٣٠٥).
(٦) الشيخان أبو بكر وعمر من رواية البلاذري ص (٢٣١).
(٧) المصدر نفسه ص ٢٣١، نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص ١٩٨.
(٨) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم ٥٢٤.
(٩) الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، فتحي عبدالكريم ص ٣٧٨.

إقامة حياة الناس عليه، فهم أفهم الناس لروح الدين، وأعرف الناس بمقاصد الشرع، وأقدر الناس على التمييز بين الحق والباطل، ومن المستبعد بل من المحال أن يجتمعوا على باطل، لقول النبي ﷺ: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة»[١]، ولهذا كان إجماعهم حجة يسوغ أن تراعى وتوضع ضمن مصادر الدستور الإسلامي، وإجماع الأمة قد يكون على فهم نص، ويجوز أن ينعقد الإجماع عن اجتهاد وقياس، ويكون حجة[٢]، إن أمير المؤمنين علي ﵁ كان يحث الناس في خلافته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد خطب ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس إنما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار، فأخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب أجلاً»[٣].

الحادي عشر: الشورى:

إن من قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والنزول على رضاهم ورأيهم وإمضاء نظام الحكم بالشورى، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى:٣٨]. لقد قرنت الآية الكريمة حكم الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة، فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة، وحكم الصلاة واجبة شرعا، فكذلك الشورى واجبة شرعا[٤]، وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ حريصا على التزام منهج الشورى في تصرفاته وأعماله وقراراته، فمن ذلك أنه حينما وصل إليه كتاب من قائده معقل بن قيس الرياحي المكلف بمحاربة الخريث بن راشد الخارجي جمع أصحابه وقرأ عليهم كتابه استشارهم وطلب منهم

---

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ٢٦٤) رقم ٤٠١٤.

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر (١/ ٣٨٥).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ٦٠٣).

(٤) النظام السياسي في الإسلام لأبي فارس ص ٩.

الرأي حيث اجتمع رأي عامتهم على قول واحد وهو: نرى أن تكتب إلى معقل بن قيس فيتبع أثر الفاسق فلا يزال في طلبه حتى يقتله أو ينفيه فإنا لا نأمن أن يفسد عليك الناس[١]، ومما روي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في الشورى قوله: الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه[٢]، وقوله: نعم المؤازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد[٣]، وقوله: رأي الشيخ خير من مشهد الغلام[٤]، ومما أوصى به أمير المؤمنين علي مالك بن الحارث الأشتر حين بعثه إلى مصر في الشورى قوله: لا تدخلن في مشورتك بخيلا فيعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جبانا فيضعفك عن الأمور، ولا حريصا فيزين لك الشر بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله[٥]، وكان علي رضي الله عنه يعلم أن الحاكم إذا لم يكن له مستشارون فلا يعلم محاسن دولته ولا عيوبها، وسوف يغيب عنه الكثير من شؤون الدولة وقضايا الحكم، وكان يعلم أن الشورى تعرفه ما يجهله، وتضع أصابعه على ما لا يعرفه، وتزيل شكوكه في كل الأمور التي يقدم عليها، فها هو يقول للأشتر النخعي عندما ولاه مصر: انظر في أمور عمالك الذين تستعملهم، فليكن استعمالك إياهم اختيارا ولا يكن محاباة ولا إيثارا، فإن الأثرة بالأعمال - أي الاستبداد بلا مشورة - والمحاباة بها جماع من شعب الجور والخيانة لله وإدخال الضرر على الناس وليست تصلح أمور الناس ولا أمور الولاة إلا بإصلاح من يستعينون به على أمورهم، ويختارونه لكفاية ما غاب عنهم، فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعفة والعلم والسياسة والصق بذوي التجربة والعقول والحياء من أهل البيوتات الصالحة وأهل الدين والورع، فإنهم أكرم أخلاقا وأشد لأنفسهم صونا وإصلاحا وأقل في المطامع إسرافا وأحسن في عواقب الأمور نظراً من غيرهم فليكونوا عمالك وأعوانك[٦].

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٣٩).

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٢٩١،٨٩، الإدارة العسكرية (١/ ٢٧٩).

(٣) نهاية الأرب (٦/ ٦٩) نقلا، الإدارة العسكرية (١/ ٢٧٩).

(٤) المصدر نفسه (٦/ ٧٥)، المصدر نفسه (٢٧٩/١).

(٥) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ٢٧٩).

(٦) نهاية الأرب (٦/ ٢١)، في الحكم الإسلامي ص ١٥١، الشورى بين الأصالة والمعاصرة عز الدين التميمي ص ١٠٢.

الثاني عشر: العدل والمساواة:

إن من أهداف الحكم الإسلامي الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم ومن أهم هذه القواعد العدل والمساواة، وقد قام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بإقامة العدل بين الناس، وقد تضافرت كل الخصال الحميدة والمعطيات العلمية والفقهية التي جعلته مؤهلا للقيام بدوره هذا على أكمل وجه حتى أن الرسول ﷺ لثقته به وبقدراته بعثه قاضيا إلى اليمن(١)، وقد دعا له رسول الله بهذا الدعاء العظيم: «اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه»(٢)، لذلك كان من الطبيعي أن يقيم حكمه على العدل الشامل وأن يجعله على رأس غايات وأهداف الحكم لأنه به تستقيم الأمور وتظهر المودة بين الرعية(٣)، ولا شك أن العدل في فكر أمير المؤمنين علي هو عدل الإسلام الذي هو الدعامة الرئيسية في إقامة المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي، فلا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل لقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قدوة في عدله أسر القلوب وبهر العقول، فالعدل في نظره الذي يسعى لتطبيقه في الحكم هو أحد أهم ركائز الخلافة الراشدة دعوة عملية للإسلام تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول ﷺ فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس، فعن شريح قال: لما توجه علي رضي الله عنه إلى حرب معاوية رضي الله عنه، افتقد درعا له، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة، أصاب الدرع في يد يهودي يبيعها في السوق، فقال له: يا يهودي، هذا الدرع درعي، لم أبع ولم أهب. فقال اليهودي: درعي وفي يدي. فقال علي: نصير إلى القاضي، فتقدما إلى شريح، فجلس علي إلى جنب شريح، وجلس اليهودي بين يديه.

فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين، فقال: نعم، أقول: إن هذه الدرع التي في يد اليهودي درعي، لم أبع ولم أهب. فقال شريح: يا أمير المؤمنين بينة قال: نعم قنبر(٤) والحسن والحسين يشهدون أن الدرع درعي، قال: شهادة الابن لا تجوز للأب، فقال: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحسن

---

(١) نظام الحكم في العهد الراشدي، حمد العمد ص ١٤١.
(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٨٧١) إسناده حسن رقم ١١٩٥.
(٣) نظام الحكم في العهد الراشدي ص ١٤١.
(٤) مولى لعلي رضي الله عنه.

والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[1]. فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه؟ أشهد أن هذا الحق، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن الدرع درعك، كنت راكبا على جملك الأورق وأنت متوجه إلى صفين، فوقعت منك ليلا، فأخذتها. قال: أما إذا قلتها فهي لك: وحمله على فرس، فرأيته وقد خرج فقاتل مع علي الشراة بالنهروان[2]، ومن أمثلة عدله في الحكم، عن ناجية القرشي عن أبيه قال: كنا قياما على باب القصر إذ خرج علي علينا فلما رأيناه تنحينا عن وجهه هيبة له، فلما جاز صرنا خلفه، فبينما هو كذلك إذ نادى رجل: يا غوثا بالله، فإذا رجلان يقتتلان، فلكز صدرهذا وصدر هذا، ثم قال لهما: تنحيا، فقال أحدهما: يا أمير المؤمنين إن هذا اشترى مني شاة وقد شرطت عليه أن لا يعطيني مغموزا ولا محذقا - يعني الدراهم المعيبة - فأعطاني درهما مغموزا فرددته عليه فلطمني، فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صدق يا أمير المؤمنين قال: فأعطه شرطه، ثم قال للاّطم: اجلس، وقال للملطوم: اقتص، قال: أو عفو يا أمير المؤمنين. قال: ذلك إليك، قال: فلما جاز الرجل قال علي: يا معشر المسلمين خذوه، قال: فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضربه خمس عشرة درة، ثم قال: هذا نكال لما انتهكت من حرمته، وفي رواية أنه قال: هذا حق السلطان[3]، هذا وإن هذا الخبر ليعتبر مثلا عاليا للتواضع حيث يخرج أمير المؤمنين من بيته إلى السوق يتفقد أحوال الناس، ويقوم بنفسه في حل مشكلاتهم، وهو نوع من السلوك العالي الذي يبرز وجود الولاة في واقع حياة الرعية سواء قام بذلك الوالي الأكبر أو من دونه، ولا يلزم تكرر هذا الوجود كل يوم، إذ يكفي شعور الناس بأن الولاة معهم في مشكلاتهم ليطمئن صاحب الحق على بقاء حقه في حوزته، وعودته إليه فيما لو اعتدي عليه، وليرتدع من تسول له نفسه الاعتداء على حقوق الناس، وقبل ذلك وأهم منه أن يرتدع كل من يحدث نفسه بالاعتداء على حق الله تعالى، وهذا الوجود المتلاحم بين الوالي والرعية يظهر بصور متعددة تتناسب مع أنماط الحياة في كل عصر، فلا يقولن قائل بأن ما قام به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يعتبر سائغًا في

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة رقم ١٢٢٢٥، المستدرك (٣/ ١٦٦)حديث صح من أوجه كثيرة.

(٢) الشراة: الخوارج. النهروان: بين واسط وبغداد.

(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٧٢، ٧٣).

عصره ولكنه بعيد التصور في هذا العصر، فإنه لا عبرة بالأشكال والصور، وإنما العبرة بالأهداف والمقاصد التي بها تتحقق الحياة السعيدة للمسلمين، وذلك برعاية حق الله أولا ثم حقوق الناس العامة والخاصة، وفيما أمر به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من إجراء العقوبة على المعتدي مع تنازل صاحب الحق دلالة على إدراكه رضي الله عنه لمقاصد الإسلام من حفظ الأمن، وإشاعة السلام بين المؤمنين، وذلك سيرتدع من تميل نفسه إلى الاعتداء على غيره إذا عرف بأن العقوبة ستجري عليه ولو عفا عنه خصمه[1]، ومن مواقف عدله رضي الله عنه ما رواه عاصم بن كليب عن أبيه قال: قدم على علي بن أبي طالب مال من أصبهان[2]، فقسمه سبعة أسباع، فوجد فيه رغيفا، فقسمه سبع كسر، وجعل على كل جزء كسرة، ثم أقرع بينهم، أيهم يعطى أول[3]، وأما ما مبدأ المساواة الذي اعتمده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في دولته، فيعد أحد المبادئ العامة التي أقرها الإسلام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]، وجاءت ممارسة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لهذا المبدأ خير شاهد، ومن هذه المواقف، حرصه على تقسيم المال فور وروده إليه على الناس بالتساوي بعد أن يحتجز منه ما ينبغي أن يأخذ من على المرافق العامة، ولم يكن يستبيح لنفسه أن يأخذ من هذا المال إلا مثلما يأخذه غيره من الناس، كما أنه كان يعطي معارضيه من الخوارج من العطاء مثلما يعطي غيرهم وهذا قبل سفكهم للدماء، واعتدائهم على الناس[4]، وكان رضي الله عنه يساوي في العطايا بين الناس وبذلك يكون اقتداء بالصديق في هذا الباب، وكان رضي الله عنه لا يفضل شارفا على مشروف، ولا عربيا على أعجمي، فقد دفع مرة طعاما ودراهم بالتساوي إلى امرأتين إحداهما عربية، والثانية أعجمية، فاحتجت الأولى قائلة: إني والله امرأة من العرب، وهذه من العجم، فأجابها علي: إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلا على بني إسحاق. وكذلك لما طلب إليه تفضيل أشراف العرب وقريش على الموالي والعجم، قال: لا والله، لو

---

(١) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٢/ ٤٣٣، ٤٢٣).

(٢) مدينة عظيمة في بلاد فارس.

(٣) الكامل في التاريخ (٢/ ٤٤٢).

(٤) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص ٢١٦.

كان المال لي لواسيت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم[١]؟ وعن يحيى بن سلمة قال: استعمل علي عمرو بن سلمة على أصبهان فقدم ومعه ماله وزقاق فيها عسل وسمن، فأرسلت أم كلثوم بنت علي إلى عمرو تطلب منه سمنا وعسلا، فأرسل إليها ظرف عسل وظرف سمن، فلما كان الغد خرج علي وأحضر المال والعسل والسمن ليقسم، فعد الزقاق فنقصت زقين، فسأله عنهما، فكتمه وقال: نحن نحضرهما، فعزم عليه إلا ذكرها له، فأخبره، فأرسل إلى أم كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما، فكان ثلاثة دراهم، فأرسل إليها فأخذها منها ثم قسم الجميع[٢]، وعن أبي رافع وقد كان خازنا لعلي رضي الله عنه على بيت المال، قال: دخل يوما وقد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قد كان عرفها، فقال: من أين لها هذه؟ لله علي أن أقطع يدها، قال: فلما رأيت جده في ذلك قلت: أنا والله يا أمير المؤمنين زينت بها ابنة أخي، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها، فسكت[٣].

الثالث عشر: الحريات:

مبدأ الحرية من المبادىء الأساسية التي قام عليها الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ويقضي هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقض معها، فقد كانت دعوة الإسلام لحرية الناس، جميع الناس دعوة واسعة عريضة قلما تشتمل على مثلها دعوة في التاريخ، وكانت أول دعوة أطلقها في هذا المجال هي دعوته الناس في العديد من الآيات القرآنية لتوحيد الله والتوجه له بالعبادة وحده دون سائر الكائنات والمخلوقات، وفي دعوة التوحيد هذه كل معاني الحرية والاستقلال لبني الإنسان، أضف إلى ذلك أن الإسلام عرف الحرية بكل معانيها ومدلولاتها ومفاهيمها، فتارة تكون فعلا إيجابيا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتارة فعلاً سلبيًا كالامتناع عن إكراه أحد في الدخول في الدين، وفي أحيان كثيرة يختلط معناها بمعنى الرحمة، والعدل والشورى والمساواة، لأن كل مبدأ من هذه المبادىء التي نادى بها الإسلام لا يستقيم أمره ولا

---

(١) تراث الخلفاء الراشدين ص ١٠١.

(٢) الكامل في التاريخ (٢/ ٤٤٢).

(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٧٢).

يمكن تحقيقه إلا بوجود الحرية وقد أسهم مبدأ الحرية مساهمة فعالة إبان حكم الخلفاء الراشدين خاصة بانتشار الدين الإسلامي، وبتسهيل فتوحات المسلمين واتساع رقعة دولتهم، لأن الإسلام كرم الإنسان وكفل حرياته على أوسع نطاق ولأن النظم السياسية الأخرى السائدة آنذاك في دولة الروم والفرس كانت أنظمة استبدادية وتسلطية، وفئوية قاس بسببها الرعايا وبصورة خاصة المناوئون السياسيون والأقليات الدينية أشد درجات الكبت والاضطهاد والظلم، وأما في الإسلام في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، فقد كانت الحريات العامة المعروفة في أيامنا معلومة ومصونة تماما[1]، وقد كان لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه أقوال تدافع عن الحريات ومواقف تدعم هذا المبدأ في المجتمع الإسلامي، فمن أقواله: بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد[2]، وقوله الموجز هذا يدل على أن الاعتداء على الناس كافة بأي شكل كان غير جائز في الإسلام وذكر المعتدين بعذاب الله يوم القيامة وفي أيام عهد الراشدين، وعرف عنه قوله: ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن[3]، وقوله هذا يدل دلالة واضحة على أنه ليس من الجائز أخذ الناس بالشبهات والحكم عليهم لمجرد الظنون والشكوك، بل ينبغي أن يكون ذلك بـ(الثقة) أي باليقين المستند إلى أدلة دامغة وأكيدة لا تقبل الجدل حولها، وخير هذه الأدلة ما نصت عليه الشريعة[4]، وبذلك يكون المبدأ الذي أقرته التشريعات الجزائية الحديثة القائل بأن المتهم يبقى بريئا حتى إثبات العكس قد عرفه الإسلام منذ أمد بعيد[5] وقد تجلى مبدأ الحرية على أروع صوره ومعانيه أيام علي رضي الله عنه، فبالرغم من ظروف استثنائية (فتن، مؤامرات، وحروب)، تبرر الحاجة إلى تقييد حرية الأفراد في ذهابهم وإيابهم وإقامتهم أو ما يسمى في العصر الحديث بقانون الطوارئ إلا أن عليًّا لم يقيد حرية أحد، سواء كان من أتباعه أم من خصومه، ولم يكره أحد على الإقامة والبقاء في ظل سلطانه أو على الخروج منه ولا حتى على المسير معه لمقاتلة أعدائه، ولم يصد أحدا من الناس عن اللحاق

---

(١) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص ١٥٧، ١٥٨.

(٢) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص ١٦٥.

(٣) المصدر نفسه ص ١٦٥.

(٤) هذه الأدلة هي: البينة الخطية المنظمة وفقاً لأحكام الشريعة، أو الثابتة بشهادة رجلين أو بشهادة رجل وامرأتان وأحيانا بشهادة أربعة رجال كما في حالة الزنا.

(٥) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص ١٦٦.

بمعاوية[١]، كما أنه لم يقيد حرية أصحاب عبد الله بن مسعود وعبيدة السلماني والربيع بن خيثم ولم يكرههم على المسير معه لمقاتلة أهل الشام عندما رفضوا ذلك، بل سمح لهم بالذهاب لبعض الثغور نزولا عند رغبتهم[٢]، وعندما ثار عليه الخوارج بعد معركة صفين بسبب قبول التحكيم، فإنه لم يكره أحدا منهم على البقاء في ظل سلطانه أو الخروج منه بل بالعكس فقد كان يأمر عماله بعدم التعرض لهم في طريقهم طالما أنهم لا يفسدون في الأرض ولا يعتدون على الناس[٣]، وقال لهم: . . . إن لكم عندنا ثلاثا، لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا[٤].

المبحث الثالث: حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أولا: دعوته للتوحيد ومحاربته للشرك:

إن حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عامرة بالدعوة إلى توحيد الله تعالى وتعريف الناس معاني الإيمان، والاعتماد والتوكل على الله والخوف منه سبحانه وتعالى، والتعريف به من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ومحاربته للشرك بجميع أشكاله وأنواعه، ومن خلال توجيهه وتعليمه تربيته للناس على دعوة التوحيد ومحاربة الشرك أمور منها:

١- قوله رضي الله عنه: «لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه»[٥]:

فهذا من أحسن الكلام، وأبلغه وأتمه، فإن الرجاء يكون للخير، والخوف يكون من الشر، والعبد إنما يصيبه الشر بذنوبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] فالراجي يطلب حصول الخير ودفع الشر، ولا يأتي بالنعم إلا الله، ولا يذهب المصائب إلا الله ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]،

---

(١) المصدر نفسه ص ١٥٩.
(٢) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص ١٥٩.
(٣) المصدر نفسه ص ١٦٠.
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٦٨٨).
(٥) الفتاوى (٨/ ١٠١).

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢]، والرجاء مقرون بالتوكل، فإن المتوكل يطلب ما رجاه من حصول المنفعة ودفع المضرة، والتوكل لا يجوز إلا على الله، كما قال تعالى: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [آل عمران: ١٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فهؤلاء قالوا: حسبنا الله، أي: كافينا الله في دفع البلاء، وأولئك أمروا أن يقولوا: حسبنا في جلب النعماء - فهو- سبحانه - كاف عبده في إزالة الشر وفي إنالة الخير، أليس الله بكاف عبده، ومن توكل على غير الله ورجاه خذل من جهته وحرم، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١]. ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]. وقال الخليل: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، فمن عمل لغير الله رجاء أن ينتفع بما عمل له، كانت صفقته خاسرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، كما قيل في تفسيرها: كل عمل باطل إلا ما أريد به وجهه، فمن عمل لغير الله ورجاه بطل سعيه، والراجي يكون راجيًا تارة بعمل يعمله لمن يرجوه، وتارة باعتماد قلبه عليه والتجائه إليه وسؤاله، فذاك نوع من العبادة له، وهذا نوع من الاستعانة به، وقد قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]

وقال: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]، ومما يوضح ذلك: أن كل خير ونعمة تنال العبد فإنما هي من الله، وكل شر ومصيبة تندفع عنه أو تكشف عنه، فإنما يمنعها الله، وإنما يكشفها الله، وإذا جرى ما جرى من أسبابها على يد خلقه، فالله - سبحانه - هو خالق الأسباب كلها سواء كانت الأسباب حركة حي باختياره وقصده، كما يحدثه تعالى بحركة الملائكة والجن والإنس والبهائم أو حركة جماد بما جعل الله فيه من الطبع أو بقاسر يقسره كحركة الرياح والمياه ونحو ذلك، فالله خالق ذلك كله، فإنه لا حول ولا قوة إلا به[1]، وما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، فالرجاء يجب أن يكون كله للرب، والتوكل عليه والدعاء له، فإنه إن شاء ذلك ويسره كان وتيسر، ولو لم يشأ الناس، وإن لم يشأه ولم ييسره لم يكن وإن شاءه الناس[2]، هذه بعض المعاني من قول أمير المؤمنين: لا يرجون أحد إلا ربه[3]، وأما قوله: ولا يخافن أحد إلا ذنبه[4]، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]. بين سبحانه أن الحسنة من الله ينعم بها على الناس، وأن السيئة إنما تصيبهم بذنوبهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فأخبر أنه لا يعذب مستغفراً، لأن الاستغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العذاب، فيندفع العذاب، كما في سنن أبي داود وابن ماجه عن النبي ﷺ أنه قال: من أكثر الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب[5]، وقال تعالى: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ② وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٢، ٣]. فبين: أن من وحده واستغفره متعه متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى، ومن عمل بعد ذلك خيراً زاده من فضله، وفي الحديث: «يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله،

---

(١) الفتاوى (٨/ ١٠٢).
(٢) الفتاوى (٨/ ١٠٢).
(٣) الفتاوى (٨/ ٩٩).
(٤) المصدر نفسه (٨/ ٩٩).
(٥) سنن ابن ماجة رقم ٣٨١٩، سنن أبي داود ١٥١٨.

والاستغفار»[١]، فلما رأيت ذلك بثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا[٢]. وقال عمر بن عبدالعزيز: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥] فنهى المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان، وأمرهم بخوفه، وخوفه يوجب فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والاستغفار من الذنوب وحينئذ يندفع البلاء وينتصر على الأعداء، فلهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا يخافن عبد إلا ذنبه[٣]، وإن سلط عليه مخلوق فما سلط عليه إلا بذنوبه، فليخف الله، وليتب من ذنوبه التي ناله به ما ناله[٤]، كما في الأثر: يقول الله: أنا الله، مالك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، من أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشتغلوا بسب الملوك، وأطيعوني أعطف قلوبهم عليكم[٥].

٢- تعريف أمير المؤمنين على الناس بأسماء ا وصفاته:

قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩] فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقد بين القرآن الكريم أن معرفة الأسماء الحسنى وصفاته العلى من أعظم الوسائل في زيادة الإيمان وقوته وثباته، ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه وقوي يقينه[٦]، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا

---

(١) مسند أبي يعلى (١/ ١٢٣) رقم ١٣٦، مجمع الزوائد (١/ ٢١٠) وهو ضعيف.
(٢) الفتاوى (٨/ ١٠٠).
(٣) الفتاوى (٨/ ٩٩).
(٤) المصدر نفسه (٨/ ١٠١).
(٥) المصدر نفسه (٨/ ١٠١).
(٦) الوسطية في القرآن الكريم للصلابي ص ٢٢٨.

وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقد ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسما – مائة إلا واحدة – من أحصاها، دخل الجنة»[١]، أي من حفظها وفهم معانيها، واعتقدها، وتعبد الله بها دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون[٢]، ولأهمية هذا العلم قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «يا طالب العلم: إن للعالم ثلاث علامات، العلم بالله، وبما يحب الله، وبما يكره الله»[٣]، وقال في معرض وصفه للمولى سبحانه وتعالى: «هو العالم بكل مكان، وكل حين وأوان، لم يخلق الأشياء من أصول أولية، ولا بأوائل كانت قبله بدية، بل خلق ما خلق فأقام خلقه، وصور ما صور فأحسن صورته، توحد في علوه فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة شيء من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة في السماوات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البائدين، كعلمه بالأحياء المتقلبين، وعلمه بما في السموات العلى، كعلمه بما في الأرض السفلى، وعلمه بكل شيء، لا تحيره الأصوات، ولا تشغله اللغات ... مدبر بصير، عالم بالأمور، حي قيوم ... سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات»[٤]، وجاء يهودي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسأله: متى كان ربنا؟ فتمعر[٥] وجه علي بن أبي طالب وقال: «لم يكن فكان؟ هو كان ولا كينونة، كان بلا كيف، كان ليس قبل ولا غاية، انقطعت الغايات دونه، فهو غاية كل غاية، فأسلم اليهودي[٦]، ومما يرويه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في صفات الله سبحانه وتعالى قوله: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[٧].

---

(١) البخاري، ك الدعوات رقم ٦٤١٠.
(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي ص ٤١.
(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/٢٠٧)، منهج علي بن أبي طالب ص ٩١.
(٤) حلية الأولياء (١/٧٣).
(٥) تمعر: تغير: لسان العرب (٥/١٨١).
(٦) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٦.
(٧) مسند أحمد (٢/١٧٣) قال أحمد شاكر: إسناده حسن.

إن معرفة أسمـاء الله وصفاته، وتأمل معانيها، والإيمان بها تثمر للعـبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره ونهـيه، كما توجب اللجوء إليـه في الكربات، وسؤاله عند الحاجات، واستغاثته في الملمات وغيرها من أنواع العبادات القلبية[١].

٣- تعـريف أمـير المؤمـنين علي بن أبي طـالب النـاس بنعم الله المستوجبة لشكره:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مذكرا بالله سبحانه وتعالى وبنعمه على عباده: أوصيكم عباد الله بتـقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسـماعا تـعي ما عناها، وأبصارا لتـجلو عن غشـاها، وأفئدة تفـهم ما دهاها، في تركيب صورها ومـا أعمرها فإن الله لم يخلقكم عبـثا ولم يضرب عنكم الذكر صـفحا، بل أكـرمكم بالنعم السوابغ، وأرفـدكم بأوفر الروافـد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصـد لكم الجزاء في السراء والضراء، فاتقوا الله عـباد الله وجدوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهمات وهادم اللذات[٢]، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحث الناس على القرب من الله بشكر النعـم الحاصلة ويحذرهم من الركون إليهـا والأمن معها، ويرغـبهم فيمـا عند الله من المزيد في حال شكر النعم، حيث يقول: فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله، واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فـاذكروا الله واجمعـوا معها رغـبة، فإن الله قد تـأذن المسلمين بالحسنى، ولمن شكره بالزيادة[٣]، ودعا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الناس إلى التـفكر في أنفسهم فقال: من عرف نفســه فقد عرف ربه[٤]، وقد قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

٤- حرص أمير المؤمـنين علي بن أبي طالب على محو آثار الجاهلية:

قـال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسـول الله ﷺ في جنازة، فـقال: «أيكم

(١) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص ٩٢.
(٢) الحلية (١/ ٧٨)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٨).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣٠٩).
(٤) مطلوب كل طالب من شرح كلمات علي بن أبي طالب لمحمد عـبد الجليل العمري مخطوط نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص ٩٦.

ينطلق إلى المدينة فلا يدع وثنا إلا كسره، ولا قبراً إلا سواه، ولا صورة إلا لطخها؟» فقال علي ﷺ: أنا أنطلق يا رسول الله، فقال: «**فانطلق، فانطلق**»، ثم رجع فقال: يا رسول الله، لم أدع بها وثنا إلا كسرته، ولا قبرا إلا سويته، ولا صورة إلا لطختها، ثم قال رسول الله: «**من عاد لصنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[1]، وعندما أصبح أمير المؤمنين أرسل أبا الهياج الأسدي وقال له: أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أن لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته[2]، فأمره بمحو التماثيل، وأن تكون القبور مدروسة معالمها الغرض من زيارة القبور عند أمير المؤمنين علي[3]، وقد كان أمير المؤمنين علي ﷺ كثيرا ما يقصد المقبرة زائرا ومتعظا، وقد أشرف على المقبرة فقال: يا أهل القبور أخبرونا بخبركم، أما خبركم قبلنا فالنساء قد تزوجن، والمال قد قسم، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو نطقوا لقالوا: لم نر خيراً من التقوى[4]، وقد كان أمير المؤمنين علي ﷺ يسعى جاهدا في تجريد التوحيد، وقطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، ولذلك حذر من اتخاذ القبور مساجد لما تسببه من الفتنة في أهلها، وكونها ذريعة إلى عبادة الأموات، وقد وصف ﷺ من فعل ذلك بأنه من شرار الناس كما في قوله: «شرار الناس من يتخذ القبور مساجد»[5]، وهذا اتباع لقول رسول الله ﷺ: «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[6]، وغيره من الأحاديث التي صحت في هذا المعنى، كما لا بد من التنبيه على أن الغرض من زيارة القبور أمران، كما هو بين من الهدي النبوي الشريف الاتعاظ بالموت، والدعاء للميت والترحم عليه، وليس في واحد منها ما يدل على أن الزائر يقصد القبر ليقضي حاجته، فقصد القبر للانتفاع به مخالف لهدي النبي ﷺ

---

(١) مسند أحمد (٢/ ٦٨) قال أحمد شاكر: إسناده حسن.
(٢) مسلم، ك الجنائز (٢/ ٦٦٦).
(٣) الغرض: الاتعاظ والدعاء للأموات، فقه علي قلعجي ص ٤٩٤.
(٤) الاستذكار (١/ ٢٣٤).
(٥) مصنف عبد الرزاق (١/ ٤٠٥)، كنز العمال رقم ٢٢٥٢٢.
(٦) فتح الباري (٤/ ٣٧٦) إسناده حسن.

ومخالف لأدب زيارة القبور التي نصّ عليها العلماء[١]، بل إن قصد القبر رجاء قضاء الحاجة هو عين ما حذر منه النبي ﷺ أصحابه عندما سألوه أن يجعل لهم ذات أنواط، ففي حديث أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات انواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم (ذات أنواط)، فقال النبي ﷺ : **«سبحان الله، هذا كما قيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم»**[٢]، وفي عدة المريد يقول الشيخ الزروق بعد أن ذكر الحديث المتقدم: ولا يجوز عند العلماء تعظيم مكان، أو شجر، أو بناء، أو أي شيء آخر له أصل في معتقدات الجاهلية، رجاء الشفاء أو قضاء حاجة[٣]، ثم قال: في الحديث دليل على منع كل ما يستدام أو يكون له أصل في عبادة الجاهلية من خشبة أو حديدة أو حجر أو بناء ونحوه، لا يمتهن أو يكون مستهلكًا[٤]، ولا شك أن القبر له أصل في عبادة الجاهلية، بل هو أصل أصولها، ولا أدل على ذلك، من أن أشهر أصنامهم التي عبدوها من دون الله، سواء في جاهليتهم اللاحقة: «اللاّت»، هي أسماء لرجال صالحين ماتوا فقالوا في تعظيمهم حتى عبدوهم من دون الله[٥]، وهنا كان حديث النبي ﷺ وفعل سيدنا علي له عمل عظيم في حماية جناب التوحيد ويتضح لنا أن ما يفعله بعض جهلة المسلمين من تعظيم القبور والطواف حولها والتعلق بأهلها أمر محرم يخالف أمر الله وسيرة أمير المؤمنين فعلى العلماء الربانيين الذين يرجون الله واليوم الآخر أن يقتدوا بالنبي ﷺ كما فعل أمير المؤمنين علي وأن يسعوا لتعبيد الناس لربهم وجعل قلوبهم تتعلق بالله الواحد القهار وأن يحاربوا العوائق في الطريق إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

---

(١) الغلو في الدين د. الصادق الغرياني ص ١١٩.

(٢) سنن الترمذي رقم ٢١٨٠ حسن صحيح.

(٣) عدة المريد ص ٢٠٦، الغلو في الدين للغرياني ص ١١٩.

(٤) عدة المريد ص ٢٠٦، المصدر نفسه ص ١١٩.

(٥) الغلو في الدين ص ١١٩.

أ- الزيارة الشرعية للقبور:

إن الزيارة الشرعية للقبور سنة مجهولة عند الكثيرين قد غفلها جمع من الناس لفشو البدع والخرافات في العالم الإسلامي، وعدم إرشاد أهل العلم الناس إلى هذه الزيارة المشروعة، وتقصير الدعاة في توضيح هذا النوع المباح وما يقال عند الزيارة، فالزيارة الشرعية الغرض منها: تذكر الموت ومكان الإنسان ونهايته، وأنه سيأتي اليوم الذي يكون هذا موضعه ومضجعه الذي يزوره الآن، مما يعين على الثبات على الطاعة، وحث النفس والأخذ بزمامها نحو العبادة، خاصة إذا أصابها فتور وتقاعس عن العبادة، كما يشرع فيها السلام على الأموات والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة، ومن الأدلة على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»، وفي رواية عنها رضي الله عنها في قصة جبريل، حين جاء النبي ﷺ وأخبره أن الله تعالى يأمره أن يستغفر لأهل بقيع الغرقد، قالت عائشة رضي الله عنها: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ فقال: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[١].

وقد بين العلماء عدم جواز البناء على القبور، كما بينوا آداب زيارة الرسول ﷺ، ودعاء العبد لربه وأنه ليس بين العبد وربه واسطة.

قال الكاساني الحنفي في كتابه «بدائع الصنائع»: وكره أبو حنيفة البناء على القبر والكراهة إذا أطلقت فهي للتحريم وقد صرح بالتحريم ابن مالك من الأحناف[٢].

قال الطحاوي الحنفي: ولا يستلم القبر ولا يقبله فإنه من عادة أهل الكتاب ولم يعهد الاستلام إلا للحجر الأسود والركن اليماني خاصة[٣].

قال القاضي عياض عن مالك: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ولكن يسلم ويمضي. وروى ابن وهب عنه أنه قال: ويدنو ويسلم ولا يمس القبر[٤].

---

(١) مسلم رقم (١/ ٦٧١)رقم ٩٧٤.
(٢) بدائع الصنائع (١/ ٣٢).
(٣) حاشيته على مراقي الفلاح ٣٤٠.
(٤) كتاب شرح الشفاء (٢/ ١٥٢).

وقال زروق المالكي: من البدع اتخاذ المساجد على قبور الصالحين، والتمسح بالقبر عند الزيارة وهو فعل النصارى وحمل تراب القبر تبركًا به وكل ذلك ممنوع بل يحرم[١].

وقال الشافعي: ولم أرَ قبور المهاجرين والأنصار مجصصة. وقال أيضًا رحمه الله: وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أرَ الفقهاء يعيبون ذلك[٢].

وقال النووي: ويكره مسحه قبر النبي ﷺ باليد وتقبيله بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضرني حياته ﷺ هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه[٣].

وقال السبكي في فتواه: ولا يمس القبر ولا يقرب منه ولا يطوف به[٤].

ب - تاريخ الاحتفال بالمزارات في الأضرحة:

يذكر أن أول من أحدث الاحتفال بالمزارات السنوية في الأضرحة هم العبيديون (الفاطميون) في القرن الرابع، ذكر ذلك المقريزي أحمد بن علي قال: كانت لهم ستة موالد، مولد النبي ﷺ، مولد علي بن أبي طالب، والحسن والحسين، وفاطمة رضي الله عنهم، ومولد الخليفة، وكانوا ينحرون عند قبر الحسين الإبل والبقر والغنم[٥]، ولم يكن المسلمون قبل هذا التاريخ في القرون الثلاثة الأولى يقيمون الأضرحة، ولا يحتفلون بها، ولا أدل على ذلك من أن أكثر الصحابة رضوان الله عليهم دفنوا خارج البقيع في مصر والشام والعراق، لا تعرف قبورهم، ومن عرف قبره منهم، فمختلف فيه بين المؤرخين، وكتاب السير، فكيف خفيت قبورهم عن أهل السير، وهم الصلحاء والعلماء وأعلام الهدى، الذين حملوا راية الدين والعلم، والجهاد والعبادة؟ لو كان للأضرحة في زمانهم وزمان تابعيهم ذكر لما خفي مكانها، ولما اختلف

---

(١) شرح رسالة القيرواني (١/ ٢٤٤).

(٢) الأم (١١/ ٩١٦).

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٢٤٤).

(٤) فتاوى السبكي (١/ ٢٨٩).

(٥) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١/ ٤٢٧، ٤٩٠) الغلو في الدين للغرياني ص ١٠٣.

المؤرخون فيها، وفعل الناس لهذا الأمر بعد القرون الأولى خير القرون لا يكسبه مشروعية بحال، كيف وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عيدا، فمن يفعل ذلك من الناس فإنما يفعل عين ما حذر منه النبي ﷺ، ويحتج بعمله، وعمل شيخه، ويقدمه على هدي رسول الله ﷺ وأصحابه والله تعالى يقول: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] ويقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

جـ - ارتباط المزارات بالتخلف والجهل:

ارتفع شأن القباب والتوابيت - المضروبة على القبور - خلافا لأمر رسول الله ﷺ بتسويتها كما بين لنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتفنن الناس في زخرفتها بالألوان الزاهية، ونصبت عليها ستائر الحرير كستائر الكعبة، وحرست بالأبواب الفاخرة وزودت بخزائن الحديد الثقيلة، لجميع ما يجود به الزائرون، وما ينفقونه على أصحاب الأضرحة من نذور، لتقضي حوائجهم وتتحقق آمالهم، وازدهرت الحياة للمتعيشين على خدمة الضريح وحراسته، رواة الكرامات، ورواة التحذير الصارم بسوء عاقبة كل من يحاول أن يشكك في سلامة ما يجري، ومن المعروف أن التبجيل على هذا النحو للأضرحة لم يزدهر إلا يوم أن تخلف المسلمون، وضعفت هممهم، في عصور الانحطاط العلمي، والجمود الفكري، يوم أن حولوا نور الرسالة المحمدية، التي استطاعت في الأربعين سنة الأولى من عمرها أن تجعل أهل الأرض من فارس إلى المغرب يدينون بها، حولوا هذه الرسالة الحضارية المشرقة إلى دروشة وخمول، وبطالة وتعلق بالأوهام، وقصروا هممهم على أمور ما كان سلفنا الصالح الذي ملأ الدنيا علما وعملا صالحا يقف عندها، ولا يلتفت إليها إلا يجدر بنا أن نسأل أنفسنا: هل وجد شيء من هذا على عهد الصحابة فعلوه لقبر رسول الله ﷺ وهو أفضل قبر على وجه الأرض، أو لقبورهم، وهم أفضل أمته، أو وجد شيء منه حتى عهد الأئمة الذين يقتدى بهم، كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد رحمهم الله، أليس عدم وجود شيء من ذلك عندهم دليل على أن ما يجري لا صلة له بالدين، ولا بالعبادة، ولا بالولاية، وإنما هي مظاهر التخلف والجهل، استغلها من لهم مصلحة باسم الدين، أيا كانت المصلحة، لتخدير العامة والاستيلاء على عقولهم، وجيوبهم، وأكل أموالهم وشدهم إلى الوراء؟ لقد ظل الإسلام قرونًا

عديدة يتزعم العالم قوة ومعرفة، وحضارة، وتشريعا، وأخلاقا، ورحمة بالإنسانية، وتطلعا إلى الابتكار، ومعالي الأمور، ذلك كان حال المسلمين يوم أن كان تعلقهم بحقيقة الإسلام، فلما أعرضوا عن ذلك ، واستبدلوا ما عندهم من العلم والهداية، بمفاهيم مغلوطة تعتمد على التواكل والبطالة والدروشة والتعلق بالغيبيات، التي لم يقم عليها دليل، ولم يأمرنا الله بها، وسموا كل ذلك (بركة)، تسمية للشيء بضده، وأحرى بمن يعرض عن الهداية وأسبابها أن يكون من الضالين، وعن البركة من المبعدين[1].

د- الحملات الاستعمارية وإقامة الأضرحة:

كان للحملات الغربية الاستعمارية مواقف في تشجيع المسلمين أن ينحوا هذا المنحى ليبتعدوا عن جوهر الدين، ذكرت صحيفة التايمز الإنجليزية قول أحد رجال الاستعمار البريطاني يحض على تشجيع البدع والأوهام بين المسلمين يقول: فإن ذلك كفيل بإبعادهم عن الإسلام، يقول الشيخ أحمد الباقوري: إن أحد كبار الشرقيين حدثه عن بعض أساليب الاستعمار في آسيا، أن الضرورة كانت تقضي بتحويل القوافل الآتية من الهند إلى بغداد، عبر تلك المنطقة الواسعة إلى اتجاه جديد، للمستعمر فيه غاية، ولم نجد الوسائل في جعل القوافل تختاره، وأخيرا اهتدوا إلى إقامة عدة أضرحة وقباب على مسافات متقاربة في هذا الطريق، وما هو إلا أن تناقل الناس الإشاعات بما فيها من الأولياء، وبما شوهد من كراماتهم، حتى صارت تلك الطريق مأهولة، ومقصودة عامرة[2]، وقد اهتمت الحكومة الإنجليزية بالحالة الدينية في مصر، وهي ترصد التحرك الشيوعي في المنطقة، فكان مما طمأنها على تدين المصريين: أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوي بطنطا في ذلك العام، يقول أحد العلماء الذين أوفدوا من وزارة الأوقاف لوعظهم: لقد كنت أشهد من أعمالهم ما يستدعي الجلد بالسياط لا ما يستدعي الزجر بالكلام، ولو دعوا إلى واجب ديني صحيح لفروا نافرين، وحسبك معرفة حالهم أنهم جاءوا الضريح المذكور للوفاء بالنذور والابتهال بالدعاء[3].

---

(١) الغلو في الدين، للغرياني ١٠٥.

(٢) انظر: ليس من الإسلام، لمحمد الغزالي ص ٢٢٤.

(٣) الغلو في الدين ص ١٠٥.

هـ- هل المزارات من الإحداث في الدين:

مات رسول الله ﷺ وهو أكرم الخلق على الله تعالى وأتقاهم لله، وأخشاهم لله، وتوقير أصحابه له غير خاف، ومحبتهم إياه لا تقدر، وقُبر ﷺ في بيته، ومكان قبره الشريف معروف لدى أصحابه غير مجهول، وهو أفضل قبر في الدنيا، فلم يقيموا عليه مشهدا، ولا بناء، ولا قبابا، ولم يجتمع عند قبره الخلفاء الراشدون إحياء لذكراه في يوم من السنة معلوم في (مزار) ولا غيرهم من أصحابه الأخيار، اغتناما للذكر والعبادة ، بل كانوا إذا مروا بقبره الشريف يصلون ويسلمون عليه كما أمرهم ربهم، وكانوا يطيعون أمره ويتبعون سننه، ويهتدون بهديه، ويقفون عند أمره ونهيه، حيا وميتا، امتثالا لأمر ربهم: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧]، وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، وخلفاؤه هم القدوة الحسنة الذين أمرنا رسول الله باتباع سنتهم والعض عليها بالنواخذ، ولم ينقل أحد من أهل الإسلام أن أصحابه اجتمعوا ليلة في السنة عند قبره للذكر والعبادة، رجاء البركة، وهم أولياء الله، وحزب الهدى، وأنصار الحق، وكتائب الدين، وأعلم منا بما يحبه رسول الله ﷺ، وأحرص على الطاعة، وتعظيم رسول الله في قلوبهم وتوقيره، بالمكان الذي لا يخفى، ولا يختلف عليه، لأن الذي نطق به القرآن، وأجمع على تعظيمهم له، ومحبته وتوقيرهم إياه أهل الإسلام، ولو كان هذا العيد السنوي عند قبره مما يقرب إلى الله، ولا يخاف منه فساد في الدين لكانوا أسبق إليه، ولم يأمرهم رسول الله ﷺ في حياته بشيء من هذا، ولا وجد في سنته بفعل ولا تقرير ما يدل على مشروعيته عند قبر النبي ﷺ بعد موته، أو عند أحد من قبور أصحابه الذين ماتوا، ومرت عليهم السنون في حياته، فلم يتعبد هو ولا أصحابه بشيء من هذا، وهو أكمل الخلق عبودية لله، وأكملهم علما بما يرضي الله تعالى، ونصحه لأمته، وحرصه على ما ينفعهم نزل به القرآن ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، وقد نهانا النبي ﷺ عن اتخاذ قبره عيداً، فقال ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[1]، ومعنى عيد من العود،

(١) فتح الباري (٤/٣٧٦) إسناده حسن.

وهو الرجوع والمعاودة، لأنه يتكرر مرة بعد مرة، أي لا تجعلوا لزيارة قبري أيامًا معلومة، وأوقاتًا مخصوصة، كل شهر، أو كل سنة، أو غير ذلك، في اجتماع عام يتكرر بصفة ثابتة كالعيد، ولا تتخذوه منسكا ترحلون إليه كالحج، ولا تشبهوا باليهود والنصارى، فإنهم يفعلون ذلك، وقد أدى بهم الأمر إلى الغلو والمبالغة في الإطراء، حتى جعلوا المسيح عليه السلام إلها، وقد حذر النبي ﷺ أصحابه من ذلك فقال ﷺ: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله»**[1]، فإذا كان الحال من النهي في التعلق بقبرالنبي ﷺ، وهو أكرم الخلق على الله، وهو سيد الأولين، والآخرين، وأفضل الخلق أجمعين، وأرجى الشفعاء عند الله يوم الدين، فما بالك بقبور الأموات من دونه من الأولياء والصالحين، فتكون مخالفة نهيه في ذلك باتخاذ قبورهم أعيادا، داخلة في الشق الثاني من الحديث، وهو ما يقرب إلى من يخالف نبيه في قوله عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، فهذا هو هدى خير القرون فمن خالفهم زاعما أنه أتى بطاعة وقربة، فلا يخلو حاله من أمرين، إما أنه جاء ببدعة ظلما، وإما أن يكون مدعيا أنه فاقهم فضلا وعلما، بل كان الإمام مالك رحمه الله تعالى يقول: من أحدث في هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الدين، لأن الله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينا، لا يكون اليوم دينا[2]، وكان يقول: السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق[3]، إن إقامة (المزارات) عبادة لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا أصحابه، بل نهى عنها، ومخالفته من الأحداث في الدين الذي ينتهي بصاحبه إلى الضلال كما أخبر النبي ﷺ، فقد كان مما يخطب به في كل جمعة محذرًا: **«أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»**[4]، وقال ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»**[5]. إن

---

(١) البخاري رقم ٣٣٤٥.

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٥٣).

(٣) الغلو في الدين للغرياني ص ١٠٩.

(٤) مسلم رقم ٨٦٧.

(٥) البخاري ٢٦٩٧.

جمع الناس في يوم معين على الدوم، في مكان ما، تشد إليه الرحال من كل حدب وصوب للعبادة، لا يجوز إلا فيما شرعه الله تعالى من إقامة النُّسك في مكة، وعرفة، ومنى والمزدلفة، وفي صلوات الأعياد والجمعة والجماعة، وهي الشعائر التي أمر الله تعالى بتعظيمها، وإقامتها، وأثنى على أهلها بقوله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وإحداث مشهدا آخر غير ما ذكر، في يوم من السنة، من الإحداث في الدين، لأنه إحداث عبادة ونسك لم يشرعها الله تعالى، فإن هذه المزارات صارت عند العامة كالنسك، يجتمع إليها الناس في يوم من السنة معلوم للذبح والعبادة، وتشد إليها الرحال، وهذا في ذاته أمر مذموم، فإن الطاعات المطلقة المندوب إليها في كل وقت، إذا خصص شيء منها بليلة معينة، أو يوم معين، أو مكان معين، لم يخصصه الشرع به، واعتقد أن لفعلها في ذلك الوقت المعين، أو المكان المعين، أثرا خاصا في البركة، أو رفع الدرجات، أو قبول العمل، أو تعظيم الأجر، تحولت تلك الأعمال التي هي من جنس الطاعات إلى بدعة بالاتفاق، لأن ترتيب الثواب على الأعمال، أمر توقيفي لا يكون إلا من الشارع، وقد جر هذا إلى مفاسد عظام، منها اعتقاد العامة في أصحابها الذين بنيت عليهم القباب خلافا لنهي رسول الله ﷺ، فاعتقدوا فيها الضر والنفع، وقضاء الحوائج، وتقربوا إليه بالذبائح والقرابين في يوم معلوم من السنة، عند إقامة المزار، وتودوا إليها بعدما أشاعوا حولها أن من ساق إليها الحيوان ليذبح في ذلك اليوم، وكانت له حاجة يرجوها من ربه، مثل ولد إن كان لا يلد، أو شفاء مرض إن كان مريضا - لا يرجع إلا بها، فصارت ملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما سأله العباد من ربهم واستغاثوا بها، وأن حوائجهم تقضى لهم من ربهم بواسطتها وعن طريقها، حتى صاروا يذبحون عندها، لاستنزال المطر إذا تأخر المطر، معرضين عن كتاب الله وهدي رسول الله ﷺ الذي أمر بالتوبة والاستغفار والدعاء والصلاة طلبا للسقيا، وقد ينزل المطر بعد ذبحهم، استدراجا وابتلاء، ولكن عملهم لا يزال من أعمال الشياطين، ومعتقدات الجاهلية(١)، فإلى الله المشتكى.

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه دعا للتوحيد وحارب الشرك وأسبابه،

---

(١) الغلو في الدين ص ١١١، ١١٢.

فعلى محبيه ومتبعيه أن يأخذوا بأقواله وأفعاله التي ترشدنا للتمسك بالقرآن الكريم وهدي النبي عليه الصلاة والسلام وما أحسن كلامه عندما قال: لا يرجون أحد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه[١]، وقوله لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «أن لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته»[٢].

(و) حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على بطلان الاعتقاد بالكواكب:

لما أراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسافر لقتال الخوارج، عرض له منجم، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تسافر، فإن القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك - أو كما قال - فقال علي: بل أسافر ثقة بالله وتوكلا على الله وتكذيبا لك، فسافر فبورك له في ذلك السفر فقتل عامة الخوارج[٣]، وجاء في رواية: ... فلما فرغ من النهروان حمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون: سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر[٤]. انظر إلى حرص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على سلامة عقيدة أصحابه مما ادعاه المنجم من ذلك الاعتقاد الفاسد، فعلي رضي الله عنه مع ما كان فيه من الأمر المهم من قتال الخوارج، وانشغاله بنتيجة المعركة، فإنه لم ينس تلك الكلمة التي قالها ذلك المنجم له في بداية مسيره، فكان منه بيان فساد ذلك المعتقد في الوقت المناسب بعد انتهاء قتاله للخوارج وانتصاره عليهم[٥].

(ز) إحراق أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية:

عن عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي إن هنا قوما على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم، ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب

(١) الفتاوى (٨/١٠١).
(٢) مسلم ك الجنائز (٢/٦٦٦).
(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/١٧٩)، البداية والنهاية (٧/٢٨٨).
(٤) البداية والنهاية (٧/٢٨٨).
(٥) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص ٣٢٩.

كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء الله، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قنبر، فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم، فقالوا كذلك. فلما كان اليوم الثالث، قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فخد لهم أخدودا بين المسجد والقصر، وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها، حتى إذا احترقوا[١]، قال:

إني إذا رأيت الأمر أمراً منكراً ... أوقدت ناري ودعوت قنبراً[٢]

كما أخرج البخاري في صحيحه خبر الإحراق من حديث عكرمة، قال أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى رسول الله ﷺ حيث قال: «لا تعذبوا بعذاب الله»، ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[٣]، وقال ابن تيمية: وثبت عنه أنه حرق غالية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهية[٤].

لم ير ابن عباس رضي الله عنهما، رأى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في إحراق السبئية، حيث يقول: لو كنت أنا لم أحرقهم محتجا عليه بنهي رسول الله ﷺ: «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[٥]. قال ابن حجر: وهذا يحتمل أن ابن عباس سمعه من رسول الله ﷺ، ويحتمل أن يكون سمعه من بعض الصحابة.

وفي رواية أبي داود: فبلغ ذلك عليًّا، فقال: ويح أم ابن عباس[٦]، وهذا يحتمل أنه لم يرض بما اعترض به ورأى أن النهي للتنزيه[٧]. وقال ابن حجر أيضا: (ويح) كلمة رحمة، فتوجع له لكونه حمل النهي على ظاهره، فاعتقد التحريم مطلقا، فأنكره، ويحتمل أن يكون قالها رضا بما قال، وأنه حفظها نسيه بناء على أحد ما قيل

(١) فتح الباري (١٢/ ٢٧٠) سنده حسن.
(٢) المصدر نفسه (١٢/ ٢٧٠) سنده حسن.
(٣) البخاري، ك المرتدين (٤/ ٢٧٩).
(٤) الفتاوي (٢٨/ ٤٧٤) منهاج السنة (٥/ ١٢).
(٥) البخاري، ك المرتدين (٤/ ٢٧٩).
(٦) سنن أبي داود، ك الحدود (٤/ ٥٢٠) صححه الألباني.
(٧) فتح الباري (١٢/ ٢٧١).

في تفسير «ويح»، أنها تقال بمعنى المدح والتعجب[١]، وقال: واختلف السلف في التحريق، فكره ذلك عمر، وابن عباس، وغيرهما مطلقا سواء كان ذلك بسبب كفر، أو في حال مقاتلة، أو كان قصاصا، وأجازه علي، وخالد بن الوليد وغيرهما، وقال المهلب: ليس هذا النهي على التحريم، بل على سبيل التواضع، ويدل على جواز التحريق فعل الصحابة، فقد سمل النبي ﷺ أعين العرنيين بالحديد المحمى، وقد حرق أبو بكر البغاة بالنار بحضرة الصحابة، وحرق خالد بن الوليد بالنار ناسا من أهل الردة، وأكثر علماء المدينة يجيزون تحريق الحصون والمراكب على أهليها، قاله الثوري، والأوزاعي، وقال ابن المنير وغيره: لا حجة فيما ذكر للجواز، لأن قصة العرنيين كانت إما قصاصا أو منسوخة كما تقدم وتجويز الصحابي معارض بمنع صحابي آخر، وقصة الحصون والمراكب مقيدة بالضرورة إلى ذلك إذا تعين طريقا للعدو[٢]، وقال ابن القيم: وحرق أبو بكر رضي الله عنه اللوطية وأذاقهم حر النار في الدنيا قبل الآخرة، وكذلك قال أصحابنا: إذا رأى الإمام تحريق اللوطي فله ذلك، فإن خالد بن الوليد رضي الله عنه كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه وجد في بعض نواحي العرب رجلا ينكح كما تنكح المرأة، فاستشار الصديق أصحاب رسول الله وفيهم علي بن أبي طالب وكان أشدهم قولا، فقال: إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم، إلا واحدة فصنع الله بهم ما قد علمتم، أرى أن يحرق بالنار، فكتب أبو بكر إلى خالد أن يحرقوا فحرقهم، ثم حرقهم عبدالله بن الزبير في خلافته، ثم حرقهم هشام بن عبد الملك[٣].

(ح) كيفية بداية الإيمان في القلب عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتعريفه للتقوى:

- قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد العبد إيمانا ازداد القلب بياضًا، فكلما ازداد العبد نفاقا ازداد القلب سوادا، حتى إذا استكمل العبد النفاق اسود القلب، وايم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه أسود[٤].

---

(١) المصدر نفسه (١٢/ ٢٧٢).
(٢) فتح الباري (٦/ ١٥٠).
(٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص٢٢، ٢٣.
(٤) الفتاوي (٧/ ١٩١).

وقد بين علماء أهل السنة حقيقة الإيمان فقالوا: بأن الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح والأركان أي هو: اعتقاد وقول وعمل، فهذه الثلاثة كلها مندرجة فيه وتمثل أجزاء من حقيقته، وقد تواترت أقوال العلماء ومن بعدهم على هذه الحقيقة واستدلوا بأدلة كثيرة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية على صحة هذا القول في حقيقة الإيمان[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فقد جمعت هذه الآيات - وهي تعرض صفات المؤمنين - بين عمل القلب وعمل الجوارح، واعتبرت هذا كله إيمانا، وقصرت الإيمان عليه بأداة القصر والحصر (إنما) وعرفت المؤمنين بتلك الصفات مجتمعة، عندما ضمنتها بعبارة ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ وأعمال الجوارح في هذه الصفات هي: إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله[2].

وقال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[3]. والشاهد في الحديث ما ذكره رسول الله ﷺ، فالشهادة قول وإماطة الأذى عن الطريق عمل، والحياء خلق وسلوك، وجعل الثلاثة من الإيمان دليل على حقيقته، ومعظم شعب الإيمان هي أعمال[4]، وقال الإمام البخاري في صحيحه: هو قول وفعل يزيد وينقص والحب في الله والبغض في الله من الإيمان. وقال عمر بن عبدالعزيز: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا، فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعيش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص[5]، وما قاله أمير المؤمنين في الإيمان لما سئل عنه: الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد، والصبر منها على أربع شعب: على الشوق

---

(١) في ظلال الإيمان للخالدي ص ٢٣.

(٢) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين ص ١٨٨.

(٣) مسلم، ك الإيمان (١/ ٦٣) رقم ٥٧.

(٤) في ظلال الإيمان ص ٣٠.

(٥) البخاري، ك الإيمان (١/ ٩).

والشفق والزهد والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات، واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة، وموعظة العبرة وسنة الأولين. فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين: والعدل منها على أربع شعب: على غائض الفهم، وغور العلم، وزهرة الحكم ورساخة الحلم، فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش بين الناس حميدا، والجهاد منها على أربع شعب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن وشنئان الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة[1]، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تعريفه للتقوى: ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطاعة[2]، وقال فيها: التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل[3]، ففي اهتمام أمير المؤمنين في حث الناس على التقوى ثمرات وآثاراً في جانب الفرد والمجتمع، منها محبة الله له ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤]، معية الله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، الانتفاع بالقرآن ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]، الحفظ من الشيطان ووساوسه ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]، انتفاء الخوف والحزن ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف:٣٥] قبول العمل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧] اليسر بعد العسر، والمخرج بعد الضيق ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢]. ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤]. الفراسة والحكمة والنور ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩]. دخول الجنة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

(١) نهج البلاغة ص ٦٦٧،٦٦٨.
(٢) تفسير الرازي (٢/ ٢١).
(٣) فرائد الكلام ص ٣٣٤.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. النجاة من النار ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]. المنزلة العالية يوم القيامة[١] ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

(ط) القضاء والقدر عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلانه، حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره، وإن عليّ من الله جنة حصينة، فإذا جاء أجلي كشف عني، وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه[٢]، وقال رضي الله عنه: إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال، فمن رأى نقصا في نفسه أو أهله أو ماله، ورأى لغيره عثرة فلا يكونن ذلك له فتنة، فإن المسلم ما لم يعش دنياه يظهر تخشعا لها إذا ذكرت، ويغري به لئام الناس كالبائس العالم ينتزر أول فورة من قداحة توجب له المغنم، وتدفع عنه المغرم، فكذلك المسلم البريء من الخيانة بين إحدى الحسنيين، إذا ما دعا الله، فما عند الله خير له، وإما أن يرزقه الله مالا فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه، وإما أن يعطيه الله في الآخرة، فالآخرة خير وأبقى، الحرث حرثان، فحرث الدنيا المال والتقوى، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات، وقد يجمعها الله تعالى لأقوام[٣].

(ي) كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟

قيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟ فقال: كما يرزقهم على كثرة عددهم[٤].

ثانيا: خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتحليلها:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يتعهد الرعية بالتوجيه والتعليم والتربية من

---

(١) سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية للعمري ص ٢٣٦، ٢٣٧.

(٢) حياة الصحابة (٢/ ٦١٤)، فرائد الكلام ص ٣٤٨.

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٨)، فرائد الكلام ص ٣٤٣.

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٢٦، فرائد الكلام ص ٣٣٩.

خلال الاحتكاك اليومي وخصوصا يوم الجمعة حيث كانت خطبة الجمعة من المنابر الهامة في توجيه الأمة وترشيدها، وقد حفظ التاريخ لأمير المؤمنين علي كثيرا من خطبه وهذه إشارات عابرة عن خطبه وإليك هذا النموذج الفريد العجيب من خطبه حيث قال: أما بعد؛ فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت[١] بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار[٢] اليوم وغدا السباق، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله ألا فاعملوا لله في الرغبة، كما تعملون له في الرهبة، وإنه لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، ودللتم على الزاد، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا، والله واسع عليم: أيها الناس، أحسنوا في أعماركم تحفظوا في أعقابكم، فإن الله وعد جنته من أطاعه، وأوعد ناره من عصاه، إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يفك أسيرها، ولا يجبر كسيرها، حرها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد[٣]، ولو تأملنا في المقطع السابق لوجدنا أن عوامل التأثير في المدعوين تتمثل فيما يلي:

١- صدق اللهجة النابع من إيمانه بما يدعو إليه، مما يجعل كلماته كأنها قبس من نفسه المشتعلة، وصورة من عواطفه المنفعلة، فهو لا يكاد ينطق بالجملة حتى تكون أسماعهم قد تلقفتها، وقلوبهم قد وعتها.

٢- تمتاز الألفاظ بالقوة، مع سهولتها وعذوبتها وسلاستها، كما أن عبارتها واضحة، وجملتها قصيرة ولعل ذلك يسعف السامعين بإدراك المعنى المراد.

٣- المقابلة بين المعاني المتضادة مما يزيد المعنى وضوحا، والسامع تأثرا، ومن ذلك مثلا: قوله: فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع.. وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وقوله: وإنه لم أر كالجنة نام طالبها.. ولا كالنار نام هاربها.

---

(١) أذنت: أعلمت.

(٢) المضمار: الموضع الذي تضمر فيه الخيل للسباق.

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٧).

٤- الاقتباس من القرآن الكريم، كما في قوله: ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا، والله واسع عليم، ذلك مقتبس[1]، من قوله تعالى ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

٥- لقد كانت عناصر الخطبة المذكورة تتمثل في التأثر الشديد بالقرآن الكريم وبكلام الرسول ﷺ، وواقعيتها واتصالها الحميم بالحياة البشرية، وعمق المعاني وسموها وشمولها، والإجادة في تخير الألفاظ وبناء العبارة، والإيجاز، والتعبير عن المعاني والألفاظ بالصور، واعتماد الوسائل البديعية، وغاية القول، فإن هذه الخطبة تكتسب أهمية خاصة لما تتكشف عنه من مزايا دينية وأدبية وشخصية، فهي عميقة الدلالة على شخصية صاحبها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تنبئ عن إدراكه السليم للمفاهيم والآراء الإسلامية السديدة التي تتناول طبيعة الدنيا وغاية الوجود البشري والمصير الذي ينتهي إليه، وتوضع النتائج التي توصل إليها أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب في هذا الخصوص وتدلنا على ما كان يتحلى به من حكمة نافذة ورؤيا معمقة يرفدها صفاء ذهنه وطهارة روحه، إلى غير ذلك من المزايا العقلية والروحية العالية التي أفاضها عليه إيمانه وتقاه وتمسكه بعرى الإسلام واعتصامه بربه ورضاه بقضائه، إن هذا كله قد ساعده في الوصول بالنثر الفني إلى هذا المستوى الرفيع، فكان بحق في عالم الأدب فارس الكلمة وقائدها وإمامها تمامًا، كما كان في الناس إمامًا عادلاً زاهدًا، وقائدًا حكيمًا مجربًا، وفارس حرب لا يبارى[2]، هذا وقد اهتم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بانتهاز المناسبات في وعظ الناس وتذكيرهم ولم يكتف بخطب الجمعة فقط، فعندما شيع جنازة ووضعت في لحدها وعج[3] أهلها وبكوا قال: ما تكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم، لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم. وإن له فيهم لعودة ثم عودة، ثم لا يبقي منهم أحدًا.. فاتقوا الله عباد الله، وجدوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهمات، وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسناد مائل، اتعظوا عباد الله بالعبر،

---

(١) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله.

(٢) الأدب العربي، حبيب يوسف مغنية ص ٣٥٤ إلى ٣٦٣.

(٣) العج: رفع الصوت: الصحاح للجوهري (١/ ٣٢٧).

واعتبروا بالآيات والأثر، وازدجروا بالنذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور وسياقة المحشر، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معلما سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩].

فارتجت لذلك اليوم البلاد، وناد المناد، وكان يوم التلاق، وكشف عن ساق، وكسفت الشمس، وحشرت الوحوش، مكان مواطن الحشر، وبدت الأسرار، وهلكت الأشرار وارتجت الأفئدة[1].

ونستنتج من هذه الموعظة بعض عوامل التأثير منها:

١- وقوع الموعظة في مناسبتها، فإن الموعظة كانت بمناسبة تشييع جنازة، والنفوس في هذه الحال تكون مستعدة لتلقي ما تذكر به في الموت والدار الآخرة.

٢- الصياغة البلاغية للموعظة، فمواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه تتميز بأسلوبها البلاغي المؤثر في نفوس المدعوين، فمن الجوانب البلاغية في النموذج المذكور ما يلي:

أ - الاستعارة مثل قوله: فكأن قد علقتم مخالب المنية. تشبيه الموت (المنية) بحيوان مفترس، له مخالب، فحذف المشبه به وأبقى شيئا من لوازمه وصفاته وهو المخالب.

ب - السجع العفوي غير المتكلف مثل قوله: فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسند مائل.

ج- الصيغ الإنشائية[2]، وهي مبثوثة في الخطبة كلها منها: ما تبكون؟ استفهام. .(اتعظوا عباد الله بالعبر) نداء. .(اتعظوا، اعتبروا، وازدجروا، وانتفعوا كل هذا على سبيل الأمر.

د- جزالة الألفاظ، لعل أي جزء من الخطبة يكون شاهدا عليها، لأن الخطبة كلها لا خلل فيها ولا ضعف.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/٧٨)، صفة الصفوة (١/٣٢٨).

(٢) الكلام الذي لا يحتمل التصديق والتكذيب.

٣- اعتماد المضمون على القرآن الكريم وانتهاجها منهجه في الإرشاد والإقناع، كقوله: «كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها» اعتماداً على قوله تعالى ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

٤- الترهيب بذكر أهوال يوم القيامة، كقوله: «ودهتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياقة المحشر، وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار».

٥- الإقناع ومن ذلك قوله: كم مرضت بيديك وعللت بكفيك، ممن تطلب له الشفاء وتستوصف له الأطباء.. للإقناع بحصول الموت، والارتحال عن الدنيا والقدوم على الآخرة، وإنه لا مهرب ولا فكاك.

٦- استحضار الصورة، وذلك لتعبيره بالفعل الماضي عما سيحدث في المستقبل، حتى يتصور السامع هذا الأمر الذي ينتظره، ومن ذلك قوله: فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور.

٧- لطف العبارة بحيث تستهوي السامعين ولا تنفرهم[1] فهذه بعض النماذج من خطب ومواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ والتي انتشرت بين الناس وساهمت في تربيتهم وتهذيب نفوسهم، وتطهير قلوبهم وكان مفعولها ساري في جيله والأجيال التي بعده إلى يومنا هذا.

ثالثاً: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والشعر:

يظهر من الأخبار التي وصلتنا أن الحركة الشعرية في عهد الخلفاء الراشدين، كانت نشطة، ومعروف أن كتب الأدب لم تعتمد في الأسانيد على الموثوقين من الرواة، ولكنها تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية التي تتصل بالخلفاء الراشدين، والصحابة بعامة، والتابعين بإحسان ما عدا بعض الأراجيز التي كانت تردد في العهد النبوي وروتها كتب الحديث الشريف[2]، فالمراجع في ما يتعلق بالشعر، والشعراء في عهد أمير المؤمنين علي هي كتب الأدب والأدباء، فهي غنية في هذا الجانب، ولا يختلف موقف أمير المؤمنين علي ﷺ من الشعر عن مواقف الراشدين الذين سبقوه إلى سدة الخلافة، فكلهم يستقون من كتاب الله وسنة رسوله، فهو

---

(١) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص ١٤٥.

(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/٩٨).

يستمع إلى الشعراء ينشدون بين يديه ما يطلب له أن يسمعه من صادق القول ورفيع المعاني، وكان يعطي على الشعر إذا استساغه وأعجبه، كما مر معنا عندما قال الأعرابي:

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا[١]

ولعلي آراء نقدية راقية في الشعر، ما زالت معايير يعتمدها النقاد في عصرنا الحاضر، فهو يقول: الشعر ميزان القول[٢]، أي أن للشعر خصائص فنية يعرف بها صحيح القول من سقيمه في مقاييس أهل هذا الفن الكلامي، وإن خالف في أغراضه قيم قوم آخرين[٣]، وأما أمير المؤمنين الشاعر، فقد اختلف في كثير مما ينسب إليه من شعر، وهذا الاختلاف لا يقلل من شاعريته المتمثلة فيما رجحت نسبته إليه، ولا يقدم ولا يؤخر في إمامته اللغوية والأدبية، ولكن يبدو للباحث أن الشعر لم يكن غاية عنده، كما أن سيرته السياسية وما رافقها من أحداث جسام لم تكن لتسمح له بالالتفات إلى صناعة الشعر وروايته، واصطياد المعاني الجميلة واختيار القوافي الرنانة المؤثرة، ومع ذلك فقد اشتهر له شعر كثير، ونسب إليه ديوان شعر يشتمل على العديد من القصائد والمقطوعات، فيه الكثير من الأقوال المرتجلة والآراء السديدة السامية، وكان أول من شكك في نسبة بعض القصائد إليه ابن هشام، فقد روى أن عليًّا كان يرتجز في أثناء بناء مسجد الرسول في المدينة:

لا يستوي من يعمر المسجدا يدأب فيه قائمًا وقاعدًا

ومن يُرى عن الغبار حائدًا[٤]

ويعقب ابن هشام قائلا: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز، فقالوا: بلغنا أن عليًّا بن أبي طالب ارتجز به، ثم يقول: فلا يدرى أهو قائله أم غيره[٥]، وفي موضع آخر يقول: ابن هشام: وقد روى ابن إسحاق ثلاث قصائد

---

(١) العمدة لابن رشيق (١/ ١٦).
(٢) العمدة لابن رشيق (١/ ١٤).
(٣) الأدب الإسلامي، نايف معروف ص ١٩٢.
(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٧).
(٥) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٤٩٧).

منسوبة لعلي، ولم تصح له، ويرجح أنهـا قيلت في المعارك الإسلاميـة من قبل أحد المسلمين، وقد نظروا إلى معانيها الدينية فرأى الرواة أنها تناسب عليا فنسبوها له وأما الديوان الذي نسب إليه فيرى الدكتـور نايف معروف أن أمير المؤمنين عليًّا بفصاحته المعهوده وبلاغته المشهورة، هو أرفع مـستوى من مجموع هذا الديوان، ويغلب على الظـن أنه خـليط لشعـراء من مستـويات متفاوتـة قام بجمعـهـا بعـض محبيه الذين عـز عليهم ألا يـكون شـاعرًا، ظنًا مـنهم أن ذلك يرفع من قـدره عند الناس، علما أن عليًّـا لم يكـن بين شـعـراء الـرسـول الذين تولوا الرد على الحـملة الدعائيـة التي شنهـا شعـراء المشركين على الإسـلام والمسلمين[1]، ولكن الأمر لم يـصل إلى حد الروايـة التي نـقلهـا ياقـوت الحمـوي عن أبـي عثمـان المازني، حينمـا يزعم أنه لم يصـح أن عليًّـا تكلم من الشـعـر بشـيء غـيـر بيتين[2]، فـهـناك روايـات عـديـدة جـاءت تخـالف هـذا القـول، إذ أثبت له الرواة عددا من المـقطوعات التي صـحت نسبـتها إلـيه عندهم[3]، ومن الأشـعـار التي نسبت إلى أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

١- في الفرج والشدة:

إذا اشتملت على الناس القلـوب	وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنـــت المكــاره واطمأنــت	وأرست في أماكنها الخطوب[4]
ولم تر لانكشاف الضر وجـهـا	ولا أغـنى بحيلتـــه الأريـب[5]
أتاك على قـنـوط مـنـك غـوث	يمـن بـه القريـب المستجيـب[6]
وكـل الحـادثـات إذا تـنـاهـت	فموصول بها الفرج القريـب[7]

(١) الأدب في الإسلام، د. نايف معروف ص ١٩٥.

(٢) معجم الأدباء، ياقوت (٥/ ٢٦٣).

(٣) الأدب في الإسلام ص ١٩٥.

(٤) الخطوب: الأمور العظيمة.

(٥) الأريب: العاقل.

(٦) البداية والنهاية (٨/ ١٠).

(٧) البداية والنهاية (٨/ ١٠).

٢- في الصبر:

ألا فاصبر على الحدث الجليل ... وداو جواك بالصبر الجميل[١]
ولا تجزع فإن أعسرت يوما ... فقد أيسرت في الدهر الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل
فإن العسر يتبعه يسار ... وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تجر رزقا ... لكان الرزق عند ذوي العقول
فكم من مؤمن قد جاع يوما ... سيروي من رحيق السلسبيل[٢]

٣- في حرص الناس على الدنيا:

للناس حرص على الدنيا وتدبير ... وفي مراد الهوى عقل وتشمير
وإن أتوا طاعة الله ربهم ... فالعقل منهم على الطاعات مأسور
لأجل هذا وذاك الحرص قد مزجت ... صفاء عيشاتها همٌّ وتكدير
لم يرزقوها بعقل عندما قسمت ... لكنهم رزقوها بالمقادير
كم من أديب لبيب لا تساعده ... ومائق نال دنياه بتقصير
لو كان عن قوة أو عن مغالبة ... طار البزاة بأرزاق العصافير[٣]

٤- في الصداقة:

فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى ... حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء ... إذا ما هو ما شاه
وللشيء من الشيء ... مقاييس وأشباه
قياس النعل بالنعل ... إذا ما هو حاذاه

---

(١) الجوى: الشوق.

(٢) البداية والنهاية (٨/ ١١).

(٣) البداية والنهاية (٨/ ١١).

ولـلقـلـب علـى الـقـلـب دلـيل حـين يلـقـــاه[١]

٥- في التواضع والقناعة:

حقيق بالتواضع من يموت ويكفي المرء من دنياه قـوت
فما للمرء يصبح ذا هموم وحرص ليس تدركه النعـوت
صنيع مليكنا حسن جميل ومـا أرزاقـه عـنا تـفـوت
فيا هذا سترحل عن قـليل إلى قوم كلامـهـم السكـوت[٢]

٦- في السر وكتمانه:

ولا تفشي سـرك إلا إليك فـإن لكل نـصـيـح نصيحا
فإني رأيت غـواة الرجال لا يتركون أديمًا صحـيـحـًا[٣]

رابعًا: من حكم أمير المؤمنين علي التي سارت بين الناس:

تهـيـأ لأمير المؤمـنـين علي بـن أبـي طالب ﵁ مجـموعـة من الأسـبـاب من سرعـة البديهـة، وذلاقة اللسان، ورجـحان العـقل، وطهارة القلب، وصـفا النفس وعمـق الإيمان، والتضلـع في الدين والقرب من رسول الله ﷺ وتلقي الوحي عنه، ما مكنـه من فـصاحة اللسـان، وجـودة البـيان، فأصبـحـت كلمـاتـه دررًا، وجملـه حكما أعـجبت ذوي العـقول، فهي لأهل البـلاغة مطلب، ولأهل الهـداية مغنم، ففيـها حث لهم على فضائل الأعمال، وجميل الخصال وأصبحت حكمه الجميلة مادة قيـمة في مجـال دعـوة النـاس وتعليمـهم، وتهذيـب نفـوسهـم وتنوير عـقولهم، وأحيا قلوبهم، لما فـيها من جودة التعـبير، ووضوح المعاني، وعمق التـفكير، وفوق ذلك فـهـي تنبع من قلب تقـي، وصـدر نقـي[٤]، ومن هـذه الحـكم على سـبـيل المثال ما يـلـي:

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٢).
(٢) البداية والنهاية (٨/ ١٢).
(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٩٧).
(٤) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص ٢٧٥.

١- صلاة الليل بهاء في النهار[١]:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤] وقال أيضا في قيام الليل: نور المؤمن من قيام الليل[٢].

٢- صلاح الدين من الورع وفساده من الطمع[٣].

٣- طوبى لمن عمل بعلمه[٤].

٤- الفرصة تمر مر السحاب[٥].

٥- قسوة القلب من الشبع[٦].

٦- الشرف بالفضل والأدب، لا بالأصل والنسب[٧].

٧- جمال الخلق أبهى من جمال الخلق[٨].

٨- في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق[٩].

٩- المعروف كنز من أفضل الكنوز[١٠].

اجتمع عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جماعة فتذاكروا المعروف، فانتهز أمير المؤمنين هذا الحديث لترغيبهم فيه وحثهم عليه فقال: المعروف كنز من أفضل الكنوز، وزرع من أزكى الزروع، فلا يزهدنكم في المعروف كفر من كفره، وجحد من جحده، فإن من يشكرك عليه ممن لم يصل إليه منه شيء أعظم مما ناله أهله منة، فلا تلتمس من غيرك ما أسديت إلى نفسك، إن المعروف لا يتم إلا بثلاث خصال تصغيره، وستره، وتعجيله، فإذا أصغرته فقد عظمته، وإذا سترته فقد أتممته، وإذا عجلته فقد هنأته[١١].

---

(١) نشر اللآلىء مخطوط نقلا عن منهج علي بن أبي طالب ٢٧٦.
(٢) المرجع السابق ص ٢٧٦.
(٣) المرجع السابق ص ٢٧٦.
(٤) المرجع السابق ص ٢٧٧.
(٥) المرجع السابق ص ٢٧٧.
(٦) المرجع السابق ص ٢٧٨.
(٧) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ص ٣٠، نقلا عن منهج علي بن أبي طالب ص ٢٢٦.
(٨) نثر اللآلىء مخطوطة، نقلا عن منهج علي بن أبي طالب ص ٢٢٨.
(٩) المصدر نفسه ص ٢٢٨.
(١٠) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢١٠)، منهج علي بن أبي طالب ص ٢٣٠.
(١١) المصدر نفسه (٢/ ٢١٠) المصدر نفسه ص ٢٣٠.

١٠- لا شرف مع سوء الأدب[١].

١١- لا راحة لحسود[٢].

١٢- الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له[٣].

١٣- ويل للباغين من أحكم الحاكمين[٤].

١٤- من سل سيف البغي قتل به[٥].

١٥- للظالم البادي -غدا- بكفه عظة[٦].

وهذا الترهيب مستفاد من قوله ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧].

١٦- إخفاء الشدائد من المروءة[٧].

١٧- أحسن إلى المسيء تسده[٨].

١٨- الإحسان يقطع اللسان[٩].

١٩- من عذب لسانه كثر إخوانه[١٠].

٢٠- من قل صدقه، قل صديقه[١١].

٢١- لسانك يقتضيك ما عودته[١٢].

٢٢- من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه[١٣].

---

(١) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ص ٢٨.
(٢) مطلوب كل طالب من كلمات علي بن أبي طالب مخطوطة نقلا عن منهج علي ص ٢٣٤.
(٣) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ص ٢٩، منهج علي بن أبي طالب ٢٣٥.
(٤) المصدر نفسه ص ٣٥، المصدر نفسه ص ٢٣٥.
(٥) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص ٢٣٥.
(٦) المصدر نفسه ص ٢٣٦.
(٧) المروءة: هي كمال الرجولة، منهج علي بن أبي طالب ص ٢٤٣.
(٨) نثر اللآليء من كلام علي بن أبي طالب، نقلا عن منهج علي بن أبي طالب ص ٢٤٥.
(٩) مطلوب كل طالب في شرح كلمات علي بن أبي طالب عن منهج علي ص ٢٤٦.
(١٠) المصدر نفسه ص ٢٤٧.
(١١) المصدر نفسه ص ٢٤٧.
(١٢) المصدر نفسه ص ٢٤٨.
(١٣) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ص ٢٩ المرجع السابق ص ٢٤٩.

٢٣- صاحب الأخيار تأمن الأشرار[(١)].

٢٤- جليس الخير غيمة[(٢)].

٢٥- صحبة الأحمق نقصان في الدنيا، وحسرة في الآخرة[(٣)].

٢٦- كفى أدبا لنفسك ما كرهته لغيرك[(٤)].

٢٧- لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال[(٥)].

٢٨- خير الناس من ينفع الناس[(٦)].

٢٩- المرء مخبوء تحت لسانه[(٧)].

٣٠- اللسان معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل[(٨)].

٣١- أخوك من واساك في الشدة[(٩)].

٣٢- قيمة كل امرئ ما يحسنه.

٣٣- احذر صولة الكريم إذا جاع، وصولة اللئيم إذا شبع.

٣٤- النفس مؤثرة للهوى، آخذة بالهويني، جامعة إلى اللهو، أمارة بالسوء، مستوطنة للفجور، طالبة للراحة، نافرة عن العمل، فإن أكرهتها أنضيتها، وإن أهملتها أرديتها[(١٠)].

٣٥- العجز آفة، والصبر شجاعة، والزهد ثروة، والورع جنة.

٣٦- لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرًا.

---

(١) نثر الآلئ من كلام علي بن أبي طالب والمرجع السابق ص ٢٤٩.
(٢) نثر اللآلئ من كلام علي بن أبي طالب والمرجع السابق ص ٢٤٩.
(٣) المرجع السابق ص ٢٤٩.
(٤) المرجع السابق ص ٢٥٠.
(٥) المرجع السابق ص ٢٥٠.
(٦) المصدر السابق ص ٢٥١.
(٧) المصدر السابق ص ٢٥٢.
(٨) أدب الدينا والدين ص ٢٦٥.
(٩) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص ٢٥٣.
(١٠) المرتضى للندوي ص ٢٠١.

٣٧- إياك والاتكال على المنى، فإنها بضائع النوكى[١].

٣٨- الناس نيام، إذا ماتوا انتبهوا.

٣٩- الناس أعداء ما جهلوا.

٤٠- ما هلك امرؤ عرف قدره.

٤١- رب كلمة سلبت نعمة .

٤٢- الآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية.

٤٣- الفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب في بلدته.

٤٤- إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه[٢].

٤٥- اجمعوا هذه القلوب، والتمسوا لها طرف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان[٣].

٤٦- بشاشة الوجه عطية ثانية[٤].

٤٧- العفو عند المقدرة شكر للمقدرة[٥].

٤٨- إعادة الاعتذار تذكير للذنب[٦].

٤٩- أبلغ العظات النظر إلى الأموات[٧].

٥٠- ذكر الموت جلاء القلوب[٨].

فهذه بعض الحكم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ التي سارت بين الناس،

(١) النوكى: الحمقى.
(٢) المرتضى للندوي ص ٢٠٢.
(٣) المرتضى للندوي ص ٢٠١.
(٤) نثر اللآليء في كلام علي بن أبي طالب نقلا عن منهج علي بن أبي طالب ٢٣٨.
(٥) مطلوب كل طالب نقلا عن منهج علي بن أبي طالب ص ٢٣٩.
(٦) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ص ٢٩ نقلا عن علي بن أبي طالب ٢٣٩.
(٧) نثر اللآليء نقلا عن منهج علي بن أبي طالب ص ١٤٨.
(٨) منهج علي بن أبي طالب ص ١٤٩.

والتي لخصت كثيرًا من تجاربه في الحياة في عبارات موجزة، غزيرة المعاني، والغايات والأهداف والمقاصد كان لها تأثير في حياة المجتمع الذي عاش فيه والمجتمعات المتلاحقة من بعده إلى يومنا هذا، لقد كانت الحكم، والخطب والأشعار والمواعظ من وسائل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في توجيه وترشيد وتعليم المجتمع الإسلامي.

خامسًا: حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن صفات خيار العباد، وعن تطوع النبي ﷺ، ووصف الصحابة الكرام:

١- صفات خيار العباد:

سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن خيار العباد فقال: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا[١]، وقال: ألا وإن لله عبادا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وأهل النار في النار معذبين.. شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة، صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة، إذا رأيتهم في الليل، رأيتهم صافين أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم، وأما نهارهم فضلاء حلماء بررة أتقياء، كأنهم القداح، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى وما بهم من مرض، وخولطوا، ولقد خالط القوم أمر عظيم[٢]، وقال: ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة[٣]، وقال: طوبى لكل عبد نومة[٤]، عرف الناس، ولم يعرفه الناس، عرف الله برضوان، أولئك مصابيح الهدى، يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله في رحمة منه ليسوا بالمذاييع[٥]، البذر[٦]، ولا الجفاة[٧] المرائين[٨] وكلام أمير المؤمنين علي

---

(١) مروج الذهب (٢/ ٤٣١).
(٢) البداية والنهاية (٨/ ٦).
(٣) مروج الذهب (٢/ ٤٣٤).
(٤) الخامل الذكر الذي لا يؤبه له، وقيل الغامض في الناس الذي لا يعرف الشر وأهله.
(٥) المذاييع: جمع مذياع، من أذاع الشيء إذا أمشاه والمذايع: الذي لا يكتم السر.
(٦) البذر: جمع بذور وهو الذي يفشي الكلام بين الناس.
(٧) الجفاء: غلظ الطبع.
(٨) صفة الصفوة (١/ ٣٢٥).

فيه تأثر واضح بقول رسول الله ﷺ: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»[(١)].

٢- إجابته لمن سأل عن تطوع النبي ﷺ:

عن عاصم بن ضمرة قال: سألنا عليًا عن تطوع النبي ﷺ بالنهار فقال: إنكم لا تطيقونه. قال: قلنا: ما أطقنا. قال: كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر أمهل، حتى إذا كانت الشمس من ههنا، يعني من قبل المشرق، مقدارها من صلاة العصر من ههنا من قبل المغرب قام فصلى ركعتين، ثم يمهل حتى إذا كانت الشمس من ههنا يعني من قبل المشرق مقدارها من صلاة الظهر من ههنا، يعني من قبل المغرب قام فصلى أربعا، وأربعا قبل الظهر إذا زالت الشمس، وركعتين بعدها، وأربعا قبل العصر، يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين، والنبيين، ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين، قال: قال علي: تلك ست عشرة ركعة تطوع النبي ﷺ بالنهار، وقل من يداوم عليها[(٢)]، وقد بين أمير المؤمنين في موضع آخر هدي رسول الله ﷺ في الوتر فقال: أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل وآخره وأوسطه فانتهى وتره إلى السحر[(٣)]، وفي بيان هدي النبي ﷺ بعد صلاته، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: كان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة قال: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»[(٤)].

٣- وصف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للصحابة الكرام:

لما أحس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أصحابه شيئا من الغفلة وقلة النشاط في الطاعة ذكرهم بشيء من سيرة أسلافهم أصحاب رسول الله ﷺ فيما رواه أبو أراكة بقوله: صليت مع علي صلاة الفجر، فلما انفلت عن يمينه مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده

(١) المسند (١/ ١٦٨) وقال أحمد شاكر إسناده صحيح، مسلم (٤/ ٢٢٧٧).
(٢) مسند أحمد (٢/ ٦٢) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٦٤) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٤) صحيح سنن أبي داود (١/ ٢٨٣) للألباني.

فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئا يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجدا وقياما، يتلون كتاب الله، يتراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تنبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين، ثم نهض فما رؤى بعد ذلك مفتراً يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق[١].

٤- تنبيه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أصحابه على فضائل الأعمال:

مما ورد له في خطبة قوله: أوصيكم بتقوى الله فإن أفضل ما توسل به العبد الإيمان والجهاد في سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة وإيتاء الزكاة فإنها فريضة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من عذابه، وحج البيت فإنه منفاة مدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها منسأة في الأجل، محبة في الأهل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة، وتطفئ غضب الرب، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء ويقي مصارع الهول، أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر[٢].

٥- معايدة المريض:

عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه قال: أخذ علي بيدي، قال: انطلق بنا إلى الحسن نعوده، فوجدنا عنده أبا موسى فقال علي رضي الله عنه أعائداً جئت يا أبا موسى أم زائراً؟ قال لا بل عائداً، فقال علي سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك، حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح»**[٣].

٦- تشجيعه لابنه الحسن على الخطابة:

قال أمير المؤمنين علي لابنه الحسن يوما: يا بني ألا تخطب حتى أسمعك؟ فقال إني أستحي أن أخطب وأنا أراك، فذهب علي حيث لا يراه الحسن ثم قام الحسن في

---

(١) حلية الأولياء (١/٧٦).
(٢) البداية والنهاية (٧/٣١٩).
(٣) صحيح سنن الترمذي للألباني (١/٢٨٦).

الناس خطيبًا، وعلي يسمع فأدى خطبة بليغة فصيحة، فلما انصرف جعل علي يقول ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم(١).

٧- إني لست كما تقول:

قال عمرو بن مُرَّة، عن أبي البختري قال: جاء رجل إلى عليّ فأثنى عليه، وكان قد بلغه عنه أمر، فقال: إنّي لست كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك(٢).

٨- التحذير من الانقياد للشهوات:

قال أمير المؤمنين علي ﷺ: إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم، فإن عاجلها ذميم، وأجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسوّفها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعا على النفس ذلت لهما وانقادت(٣).

٩- إدخال السرور على المسلم:

قال علي بن أبي طالب ﷺ: إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم(٤).

١٠- أشد الأعمال ثلاثة:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال(٥).

سادسًا: التحذير من الأمراض الخطيرة التي حذر منها أمير المؤمنين:

١- جزاء المعصية:

قال أمير المؤمنين علي ﷺ: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة، قيل وما النقص في اللذة قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاءها ما ينغصه إياها(٦)، ومع هذا الترهيب والتخويف من المعصية فإن أمير المؤمنين

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٣٧).
(٢) تاريخ الذهبي عهد الخلفاء الراشدين ٦٤٦.
(٣) أدب الدين والدنيا ص٢٦.
(٤) تنبيه الغافلين ص٢٤٥.
(٥) حلية الأولياء (١/ ٨٥).
(٦) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٤.

علي رضي الله عنه لا يغفل عن الترغيب في تركها، حيث قال: من كان يريد العز بلا عشيرة والنسل بلا كثرة، والغنى بلا مال، فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة[١]، وقال: إذا رغبت في المكارم، فاجتنب المحارم[٢].

٢- طول الأمل واتباع الهوى:

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منبر الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل[٣].

فقد أشار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في هذه الخطبة إلى أمرين خطيرين لهما تأثير كبير في حياة الناس وهما طول الأمل بالبقاء على قيد الحياة، فإنه يخدع الإنسان فيشغله بمشاريعه وطموحاته الدنيوية، ويمنيه بتأجيل الأعمال الصالحة وينسيه الحياة الآخرة، فيتضخم عمله للدنيا ويتضاءل عمله للآخرة، ولو أن كل إنسان وضع في مخيلته أنه معرض للموت في كل ساعة لأصبح العمل للدنيا قليلاً بقدر الضرورة، ولأصبح العمل للآخرة كثيراً لأنه هو الذي سيبقى بعد الموت، وأما اتباع الهوى فإنه يغير اتجاه صاحبه، ويجعل الهدف الأعلى في فكره هو تحقيق هوى نفسه وهوى من يعمل تحت إرادتهم، وينسى الهدف الإسلامي الأعلى الذي هو ابتغاء رضوان الله تعالى وفضله في الجنة، وبناء على تغير الأهداف فإن مناهج العمل تتغير فتصبح مناهج دنيوية يُراد بها تحقيق أهداف لا تتجاوز الحياة الدنيا، كما تتغير العلاقات والروابط، فتصبح الأخوة قائمة على المصالح الدنيوية بدلا من الإيمان والتقوى، إلى غير ذلك مما يترتب على تغير الأهداف[٤].

---

(١) تاريخ اليعقوبي (٢/٢٠٦).
(٢) منهج علي في الدعوة إلى الله ص٣٠٧، نقلا عن سجع الحمام في حكم الإمام ص٥٧.
(٣) حلية الأولياء (١/٧٦)، صفة الصفوة (١/٣٢١).
(٤) التاريخ الإسلامي للحميدي (٢٠/٢٧٦).

٣- الرياء:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا تعمل شيئًا من الخير رياءً، ولا تتركه حياء[١]، وقال رضي الله عنه للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم به[٢]، وقد جاء نصوص الشرع بتسمية الرياء شركًا أصغرًا، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة، إذا جازى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»**[٣]، وعن شداد بن أوس، قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر[٤]، إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حذّر من مرض القلب الخطير المتعلق بإرادة الإنسان وقصده، وحث الناس على إفراد الله سبحانه وتعالى بالقصد والطاعة والالتزام بالسير على هدي السنة النبوية، فقد ثبت عنه أنه قال: «لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بنية ولا نية إلا بموافقة السنة»[٥]، وروي عن الفضيل ابن عياض أنه تلا قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢]، فقال: أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا، لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة[٦].

إن صور الرياء متعددة منها، ما يكون بالأعمال، كمن يصلي فيطيل القيام ويطيل الركوع والسجود ويظهر الخشوع عند رؤية الناس له، ومنها ما يكون من جهة القول، كالرياء بالوعظ والتذكير وحفظ الأخبار والآثار لأجل المحاورة وإظهار غزارة العلم، وتحريك الشفتين في محضر الناس ويتغافل عنه في منزله، أو يكون الرياء من جهة الزي، كإبقاء أثر السجود على جبهته، ولبس الغليظ من الثياب وخشنها مع تشميرها

(١) أدب الدنيا والدين ص١١٠.
(٢) الكبائر للذهبي ص١٤٥، فرائد الكلام ص٣٣٨.
(٣) مسند أحمد (٤٢٨/٥ ، ٤٢٩) إسناده حسن.
(٤) الحاكم (٣٢٩/٤) صححه الألباني في صحيح الترغيب (١٨/١).
(٥) الشريعة للآجري (٦٣٨/٢) إسناده فيه ضعف.
(٦) مدارج السالكين (٨٩/٢).

كثيراً ليقال، عابد زاهد، أو ارتداء نوع معين من الزي ترتديه طائفة يعدهم الناس علماء ليقال، عالم، أو يكون الرياء بالأصحاب والزائرين، كالذي يتكلف أن يستزير عالمًا أو عابدًا ليقال، إن فلانا قد زار فلانًا، ودعوة الناس لزيارته كي يقال: إن أهل الخير يترددون عليه، وكذلك من يرائي بكثرة الشيوخ ليقال: لقي فلان شيوخًا كثيرين واستفاد منهم ليباهي بذلك، أو يكون الرياء لأهل الدنيا، كمن يتبختر ويختال في مشيته، أو يصعر خده أو يلف عباءته، أو يحرك سيارته حركة خاصة، أو يكون الرياء من جهة البدن، كأن يرائي بإظهار النحول والصفار ليوهم الناس أنه جاد في العبادة كثير الخوف والحزن وغير ذلك من الصور التي يرائي بها المراؤون ـ يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد[1]، وبالجملة فإن المحافظه على أعمال الخير والإكثار من ذكر الله وعبادته وخشيته وحده، وعدم خشية الناس في ذات الله ومحبة الصالحين وغيرها كل هذا من الأعمال الصالحة الحسنة المطلوبة، ولكن لابد أن تكون كلها لله لأن الرياء هو عمل العمل الصالح لغير الله، فيجب على المؤمن تصحيح نيته لله لا أن يترك العمل الصالح خوفا من الرياء، فليحذر تلك الأصناف من خطورة مرض الرياء وليتذكروا قول رسول الله ﷺ: **«من طلب العلم ليماري به الفقهاء أو يجاري به العلماء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار»**[2].

إن أمير المؤمنين علي حذّر من الرياء وبين أن الأعمال لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله وعلى سنة رسول الله ﷺ، وقد حث رضي الله عنه على التمسك بالسنة في مناسبات عديدة، فقد قال: واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ، فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن[3].

٤ ـ العجب:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: الإعجاب آفة الألباب[4]. إن العجب من الآفات التي تفسد الأعمال، وتهلك العباد، والعجب أحد العوارض التي تعرض

---

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين ص٢١٥، ٢١٧، الشرك في القديم والحديث أبوبكر محمد زكريا (١/ ١٧١، ١٧٢).

(٢) مسلم، ك الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة (٢/ ١٥١٣).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٧١).

للعاملين أثناء سيرهم إلى الله تعالى، والعجب داء ينافي الإخلاص ويضاده، ويجافي الذلَّ والافتقار لله تعالى، فهو سوء أدب مع الله جل جلاله، كما أن العجب يجانب محاسبة النفس، ويعمى عن معرفة أدواء النفس وعيوبها، ومع كل ذلك فالحديث عن تلك الآفة قليل مع شدة خطرها، وعظيم ضررها، وكثرة انتشارها، قال عبدالله ابن المبارك: العجب أن ترى عندك شيئًا ليس عند غيرك[1]، وفرق ابن تيمية بين الرياء والعجب فقال: والعجب قرين الرياء لكن الرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والمعجب لا يحقق قوله ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فمن حقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ خرج من الرياء، ومن حقق قوله ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ خرج عن الإعجاب[2].

وقال الغزالي: أعلم أن آفات العجب كثيرة، فإن العجب يدعو إلى الكبر، فيتولد عن العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى، والعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، وأما العبادات فإنه يستعظمها ويتبجح بها، ويمنّ على الله بفعلها، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر لله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان.. ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها[3].

وقال القرافي: وسر تحريم العجب أنه سوء أدب على الله تعالى فإن العبد لا ينبغي له أن يستعظم ما يتقرب به إلى سيده، بل يستصغره بالنسبة إلى عظمة سيده، لا سيما عظمة الله تعالى، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، أي ما عظموه حق تعظيمه، فمن أعجب بنفسه وعبادته فقد هلك مع ربه، وهو مطلع عليه، وعرض نفسه لمقت الله تعالى وسخطه[4]. ويمكن القول ابتداء، أن سبب العجب أمران:

(أ) الجهل بحق الله تعالى، وعدم تقدير الله تعالى حقّ قدره وقلة العلم بأسماء الله وصفاته، وضعف التعبد بهذه الأسماء والصفات.

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٧٧).

(٣) الإحياء (٣/ ٣٧٠) باختصار.

(٤) الفروق (٤/ ٢٢٧).

(ب) الغفلة عن حقيقة النفس، وقلة العلم بطبيعتها، والجهل بعيوبها وأدوائها، وإهمال محاسبة النفس ومراقبتها[١].

ومن ثم فإن العلاج ـ هو التعرف على الله تعالى، وتحقيق تعظيمه وتقديره حق قدره والقيام بالعبودية له من خلال العلم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وتعبد المولى عز وجل بها، فالخير كله بيديه، ورحمته تعالى وسعت كل شيء ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

قال الإمام الشافعي: إذا خفت على عملك العُجْب، فاذكر رضى من تطلب، وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، فمن فكر في ذلك صغرُ عنده عمله[٢].

وقال النووي: وطريقه في نفي الإعجاب أن يعلم أن العلم فضل من الله تعالى، ومنّة عارية، فإن لله تعالى ما أخذ، وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فينبغي أن لا يعجب بشيء لم يخترعه، وليس مالكًا له، ولا على يقين من دوامه[٣].

قال ابن القيم: اعلم أن العبد إذا شرع في قول أو عمل يبتغي به مرضاة الله، مطالعًا فيه منة الله عليه به، وتوفيقه له فيه، وأنه بالله لا بنفسه، ولا بمعرفته وفكره وحوله وقوته، بل هو الذي أنشأ له اللسان والقلب والعين والأذن، فالذي منّ عليه بالقول والفعل، فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظته ونظر قلبه لم يحضره العجب الذي أصله رؤية نفسه وغيبته عن شهود منة ربه وتوفيقه[٤]، وأما العلاج الآخر للعجب فهو معرفة النفس ومحاسبتها. قال ابن الجوزي: من تلمح خصال نفسه وذنوبها، علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير، وهو من حال غيره في شك، فالذي يُحذر منه الإعجاب بالنفس، ورؤية التقدم في أعمال الآخرة، والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه، وقد قيل لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: إن مت ندفنك في حجرة رسول الله ﷺ، فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب غير الشرك أحب إليّ من أن أرى نفسي أهلاً لذلك[٥]، وقال ابن حزم: من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه، فإن أعجب

(١) معالم في السلوك وتزكية النفوس، عبدالعزيز عبد اللطيف ص٩٨.
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٢).
(٣) المجموع (١/ ٥٥).
(٤) الفوائد ص١٤٤.
(٥) صيد الخاطر ص٢٥٠، ٢٥١.

بفضائله، فليفتش ما فيه من الأخلاق الدنيئة، فإن خفيت عليه جملة حتى لا يظن أنه لا عيب فيه، فليعلم أن مصيبته إلى الأبد، وأنه أتمّ الناس نقصًا، وأعظمهم عيوبا، وأضعفهم تمييزًا، وأول ذلك أنه ضعيف العقل، جاهل، ولا عيب أشد من هذين، لأن العاقل هو من ميّز عيوب نفسه فغالبها وسعى في قمعها، والأحمق هو الذي يجهل عيوب نفسه، وإن أعجبت بآرائك، ففكر في سقطاتك واحفظها ولا تنسها، وفي كلّ رأي قدّرته صوابًا فخرج بخلاف تقديرك، وأصاب غيرك وأخطأت أنت، وإن أعجبت بعملك، فاعلم أنه لا حصة لك فيه، وأنه موهبة من الله مجردة، وهبك إياها ربك تعالى، فلا تقابلها بما يسخطه، فلعله ينسيك ذلك بعلة يمتحنك بها، تولّد عليك نسيان ما علمت وحفظت، وإن أعجبت بمدح إخوانك لك، ففكر في ذمّ أعدائك إياك، فحينئذ ينجلي عنك العجب، فإن لم يكن لك عدو، فلا خير فيك، ولا منزلة أسقط من منزلة من لا عدو له، فليست إلا منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها ــ عافانا الله ــ فإن استحقرت عيوبك، ففكر فيها لو ظهرت إلى الناس، وتمثل اطلاعهم عليها، فحينئذ تخجل وتعرف نقصك[1]، ويقول ابن القيم أثناء حديثه عن الحكم والأسرار في قضاء السيئات وتقدير المعاصي: ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد بعبده خيراً أنساه رؤية طاعاته ورفعها من قلبه ولسانه، فإذا ابتلي بذنب جعله نصب عينيه، ونسي طاعته وجعل همه كله بذنبه، فلا يزال ذنبه أمامه، إن قام أو قعد، أو غدا أو راح، فيكون هذا عين الرحمة في حقه، كما قال بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه، كلما ذكرها بكى وندم وتاب واستغفر وتضرّع وأناب إلى الله، وذلّ له وانكسر وعمل لها أعمالا فتكون سبب الرحمة في حقّه، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يمنّ بها، ويراها، ويعتدّ بها على ربه وعلى الخلق، ويتكبر بها ويتعجب من الناس كيف لا يعظمونه ويكرمونه ويجلونه عليها، فلا تزال هذه الأمور به حتى تقوى عليه آثارها فتدخله النار[2]، هذا شرح موجز وسريع لقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: الإعجاب آفة الألباب[3].

(١) الأخلاق والسير ص٦٦ ـ ٧١ باختصار.
(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٧ ، ٢٩٨) مدارج السالكين (١/ ١٧٧).
(٣) جامع البيان والعلم وفضله (١/ ٥٧).

سابعًا: اهتمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بترشيد الأسواق ومواقف متنوعة مع الناس:

حرص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على تفقد أحوال المتعاملين في السوق وحملهم على التعامل بالشرع الحنيف، وقد ثبت أن عليًا رضي الله عنه كان شديد العناية بالاحتساب في مجال السوق، فعن الحر بن جرموز المرادي عن أبيه قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج من القصر وعليه قطريتان إزاره إلى نصف الساق، ورداؤه مشمر قريبًا منه، ومعه الدرة يمشي في الأسواق ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول: أوفوا الكيل والميزان ولا تنفحوا[1] اللحم[2]، وعن أبي مطر قال: خرجت من المسجد، فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك، فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك، وخذ من رأسك إن كنت مسلمًا فمشيت خلفه، وهو مؤتزر بإزار، مرتد برداء، ومعه الدرة، كأنه أعرابي بدوي، فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريبا في هذا البلد، فقلت أجل من أهل البصرة. فقال: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، حتى انتهى إلى دار ابن أبي معيط وهو يسوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا، فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة ثم أتى أصحاب التمر، فإذا خادمة تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمرًا بدرهم، فرده مولاي فأبى أن يقبله. فقال له علي: خذ تمرك وأعطها درهمًا، فإنها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدري من هذا؟ فقال لا. فقلت: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. فصبت تمرها فأعطاها درهما. ثم قال الرجل: أحب أن ترضى عني يا أمير المؤمنين. قال: ما أرضاني عنك، إذا وفيت الناس حقوقهم. ثم مر مجتازًا بأصحاب التمر، فقال: يا أصحاب التمر، أطعموا المساكين، يَرْبُ كسبكم ثم مر مجتازًا ـ ومعه المسلمون ـ حتى انتهى إلى أصحاب السمك، فقال: لا يباع في سوقنا طافي. ثم أتى دار فرات وهي سوق الكرابيس[3]. وعن زاذان قال: كان علي يمشي في الأسواق وحده يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال فيفتح

---

(١) في بعض الروايات (ولا تنفخوا) كما في الطبقات (٣/ ٢٨) ومصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٣٠٨).

(٢) تنقيح العظم استخراج مخه وتنقح شحم الناقة أي قل، ونقح الشي أي قشره والمراد ــ والله أعلم لا تخرجوا مخ العظام المكسو باللحم (لسان العرب (٢/ ٦٢٤)، فضائل الصحابة (٢/ ٦٨٨) إسناده صحيح رقم ٩٣٨.

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٤) اسم سوق الكرابيس.

عليه القرآن ويقرأ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، ثم يقول: نزلت هذه الآية بأهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس[1]، وأخرج الخلال بسنده عن أبي سعيد قال كان علي أتى السوق فقال: يا أهل السوق، اتقوا الله وإياكم والحلف، فإن الحلف ينفق السلعة، ويمحق البركة، وإن التاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطى الحق، والسلام عليكم ثم ينصرف، ثم يعود إليهم فيقول لهم مثل مقالته[2]، وعن أبي الصهباء قال: رأيت علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بشط الكلأ يسأل عن الأسعار[3]، فهذا الإشراف المباشر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تضمن أموراً منها:

(أ) لم تقتصر الجولات على الإشراف والتوجيه، بل تعدت ذلك إلى خدمة الناس في شؤونهم، كإرشاد الضال، وإعانة الضعيف، فمن كانت هذه حاله كانت كلماته وتوجيهاته أقرب للناس، وأبلغ في نفوس السامعين.

(ب) تضمن التوجيه النصح بتقوى الله سبحانه وتعالى وحسن البيع، وربما وعظهم بالقرآن الكريم، فإن من اتقى الله سبحانه وتعالى أحسن معاملته للناس في النفع لهم، والبعد عن مخادعتهم وغشهم.

(ج) منع الظلم في المعاملات، وإعادة الحق إلى أهله، لأن موالي الجارية التي اشترت التمر لم يجيزوا هذا الشراء، وهي في نفسها ليس لها أمر.

(د) النهي عن أصناف الغش التي تحصل في الأسواق، كنهيه عن تنقيح اللحم، وفي رواية (نفخ اللحم).

(هـ) بيان بعض الأحكام والآداب المتعلقة في معاملات الناس ومنها:

- النهي عن الحلف في البيع، وتعليل ذلك بأن اليمين تنفق السلعة، وتمحق البركة، كما ورد عن رسول الله ﷺ: «الحلف مَنْفَقَة للسلعة، مَمْحَقَةٌ للبركة»[4].

- الحث على إطعام المساكين وترغيبهم فيه، لأنه زيادة في الكسب.

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٦/ ٤٤٤)، البداية والنهاية (٨/ ٥).

(٢) السنة ص٣٥٢، تحقيق د. عطية الزهراني ص٣٥٢.

(٣) الرياض النظرة في مناقب العشرة ص٦٩٠ شط الكلأ مكان وبالبصرة سوق الكلأ.

(٤) البخاري، ك البيوع (٢/ ٨٥).

- النهي عن بيع السمك الطافي[١]، ولعل ذلك حتى لا يختلط مع المصيد الطري.

كان أمير المؤمنين يتفقد أمور التجار في حضرته ويأمر ولاته بذلك في الولايات، ويثني على المحسن منهم، أما من يقترف خطيئة بعد النهي، فينكل به، ويعاقبه من غير إسراف[٢] وكانت له بعض الإرشادات النافعة والنواهي الزاجرة التي تحث الناس على مكارم الأخلاق والالتزام بأحكام الشريعة وإليك بعض منها:

١- إنكاره على مزاحمة النساء الرجال في الأسواق:

أنكر أمير المؤمنين علي على أناس لا يمنعون نساءهم من الخروج إلى الأسواق مزاحمات الكفار، فقال لهم: ألا تستحيون أو تغارون؟ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج[٣].

٢- لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره:

كان علي رضي الله عنه يدخل السوق وبيده الدرة، وعليه عباءة ويقول: يا أيها التجار، خذوا الحق، وأعطوا الحق تسلموا، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره، ونظر إلى رجل يقص، فقال له: أتقص ونحن قريب عهد برسول الله ﷺ، لأسألنك فإن أجبتني وإلا جعفتك[٤] بهذه الدرة، ما ثبات الدين وما زواله؟ قال أما ثباته فالورع وأما زواله فالطمع، قال: أحسنت قص فمثلكَ من يقص[٥].

٣- خطورة التجارة قبل التفقه في أحكامها:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من اتجر قبل أن يتفقه في الدين فقد ارتطم في الربا ثم ارتطم ثم ارتطم[٦]، وقد كان الفاروق رضي الله عنه يضرب بالدرة من يقعد في السوق وهو لا يعرف الأحكام، ويقول: لا يقعد في سوقنا من لا يعرف

---

(١) هو الذي يعلو الماء ولا يرسب.

(٢) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام ص٢٠٢.

(٣) العلوج: جمع علج وهو الواحد من كفار العجم، مسند أحمد (٢/ ٢٥٤ ، ٢٥٥) قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

(٤) جعفه: صرعه وضرب به الأرض.

(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٥/ ٧٠).

(٦) ارتطم: وقع. بستان العارفين ص٣٥٠.

الربا[١]، وكان يقول: لا يبيع في سوقنا إلا من تفقـه، وإلا أكل الربا شاء أو أبى[٢]، فكل شئون الحكم كانت محل اهتمام الخلفاء الراشدين ﷺ لا يطغى جانب على جانب، فلا يختل الحال بين يدي الحاكم، فقد كانوا يقعّدون للتجارة القواعد التي تصلح للأسواق، وتنظم التداول، وتضمن الثبات والاستقرار، فلا غبن ولا غش، ولا احتكار ولا أسواق سوداء ولا زرقاء، ولا جهل بما يجوز وما لا يجوز في عالم التجارة، ويمكن اليوم تفقيه التجار من خلال دورات في المساجد خصوصا التي في قلب الأسواق ولابد من توجيه الخطاب للتجار من خلال كتيبات خاصة بهم والأشرطة الصوتية المختصرة التي تبين أحكام التجارة وتبسط المسائل المتعلقة بها والتي تبرز ما يلي:

* نماذج مختارة من التجار المسلمين المخلصين لدينهم الذين نصروا الله ورسوله بأموالهم.

* بيان أهمية الآخرة بالنسبة لهم لكي يجمعوا بين خيري الدنيا والآخرة.

وعلى العلماء وطلاب العلم واجب كبير في تفقيه هذه الشريحة الكبيرة في المجتمعات، وعلى الحركات الإسلامية أن لا تنسى واجبها في تعليم أبنائها من التجار وغيرهم هذا الفقه العزيز.

٤- من سبق إلى موضع فهو أحق به:

أثيرت قضية المحل التجاري في السوق وقضى علي بن أبي طالب ﷺ في سوق الكوفة، أن من سبق إلى موضع فهو أحق به ما دام فيه ذلك اليوم، فإذا انتقل عنه، فهو لمن حلّ فيه، قال الأصبع بن نباتة، خرجت مع علي بن أبي طالب إلى السوق، فرأى أهل السوق قد حازوا أمكنتهم فقال علي: ما هذا؟ فقالوا: أهل السوق قد حازوا أمكنتهم، فقال: ليس ذلك لهم، سوق المسلمين كمصلّى المسلمين، من سبق إلى شيء فهو له يومه حتى يدعه، وظلّت هذه القاعدة متّبعة حتى ولاية المغيرة بن شعبة، فلمّا كانت ولاية زياد بن أبيه عليها عام ٤٩هـ جعل من قعد في مكان فهو أحق به ما دام فيه[٣].

(١) نظام الحكومة الإسلامية للكتاني (٢/ ١٧).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ١٧).

(٣) الأموال لأبي عبيد ص١٢٣، الحياة الاقتصادية د. بطاينة ص١١٥.

٥- المحتكر عاص ملعون:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في احتكار الطعام: جالب الطعام مرزوق، والمحتكر عاص ملعوف[١]، وقد أمر أمير المؤمنين بتحريق الطعام المحتكر، فقد أخرج الحافظ ابن أبي شيبة عن الحكم قال: أخبر علي برجل احتكر طعامًا بمائة ألف فأمر به أن يحرق[٢] وقد ذهب ابن قدامة أن الاحتكار المحرم ما اجتمعت فيه شروط ثلاثة هي:

(أ) أن يشترى، فلو جلب شيئًا، أو أدخل من غلته شيئًا فادخره لم يكن محتكرًا، وهذا واضح من قول علي رضي الله عنه.

(ب) أن يكون المشتري قوتًا[٣].

(ج) أن يضيق على الناس بشرائه. وترهيب أمير المؤمنين علي من الاحتكار مبني على قول رسول الله ﷺ: **«لا يحتكر إلا خاطئ»**[٤].

٦- الخسارة على المال والربح على ما اصطلحوا عليه:

بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شيئا من أحكام المضاربة وهي: نوع من أنواع المعاملات بين الناس، وهي دفع مال معلوم لمن يتجر به ببعض ربحه، فقال رضي الله عنه: الوضيعة على المال، والربح على ما اصطلحوا عليه[٥]، والوضيعة تعني الخسران في الشركة وهي على المال، أي على كل واحد بقدر ماله، فإن كان مالهما متساويًا في القدر[٦] فالخسران بينهما نصفين، وإن كان أثلاثًا فالوضيعة أثلاثًا.

٧- تحريقه قرية كانت تباع فيها الخمر:

كان رضي الله عنه شديد الإنكار على من باع خمراً، فقد أمر بتحريق قرية كانت تباع فيها الخمر، فقد روى الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام أن عليًّ بن أبي طالب رضي الله عنه نظر

---

(١) فقه علي قلعجي ص٢٧، مصنف عبدالرزاق (٨/ ٢٠٤)، مسند زيد ص٢٤٥.

(٢) المصنف رقم ٤٣٣ (٦/ ١٠٣) الحسبة في العصر النبوي ص٣٤.

(٣) وقيل لا فرق بين القوت وغيره.

(٤) مسلم، ك المساقاة (٣/ ١٢٢٨) والخاطئ: العاصي الآثم.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٤)، مصنف عبدالرزاق (٨/ ٢٤٨).

(٦) المغني (٥/ ٣١).

إلى زرارة[١] فقال: ما هذه القـرية؟ قالوا: قرية تدعى زرارة، يلحم فيها، تبـاع فيها الخمر، فقام يمشي حتى أتاها، فقال: علي بالنيران، أضرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضـه بعضًا قـال (الراوي): فاحتـرقت من غربيهـا حتى بلغت بستان خواسـتا بن جبرونا[٢].

٨- احتسابه فيما يتعلق باللباس والهيئة:

عن أبي مطر قال: خرجت من المسجـد فإذا رجل ينادي خلفي: ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك، وأتقى لك، وخذ من شعرك إن كنت مسلمًا[٣].

٩- حبسه أهل الشر والفساد:

كان ﷺ يلاحق أهل الشـر والفساد، فـإذا وجد أحدًا منهم حـبسه، فـقد روى القاضي أبو يوسف عن عبدالملك بن عمير قال: كان علي بن أبي طالب ﷺ إذا كان في القبيلة أو القوم الرجل الداعر حبسه، فإن كان له مال أنفق عليه من ماله، وإن لم يكن له مال أنفق عليـه من بيت مال المسلمين، وقال: يحبس عنهم شـره ويُنفَق عليه من بيت مالهم[٤].

١٠- الترهيب من عدم الإنفاق:

قال أمـير المؤمنين علـي بن أبي طالب: بشر مـال البخيـل بحادث أو وارث[٥]، وقال: البخيل مستعجل الفقـر، يعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في العقبى حساب الأغنياء[٦].

١١- مناداته للصلاة:

كان أمير المؤمـنين علي ﷺ شديد الاهتمام بأمر الصلاة فـقد كان يمر في الطريق مناديًا: الصلاة، الصلاة، كان يوقظ بذلك الناس لصـلاة الفجر، يحدثنا الحسن ﷺ

(١) محلة في الكوفة سميت باسم بانيها زرارة بن زيد.
(٢) الأموال ص٩٧ ، ٩٨، الحسبة لابن تيمية ص٦٠.
(٣) البداية والنهاية (٨/ ٤).
(٤) الخراج لأبي يوسف ص١٥٠.
(٥) نثر الآلىء نقلا عن منهج علي بن أبي طالب ص١٨٣.
(٦) منهج علي في الدعوة إلى الله ص١٨٣.

عن خروجه اليوم الذي طُعِن فيه من بيته حيث يقول: فلما خرج من الباب نادى: أيها الناس! الصلاة، الصلاة. وكذلك كان يصنع كل يوم، ومعه درته، فاعترضه الرجلان، فضربه ابن ملجم على دماغه[١].

١٢- الاهتمام بالطرق العامة:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يأمر بالمثاعب[٢]، والكنف[٣]، تقطع من طريق المسلمين[٤].

١٣- ظهور بدعة القصص ومحاربة أمير المؤمنين علي لها:

حدثت بدعة القُصَّاص في عهد علي رضي الله عنه فأنكرها الصحابة والتابعون، فقد أخرج محمد بن وضّاح عن موسى بن معاوية قال حدثنا ابن مهدي عن سفيان: عن عبيد الله بن نافع قال: «لم يقص على عهد النبي ﷺ، ولا أبي بكر، ولا عمر ولا عثمان، وأول ما كان القصص حين كانت الفتنة»[٥]، والقصاص هم، الوعاظ الذين يعقدون مجالس للوعظ تضاهي مجالس العلم، يعظون الناس فيها بالحكايات والإسرائيليات ونحوها، مما لا أصل له أو موضوع، أو مما لا تدركه عقول العامة، وقد منعهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لأنهم أخذوا يحدثون الناس بالغرائب والمتشابهات، وما لا تدركه عقولهم وما لا يعرفون[٦] وأذن أمير المؤمنين لمن كان متمكنًا من العلم الشرعي بأن يقص على الناس.

كانت حياة أمير المؤمنين في المجتمع دعوة للتوحيد ومحاربة للشرك وكان حريصا على تعليم الناس أسماء الله وصفاته وربط قلوبهم به وحده وتذكيرهم بنعم الله وحضهم على شكرها، وقد كان رضي الله عنه مثابراً على محو آثار الجاهلية، متخذاً كافة الوسائل الدعوية من خطابة ووعظ، وشعر وحكم، ولم يعش رضي الله عنه بعيداً عن الناس بل عاش بينهم بأخلاقه وسمته وعلمه رضي الله عنه.

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٣٩).
(٢) المثاعب: مفرد الثعب: سيل الماء في الوادي.
(٣) والكنف: جمع كنيف وهو المرحاض، المصباح المنير ص٥٤٢.
(٤) مصنف عبدالرزاق (١٠/ ٧٢).
(٥) البدع والنهي عنها ص٢٠.
(٦) دراسات في الأهواء والفرق والبدع ص٢٣٩.

ثامنًا: ولاية الشرطة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

عندما تولى علي رضي الله عنه أمر الخلافة كانت وظيفة الشرطة إحدى الوظائف المهمّة المعروفة في الدولة، والقصص والآثار التي تحدثت عن دور الشرطة في عهد علي رضي الله عنه كثيرة منها، ما رواه أصبغ بن نباتة، أن شابًا شكا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفرًا، فقال: إنّ هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر فعادوا ولم يعد أبي، فسألتهم عنه، فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله: فقالوا ما ترك شيئًا، وكان معه مال كثير، وترافعنا إلى شريح، فاستحلفهم وخلّى سبيلهم، فدعا عليّ بالشرطة، فوكّل بكلّ رجل رجلين، وأوصاهم ألا يمكنوا بعضهم يدنوا من بعض، ولا يمكنوا أحدًا يكلمهم، ودعا كاتبه، ودعا أحدهم، فقال أخبرني عن أب هذا الفتى، أي يوم خرج معكم؟ وفي أي منزل نزلتم؟ وكيف كان سيركم؟ وبأي علة مات؟ وكيف أصيب بماله؟ وسأله عمّن غسله ودفنه، ومن تولّى الصلاة عليه، وأين دفن، ونحو ذلك، والكاتب يكتب، فكبّر عليّ، وكبّر الحاضرون والمتهمون لا علم لهم إلا أنهم ظنّوا أن صاحبهم قد أقرّ عليهم، ثم دعا آخر بعد أن غيّب الأول عن مجلسه، فسأله كما سأل صاحبه، ثم الآخر كذلك، حتى عرف ما عند الجميع، فوجد كل واحد منهم يخبر بضدّ ما أخبر به صاحبه، ثم أمر بردّ الأول فقال: يا عدو الله، قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق، ثم أمر به إلى السجن، وكبّر وكبّر معه الحاضرون، فلما أبصر القوم الحال لم يشكوا أن صاحبهم أقرّ عليهم فدعا آخر منهم، فهدّده، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد كنت كارها لما صنعوا، ثم دعا الجميع فأقرّوا بالقصة واستدعى الذي في السجن وقيل له: قد أقرّ أصحابك ولا ينجيك سوى الصدق، فأقرّ بكل ما أقرّ به القوم، فأغرمهم المال، وأقاد منهم القتيل[١]، فهذه القصة تحوي معاني ودلالات كثيرة تفيد المحققين، وتدلّ في الوقت نفسه على وجود السجن، ورجال الشرطة[٢]، هذا وقد بنى أمير المؤمنين سجنًا في الكوفة سمّاه «نافعًا» لم يكن مستوثق البناء، فكان المسجونون يخرجون منه، فهدمه وبنى بدلا منه سجنًا آخر سمّاه مخيّسا[٣]، وقد أجرى على أهل السجون ما يقوتهم

(١) الطرق الحكيمة ص ٤٩.

(٢) ولاية الشرطة في الإسلام، د. نمر الحميداني ص ١٠٧.

(٣) وهذه التسمية ليست اعتباطاً بل لها غرض، فإن النافع من النفع وهو ضد الضرر، =

من طعامهم وأدمهم وكسوتهم في الشتاء والصيف[1]، وكان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أصحاب شرطة منهم، أبو الهياج الأسدي، وقيس بن سعد بن عبادة ومعقل بن قيس الرّياحي، ومالك بن خبيب اليربوعي، والأصبغ بن نباتة المشاجعي، وسعيد بن سارية بن مرة الخزاعي، وكان من ضمن الوظيفة الاجتماعية للشرطة، مساعدة المحتاج، وإغاثة الملهوف، وإرشاد التائه، وإطعام المساكين، وتقديم العون، وإظهار الرفق وغير ذلك من المساعدات الإنسانية التي يراد بها وجه الله تعالى.

ومن هنا يظهر لنا أن الأمن في العصر الراشدي كان يقوم بدور حضاري في تقديم خدمات عامة للمجتمع ولم يقتصر دوره فقط على الجانب الأمني وإن كان للجانب الأمني الأهمية الكبرى.

= المخيس وهو التذليل والتهذيب، والتسميتان تحققان أغراض السجن.

(١) ولاية الشرطة ص١٠٨.

الفصل الرابع
المؤسسة المالية والقضائية
في عهد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب
وبعض اجتهاداته الفقهية

المبحث الأول: المؤسسة المالية:

في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يحدث تغير يذكر في السياسة المالية للدولة الإسلامية إلا أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رجع إلى ما كان عليه أبو بكر الصديق في التسوية في العطاء[1] فلم يفضل أحدا على أحد، فأعطى الموالي كما أعطى السادة[2]، وكان الخراج في بعض الأمصار موكولاً إلى الولاة أنفسهم، ففي مصر كان قيس بن سعد بن عبادة ـ الوالي العام ـ مسئولا عن الخراج فيها، وكذلك حينما بعث علي رضي الله عنه الأشتر النخعي على مصر كان خطابه له ما يوحى أنه مع ولايته العامة كان مسؤولا عن الخراج بما يصلح أهله، فإن صلاحه وصلاحهم صلاحًا لمن سواهم ولا صلاح إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك يدرك بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة، أضر بالبلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلا، فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب، أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم.. فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما إعوازها أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر[3]، فقد كانت نظرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى الخراج بما يتعدى الجباية إلى المسألة الاقتصادية برمتها، حيث يشكل الخراج المصدر الأساسي لها في ذلك الوقت، وقد اشتهر عن علي رضي الله عنه تشديده في مراقبة

(١) الاستيعاب (٣/ ١١).
(٢) علي بن أبي طالب، د. علي شرفي ص٦٦.
(٣) الولاية على البلدان (٢/ ١٥٣ إلى ١٦٣).

عماله في جميع النواحي، وكان الخراج والشئون المالية من الأمور المهمة التي كان يدقق فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فكان يبعث العيون والأرصاد ليعلم أحوالهم[١]، وقد كان لولاة البلدان صلاحيات عامة في المصروفات من ولاياتهم وبيوت أموالها، فالولاة الذين كانوا يباشرون بيت المال وعمال الخراج بأنفسهم في عهد الخلفاء عمومًا كانوا ينفقون من الأموال التي لديهم في الأوجه الشرعية في مصالح الولاية، فكانوا يستخدمون هذه الأموال في شئون الجهاد والفتوح من إعداد للسلاح والدواب ومرتبات الجند وغير ذلك من أوجه الجهاد، كما كان الولاة يقومون بصرف نفقات العمال والموظفين في الولاية[٢] إضافة إلى أنهم كانوا يقومون ببعض الإصلاحات من بناء للجسور وحفر للقنوات والعيون والأنهار وكان ذلك يستدعي الصرف مما يجبونه من ولاياتهم[٣] وفي الأوقات التي تعزل فيها ولاية الخراج أو بيت المال عن الولاية العامة فإن الولاة بحكم إشرافهم العام على الولاية يطلبون من عمال الخراج الإنفاق على هذه الإصلاحات أو يقوم الولاة بتعيين عمال خاصين بهذه المشاريع، وتصرف نفقات العمل أو التجهيز من دخل الولاية عن طريق عمال الخراج إذا كانوا مستقلين، وهكذا فإنه حتى لو عزلت مهمة (الجباية) عن الوالي كما عبّر عنها بعض الباحثين[٤] فإن النفقات مع ذلك كانت تأخذ طريقها بواسطة الولاة في كثير من الأحيان سواء للجهاد أو التعمير، ولقد نبه بعض الفقهاء إلى أن على الولاة إنفاق الأموال في مصالح المسلمين وعدم تجميدها، إذ إن تجميد الأموال التي أخذت بحقها وعدم صرفها في مصالح المسلمين يوازي الظلم في جمعها فعدوا التجميد للأموال العامة من باب الظلم والتقصير من جانب الولاة[٥] وقد كانت الأمصار والولايات أحق بأموالها وجباياتها من غيرها، فكان الولاة لا يعملون على ترحيل الأموال عن مناطقهم إلى العاصمة في المدينة أو الكوفة فيما بعد، إلا بعد أن يسددوا حاجة ولاياتهم من النفقات[٦] ولاشك أن ما قام به الخلفاء الراشدون خصوصًا في

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٩٨)، النظريات المالية في الإسلام ص١٥٥.

(٢) التراتيب الإدارية للكتاني (١/ ٣٩٣).

(٣) الولاية على البلدان (٢/ ٩٨).

(٤) النظم المالية في الإسلام ص١٥٧، الولاية على البلدان (٢/ ٩٩).

(٥) أصول الفكر السياسي الإسلامي، فتحي عثمان ص٤٣.

(٦) السياسة المالية لعثمان بن عفان، قطب ص٩٩.

عهد عـمر من تنظيم دقيق للشئون المالية في الولايات بما فـيها من جباية ـ مصادر الدخل أو الواردات العامة للدولة إضافـة إلى النفقات العامة يعتبـر تنظيمًا جديدًا ولم يمنعهم ذلك من الاستفادة من خبرات من سبقوهم حيث استحدثوا الدواوين وضبطوا أمورهم المالية في مختلف جوانبها، وقـد تحدثت عن المؤسسة المالية في عهد الفاروق ﷺ بنوع من التفـصيل، فمن أراد المزيد فليـرجع إليها في كتـابي فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وقد حـاول بعض المستشرقين وفيهم فيليب حتى في موسـوعته عن تـاريخ العرب أن يقلل من شأن مـا قام به الخلفـاء الراشدون من تنظيم للأموال في الدولة عمومـا فقال: والحقيقة أن الأخبار تعزو إلى عـمر كثيرًا مما أحدثتها السنون التي لحقت عهده من إنشاءات دعت إليها التجارب والأحوال الجديدة وأن ما جـاء به الخلفاء وعـمال الأمـصارالأول في صـدد الخراج والجـزية، وأصول جبـايتها وسـياسة أموال الدولة لم يـكن بالشيء الخطير، فلقد أبقى الإسـلام أساس الحكم وأنظمـة الإدارة البيزنـطية على ما كـانت عليه فـي سوريا ومصـر، ولم يفكر أرباب الأمـر في الأمصـار الفارسـية أن يبـدلوا أصول الحكومـة المحلية، ولم يـأخذ الفاتحون الضرائب إلا طبقًا لطبيعة البـلاد وبمقتضى الأصول المرعية في العهد المنقرض سواء أكان بيزنطيًـا أو فارسيًا ولم يعتبروا في ذلك إذا كـانت قد دانت لهم صلحًا أو أنهم فتـحوها عنوة، ولا اهتـدوا بتشـريع أوجده عـمر[(١)]، والكاتب هنا قـد تجاهل النصوص التي وردت في استنباط عمر للـخراج على الأراضي المفتوحة عنوة، وكيف أن النظام قد لقى مـجادلة ومعارضة من بعض الصـحابة إلى أن استقـر الأمر عليه، واتفق الجميع عـلى تنفيذه[(٢)]، وقد تولى محمـد ضياء الدين الريس الرد على هؤلاء المستـشرقين فيمـا قالوه من خلال نصوص تاريـخية موثقـة يخلص منها إلى أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة،وأن المسلمين وفقهاءهم كانوا يفرقون بين ما أحدثه عمر،وما أحدثه غيره،بل ويفصلون تفصيلاً دقيقًا في قضايا الخراج في عهد عمر[(٣)].

وهذه عادة المسـتشـرقين وأذنابهم من الطعن والتنقص في عظمـاء الإسلام ولكن

---

(١) تاريخ العرب، فيليب حتى (١/٢٢٨).

(٢) الولاية على البلدان (٢/ ١٠٠).

(٣) الخـراج والنظم الماليـة للدولة الإسـلاميـة ص(١٣١- ١٣٦ نقـلا عن الولاية عـلى البلدان (٢/ ١٠٠).

المشكله أنهم يجدون من الأمه من ينظر لهم بإجلال وتقدير. وبسبب الحروب والنزاعات الداخلية تأثرت دولة الخلافة في عهد علي في مؤسساتها المتعددة، كالمالية والعسكرية، ومنصب الخلافة مما ساهم في زوال الخلافة الراشدة، وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله.

المبحث الثاني: المؤسسة القضائية:

ولي الخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، واقترنت توليته التي نجمت عن قتل عثمان وما تبعها من أحداث شقت صف المسلمين وفرقت كلمتهم، وأصبحت مواجهة تلك الأحداث لرأب الصدع شغله الشاغل، ولم يكن هذا الصراع الدامي في عهد علي ﷺ مانعًا له من أن يعطي للقضاء نصيبًا من الاهتمام به وتنظيمه ويدل على هذا رسالته التي[1] أرسلها إلى الأشتر النخعي واليه على مصر حين كانت تابعة لحكمه، وفيها يقول: ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر في الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تستشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، أوقفهم في الشبهات، وأخذهم بالحجج وأقلهم تبرمًا بمراجعة الخصوم، وأصبرهم على كشف الأمور، وأصرمهم على اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل، ثم أكثر من تعاهد قضائه، وأفسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال عندك[2]. في هذه الرسالة أيضا: أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيّتك، فإنك إلا تفعل تَظْلِم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حربًا، حتى ينزِع أو يتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد[3].

---

(١) وقائع ندوة النظم الإسلامية (١/ ٣٧٩).

(٢) شرح نهج البلاغة نقلا عن نظام الحكم للقاسمي (٢/ ١٠٣).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٥٥٩).

ونلاحظ أن هذا العهد تضمن صفات القاضي، كما تضمن حقوقه وواجباته، والذي يتأمل في الذي كتبه أمير المؤمنين علي ﷺ لواليه على مصر، يعجب لهذا العهد الذي كتب عام ٤٠هـ، أو حولها، في وقت لم يكن للعرب فيه أي اتصال بالحضارات الأخرى بعد، وكيف كان العقل المسلم الذي ينظر بنور الله قادراً على تفتيق المعاني، ووضع أمور الدولة في نصابها، على خير ما نرى اليوم في الدساتير والقوانين[١] وهذه النظرات من أمير المؤمنين علي في إنصاف الرعية، وتجنب ظلمها كانت فيما بعد عماداً في تنظيم ولاية المظالم[٢].

أولاً: الخطة القضائية والتشريعية في عهد الخلفاء الراشدين والمصادر التي اعتمدها الصحابة في ذلك العهد:

قصد بهذه الخطة الطريقة التي سلكها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام وهم يبحثون عن الأحكام الشرعية لما يحدث لهم من وقائع وقضايا في حياتهم العملية، وهي طريقة، هدتهم إليها صحبتهم للرسول الكريم وتدريبهم على يديه، لذلك كان اتباع هذه الطريقة حقا على من جاء بعدهم لاحظنا من خلال دراستنا لعهد الخلفاء الراشدين في كتبنا عن أبي بكر وعمر وعثمان ودراستنا الحالية لعهد علي ﷺ، أنهم كانوا كلما عرض لهم حادث، أو قضاء لجأوا إلى كتاب الله أولا، فإن وجدوا فيه الحكم الشرعي للنازلة حسم الأمر، وإلا رجعوا إلى سنة رسول الله ﷺ، حتى إذا لم يجدوا فيها حلا انتقلوا إلى الرأي بمعناه الواسع، وقد لاحظنا أن هذا الرأي كان في أول الأمر جماعيا في غالب الأحيان، خصوصًا إذا انصب موضوعه على أمر من أمور الدولة ذات الصبغة العامة، وقد ساعد على ذلك أن كبار الصحابة كانوا ما زالوا مستقرين بالمدينة يسهل جمعهم وأخذ رأيهم، وقد انبثق عن رأيهم الجماعي ما اصطلح على تسميته فيما بعد «الإجماع»، وقد كانوا يستعملون القياس والمصلحة هي مناط التشريع وخير دليل على هذه الخطة ما قاله ميمون بن مهران حيث قال: كان أبوبكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب، وعلم من رسول الله ﷺ، في ذلك الأمر سنة قضى بها، فإن أعياه أن يجد فيها سنة عن رسول الله جمع رؤوس الناس وخيرهم

---

(١) نظام الحكم للقاسمي (٢/ ١٠٤).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٦٠).

فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به، وكان عمر يفعل ذلك فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان فيه لأبي بكر قضاء فإن وجد أبابكر قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رؤوس المسلمين، فإن أجمعوا على شيء قضى به[١]، وعن ابن مسعود قال: فمن عرض عليه قضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه، ولا يقل: إني أرى وإني أخاف، فإن الحلال بين، والحرام بين، وبين ذلك مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك[٢]، وقد بينا في حديثنا عن المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حرصه على السير على نفس المنهج، ويتبين من هذه الآثار أن الصحابة كانوا يعتمدون في خطتهم التشريعية والقضائية على الكتاب والسنة قبل الانتقال إلى الرأي بمعناه الواسع[٣]، ونحب أن نقف عند هذه الآثار لنستخلص منها بعض النتائج:

١- اتفاق الصحابة حول هذه الخطة إذ كانوا يرتبون مراحل اجتهادهم وفقههم مبتدئين بكتاب الله أولا، ثم الانتقال إلى سنة رسول الله ﷺ قبل استخدام الرأي الجماعي ثم القياس.

٢- كان للسابقة القضائيه دور هام في هذه الخطة وهو دور جعلها تلي النصوص مباشرة.

٣- ومما يلفت النظر في هذه الخطة أن أبابكر وعمر على الخصوص، لم يكونا يستشيران إلا من كان موجوداً من الصحابة بالمدينة، ولم نطلع على نص يدل على أنهما كانا يستدعيان من كان غائبًا من الصحابة قصد استشارته في أمر من الأمور الاجتهادية مما يدل على أن الإجماع كان ينعقد باتفاق من حضر من الصحابة بصرف النظر عن رأي من كان غائباً[٤]، ويتضح لنا من خلال ما سبق من خطة الخلفاء

---

(١) سنن الدارمي (١/٥٨) رجال إسناده ثقات غير جعفر بن برقان صدوق، السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ١١٤) وصحح إسناده ابن حجر، فتح الباري (١٣/ ٣).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٦٢).

(٣) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله ص٥٣.

(٤) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله ص ١٥٣.

الراشدين والصحابة في التشريع والقضاء أنهم كانوا كلما حز بهم أمر أو عرضت عليهم قضية بادروا إلى القرآن أولا حتى إذا لم يجدوا فيه حلاً رجعوا إلى السنة، فإذا لم يجدوا الحل، استعملوا الرأي بمعناه الواسع سواء كان جماعيًا أو فرديًا، وقد انبثق عن آرائهم الجماعية ما سمي بالإجماع، وهو مصدر طارئ لم يكن له وجود في عصر الرسالة، وقد صنف هذا المصدر ثالث المصادر بعد الكتاب والسنة، وبما أنه لم يكن من الميسور دائمًا جمع الصحابة قصد التشاور والاتفاق على حكم معين لأسباب كثيرة، فقد لجأ الصحابة لاستعمال الرأي بصورة فردية في الفتوى والقضاء، وقد اعتمدوا الكتاب والسنة في آرائهم الفردية والجماعية وعلى الفهم العميق لمقاصد الشريعة الهادفة إلى دفع المفاسد وجلب المصالح، واستوحوا الأحكام للحوادث التي لا نص فيها من روح النصوص ولم يقضوا مع ظواهرها وقد استعملوا القياس منذ عهد الرسول ﷺ وهو المصدر الرابع من مصادر التشريع يأتي بعد الإجماع في المرتبة وإن كان سابقا عليه في الوجود[1] وهذه هي المصادر التي اعتمدها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام:

١- القرآن الكريم وهو العمدة والأساس، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه.

٢- السنة وتطلق على ما جاء منقولا عن النبي ﷺ بطرق صحيحة.

٣- الإجماع ولابد أن يكون مستنداً إلى نص من كتاب أو سنة أو قياس.

٤- القياس.

وكان الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام يشرعون أحكامًا لحوادث بناء على المصلحة الواجب مراعاتها أو دفع المفسدة، فكان اجتهادهم فيما لا نص فيه فسيحًا مجاله يتسع لحاجات الناس ومصالحهم[2].

ثانيا: ميزات القضاء في العهد الراشدي:

إن القضاء في العهد الراشدي يمثل الدرجة الثانية بعد القضاء في العهد النبوي الذي يمثل الجذور والأساس، وجاء القضاء في العهد الراشدي يمثل البناء الكامل،

(١) المصدر نفسه ص ١٥٤.

(٢) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله ص ١٥٩.

والتنظيم الشامل من جهة، ويعطي الصورة البراقـة للقضاء الإسلامي من جهة ثانية، ويعتبر أنموذجا ومثلاً وقدوة وتحت محط الأنظار طوال العهود التالية، ويمكننا أن نشير باختصار وإيجاز إلى أهم ميزات القضاء في العهد الراشدي، وهي:

١- كان القـضاء في العهد الراشـدي امتداداً لصـورة القضاء في العهـد النبوي، بالالتزام به، والتأسي بمنهـجه، وانتشار التربية الدينية، والارتبـاط بالإيمان والعقيدة، والاعتـماد على الوازع الديني، والبسـاطة في سير الدعـوى، واختصـار الإجراءات القضـائية، وقلة الدعاوي والخـصومات إذا قـورنت باتساع الدولة، وتعدد الشـعوب والأمصار، وحسن اختيار القضاة، وتوفر الشروط الكاملة فيهم.

٢- يعتبـر القضاء في العهد الـراشدي صورة صحيـحة وصادقة وسليمـة للقضاء الإسلامي، ولذلك صار مـوئل الباحثين، ومحط الأنظار للفقـهاء، وصارت الأحكام القضائية والتنظيم القضائي في العهد الراشدي مصدراً للأحكام الشرعية، والاجتهادات القضائية، والآراء الفـقهية في مختلف العصور، وهذا بالاتفـاق ولو أدبيًا، عند جميع العلماء والمذاهب، مع وجود الاختلاف في التدقـيق والجزئيات والتفاصيل، ومن ذلك اختلاف الأئمة في حجية قول الصحابي وعـدم حجيته، كما هو مقرر في علم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، وتاريخ التشريع وسيأتي الحديث عن ذلك بإذن الله.

٣- مارس الخلفـاء الراشدون، وبعض ولاة الأمصـار، النظر في المنازعات وتولي القضـاء بجانب الـولاية، كما أولوا الاهـتمام الكـامل لتولي قـضاء المظالم وقـضاء الحسبة[١].

٤- عين الخلفاء الراشدون في أكثر المدن والأقطار الإسلامية قضاة لممارسة القضاء خـاصة، دون بقـية السلـطات، وظهر بشكل مـبـدئي ـ ولأول مرة ـ فـصل السلطة القضائية عن بقيـة السلطات، وأن الولاة لا سلطان لهم على القضاة في المدن الكبرى التي تم فيها تعيين القضاة بجـانب الولاة، بينما يتولى الولاة في بقية المدن والأمصار القضاء والولاية معا وهم تحت بصر ومحاسبة الخليفة الراشد.

٥- كان القـضاة في العـهد الراشدي مـجتهـدين، فينظرون في نصـوص القرآن والسنة مبـاشرة، ويعملون فيـها بما يؤدي إليه اجتـهادهم، فإن لم يجدوا فيـها حكم

(١) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٥٨.

الواقعة اجتهدوا رأيهم بعد الاستئناس بما قضى به أسلافهم، واستشارة العلماء المعاصرين لهم، ثم أصدروا الحكم الذي وصل إليه اجتهادهم.

٦- ظهرت مصادر جديدة للقضاء في العهد الراشدي نتيجة للمنهج السابق الذي التزموه، وصارت الأحكام القضائية هي: القرآن والسنة الشريفة، والإجماع، والقياس، والسوابق القضائية، والرأي الاجتهادي مع المشورة.

٧- تم التنظيم الإداري الدقيق للقضاء في العهد الراشدي، وأرسل عمر وعلي رضي الله عنهما الرسائل الخالدة والمشهورة إلى القضاة والولاة، لتنظيم شؤون القضاء، وبيان الدستور والمنهج، وتبع ذلك متابعة الخلفاء للقضاة، ومراقبتهم، وتبادل الرأي معهم، والسؤال عن أخبارهم وأقضيتهم، وطلب مراجعتهم في القضايا المهمة والمعضلة والخطيرة، وكانت هذه الميزة في أوجها في عهد عمر رضي الله عنه ، وخفت قليلا في عثمان، وضعفت في عهد علي لاضطراب الأمور، وكثرة الفتن، ونشوب الحروب الداخلية، وظهور بذرة الاستقلال الذاتي في الشام وما يتبعها، مع تعدد السلطة.

٨- كانت اختصاصات القاضي في الغالب عامة وشاملة لجميع الوقائع، وكانت صلاحية القاضي واسعة، وله الحرية الكاملة في الإجراءات ولكن ظهر في هذا العهد نواة الاختصاص الموضوعي والنوعي للقضاة، وتم تعيين قضاة للنظر في القضايا الصغيرة والبسيطة، كما تم تعيين قضاة للأحداث الجسيمة والوقائع الكبيرة، وبقي معظم الخلفاء - غالبا - يتولون النظر في الجنايات والحدود، وقام بهذا الشأن بعض الولاة أيضا، كما ظهر في هذا العهد تعدد القضاة في وقت واحد في المدن الكبرى والأقطار الواسعة كالمدينة المنورة، والكوفة، والبصرة، واليمن، كما ظهر قاض للعسكر لأول مرة.

٩- تأكد في هذا العهد ما كان في العهد النبوي من مراقبة الأحكام القضائية، وإقرار ما وافق القرآن والسنة وما صدر عن الرأي والاجتهاد، لأن الاجتهاد لا ينقض بمثله، وينقض ما خالف القرآن والسنة[1].

١٠- استحدث في العهد الراشدي رواتب القضاة بشكل منظم، مع التوسعة على القضاة، وأقيمت دار للقضاء، وأنشيء السجن للحبس، كما ظهر - ولأول مرة -

(١) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٥٩.

امتناع كبار الصحابة عن القضاء، كابن عمر الذي طلبه عثمان فامتنع، وكعب بن يسار بن ضنَّة الذي طلبه عمر لتوليه القضاء بمصر فأبى أن يقبل، وقيل قبله أياما، ثم اعتزل(١).

١١- كانت إجراءات التقاضي في العهد الراشدي بسيطة وسهلة وقليلة، بدءا من سماع الدعوى إلى إقامة البينة والإثبات والحجج إلى إصدار الحكم فيها، إلى التنفيذ، وكانت آداب القضاء مرعية في حماية الضعيف، ونصرة المظلوم، والمساواة بين الخصوم، وإقامة الحق والشرع على جميع الناس، ولو كان الحكم على الخليفة أو الأمير أو الوالي، وكان القاضي في الغالب يتولى تنفيذ الأحكام، إن لم ينفذها الأطراف طوعا واختيارا، وكان التنفيذ عقب صدور الحكم فورا، ولكن ظهرت في العهد الراشدي أمور تنظيمية جديدة، فوجد كاتب للقاضي في عهد عمر، وظهرت الشرطة والأعوان لمساعدة القاضي والوالي في عهد عثمان، وتطور التحقيق الجنائي على يد سيدنا علي رضي الله عنه، وفرق بين الشهود للوصول إلى الحق وكشف الواقع حتى صار مضرب المثل(٢).

ثالثا: أشهر قضاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أقر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعض القضاة الذين ثبتت جدارتهم، وكانوا على القضاء قبله، وعين قضاة وولاة آخرين(٣)، منهم:

١- شريح بن الحارث الذي كان على قضاء الكوفة، وأقره علي عليها، وكان يرزقه كل شهر خمسمائة درهم(٤).

٢- أبو موسى الأشعري الذي ولاه عثمان القضاء بالكوفة، فأقره علي، ثم عزله(٥).

٣- عبيدالله بن مسعود، الوالي والقاضي باليمن.

---

(١) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٦٠.
(٢) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٦٠.
(٣) القضاء في صدر الإسلام، جبر محمود ص ٢٣٩.
(٤) أخبار القضاة (٢/ ٢٢٧).
(٥) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٤٩.

٤- عثمان بن حنيف على البصرة.

٥- قيس بن سعد على مصر، وكان شهد فتح مصر، واختط بها دارا، ووليها لعلي ثم عزله بمحمد بن أبي بكر(١).

٦- عمارة بن شهاب على الكوفة.

٧- قثم بن العباس على المدينة المنورة، سنه ٣٧هـ على مكة والطائف(٢).

٨- جعدة بن هبيرة المخزومي، ثم خليد بن قرة اليربوعي على خراسان(٣).

٩- عبدالله بن عباس كان واليا لعلي على البصرة، وكان أبو الأسود الدؤلي على قضائها، وفي قول ولى عبدالله بن عباس على القضاء في البصرة عبدالرحمن بن يزيد الحُدّاني، وكان أخا المهلب بن أبي صفرة لأمه، وبقي قاضيا عليها أيام علي بن أبي طالب، وطائفة من عمل معاوية حتى قدم زياد فعزله(٤)، وقال أبو عبيده: كان ابن عباس يفتي الناس ويحكم بينهم(٥)، وإذا خرج ابن عباس عن البصرة استخلف أبا الأسود، فكان هو المفتي، والقاضي يومئذ يدعى المفتي، فلم يزل كذلك حتى قتل علي سنة أربعين، ونقل عن أبي الأسود أقضية طريفة، لما خرج أمير المؤمنين علي من المدينة إلى البصرة ولى عليها عبدالله بن عباس(٦).

١٠- سعيد بن نمران الهمذاني الذي عينه علي لما قدم الكوفة، ثم عزله، ثم استقضاه مصعب بن الزبير على الكوفة فقضى ثلاث سنوات، ثم عين ابن الزبير عبدالله بن عتبة بن مسعود(٧).

١١- عبيدة السلماني، محمد بن حمزة الذي عينه علي على قضاء الكوفة بعد عزل سعيد الهمذاني، وقال له: اقضوا كما كنتم تقضون، ثم عزله وعين شريحا،

---

(١) تاريخ الطبري (٥/٥٨٩).
(٢) تاريخ الطبري (٦/٧١).
(٣) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٥١.
(٤) أخبار القضاة (١/٨٨، ٢٨٩).
(٥) أخبار القضاة (١/٢٨٨).
(٦) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٥١.
(٧) أخبار القضاة (٢/٣٩٦،٣٩٧).

وقال: الشعبي: كان شريح أعلم الناس بالقضاء، وكان عبيدة يوازي شريحا في القضاء، وله أقضية طريفة، وكان من علماء الكوفة المشهورين، وكان شريح يستشيره ويرجع إليه(١)

١٢- محمد بن يزيد بن خليدة الشيباني، عينه علي قاضيا على الكوفة، وله أقضية فيها(٢).

وقد كان قضاة علي في الأمصار هم ولاته على البلدان المختلفة لأن ولايتهم كانت عامة تشمل الحكم والإدارة وإقامة الحدود والإمامة والقضاء وجباية الصدقات وغيرها(٣)، وكان علي رضي الله عنه يطلب من ولاته التحري في تعيين القضاة، مما يدل على أنه خول لهم تعيين القضاة في البلدان التابعة لولاياتهم، مع أن الولاة - في الغالب - هم قضاة الأمصار التي يقيمون فيها، إلا أنه ورد ذكر أسماء عدد من قضاة الأمصار في عهد علي كما مر معنا، ويبدو أن ولاة الأمصار كان لهم الحق في النظر في المظالم التي يرفعها الناس ضد أحكام القضاء، وبالدرجة الأولى التي حكم فيها قضاة ولوا من قبلهم وليس من قبل الخليفة، كما كان لهم النظر في المظالم الأخرى من قبل قضاة البلدان المعينين من قبل الخليفة بحكم عموم ولايتهم(٤)،إلا أنهم كانوا يرجعون إلى الخليفة في مثل هذه القضايا، ومن المعروف أن الخلفاء كانوا يفتحون أبوابهم لمن يجأر بالشكوى سواء كانت الشكوى ضد الولاة أو ضد القضاة أو عمال الخراج أو غيرهم(٥).

رابعًا: الأسلوب القضائي عند أمير المؤمنين علي، ونظرته للأحكام الصادرة قبله، والمؤهلين للقضاء ومكانة ومجانية الحصول على الحكم:

١- إبقاؤه على أسلوب القضاء:

يظهر أن عليًّا بن أبي طالب رضي الله عنه كان ينوي إدخال بعض التعديلات في أسلوب

---

(١) طبقات ابن سعد (٦/ ١٠) أخبار القضاة (٢/ ٣٩٩ ـ ٤٠١).
(٢) أخبار القضاة (١/ ٣٩٥) .
(٣) قضاء أمير المؤمنين، عبدالله بن عثمان ص ٢٩٠.
(٤) الأحكام السلطانية ص ٧٧ للماوردي.
(٥) الولاية على البلدان (٢/ ٩٣).

القـضـاء وأصـول المحاكـمـات بما يتناسب مع الـتطورات الجـديدة التي طرأت على المجتمع، إلا أنه أرجأ ذلك إلى أن تستقـر الأمور، فقد أثر عنه أنه ﵁ قال: اقضوا كما تقضون حتى تكونوا جماعة، فإني أخشى الاختلاف[١].

٢- عدم نقضه الأحكام الصادرة قبله:

وحرصا على استقرار الأمور فإن أمير المؤمنين كان يرى بأنه لا يحق للقاضي أن ينقض حكما أصدره قاض آخر، وقد كان هو ﵁ كتب الكتاب بين أهل نجران وبين النبي ﷺ، فكثروا في عهـد عمر حتى خافهم على الناس، فـوقع بينهم الاختلاف، فـأتوا عمـر، فـسألوه البـدل، فـأبدلهم، ثم ندمـوا، ووضع عليهم شـيـئا فـأبوه، فاستقالوه، فـأبى أن يقيلهم، فلما ولي عـلي أتوه فقالوا يا أمـير المؤمنين شفـاعتك بلسانك وخطك بيمينك، فقال علي: ويحـكم إن عمر كان رشيد الأمر[٢]، ولن أرد قضاء قضى به عمر[٣].

٣- الأهلية للقضاء:

القضاء من الولايات العـامة، ولذلك يشترط في القاضي، يشتـرط فيمن تكون له ولاية عامة على المسلمين من العقل والبلوغ والإسـلام، ويشترط في القاضي أن يكون عفيفا عما في أيدي الناس، حليما لا تثـيره الكلمة، ولا يغضبه التصرف النابي، عالما بأحكام الشريعـة، وبناسخاها ومنسوخـها، فقد قـال علي بن أبي طالب لقاض: هل تعلم الناسخ من المنسـوخ؟ قال: لا، قـال: هلكت وأهلكت[٤]، وإنما سأله علي عن الناسخ والمنسوخ لأن معرفته ليس بالأمر السهل في ذلك العصر، ويشترط فيه أن يكون عالما بما قـضى به القضاة السـابقون، حتى لا يخرج عن خـطهم في القضاء، حسـما لفوضى الأحكام، وأن يكون متواضعا لا يرى غضاضة في استشارة ذوي العلم والعقل الراجح، لأن هذه الشورى تبعده عن الخطأ في الأحكام، وأن يكون جريئا في الحق لا يتأخر عن النطق بالحكم به ولو أغضـب ذوي السلطان، وقد جمع ذلك كله قول علي

---

(١) مصنف عبدالرزاق (١١/ ٣٢٩).
(٢) سنن البيهقي (١٠/ ١٢٠).
(٣) المغني (٩/ ٥٧).
(٤) سنن البيهقي (١٠/ ١١٧).

ﷺ: لا ينبغي أن يكـون القاضي قاضـيا حتى تكون فـيه خـمس خصال: عـفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوي الألباب، لا يخاف في الله لومة لائم[١].

٤- مكان القضاء:

على القاضي أن يختار مكان جلوسه بين المتخاصـمين في وسط المدينة بحيث لا يشق على أحـد الوصول إليـه، ولذلك كـان علي ﷺ يأمر شـريحا - القـاضي - بالجلوس في المسجد الأعظم[٢]، ليسر الوصول إليه[٣].

٥- مجانية الحصول على الحكم:

لما كان إقامة العدل بين الناس من أهداف الدولة الإسلامـية، فإن الفقه الإسلامي يقضي بأن لا يقام أي حائل بين صاحب الحق وبين الحـصول على حقه، ولذلك فإن المتقاضـيين لا يدفعان للقـاضي ولا للدولة شيئا من المال للحـصول على الحكم الذي يفصل الخلاف بينهما، بل الدولة الإسلامية هي التي تتكفل بنفقات الحاكم والمحكمة، وقد كان علي ﷺ يعطي شـريحا على القضاء رزقا وقد رزقـه حين ولاه القضاء في الكوفة كل شهر خمسمائة درهم[٤].

٦- بذور المحاماة:

في العهد الراشدي ظهرت بذور المحامـاة، فكان علي ﷺ يوكل أخاه عقيلا في المخاصمة، ولما أسن عقيل، وكل عبـد الله بن جعفر بن أبي طالب عنه أمام القضاء، وكان يقول: ما قضى لوكيلي فلي، وما قضى على وكيلي فعلي[٥].

خامسًا: ما يجب على القاضي:

لكي يحقق القاضي العدل في الأحكام لا بد له من مراعاة ما يلي:

١- دراسة القضية المعروضة عليه دراسة واعية:

ولا يجوز له أن يتسـرع في إصدار الحكم قبل الانتهـاء من الدراسة، والاطمئنان

---

(١) المغني (٩/ ٤٣).
(٢) مسند زيد (٤/ ١٣٧)، موسوعة فقه علي بن أبي طالب ص ٥٠٦.
(٣) موسوعة فقه علي بن أبي طالب ص ٥٠٦.
(٤) موسوعة فقه علي بن أبي طالب ص ٥٠٦.
(٥) أصول المحاكمات الشرعية ص ٧٠، تاريخ الفقهاء في الإسلام ص ١٣٢.

إلى الحكم، ولذلك قال علي لشريح: لسانك عبدك ما لم تتكلم، فإذا تكلمت فأنت عبده، فانظر ما تقضي وفيم تقضي وكيف تقضي(١).

٢- المساواة بين الخصوم:

فقد نزل على علي ضيف، فكان عنده أياما، فأتى في خصومه، فقال له علي: أخصم أنت؟ قال: نعم، قال: فارتحل عنا، فإنا نهينا أن ننزل خصما إلا مع خصمه(٢).

٣- عدم الصياح بالمتخاصمين:

ولى علي بن أبي طالب ﷺ أبا الأسود الدؤلي القضاء، ثم عزله، فقال: لم عزلتني وما خنت ولا جنيت؟ فقال: إنما رأيتك يعلو كلامك على الخصمين(٣).

٤- الابتعاد عن المؤثرات ومجاهدة النفس:

سواء كانت هذه المؤثرات قرابة، أو مالا، أو بغضا أو . . . فقد جاء جعدة بن هبيرة إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من نفسه، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك، فتقضي لهذا على هذا؟ قال فلمزه علي وقال: هذا شيء لو كان لي لفعلت، ولكن إنما ذلك شيء لله(٤).

٥- الشورى:

وعلى القاضي أن يستشير ذوي العلم والرأي لئلا يفلت منه حق، وقد كان علي ﷺ أحد أعضاء الشورى الذين يحرص الخلفاء على استشارتهم عندما تعرض عليهم مشكلة، فقد روى الخصاف في أدب القاضي أن عثمان بن عفان كان إذا جاءه الخصمان قال لهذا: ادع عليا، وقال لهذا: ادع طلحة والزبير ونفرا من أصحاب رسول الله، فإذا جاؤوا إليه قال لهما تكلما، فإذا تكلما يقبل عليهم فيقول ماذا تقولون؟ فإن قالوا ما يوافق قوله قضى عليهما ولا ينظرهم بعد(٥).

---

(١) كنز العمال ١٤٤٣٣.

(٢) كنز العمال برقم ١٤٤٢٩، مصنف عبد الرزاق (٨/ ٣٠٠).

(٣) المغني (٩/ ١٠٤).

(٤) فقه علي بن أبي طالب، قلعجي ص ٥٠٨.

(٥) شرح أدب القاضي للخصاف (١/ ٣٠٥) موسوعة علي بن أبي طالب ص ٥٠٨.

المبحث الثالث: من فقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

أولا: في العبادات:

لم يأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جهدا في بيان أحكام العبادات للناس، لما يتمتع به من غزارة في العلم وفقه في الدين، وما بينه للناس من أحكام العبادات يحتاج إلى سفر ضخم[١]، ولكن نشير إلى مجموعة في الأحكام في هذا الكتاب على النحو التالي:

أحكام في الطهارة:

١- يغسل بول الجارية وينضح من بول الغلام ما لم يطعم:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يغسل من بول الجارية، وينضح من بول الغلام ما لم يطعم[٢]. والدليل على ذلك، لما بال الحسين بن علي في حجر النبي ﷺ قالت لبابة بنت الحارث: يا رسول الله، أعطني ثوبك، والبس ثوبا غيره. فقال: «**إنما ينضح من بول الذكر، ويغسل من بول الأنثى**»[٣].

٢- نوم الجالس وحكمه في نقض الوضوء:

أخرج عبدالرزاق في مصنفه بسنده أن عليا، وابن مسعود، والشعبي قالوا في الرجل ينام وهو جالس: ليس عليه الوضوء[٤] ودل على ذلك حديث رسول الله ﷺ: «**العين وكاء السه، فمن نام فليتوضأ**»[٥].

٣- غسل المذي والوضوء منه:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كنت رجلا مذاء فأمرت رجلا[٦]، أن يسأل النبي ﷺ - لمكان ابنته - فسأله، فقال: «**توضأ، واغسل ذكرك**»[٧].

---

(١) انظر على سبيل المثال: موسوعة فقه علي بن أبي طالب، محمد قلعجي، فقه الإمام علي، أحمد طه.

(٢) صحيح سنن أبي داود للألباني (١/ ٧٥) صحيح موقوف.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٨٥) حسن صحيح.

(٤) المصنف (١/ ١٣١).

(٥) صحيح سنن أبي داود للألباني (١/ ٤١).

(٦) الرجل هو المقداد كما في رواية البخاري.

(٧) مسلم، كتاب الحيض (١/ ٢٤٧).

٤- قراءة القرآن - من دون المصحف - على كل حال ما لم يكن جنباً:

قال علي بن أبي طالب ﷺ: كان رسول الله ﷺ يقرئنا القرآن عل كل حال ما لم يكن جنبا[١]، وعن عامر الشعبي قال: سمعت أبا الغريف الهمداني يقول: شهدت علي بن أبي طالب بال ثم قال: اقرؤوا القرآن ما لم يكن أحدكم جنبا، فإذا كان جنبا فلا، ولا حرفا واحدا[٢].

٥- وطء الحائض:

سأل عمر ﷺ عليًّا ما ترى في رجل وقع على امرأته وهي حائض؟ قال: ليس عليه كفارة إلا أنه يتوب[٣]، وقد أجمعت الأمة على حرمة وطء الحائض دون خلاف[٤]، لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٦- مباشرة الحائض:

فقد سئل علي ﷺ مالك من امرأتك إذا كانت حائضا؟ قال ما فوق الإزار[٥]، ودليله في ذلك عن عائشة ﷺ قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضا أمرها رسول الله فتأتزر بإزار ثم يباشرها[٦].

أحكام في الصلاة:

١- لا يقرأ القرآن راكعا أو ساجداً:

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «نهاني رسول الله عن قراءة القرآن وأنا راكع أو ساجد»[٧].

---

(١) مسند أحمد (٢/ ٥١) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٢) مصنف عبدالرزاق (١/ ٣٣٦).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١/ ٥٩).
(٤) بداية المجتهد (١/ ٥٧)، المجموع (٢/ ٣٥٩).
(٥) فقه الإمام علي بن أبي طالب(١/ ١٥٥).
(٦) مسلم (١/ ١٦٦).
(٧)مسلم (١/ ٣٤٩).

٢- من لم يصل فهو كافر:

سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: يا أمير المؤمنين ما ترى في امرأة لا تصلي؟ قال: من لم يصل فهو كافر[١]، قال عبدالله بن شقيق: لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، ولأنها عبادة يدخل بها في الإسلام، فيخرج بتركها منه كالشهادة[٢]، ويؤيد هذا الحكم، قول رسول الله ﷺ: «**إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[٣]. قال الإمام النووي: تارك الصلاة إن كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين، خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركه تكاسلا مع اعتقاد وجوبها - كما هو حال كثير من الناس - فقد اختلف العلماء فيه، فذهب مالك والشافعي (رحمهما الله) والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر، بل يفسق، ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدا، كالزاني المحصن، ولكنه يقتل بالسيف، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر، وهو مروي عن علي بن أبي طالب ﷺ، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ وبه قال عبدالله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة، والمزني صاحب الشافعي أنه لا يكفر ولا يقتل، بل يعزر، ويحبس حتى يصلي[٤].

٣- إعادة الصلاة في الوقت:

إذا أعاد المصلي صلاته في الوقت لفضيلة الجماعة فإن[٥] الأولى فرضه والمعادة نافلة عند علي، نقل ذلك عن ابن قدامة، وعن الحارث عن علي في الذي يصلي وحده ثم يصلي في الجماعة، قال: صلاته الأولى[٦]، أي الثانية نافلة له، ودليله ما رواه أبو ذر حيث قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**كيف أنت إذا كانت عليك أمراء**

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١١/٤٧)، كنز العمال (٨/١٣)
(٢) المغني (٢/ ٤٤).
(٣) مسلم، ك الإيمان (١/٨٨).
(٤) شرح صحيح مسلم (٢/ ٧٠)، المغني (٢/ ٤٤٢-٤٤٧).
(٥) المغني (٢/١١٣).
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٢/٢٧٦)، كنز العمال ٢٢٨٣٣.

يميتون الصلاة أو يؤخرون الصلاة عن وقتها، فإن أدركتها معهم فصل فإنها لك نافلة»[١]، وجه الدلالة أنه سمى التي يصليها جماعة نافلة[٢] وإذا أعاد المغرب شفعها بركعة عند علي، فعن الحارث عن علي إذا أعاد المغرب شفع بركعة[٣].

٤- قضاء الفوائت:

من فاتته صلاة فيجب عليه قضاؤها، ويستحب أن يقضيها على الفور عند علي، وقد قال علي: إذا نام الرجل عن صلاة أو نسي فليصل إذا استيقظ أو ذكر[٤]، وعلى هذا إجماع المسلمين دون خلاف[٥]، والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها، فإن الله يقول: **«أقم الصلاة لذكري»**[٦].

٥- صلاة التراويح:

عن أبي عبدالرحمن السلمى أن عليًا قام بهم في رمضان[٧]، وعن إسماعيل بن زياد قال: مر علي على المساجد وفيها القناديل في شهر رمضان فقال نور الله على عمر قبره، كما نور علينا مساجدنا[٨]، وعلى هذا إجماع مذاهب أهل السنة[٩]، والحجة في ذلك ما رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: **«من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»**[١٠]، وجه الدلالة أن التراويح من القيام فهو سنة[١١]، والجماعة في التراويح أفضل عند علي وكان هو يصليها جماعة[١٢]، ويجعل للرجال

---

(١) مسلم، ك المساجد رقم ٢٤٠.
(٢) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ١٧٧).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٧٦).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٦٤).
(٥) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ١٨١).
(٦) مسلم، ك المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٤٧٧) رقم ٦٨٤.
(٧) المغني (٢/ ١٦٩)، مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٣٩٥).
(٨) المغني (٢/ ١٦٩).
(٩) بداية المجتهد (١/ ٢١٤)، المغني (٢/ ١٦٥).
(١٠) مسلم رقم ٧٥٩.
(١١) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ٢٨٥).
(١٢) المغني (٢/ ١٦٨).

إمامًا وللنساء إمامًا، فعن عرفجة الثقفي قال: كان علي بن أبي طالب يأمر الناس بقيام شهر رمضان ويجعل للرجال إماما وللنساء إماما، قال عرفجة فكنت أنا إمام النساء[١]، وصلاة التراويح لها دليل في أصلها من هدى النبي ﷺ، فعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ: «خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون، فاجتمع أكثر منهم، فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله فصلى الناس بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فإنه لم يخف علي مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها، فتوفى رسول الله والأمر على ذلك»[٢].

٦- صلاة العيد في المسجد بالشيوخ والضعفاء:

لما تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخلافة وصار بالكوفة، وكان الخلق بها كثيرا، قالوا: يا أمير المؤمنين، إن بالمدينة شيوخا وضعفاء يشق عليهم الخروج إلى الصحراء، فاستخلف علي بن أبي طالب رجلا يصلي بالناس العيد في المسجد، وهو يصلي بالناس خارج الصحراء، ولم يكن هذا يفعل قبل ذلك، وعلي من الخلفاء الراشدين، وقد قال النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**»[٣]، فمن تمسك بسنة الخلفاء الراشدين فقد أطاع الله ورسوله[٤].

٧- تغسيل الرجل زوجته:

يجوز للرجل أن يغسل جنازة زوجته عند علي إذ إنه غسل زوجته فاطمة رضي الله عنها[٥]، وعن أسماء بنت عميس قالت: أوصت فاطمة إذا ماتت ألا يغسلها إلا أنا وعلي، قالت: فغسلتها أنا وعلي[٦]، وحكي إجماع الصحابة على ذلك لأن ذلك اشتهر فيهم

(١) المجموع (٤/ ٣٤)، مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٢٢٢).
(٢) البخاري رقم ٢٠١٢.
(٣) سنن الترمذي في العلم ٢٦٧٦ حسن صحيح.
(٤) الفتاوى (٢٤/ ١١٣).
(٥) السيل الجرار (١/ ٣٤٤) المبسوط (٢/ ٧١).
(٦) مصنف عبدالرزاق (٣/ ٤١٠)، المحلى (٥/ ١٧٥).

ولم ينكروه[١]، وبه قال جمهور العلماء والحجة لهم لقول رسول الله ﷺ لعائشة: **«ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك»**[٢].

٨- الكفن من مال الميت:

يحسب تكاليف تكفين الميت من رأس ماله إن كان له مال عند علي[٣]، فعن عبدالله بن ضميرة عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه أنه قال: الكفن من رأس المال[٤]، والحجة في ذلك أن مصعب بن عمير قتل يوم أحد ولم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه، فقال رسول الله ﷺ: **«ضعوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجليه الإذخر»**[٥]. وجه الدلالة، أنه لو كان واجب على المسلمين لأخذ له من المسلمين الحاضرين ما يتم به كفنه[٦].

٩- كفن الرجل والمرأة وعدم المغالاة فيه:

يسن أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب والمرأة في خمسة أثواب عند علي، نقل ذلك عنه الكاساني وغيره[٧]، ويكره المغالاة في الكفن وهو الزيادة على الثلاثة للرجل والخمسة للمرأة عند علي[٨]، فقد قال أمير المؤمنين علي: كفن المرأة خمسة أثواب وكفن الرجل ثلاثة ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[٩].

١٠- غسل الشهيد وكفنه:

لا يغسل الشهيد ولا يكفن عند علي، فقد نقل ذلك عنه الكاساني وغيره[١٠]،

---

(١) المغني (٢/٢٥٢)، نيل الأوطار (٤/٥٨).
(٢) سنن ابن ماجه رقم ١٤٦٤ إسناده صحيح.
(٣) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/٣٠٥).
(٤) الطبراني في الأوسط (٤/٦٧) إسناده ضعيف.
(٥) مسلم (٢/٦٤٩) رقم ٩٤٠.
(٦) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/٣٠٦).
(٧) البدائع (٢/٧٦٦) المبسوط (٢/٧٢).
(٨) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/٣٠٧).
(٩) البدائع (٢/٧٦٦) المبسوط (٢/٧٢).
(١٠) البدائع (٢/٢٨٧)، فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/٣٠٦).

وروي عنه أنه لم يغسل من قتل معه في قتال مع مخالفيه ولم يأمر بتكفينهم، بل دفن عمارا ولم يغسله[١]، وهذا قول جمهور أهل العلم إلا الحسن البصري وسعيد ابن المسيب لقولهما أن الميت يجنب[٢].

ـ أحكام متعلقة بالزكاة:

١ ـ لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول:

بين أمير المؤمنين علي أن حولان الحول شرط في وجوب الزكاة، لما ورد عنه ﷺ قال: ليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول[٣]، والحول شرط لوجوب الزكاة في النقود والمواشي، وأموال التجارة، وليس بشرط في الزرع، وذلك إجماع لا خلاف فيه[٤].

٢ ـ نصاب الذهب والفضة ومقدار الزكاة فيهما:

بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن نصاب الذهب عشرون مثقالا، وليس فيما دونه زكاة، وما زاد فيحسبه ، حيث يقول: ليس فيما دون عشرين دينارا شيء وفي عشرين نصف دينار، وفي أربعين دينار، فما زاد بالحساب[٥]، وقال عن نصاب الفضة ليس في أقل من مائتي درهم زكاة[٦]، وقال: فإذا بلغ مائتي درهم ففيه خمسة دراهم، وإن نقص من المائتين فليس فيه شيء، وإن زاد على المائتين فبحساب[٧].

٣ ـ نصاب الإبل ومقدار الزكاة فيها:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : في خمس من الإبل شاة إلى تسع، فإن زادت واحدة ففيها شاتان إلى أربع عشرة، فإن زادت واحدة ففيها ثلاث شياه إلى تسع عشرة، فإن زادت واحدة ففيها أربع شياه إلى أربع وعشرين، فإن زادت واحدة

---

(١) المغني (٢/ ٥٣٤)، فقه الإمام علي (١/ ٣٠٦).
(٢) البدائع (٢/ ٨٠٦)، المغني (٢/ ٥٢٩).
(٣) مسند أحمد (٢/ ٣١١) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٤) موسوعة فقه الإمام علي قلعجي ص ٢٩٥.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ١١٩).
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ١١٧).
(٧) المحلى (٦/ ٦١، ٥٩)، المجموع (٦/ ١٦).

ففيها خمس شياه[١]، فإن زادت واحدة ففيها بنت مخاض أو لبون (ذكر أكبر منها بعام) إلى خمس وثلاثين، فإن زادت واحدة ففيها بنت لبون إلى خمس وأربعين، فإن زادت واحدة ففيها حقة «طرقة الفحل» إلى ستين، فإن زادت واحدة ففيها بنتا لبون إلى تسعين، فإذا كثرت الإبل ففي كل خمسين من الإبل حقة، ولا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع[٢].

٤ - الأصناف التي تجب فيها الزكاة من الزروع:

الأصناف التي تجب فيها الزكاة عند علي هي: الحنطة والشعير والتمر والزبيب، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره[٣]، وقد قال علي: الصدقة عن أربع: من البر فإن لم يكن بر فتمر، فإن لم يكن تمر فزبيب، فإن لم يكن زبيب فشعير[٤].

٥ - عدم الزكاة في الخضروات والفواكه والعسل:

قال أمير المؤمنين علي: ليس في الخضر صدقة[٥]، وفي رواية ليس في الخضر والبقول صدقة[٦] وهو قول جمهور العلماء[٧] ولا زكاة في الفواكه عند علي، فعن أبي إسحاق عن علي قال: ليس في التفاح وما أشبه صدقة[٨]، وعن عاصم بن ضمرة عن علي قال ليس في الخضر صدقة البقل والتفاح والقثاء[٩]، وهو قول كل من قال باقتصار وجوب الزكاة على الأصناف الأربعة، والحجة لهم لدخولها تحت حكم الخضروات لاشتراكها معها في عدم البقاء والادخار[١٠] وأما زكاة العسل فهي غير واجبة عند علي حيث قال: ليس في العسل زكاة[١١].

---

(١) عند ابن قدامة في المغني (٢/ ٥٧٩) من ٢٥ إلى ٣٥ فيها بنت مخاض.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ١٢٢).
(٣) المحلى (٥/ ٢١٢)، فقه الإمام علي (١/ ٣٤٦).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٤٣٨).
(٥) مصنف عبد الرزاق ٧١٨٨، جمع الجوامع (٢/ ١٥٧).
(٦) سنن البيهقي نقلا عن فقه الإمام علي (١/ ٣٤٧).
(٧) فقه الإمام علي (١/ ٣٤٧).
(٨) جمع الجوامع (٢/ ٩٥) فقه الإمام علي (١/ ٣٤٨).
(٩) مصنف عبد الرزاق ٧١٨٨، فقه الإمام علي (١/ ٣٤٨).
(١٠) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ٣٤٥).
(١١) جمع الجوامع (٢/ ١٥٧)، فقه الإمام علي (١/ ٣٤٥).

٦ - صرف الزكاة لصنف واحد:

يجوز إعطاء الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية، أو لشخص واحد يغنون بها عند علي، فقد قال: لا بأس أن يبعث الرجل الصدقة في صنف واحد[١]، وروي عنه أنه أتي بصدقة فبعثها إلى أهل بيت واحد[٢].

٧ - إعطاء الزكاة للأصول والفروع:

قال أمير المؤمنين علي: ليس لولد ولا لوالد حق في صدقة مفروضة، ومن كان له ولد أو والد فلم يصله فهو عاق[٣] وحكي إجماع العلماء على هذا، وحمل من خالفه على صدقة التطوع والحجة لهم؛ لأن منفعتها تعود على دافع الزكاة لأنها تغنيهم عن النفقة فلا يدفعها إليهم، وقد يتخذ ذلك حيلة للتخلص من دفع الزكاة، ثم إن الزكاة والنفقة واجبان مستقلان لا يحل أحدهما مكان الآخر كالصلاة والصوم وإن الزكاة حق لله تعالى فهي عبادة، وأما النفقة فهي حق العباد، وهي صلة القرابة[٤].

- أحكام متعلقة بالصيام:

١- ثبوت صيام رمضان برؤية الواحد العدل:

يثبت دخول شهر رمضان عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بخبر الواحد العدل، ويلزم الناس بصيامه، فعن فاطمة بنت الحسين أن رجلا شهد عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه على رؤية هلال رمضان فصام، وأحسبه قال وأمر الناس بالصيام[٥] وهذا الحكم مبني على ما ثبت عن رسول الله ﷺ : **«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُبِّيَ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا»**[٦]، قال النووي: المراد رؤية بعض المسلمين، ولا يشترط رؤية كل إنسان، بل يكفي جميع الناس رؤية عدلين وكذا عدل

---

(١) فقه الإمام علي (١/ ٣٥٢) نقلا عن سنن البيهقي.
(٢) البدائع (٢/ ١٠٤)، فقه الإمام علي (١/ ٣٥٢).
(٣) سنن البيهقي نقلا عن فقه الإمام علي (١/ ٣٥٥).
(٤) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ٣٥٥).
(٥) المجموع (٦/ ٣١٥)، المغني (٣/ ٩٠)، موسوعة فقه الإمام علي ص ٤٢٠.
(٦) مسلم (٢/ ٧٥٩).

على الأصح، وأما الفطر فلا يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء إلا أبا ثور فجوزه بعدل[١].

٢- صيام الجنب:

يجوز أن يصوم الجنب أي يؤخر الغسل حتى يصبح ثم يغتسل ويتم صومه عند علي نقل ذلك عنه ابن قدامة وعن الحارث عن علي قال: إذا أصبح الرجل وهو جنب فأراد أن يصوم فليصم إن شاء[٢]، والدليل على ذلك ما ورد عن عائشة وأم سلمة: «أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم»[٣].

٣- الإفطار للشيخ الكبير:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] قال: الشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصوم يفطر ويطعم مكان كل يوم مسكينا[٤].

٤- مكان الاعتكاف:

عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال لا اعتكاف إلا في مسجد جماعة[٥]، وفي لفظ لا اعتكاف إلا في مصر جامع[٦]، ولعله قصد بذلك أن الاعتكاف لا يقام إلا في مسجد لمصر الجامع الذي تقام فيه الجمعة[٧].

٥- ما يجوز للمعتكف:

قال علي: إذا اعتكف الرجل فليشهد الجمعة وليعد المريض وليشهد الجنازة وليأت أهله وليأمرهم بالحاجة وهو قائم[٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم (٧/ ١٩٠).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٨١)، المغني (١/ ١٣٧).
(٣) البخاري (٢/ ٢٣٢).
(٤) تفسير الطبري (٢/ ٨١).
(٥) مصنف عبد الرزاق ٨٠٠٩.
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٩١).
(٧) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ٣٨٦).
(٨) مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٨٧)، جمع الجوامع (٢/ ١٤٠).

من أحكـــام الحـــج:

١- تقبيل المحرم امرأته:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: من قبل امرأته وهو محرم فليهرق دما[(١)].

٢- قتل المحرم للحيوان الصائل:

عن مجاهد عن علي في الضبع إذا عدا على المحرم فليقتله فإن قتله قبل أن يعدو عليه فعليه شاة[(٢)]، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] لأنه إن لم يقتـله قتله فيـتحـقق منه الاضطرار، ثم إنه انقلب بذلك حيوانًا شريرًا فليخف بالمؤذيات التي يجوز قتلها[(٣)].

٣- قتل الغراب:

يجوز للمحـرم قتل الغراب عند علي، فقد قال: يقـتل المحرم الغراب[(٤)]، ودليل ذلك قـول رسول الله ﷺ: **«خـمس فـواسق يقـتلن في الحـرم، الفأرة، والعـقـرب، والغراب، والحدأة، والكلب العقور»**[(٥)].

٤- الشك في الطواف:

قـال أمـير المؤمـنين: إذا طفت في البـيت فلم تدر أتممت أو لم تتم، فـأت مـا شككت فإن الله لا يعذب على الزيادة[(٦)].

٥- النسيان في الطواف:

إذا نسى الرجل فطاف أشواطا زائدة على المسنون يضـيف إليها ما يبلغه مـجموع أشواط طوافين عند علي، قال علي في الرجل ينسى فيطوف ثمانيـة فليرد عليها ستة حتى تكون أربعة عشر يصلى أربع ركعات[(٧)].

---

(١) فتح العزيز، شرح الوجيز للرافعي الهامش المجموع (٧/ ٤٨٠).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٦).
(٣) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ٤٠٣).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٩٤).
(٥) سنن الترمذي (١/ ١٦٦) حسن صحيح.
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٩٦).
(٧) مصنف عبد الرزاق رقم ٩٨١٤.

٦- النيابة للحج:

من استطاع بماله الحج ولم يستطع ببدنه لشيخوخة أو مرض يجب عليه أن ينيب عنه غيره عند علي، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره[١]، فقد قال في الشيخ الكبير، أنه يجهز رجلاً. بنفقته فيحج عنه[٢]، ودليل ذلك ما روى ابن عباس أن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله ﷺ: «إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج وهو لا يستطيع أن يستوى على ظهر بعيره» فقال النبي ﷺ: «فحجي عنه»[٣]، وهذا يدل على أن الاستطاعة بالمال كافية لوجوب الحج على المكلف عند علي ومن معه، أما الاستطاعة بالبدن فيكفي أن يستطيع بغيره إذا وجد سواء أكان بمؤنة أو إجارة أو غيرهما[٤].

٧ - الشك في عدد الرميات:

إذا شك الحاج في عدد رمي الجمرات يعيد ما شك فيه عند علي، فعن أبي مجلز أن رجلا يسأل ابن عمر فقال: إني رميت الجمرة ولم أدر رميت ستا أو سبعا، قال: أنت وذاك الرجل يريد عليًا، فذهب فسأله فقال: أما أنا لو فعلت في صلاتي لأعدت الصلاة، فجاء فأخبره بذلك، فقال صدق، أو أحسن، قال الشيخ وكأنه أراد والله أعلم لأعدت المشكوك في فعله، كذلك في الرمي يعيد المشكوك في رميه[٥].

- بعض الأحكام التي ألحقت بالعبادات:

١- إدراك الميتة قبل موتها:

إذا أدرك الحيوان الآيل إلى الموت قبل موته بوقت قصير فذبح جاز أكله، وعلامة حياته قبل ذبحه أن يتحرك منه عضو بعد ذبحه عند علي[٦]، فقد قال: إذا وجد الموقوذة، والمتردية والنطيحة وما أصاب السبع فوجدت تحريك يد أورجل فذكها وكل[٧]، ودليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ

---

(١) المحلى (٧/ ٦١)، المغني (٣/ ٢٢٨).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) مسلم (٢/ ٩٧٤) رقم (١٣٣٥).
(٤) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ٤٢٠).
(٥) سنن البيهقي (٥/ ١٤٩) نقلا عن فقه الإمام علي (١/ ٤١٨).
(٦) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ٤٥٦).
(٧) المحلى (٧/ ٤٥٨).

وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣] ووجه الدلالة: أن قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ استثناء مما سبقه، أي إلا ما أدركتم زكاته فيحل أكله[١].

٢ ـ ذبائح نصارى العرب:

لا يحل أكل ذبائح نصارى العرب استثناء من عموم النصاري عند علي، نقل ذلك عن الطبري وغيره[٢]، وعن عبيدة السلماني قال: لا تؤكل ذبائح نصارى العرب فإنهم لا يتمسكون من النصرانية إلا بشرب الخمر[٣]، وفي رواية: لا تأكلوا ذبائح نصارى بني تغلب فإنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر[٤]، وقد استدل على ذلك بعدم التزامهم بتعاليم النصرانية في تحليل ما حللوا وتحريم ما حرموا فلا يعدون منهم، ولكن الله تعالى حين أحل ذبائحهم أحلها في وقت كان النصارى منحرفين عن أصل تعاليم النصرانية سواء في عقيدتها، أو في أحكامها فلم يمنع ذلك من تحليل ذبائحهم، فهذا ما عليه جمهور الصحابة والفقهاء[٥].

٣ ـ ذبيحة الفخر:

يحرم أكل ما ذبح فخراً عند علي ﷺ، ففي الجارود بن أبي سبرة قال: كان رجل من بني رياح يقال له ابن وشيل ـ وهو سحيم ـ قال: وكان شاعرا نافرا غالبه أبا فرزدق الشاعر بماء بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من إبله وهذا مائة من إبله إذا وردت، فلما وردت الإبل الماء قاما إليها بالسيوف فجعلا يكسعان عراقيبهما، فخرج الناس على الحمرات[٦] يريدون اللحم، وعلي بالكوفة، فخرج على بغلة رسول الله ﷺ، وهو ينادي أيها الناس: لا تأكلوا من لحومها فإنها أهل بها لغير الله قال ابن حزم ولا يعلم لعلي في هذا مولى علي عن علي قال: «إن رسول الله قال

---

(١) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ٤٥٦).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٥٦)، تفسير القرطبي (٦/ ٧٨).

(٣) مصنف عبد الرزاق ١٠٠٣٥، تفسير الطبري (٦/ ٦٥).

(٤) مصنف عبد الرزاق ١٠٠٣٤، كنز العمال ١٥٦٥١.

(٥) تفسير الطبري (٥/ ٦٥)، بداية المجتهد (١/ ٤٦٥).

(٦) فقه الإمام علي (١/ ٤٦٧).

لعن الله من ذبح لغير الله»[١]، وجه الدلالة أن الذبح لأجل الفخر مما أهل به لغير الله، فيشمله الحديث[٢].

٤- نجاسة البيضة داخل الدجاجة الميتة:

البيضة في بطن الدجاجة الميتة نجسة عند علي لا يجوز أكلها سواء أصلبت قشرتها أم لا نقل ذلك عنه ابن قدامة[٣].

٥- طعام المشركين والمجوس غير الذبائح:

لا بأس بأكل طعام المجوس والمشركين إذا لم يكن فيها من ذبائحهم لأن التحريم خاص بالذبائح، فقد قال أمير المؤمنين علي لا بأس بطعام المجوسي إنما نهى عن ذبائحهم[٤]، وفي رواية لا بأس بأكل خبز المجوس إنما نهى عن ذبائحهم[٥] وهو قول جمهور الفقهاء[٦].

٦- ترك الشيب أبيض:

يجوز ترك الشيب أبيض دون تغييره بحناء أو غيره عند علي نقل ذلك عنه ابن حجر وغيره[٧]، وعن الشعبي قال: رأيت عليًا أبيض الرأس واللحية قد ملأت ما بين منكبيه[٨] وعن أبي إسحاق رأيت عليًا أصلع أبيض الرأس واللحية[٩]، وعن ابن الحنفية أن عليًا اختضب الحناء مرة ثم ترك[١٠].

٧- اللعب بالنرد والشطرنج:

لعب النرد حرام عند أمير المؤمنين علي حيث قال: لأن أقلب جمرتين أحب إلى

---

(١) مسلم، ك الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله (٣/ ١٥٦٧) .
(٢) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ٤٦٨).
(٣) المغني (١/ ٧٥)، المجموع (١/ ٢٤٥).
(٤) كنز العمال ٢٥٧٦، فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ٤٧٦).
(٥) المغني (٤/ ٢٩٦).
(٦) فقه الإمام علي (١/ ٤٧٧).
(٧) المنتقى (٧/ ٢٧٠)، فقه الإمام علي (١/ ٤٩٥).
(٨) فقه الإمام علي (١/ ٤٩٥).
(٩) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٤٢٧).
(١٠) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٤٢٧).

من أن أقلب كعبين[١] وكان لا يسلم علـى أصحاب النردشـير[٢]، ودليل تحريمه قول رسول الله ﷺ: «من لعب النرد شيـر فكأنهـما صـبغ يده في لحم الخنزير ودمـه»[٣] والشطرنج محـرم عند علي أيضا نقله عنه ابن قـدامة[٤] وكان يقـول في الشطرنج هو ميسر الأعاجم[٥]، وفي رواية هو من الميسر[٦]، وعن ميسرة بن حبيب قال: مر علي ابن أبي طالب على قوم يلعبون بالشطرنج فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لأن يمس جمرا حتى يطفـأ خير له من أن يمسها[٧]، وعن عمار بن أبي عمار قال: مر علي بمجلس من مجالس تيم الله وهم يلعبون بالشطـرنج فوقف عليهم فقال: أما والله لغير هذا خلقتم أمـا والله لولا أن تكون سنة لضربت بها وجوهكم[٨] والحجة في هذا التحريم بين المتلاعبين وهو علة الميسر المحرم بنص الكتاب فيقاس عليه[٩].

٨- نكاح المتعة:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: نسخ رمضـان كل صوم ونسخ المتعة الطلاق والعدة والميراث[١٠] وحجة علي ما رواه عن النبي ﷺ «بأنه نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر»[١١].

٩- النكاح بدون ولي:

عن أبي قيس الأودي أن عليًا كان يقول: إذا تزوج بغير إذن ولي ثم دخل بها لم يفرق بينهما وإن لم يصبها فرق بينهما[١٢].

---

(١) المصدر نفسه (٨/٧٣٨).

(٢) إعلاء السنن للتهانوي (١٧/ ٤٦٤).

(٣) مسلم (٤/ ١٧٧٠) رقم ٢٢٦٠.

(٤) المغني (١٠/ ٢١٢).

(٥) إعلاء السنن للتهانوي (١٧/ ٤٦٤)، فقه الإمام علي (١/ ٥٠١).

(٦) المصدر نفسه (١٧/ ٤٦٤)، فقه الإمام علي (١/ ٥٠١).

(٧) المغني (٩/ ١٧).

(٨) سنن البيهقي نقلا عن فقه الإمام علي (١/ ٥٠٢).

(٩) فقه الإمام علي (١/ ٥٠٢).

(١٠) المصدر نفسه (٢/ ٥٠٩).

(١١) مسلم، ك النكاح (٢/ ١٠٢٧) رقم ١٤٠٧.

(١٢) مصنف عبد الرزاق (٦/ ١٩٦).

١٠ - العيوب الجسدية في المرأة:

إذا وجد الرجل فيمن تزوجها عيبا يصعب المقام معه، قال أمير المؤمنين علي إنه إذا دخل بها وجب المهر وخير بين الطلاق والإمساك، وإن لم يدخل بها فرق بينهما بدون مهر[١].

١١- نكاح الخصي:

قال أمير المؤمنين علي: لا يحل للخصي أن يتزوج فإن تزوج ولم تعلم المرأة، فرق بينهما عند علي، فقد قال: لا يحل للخصي أن يتزوج امرأة مسلمة عفيفة[٢]، ودليل ذلك أن الخصاء من العيوب المنفرة التي يصعب معه الجماع أو ينعدم فقيس على غيره من العيوب التي جاز بها التفريق[٣].

١٢ - من تزوج أختان جهلا بأنهما أختان:

من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى فظهر أنهما أختان يفارق التي تأخر زواجها عند علي، فعن ابن جريج قال: أخبرت عن علي أنه قال في رجل تزوج امرأة فأصابها ثم انطلق إلى أرض أخرى فتزوج امرأة فأصابها، فإذا هي أختها فقضى أنه يفارق الآخرة ويراجع الأولى غير أنه لا يراجع الأولى حتى تقضي هذه عدتها[٤]، وهو قول جمهور فقهاء المذاهب[٥]، والحجة لهم: أن نكاح الأولى وقع صحيحا دون الثانية، فإنه باطل لا ينعقد[٦].

١٣- تحريم وطء الزوجة في دبرها:

وطء الزوجة في دبرها حرام عند علي نقل ذلك عنه ابن قدامة[٧] فعن أبي المعتمر قال: نادى علي على المنبر فقال: سلوني فقال رجل: أتؤتى النساء في أدبارهن؟ فقال: سفلت سفل الله بك: ألم تر أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا

(١) كنز العمال ٤٥٦٦٤، مصنف عبد الرزاق ١٠٦٧٧، فقه الإمام علي (٢/ ٥٣٥).
(٢) مصنف عبد الرزاق ١٠٧١٩.
(٣) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢/ ٥٣٦).
(٤) مصنف عبد الرزاق ١٠٥١٧.
(٥) المدونة (٢/ ٢٨٠)، المغني (٦/ ٢٥٨١).
(٦) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢/ ٥٦٢).
(٧) المغني (٧/ ٢٢).

سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت:٢٨] وروي ذلك عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو وأبي هريرة وبه قال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة وهو قوله أبي حنيفة والشافعي وأحمد والمالكية والظاهرية[١]، ودليل التحريم، قول رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى امرأته في دبرها»[٢]، وجه الدلالة: أن النهي عن الشيء وترتيب اللعن عليه يدل على التحريم[٣].

١٤ـ عدة الحامل المتوفى عنها زوجها:

إذا كانت المرأة حاملا وتوفي زوجها فوضعت قبل أن تنقضي عدتها فعند علي أنها تعتد أبعد الأجلين أي عدة الحمل إذا لم تضع قبل عدة المتوفى عنها زوجها، فإن وضعت قبل ذلك تعتد أربعة أشهر وعشراً، نقل ذلك عن ابن رشد وغيره[٤]، وعن عبد الرحمن بن معقل قال: شهدت عليًا سأله رجل عن امرأة توفي عنها زوجها وهي حامل قال تتربص أبعد الأجلين[٥]، وعن الشعبي كان يقول: أجل كل حامل آخر الأجلين[٦]، وقد جمع أمير المؤمنين علي ﷺ بين قول الله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:٤]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤] إذ بينهما عموم وخصوص فلا يترجح العمل بأحدهما دون الآخر، فيعمل بالاثنين للخروج من الظن إلى اليقين والتخلص من التعارض[٧].

والراجح أن عدتها وضع الحمل في كلتا الحالتين فقد صح عن عبد الله بن عتبة أن سبيعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة، وكان ممن شهد بدرا، فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك، فقال لها

---

(١) المغني (٧/ ٢٢)، المحلى (٧/ ٦٩)، تفسير القرطبي (٣/ ٩٣).

(٢) سنن أبي داود (٢/ ٢٥٦)، الجامع الصغير (٢/ ٥٣٩).

(٣) فقه الإمام عليّ بن أبي طالب (٢/ ٥٦٨).

(٤) بداية المجتهد (٢/ ٩٥) نيل الأوطار (٨/ ٧٧).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٣٠٠).

(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٢٩٨)

(٧) سبل السلام للصنعاني (٣/ ١٩٨).

مالي أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟ إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتاني: «بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي»[١]، وهذا قول جمهور علماء المسلمين وقيل حصل الإجماع على ذلك بعد سماع هذا الحديث[٢]، وقال الشعبي: ما أصدق أن علي بن أبي طالب كان يقول عدة المتوفي عنها زوجها آخر الأجلين[٣]، ولعل عليًا قال بذلك لعدم بلوغه حديث سبيعة وإلا فلا يخالف علي الصحيح الثابت عن النبي ﷺ[٤].

بعض الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية :

١- جوائز السلطان:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : لا بأس بجوائز السلطان ما يعطيكم من الحلال أكثر مما يعطيكم من الحرام[٥]، وقال أيضا: لا تسأل السلطان شيئا، فإن أعطاك فخذ فإن ما في بيت المال من الحلال أكثر مما فيه من الحرام[٦].

٢- الهدية لرفع الظلم وأخذ الحق:

من نصر شخصا في حق أو دفع عنه ظلما لا يجوز له أن يقبل هدية من نصره أو رفع عنه الظلم عند علي، نقل ذلك عنه ابن حزم[٧].

٣- عدم ضمان العارية:

لا يضمن المستعير العارية إذا تلفت بدون تعدي عند علي[٨] فقد قال علي ليست العارية مضمونة إنما هو معروف إلا أن يخالف فيضمن[٩].

---

(١) البخاري رقم ٥٣١٨، مسلم ١٤٨٤.
(٢) المغني (٧/ ٤٧٣)، فقه الإمام علي (٢/ ٧١٦).
(٣) سبل السلام (٣/ ١٩٨).
(٤) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢/ ٦١٧).
(٥) المغني (٦/ ٤٤٤)، فقه الإمام علي (٢/ ٧١٦).
(٦) المغني (٦/ ٤٤٤).
(٧) المحلى (٩/ ١٢٩).
(٨) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢/ ٧٢١).
(٩) مصنف عبد الرزاق ٤٧٨٨.

٤- عدم ضمان الوديعة:

الوديعة أمانة بيد المودع عنده، فإذا تلفت عنده من غير جناية فلا ضمان عليه عند علي، فقد قال رضي الله عنه : لا يضمن صاحب العارية ولا الوديعة[١].

٥- بيع الغنيمة للكفار:

لا يجوز بيع ما غنمه المسلمون من أموال الكفار في الحرب إلى الكفار أنفسهم عند علي رضي الله عنه ، فعن أم موسى قالت: أتي علي بن أبي طالب بآنية مخصوصة بالذهب من آنية العجم فأراد أن يكسرها ويقسمها بين المسلمين، فقال ناس من الدهاقين، إن كسرت هذه كسرت ثمنها ونحن نغلي لك بها، فقال علي: لم أكن لأرد لكم ملكا نزعه الله منكم فكسرها وقسمها بين الناس[٢]، وقد فعل أمير المؤمنين ذلك حتى لا تذكرهم بأمجادهم أو تعود بالنفع عليهم.

٦- تضمين الصناع:

وذلك حفظا لأموال الناس من الضياع قال الشاطبي: إن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناع قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا يصلح الناس إلا ذاك[٣]، وفي هذا مقصد من مقاصد الشريعة وهو حفظ الأموال من الضياع[٤]، وفي مصنف عبد الرزاق أن عليا رضي الله عنه ضمن الخياط والصباغ، وأشباه ذلك احتياطًا للناس[٥].

٧- عقد الذمة وعدم التشديد في الجباية عليهم:

قال أمير المؤمنين علي: لا يقبل من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف، أما مشركو العجم فتؤخذ منهم الجزية، وأما أهل الكتاب من العرب والعجم فإن أبوا أن يسلموا وسألونا أن يكونوا أهل ذمة قبلنا منهم الجزية[٦]، وعن علي أنه قال: إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا[٧]، وكان رضي الله عنه يستعمل

---

(١) مصنف عبد الرزاق ١٤٧٨٦ .
(٢) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢/ ٧٥٢).
(٣) الاعتصام (٢/ ١١٩).
(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية، اليوبي ص ٦٠٢ .
(٥) مصنف عبد الرزاق (٨/ ٢١٧)، موسوعة عليّ بن أبي طالب ص ٢٢ .
(٦) فقه الإمام علي (٢/ ٧٥٦).
(٧) المغني (٨/ ٣٧٥)، فقه الإمام علي (٢/ ٧٥٦).

الرفق في طريقة أخذها واليسر في مقدارها، فعن عبد الملك بن عمير قال أخبرني رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب، فقال: لا تضربن رجلا سوطا في جباية درهم ولا تبيعن لهم رزقا ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولادية يعملون عليها، ولا تقم رجلا قائمًا في طلب درهم، قال: قلت: يا أمير المؤمنين إذا أرجع إليك كما ذهبت من عندك، قال: وإن رجعت كما ذهبت ويحك إنما أمرنا أن تأخذ منهم العفو يعني الفضل[1].

ثانيًا: في الحدود:

١- عقوبة المرتد:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يستتاب المرتد ثلاثا، فإن عاد وإلا قتل[2] وحجة قتله: ما روى ابن عباس عن النبي ﷺ قال: من بدل دينه فاقتلوه[3]، وأما دليل استتابته فما روى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ استتاب رجلا ارتد عن الإسلام أربع مرات[4] وروي عن علي في استتابة الزنديق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر قولان هما:

أ ـ لا فرق في الاستتابة بين من أظهر الردة، وبين الزنديق الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر، وقامت عليه البينة بذلك[5].

فقد روى عبد الرزاق أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي عن مسلمين تزندقا فكتب إليه: إن تابا وإلا فاضرب أعناقهما[6].

ب ـ يستتاب من أظهر الردة ولا يستتاب الزنديق، فقد روى الأثرم بإسناده إلى علي رضي الله عنه أنه أتي برجل عربي قد تنصر، فاستتابه فأبي أن يتوب فقتله، وأتي برهط يصلون وهم زنادقة وقد قامت عليهم بذلك الشهود العدول، فجحدوا وقالوا: ليس

(١) كنز العمال ١٤٣٤٦، المغني (٨/ ٥٣٧).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ١٣٨).
(٣) البخاري رقم ٣٠١٧.
(٤) مجمع الزوائد (٦/ ٢٦٢) فيه ضعف.
(٥) المغني (٨/ ١٢٦)، موسوعة فقه علي بن أبي طالب ص ٢٧٣.
(٦) المصنف (٧/ ٣٤٢) (١٠/ ١٧٠).

لنا دين إلا الإسلام، فقتلهم ولم يستتبهم قال: أتدرون لم استتبت النصراني؟ استتبته لأنه أظهر دينه، فـأما الزنادقة الذين قامت عليـهم البينة فإنما قتلتـهم لأنهم جحدوا، وقد قامت عليهم البينة(١).

وأما المرأة المرتدة فقد ورد فيها عن علي قولان:

أ ـ لا فرق بينها وبين الرجل في حكم القـتل، وقد روي هذا القول أيضا عن أبي بكر ﷺ وقـال به الحسن والزهري والنخـعي ومكحـول وحـمـاد ومـالك والليث والأوزاعي والشافعي وإسحاق(٢).

ب ـ المرأة تسترق ولا تقتل، وهذا القول قـال به الحسن وقتادة لأن أبا بكر استرق نساء بني حنيفة وذراريهم وأعطى عليًّا منهم امرأة فـولدت محمد ابن الحنفـية وكان ذلك بمحضر من الصحـابة فلم ينكر، فكان إجماعا(٣)، كما أن قصة بعث علي إلى بني ناجية دليل على هذا الرأي، وسيأتي الحديث عنها لاحقًـا وفيها، وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم(٤).

وقد قـتل أمير المـؤمنين على المرتدين بطرق مخـتلفة حسب حـال كل منهم على النحو التالي:

أ ـ ضرب العنق بالسيف، كما في جواب علي بن أبي طالب ﷺ لمحمد بن أبي بكر عندما سأله عن مسلمين تزندقا فقال: فأما اللذين تزندقا، فإن تابا، وإلا فاضرب أعناقهما(٥).

ب ـ الضرب حتى الموت، ففي مصنف ابن أبي شيبة أن عليًّا أتي برجل نصراني أسلم ثم تنصر، فسأله عن كلمـة فقال له فقام إليه علي فرفـسه برجله، فقام الناس إليه فضربوه حتى قتلوه(٦).

---

(١) المغني (٨/ ٤١٤١)، موسوعة فقه علي بن أبي طالب ص ٢٧٣.
(٢) المغني (٨/ ١٢٣).
(٣) المغني (٨/ ١٢٣)، فتح الباري (١٢/ ٢٦٨).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ١٤٤).
(٥) مصنف عبد الرزاق (٨/ ٣٩٥).
(٦) المحلى لابن حزم (١١/ ١٩٠).

جـ - الإحراق بعد القـتل، كما في قصة المستـورد العجلي حيث أسلم ثم ارتد، فإن عليًا ﷺ أحرقه بعد أن قتله، ولعل عليًا ﷺ أحرقه لما خـاف أن ينبش قومه جثته، بعد أن رفض علي تسليمها مقابل مبلغ من المال بذلوه له(١).

د - القتل بالإحراق، كما في قصة علي ﷺ مع السبئية كما سبق بيانه(٢).

وقتل المرتد فيه حفظ لأهل الدين الدين ومن مقاصد الشريعة الغراء حفظ الدين، فقد لاحظنا حرص الخلفاء الراشدين على تنفيذ أحكام الله في أهل الأهواء والخارجين عن الدين، وإنزال العقوبة المناسبة بهم، ومن أعظمها قتل المرتدين وقتالهم، كما فعل الخلفاء الراشدون وهذا تنفـيذ لقول رسول الله ﷺ : **«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحـدي ثلاث: الثيـب الزاني، والنفس بـالنفس، والتـارك لدينه المفارق للجـماعة»**(٣)، وقال ابن تيـمية: فإنه لو لم يقـتل ذلك - يعني المرتد - لكان الداخل في الدين يخـرج منه فقـتله حفظ لأهل الدين، والدين، فـإن ذلك يمنع من النقص ويمنعهم من الخروج عنه(٤).

٢- حـد الزنـا:

أ- قصة رجم:

قال الشعـبي: كان لشراحة زوج غائب بالـشام، وإنها حملت، فجـاء بها مولاها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فقال إن هذه زنت واعترفت، فجلدها يوم الخميس مائة جلدة، ورجمها يوم الجمعة، وحفر لها إلى السرة، وأنا شاهد، ثم قال: إن الرجم سنة سنها رسول الله ﷺ، ولو كان شهد على هذا أحد لكان أول من يرمي الشاهد بشهادته، ثم يتبع شهادته حجره، ولكنها أقرت، فأنا أول من يرميها، فرماها بحـجر، ثـم رمى الناس وأنا منهم، فكنت والله فـيـمن قتـلها، وفي لفـظ لأحمـد والبخاري أن عليًا قال: جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ(٥)، وهذا

(١) موسوعة فقه علي بن أبي طالب ص ٢٧٥.
(٢) منهج علي بن أبي طالب ص ٢٧٥.
(٣) البخاري رقم ٦٨٧٨.
(٤) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٠٢).
(٥) البخاري، ك الحدود (٤/ ٢٥٣).

الحكم القضائي اجتهاد لعلي، وهو مختلف فيه بين الفقهاء، وقال الجمهور بعدم الجمع بين الجلد والرجم[١]، وجاء في رواية: فحفر لها حفرة بالسوق فدار الناس عليها أو قال بها، فضربهم بالدرة، ثم قال: ليس هكذا الرجم إنكم إن تفعلوا هذا يفتك بعضكم بعضا ولكن صفوا كصفوفكم للصلاة ثم قال: أيها الناس، إن أول الناس يرجم الزاني الإمام، إذا كان الاعتراف، وإذا شهد أربعة شهداء على الزنا أول الناس يرجم الشهود بشهادتهم عليه ثم الإمام ثم الناس ثم رماها بحجر وكبر، ثم أمر الصف الأول فقال: ارموا، ثم قال انصرفوا، وكذلك صفا صفا حتى قتلوها[٢].

ب ـ تأجيل رجم الحامل:

المرأة الحامل إذا ثبت عليها الزنا لا يقام عليها الحد حتى تضع حملها عند علي[٣]، فعنه رضي الله عنه قال: «أن خادمة للنبي ﷺ فجرت، فأمرني أن أقيم عليها الحد، فوجدتها لم تجف من دمها، فأتيته فذكرت له، فقال: «**إذا جفت من دمها فأقم عليها الحد، أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم**»[٤]، وقد قام بهذا الحكم في خلافته.

جـ ـ المستكرهة على الزنا:

لا حد على المستكرهة على الزنا عند علي ولها مهر المثل بذلك[٥]، فقد قال «في البكر تستكره نفسها أن للبكر مثل صداق إحدى نسائها وللثيب مثل صداق[٦] مثلها».

د ـ زنا المضطرة:

إذا اضطرت امرأة على الزنا لإنقاذ حياتها من الموت فلم يدفع إلا بها سقط عنها الحد عند علي[٧]، فقد جاء في رواية: «أن امرأة أتت عمر فقالت: إني زنيت فارجمني فرددها حتى شهدت أربع شهادات فأمر برجمها، فقال علي: يا أمير المؤمنين: ردها فاسألها ما زناها لعل لها عذراً؟ فردها فقال: ما زناك؟ قالت: كان

---

(١) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٥٢.
(٢) مصنف عبد الرزاق ١٣٣٣٥، فقه الإمام علي (٢/ ٧٨٢).
(٣) فقه الإمام علي (٢/ ٧٨٣).
(٤) مسند الإمام أحمد رقم ١١٣٧ صحيح لغيره.
(٥) فقه الإمام علي (٢/ ٧٨٦).
(٦) مصنف عبد الرزاق ١٣٦٠٧.
(٧) فقه الإمام علي (٢/ ٧٨٨).

لأهلي إبل فخرجت في إبل أهلي فكان لنا خليط[١]، فخرج في إبله فحملت معي ماء ولم يكن في إبلي لبن، وحمل الخليط ماء وكان في إبله لبن، فنفذ مائي فاستسقيت فأبى أن يسقيني، حتى أمكنه من نفسي، فأبيت حتى كادت نفسي تخرج أعطيته، فقال علي: الله أكبر، فمن اضطر غير باغ ولا عاد، أرى لها عذرا[٢]، وزيد في رواية: فأعطاها عمر شيئًا وتركها[٣]، وقد ذكر الفقهاء، هذه الحادثة ضمن الإكراه على الزنا فلم يختلفوا في سقوط الحد بالإكراه[٤]، ولكن الإكراه غير الاضطرار لأن الاضطرار فيه الإقدام على الفعل اختياراً أما الإكراه فلا إقدام فيه وإنما يساق إلى الفعل جبراً، بدليل أن الله تعالى ذكر الإكراه مستقلاً عن الاضطرار كما في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقوله تعالى ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وقد استدل علي رضي الله عنه بالآية الأخيرة، ووجه الدلالة أن الاضطرار لإنقاذ الحياة يرفع العقوبة الأخروية عن المضطر فهو يسقط العقوبة الدنيوية من باب أولى في حقوق الله تعالى، ويؤخذ من هذه المسألة: عمل علي بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات[٥].

هـ- درء الحدود بالشبهات:

تدرأ الحدود بالشبهات عند علي، فعن الضحاك بن مزاحم عن علي قال: إذا بلغ في الحدود لعل وعسى فالحد معطل[٦]، وعن علي أن امرأة أتته فقالت:

إني زنيت، فقال: لعلك أتيت وأنت نائمة في فراشك أو أكرهت؟ قالت: أتيت طائعة غير مكرهة قالت: لعلك غصبت على نفسك، قالت: ما غصبت، فحبسها فلما ولت وشب ابنها جلدها[٧]، لأنها لم تكن متزوجة ولذلك جلدت.

---

(١) خليط: الشريك الذي يخلط ماله بمال غيره.
(٢) كنز العمال ١٣٥٩٦، مغني المحتاج (٤/ ١٤٥).
(٣) المغني (٨/ ١٨٧).
(٤) إعلاء السنن (١١/ ٦٧١) المغني (٨/ ١٨٧).
(٥) فقه الإمام علي (٢/ ٧٨٩).
(٦) مصنف عبد الرزاق ١٣٧٢٧، المغني (٨/ ٢١١).
(٧) فقه الإمام علي (٢/ ٧٦١).

و- زنا النصرانية:

إذا زنت النصرانية فلا تحد بل تدفع إلى أهل دينها يقيمون عليها حسب دينهم عند علي[١]، فعن قابوس بن مخارق أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي يسأله عن مسلم زنى بنصرانية، فكتب إليه علي: أما المسلم فأقم عليه الحد وادفع النصرانية إلى أهل دينها[٢]، إن حد الزنا أمر تعبدي فيه التطهير من الإثم وذلك لا يناسب الخارج عن ملة الإسلام.

ز- الحد كفارة لذنب من أقيم عليه عند علي رضي الله عنه:

فعن أبي ليلى عن رجل من هذيل قال وعداده من قريش سمعت عليًّا يقول: من عمل سوءا فأقيم عليه الحد فهو كفارة[٣]، وفي رواية عنه أيضًا: كنت مع علي حين رجم شراحة فقلت لقد ماتت هذه على شر حالها، فضربني بقضيب أو بسوط كان في يده حتى أوجعني فقلت: لقد أوجعتني قال: وإن أوجعتك قال: فقال إنها لن تسأل عن ذنبها هذا أبدًا كالدين[٤]، ودليل ما ذهب إليه أمير المؤمنين على رضي الله عنه حديث عبادة بن الصامت حيث قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس فقال: **«ومن أصاب شيئا من ذلك فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه»**[٥].

إن من مقاصد الشريعة حفظ العرض والنسب، فعدم حفظه يترتب عليه مفاسد حاصلة بسبب إهماله منها: انتهاكه ومعلوم ما يحصل من جراء ذلك من الحروب والتقاتل والفساد، واختلاط الأنساب، وقطع النسل لأن الزاني ليس له قصد في الولد، وإنما قصده اللذة الحاضرة فلولم تحفظ الفرج لعزف الناس عن النكاح، وانتشار الفساد الخلقي وظهور جريمة الزنا، وما ينشأ عنها من مفاسد خلقية وصحية، ونزول المصائب وحلول الكوارث والمحن ولو لم يرد في ذلك إلا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا

(١) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢/ ٧٩٩).
(٢) مصنف عبد الرزاق ١٣٤١٩.
(٣) مصنف عبد الرزاق ١٣٣٥٥.
(٤) المصدر نفسه ١٣٣٥٣.
(٥) مسلم، ك الحدود رقم ٧٠٩ (٣/ ١٣٣٣).

الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٢] لكان كافيًا[1]. لذلك جاءت الشريعة الغراء بالتشريعات اللازمة لحفظ الأعراض والأنساب وقام الخلفاء الراشدون بتنفيذها.

٣- حد الخمر:

أ- شرب الخمر في رمضان:

عن عطاء عن أبيه أن عليًا ضرب النجاشي الحارثي الشاعر، شرب الخمر في رمضان فضربه ثمانين ثم حبسه فأخرجه الغد فضربه العشرين ثم قال له: إنما جلدتك هذه العشرين بجرأتك على الله تعالى، وإفطارك في رمضان[2].

ب- حكم الموت بإقامة حد الخمر:

عن علي، قال: ما من رجل أقمت عليه حدا، فمات فأجد في نفسي إلا الخمر، فإنه لومات لوديته، لأن النبي ﷺ لم يَسُنَّه[3].

وقد جاءت الأحكام الشرعية بالمحافظة على العقل الذي ميز الله به الإنسان وكرمه، فحرمت الخمر التي تذهب بالعقل وتغيبه كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]. وقال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام»[4]، ولذلك شرع إقامة الحد على السكران، وحرم المخدرات والمفترات التي تؤثر على سلامة العقل[5].

إن حفظ العقل مقصود في الشرع لما يترتب عليه من حفظ باقي الضرورات، ولما يترتب على إهماله من مفاسد لا تعد ولا تحصى[6].

---

(١) مقاصد الشريعة لليوبي ص ٢٥٥.
(٢) كنز العمال ١٣٦٨٧، فقه الإمام علي (٢/٨٠٧).
(٣) مسند أحمد رقم ١٠٢٤ إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٤) البخاري رقم ٥٥٨٥.
(٥) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (١/٤٦٧).
(٦) مقاصد الشريعة لليوبي ص ٢٤٣.

٤- حد السرقة:

أ- اشتراط الحرز:

يشترط لقطع يد السارق أن يسرق المال من حرز مثله عند علي فعن ضميرة قال: قال علي: لا يقطع السارق حتى يخرج المتاع من البيت[١].

ب- سرقة ما فيه شبهة ملك:

لا تقطع يد سارق سرق من مال له فيه شبهة ملك كأن يكون له نصيب فيه عند علي[٢]، فعن زيد بن دثار قال: أتى علي برجل سرق من الخمس فقال: له فيه نصيب، فلم يقطعه، وعن الشعبي عن علي أنه كان يقول: ليس على من سرق من بيت المال قطع[٣].

جـ- سرقة الحر:

من سرق حراً صغيراً فإنه تقطع يده عند علي، فعن ابن جريج أن عليًّا قطع البائع - بائع الحر - وقال لا يكون الحر عبداً[٤]، لأن الإنسان أقوم وأثمن من المال فهو الأولى أن يقطع فيه[٥].

د- سرقة العبد مولاه:

لا تقطع يد عبد سرق من سيده عن علي، فعن الحكم أن عليًّا قال: إذا سرق عبد من مالي لم أقطعه[٦].

هـ- إثبات السرقة:

تثبت السرقة عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بشهادة شاهدين أو الاعتراف مرتين، نقل ذلك عنه ابن قدامة[٧]، وعن عكرمة بن خالد قال: كان علي لا يقطع سارقا حتى يأتي بالشهداء فيوقفهم عليه ويسجنه فإن شهدوا عليه قطعه وإن نكلوا تركه فأتي

---

(١) كنز العمال ١٣٩١١، فقه الإمام علي (٢/ ٨١٠).
(٢) فقه الإمام علي (٢/ ٨١١).
(٣) مصنف عبد الرزاق ١٨٨٧١.
(٤) مصنف عبد الرزاق رقم ١٨٨٠٦.
(٥) فقه الإمام علي (٢/ ٨١٤).
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٢).
(٧) المغني (٨/ ٢٧٩).

مرة بسارق فسجنه حتى إذا كان الغد دعا به وبالشاهدين فقبل: تغيب أحد الشاهدين فخلى سبيل السارق ولم يقطعه[(١)]، وعن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه أن رجلاً أتى إلى علي فقال: إني سرقت فانتهره وسبه فقال: إني سرقت، فقال علي: اقطعوا قد شهد على نفسه مرتين، فلقد رأيتها في عنقه[(٢)].

و- كشف السارق قبل أن يسرق:

لا تقطع يد السارق عند كشفه قبل أن يخرج المتاع من الحرز عند علي، فعن الحارث عن علي قال: أتي برجل قد نقب فأخذ على تلك الحال فلم يقطعه[(٣)]، وفي لفظ بزيادة وعزره أسواطا[(٤)].

ز- تكرار السرقة:

من سرق قطعت يده اليمنى ثم إن سرق مرة ثانية قطعت رجله اليسرى فإن سرق ثالثة ورابعة يعزر ولا تقطع يده الأخرى أو رجله الثانية عند علي نقل ذلك عنه ابن المنذر وغيره[(٥)]، وعن عبد الله بن سلمة أن عليًّا أتي بسارق فقطع يده ثم أتي به فقطع رجله، ثم أتي به فقال: أقطع يده؟ فبأي شيء يتمسح وبأي شيء يأكل؟ ثم قال: أقطع رجله؟ على أي شيء يمشي؟ إني لأستحي من الله، قال: ثم ضربه وخلده السجن[(٦)] وعن المغيرة والشعبي قالا: كان علي يقول: إذا سرق السارق مراراً قطعت يده ورجله ثم إن عاد استودعته السجن[(٧)]، وعن الشعبي قال: كان علي لا يقطع إلا اليد والرجل وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل وأنه كان يقول: إني لأستحي من الله أن لا أدع له يداً يأكل بها ويستنجي[(٨)].

---

(١) مصنف عبد الرزاق ١٨٧٧٩، كنز العمال ١٣٩٠٨.
(٢) مصنف عبد الرزاق رقم ١٨٧٨٤، المغني (٨/ ٢٨٠).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٤٧٧).
(٤) كنز العمال ١٣٩١١، فقه الإمام علي (٢/ ٨١٧).
(٥) المحلى (٣/ ٣٥٤)، المغني (٨/ ٢٦٤).
(٦) البدائع (٩/ ٤٢٧٣)، المغني فقه الإمام عليّ (٢/ ٨١٨).
(٧) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٥٠٩).
(٨) مصنف عبد الرزاق رقم ١٨٧٦٤.

ز- قطع اليد وتعليقها:

يستحب أن يحسم اليد ويعلق المقطوع في عنق المحدود عند علي[١]، فعن حجية ابن عدي كان علي يقطع ويحسم ويحبس فإذا برئوا أرسل إليهم فأخرجهم ثم قال: ارفعوا أيديكم إلى الله فيرفعونها، فيقول: من قطعكم فيقولون علي، فيقول: ولم؟ فيقولون سرقنا، فيقول: اللهم اشهد اللهم اشهد[٢] وحسم اليد، فلكي لا ينزف الدم ويسرع البرء إليها ومخافة سريان الجرح إلى الجسم وتلفه[٣].

إن من مقصاد الشريعة الإسلامية حفظ أموال الناس التي هي قوام حياتهم، وقد حرم الإسلام كل وسيلة لأخذ المال بغير حق شرعي، وحرم السرقة وأوجب الحد على من ثبتت عليه تلك الجريمة، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ﴾ [المائدة:٣٨]، وقام الخلفاء الراشدون بالإشراف على تنفيذ تلك الأحكام.

ثالثاً: في القصاص والجنايات:

جاءت شريعة الإسلام بأحكام القصاص للمحافظة عى النفس ودرء المفساد الناشئة عن شيوع القتل وسفك الدماء المحرمة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة:١٧٨] وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً﴾ [الإسراء:٣٣] وهذه بعض المسائل المتعلقة بأحكام القتل والقصاص والجنايات.

(١) الاشتراك في القتل العمد:

إذا اجتمع جماعة عى قتل شخص عمداً فإنهم يقتلون به جميعًا عند علي[٤]، وقد روى عنه أنه قتل ثلاثة قتلوا رجلاً[٥].

(١) فقه الإمام علي (٢/ ٨٢١).
(٢) كنز العمال ١٣٢٦.
(٣) فقه الإمام علي (٢/ ٨٢١).
(٤) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢/ ٨٢٦).
(٥) المغني (٧/ ٦٧٢).

(٢) من أمر عبده بالقتل:

إذا أمر السيد عبده أن يقتل رجلا فقتله يقتل السيد عند علي ويحبس العبد، نقل ذلك عن ابن المنذر وغيره[١]، وعن خلاس عن علي في رجل أمر عبده أن يقتل رجلا قال: إنما هو بمنزلة سوطه أو سيفه[٢]، وفي رواية: إذا أمر الرجل عبده أن يقتل رجلا فإنما هو كسيفه أو كسوطه يقتل المولى ويحبس العبد[٣].

(٣) المقتول في الزحام:

من قتل في الزحام ولم يعلم قاتله فإن ديته على بيت مال المسلمين عند علي[٤]، وعن يزيد بن مذكور الهمداني أن رجلاً قتل يوم الجمعة في المسجد في الزحام، فجعل علي ديته من بيت المال[٥].

(٤) جناية السائق والقائد الراكب:

في المسألة روايتان فعن علي: الرواية الأولى: سائق الدابة وقائدها وراكبها ضامنون إذا وطئت الدابة أو ضربت برجلها أحداً أو شيئًا عند عليّ لنسبة التقصير وعدم التحرز والتثبت إليهم[٦]، فعن خلاس عن علي: أنه كان يضمن القائد والسائق والراكب[٧]، والحجة في ذلك، أن الراكب مباشر للقتل لأن الدابة كالآلة في يده، أما السائق، والقائد فهما متسببان، يضمنون لعدم تحرزهم من الوقوع في الجناية وعدم تثبتهم من السوق والقود والركوب بصورة تمنع وقوع الجناية[٨]، والرواية الثانية: لا ضمان عليهم إذا ثبت عدم التقصير منهم عند علي، إذا روي عنه أنه قال: إذا قال: الطريق فأسمع فلا ضمان عليه[٩]، وعن علي أنه قال: إذا كان الطريق واسعًا فلا ضمان عليه[١٠]،

---

(١) المغني (٧/ ٧٥٧).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٣٧١).
(٣) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢/ ٨٣٦).
(٤) فقه الإمام علي (٢/ ٨٣٨).
(٥) الخلافة الراشده، يحيى اليحيى ص ٥٠٢.
(٦) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤١).
(٧) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٢٥٩).
(٨) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤١).
(٩) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٢).
(١٠) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٥٥٩).

والحجة أن وسع الطريق وتنبيه المارة هو التحرز والتثبت فإذ لم يبال المارة فهو تقصيرهم، فإن أصيبوا فقد جنوا على أنفسهم فلا ضمان لهم ولا منافاة بين الروايتين، لأن الأولى مع ثبوت التقصير، والثانية مع عدمه[١]، وثبوت التقصير على المارة.

(٥) ما أنشئت بتعد فأحدثت تلفا:

من حفر بئرا أو وضع شيئا أو بناه في مكان لا حق له فيه فسببت تلف إنسان كأن يقع في البئر أو يعثر بما وضعه فيموت فهو ضامن عند علي[٢]، فقد قال ﷺ: من حفر بئرا أو عرض عودا فأصاب إنسان فهو ضامن[٣].

(٦) الخطأ في الشهادة:

الخطأ في الشهادة يوجب الضمان عند علي فمن شهد على غيره خطأ في حد أوقصاص فأدى إلى تلف عضو أو نفس ضمن الدية عنده[٤]، فقد روي عن علي من طرق متعددة أنه: شهد رجلان بسرقة على رجل، فقطع عليّ يده، ثم جاء الغد برجل فقال: أخطأنا بالأول، هو هذا الآخر فأبطل شهادتهما على الآخر، وأغرمهما دية الأول[٥]، وفي رواية فقال: لو كنتما تعمدتماه لقطعتكما فأبطل شهادتهما عن الآخر وأغرمهما دية الأول[٦]، والحجة في ذلك أنهم تسببوا في الإتلاف والتسبب موجب للضمان كحافر البئر في الطريق[٧].

(٧) اشتراك جماعة في قتل بعضهم بعضا خطأ:

إذا اشترك جماعة في قتل بعضهم بعضا خطأ توزعت المسؤولية الجنائية على جميعهم كل واحد بقدر فعله مطروحا منه ما جناه الميت على نفسه[٨]، فعن خلاس قال: استأجر رجل أربعة رجال ليحفروا له بئرا فحفروها فانخسفت بهم البئر فمات

---

(١) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٢).
(٢) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٢).
(٣) مصنف عبد الرزاق ٨٤٠٠.
(٤) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢/ ٨٤٣).
(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٤٠٩).
(٦) مصنف عبد الرزاق ١٨٤٦١.
(٧) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٤).
(٨) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٤).

أحدهم فرفع ذلك إلى علي بن أبي طالب، فضمن الثلاثة ثلاثة أرباع الدية وطرح عنه ربع الدية[١].

(٨) من استخدم صغيرا أو عبدا بغير إذن:

من استخدام صغيرا بغير إذن وليه أو عبداً بغير إذن مولاه في عمل أو حمله على دابة فمات إثر ذلك فهو ضامن عند علي، فعن الحكم قال: قال علي: من استعمل مملوك قوم صغيرا أو كبيرا فهو ضامن[٢]، وقال علي: من استعان صغيرا حرا.. فهو ضامن ومن استعان كبيرا لم يضمن[٣].

(٩) الفعل المعنوي:

الفعل المعنوي كالإخافة والترويع وماشابهها إذا سبب قتل إنسان أو عطبه توجب المسؤولية الجنائية عند علي[٤]، فعن ابن جريج قال قلت لعطاء: رجل نادى صبيا على جدار أن استأخر فخر فمات؟ قال: يروون عن علي أنه قال يغرمه ويقول أفزعه[٥]، وإيجاب المسؤولية على الفعل المعنوي إجمالا هو قول جمهور العلماء[٦].

(١٠) جناية الطبيب:

إذا خالف الطبيب أو البيطري شروط المعالجة، فعطب الإنسان أو الحيوان فهو ضامن[٧]، فعن الضحاك بن مزاحم قال: خطب علي الناس فقال: يا معشر الأطباء البياطرة والمطببين من عالج منكم إنسانًا أو دابة فليأخذ لنفسه البراءة، فإنه إن عالج شيئا ولم يأخذ لنفسه البراءة فعطب فهو ضامن[٨]، وعن مجاهد أن عليًّا قال في الطبيب: إن لم يُشهد على ما يعالج فلا يلومن إلا نفسه، يقول: يضمن[٩].

---

(١) المحلى (١٠/ ٥٠٥)، فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٤).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٣٧٧).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٣٧٧).
(٤) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢/ ٨٤٦).
(٥) كنز العمال ٨٦/ ٤٠.
(٦) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٦).
(٧) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٧).
(٨) مصنف عبد الرزاق ١٨٠٤٧.
(٩) مصنف عبد الرزاق ١٨٠٤٦.

(١١) الميت من القصاص والحد:

إذا أقيم حد أو قصاص على مستحق فمات فلا ضمان على المقتص عند علي[١]، فقد قال ﷺ: من مات بقصاص بكتاب الله فلا دية له[٢]، وقال: من مات في حد فإنما قتله الحد، فلا عقل له مات في حد من حدود الله[٣]، وقال أيضًا: إذا أقيم على الرجل الحد في الزنا أو السرقة أو قذف فمات فلا دية له[٤]، والحجة في ذلك، أن القصاص واجب والواجب غير مشروط بالسلامة فيه فلا ضمان في أدائه إذا لم يحصل فيه تقصير أو إهمال[٥].

(١٢) قاطع طريق ألقي القبض عليه:

إذا لم يأخذ مالا ولم يقتل نفسا حبس حتى يتوب، وإذا أخذ مالا ولم يقتل نفسا قطعت يداه، ورجلاه من خلاف، إذا قتل وأخذ المال قطعت يداه ورجلاه من خلاف ثم صلب حتى يموت وإن تاب قبل أن يؤخذ ضمن الأموال واقتص منه ولم يحد[٦].

وقد تاب الحارث بن بدر قبل القدرة عليه، وكان قاطعًا للطريق، فقبل علي توبته وأسقط حد الحرابة عنه لأنه تاب قبل القدرة عليه[٧].

(١٣) قاتل اعترف بالقتل لدفع التهمة عن متهم بريء:

أتي برجل إلى أمير المؤمنين علي من خربة بيده سكين ملطخة بدم وبين يديه قتيل يتشخط في دمه، فسأله، فقال: أنا قتلته، قال: اذهبوا به فاقتلوه، فلما ذهب به أقبل رجل مسرعًا فقال: يا قوم لا تعجلوا ردوه إلى علي، فردوه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه، أنا قتلته، فقال علي للأول: ما حملك على أن قلت أنا قاتله، ولم تقتله؟ قال: يا أمير المؤمنين، وما أستطيع أن أصنع، وقد وقف العسس

---

(١) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٧).

(٢) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٨).

(٣) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٨).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٣٤٢).

(٥) فقه الإمام علي (٢/ ٨٤٨).

(٦) المحلى رقم ٢٥٢، عصر الخلافة الراشدة للعمري ص ١٥١.

(٧) عصر الخلافة الراشدة ص ١٥١.

على الرجل يتشخط في دمه، وأنا واقف بين يدي سكين، وفيها أثر الدم، وقد أخذت في الخربة، فخفت ألا يقبل مني، وأن يكون قسامة، فأعترف بما لم أصنع، واحتسبت نفسي عند الله، فقال علي: بئس ما صنعت، فكيف كان حديثك؟ قال: إني رجل قصاب، خرجت إلى حانوتي في الغلس، فذبحت البقرة وسلختها، فبينما أنا أسلخها، والسكين في يدي أخذني البول، فأتيت خربة كانت بقربي، فدخلتها لقضاء حاجتي، وعدت أريد حانوتي، فإذا أنا بهذا المقتول يتشخط في دمه، فراعني أمره، ووقفت أنظر إليه، والسكين في يدي، فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا علي، فأخذوني، فقال الناس: هذا قتل هذا، ما له من قاتل سواه، فأيقنت أنك لا تترك قولهم بقولي، فاعترفت بما لم أجنه فقال علي للمقر الثاني: فأنت كيف كانت قصتك، فقال: أغواني إبليس فقتلت الرجل طمعا في ماله، ثم سمعت حس العسس فخرجت من الخربة، واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصفها، فاستترت منه ببعض الخربة، حتى أتي العسس فأخذوه وأتوك به، فلما أمرت بقتله علمت أني سأبوء بدمه أيضا، فاعترفت بالحق، فقال علي للحسن ما الحكم في هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن كان قد قتل نفسا فقد أحيا نفسًا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فخلى علي عنهما، وأخرج دية القتيل من بيت المال[1]، ولعله فعل ذلك بعد أن أسقط أولياء القتيل حقهم بالقصاص[2].

(١٤) امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها:

حدث في عهد علي رضي الله عنه أن امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها، فكانت العقوبة القتل قصاصًا[3] من الجناة.

(١٥) بدل الإبل في دفع الدية، وكيف تدفع الدية؟

الإبل أصل في الدية ويجوز دفع بدلها إذا لم يتوافر الإبل عند علي، فعن عامر عن علي وعبد الله وزيد قالوا: الدية مائة من بعير[4]، وعن الحسن أن عليًا قضى

(١) الطرق الحكمية ص ٥٦، القضاء في الإسلام ص ١٥٤.

(٢) القضاء في الإسلام ص ١٥٤.

(٣) المغني (٩/ ٣٦٢، ٣٧٦) الطرق الحكمية ص ٥٠، عصر الخلافة الراشدة ص ١٥٣.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ١٢٨).

بالدية اثنى عشر ألفًا[١]، أي درهم من الفضة، وأما كيفية دفع الدية، فدية الخطأ وشبه العمد على العاقلة تدفعها مقسطًا على ثلاث سنين عند علي[٢]، والحجة في ذلك ما روي عن المغيرة بن شعبة قال: قضى رسول الله بالدية على العاقلة[٣]، وأما تقسيطها؛ فلأنها كثيرة يصعب أداؤها حالا فقسمت على ثلاث سنين بناء على التيسير الذي أمر به الإسلام[٤].

(١٦) دية الكتابي:

دية الكتابي من اليهود والنصارى مثل دية المسلم[٥]، فعن الحكم بن عتيبة أن عليًا قال: دية اليهودي والنصراني وكل ذمي مثل دية المسلم[٦].

(١٧) دية الصلب:

دية العمود الفقري دية كاملة عند علي إذا كسر وفقد صاحبه القوة على الجماع، فقد قال علي رضي الله عنه إذا كسر الصلب ومنع الجماع ففيه الديه[٧].

(١٨) عين الأعور:

إذا فقأ إنسان عين الأعور فإن فيها الدية كاملة أو يقتص الأعور لنفسه فيفقأ عينا للجاني ويأخذ نصف الدية عند علي نقل ذلك ابن قدامة[٨] لأن عين الأعور تعادل عيني البصير في منفعة البصر لذلك فيها الدية كاملة[٩].

(١٩) دية الأصابع:

دية كل أصبع من الأصابع عشر دية النفس عند علي أي عشر من الإبل، فعن

---

(١) الأم (٧/ ١٧٧).

(٢) فقه الإمام علي (٢/ ٨٥٣).

(٣) سنن ابن ماجة رقم ٣٦٣٣.

(٤) فقه الإمام علي (٢/ ٨٥٤).

(٥) فقه الإمام علي (٢/ ٨٥٥).

(٦) مصنف عبد الرزاق ١٨٤٩٤.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ٢٣١).

(٨) المغني (٨/ ٥).

(٩) فقه الإمام علي (٢/ ٨٦٠).

عاصم بن ضمرة عن علي قـال: في الأصابع عشر الدية[١]، وفي رواية في الأصابع عشر العشر[٢].

رابعًا: في التعزير:

كان أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يؤدب العـاصي ويردعه عن مـعصيـته بالتعـزير إذا لم يترتب علي معصـيته حد، ولما كـان عقوبة التعـزير على المعصيـة غير محددة، فـإن أمير المؤمنين علي ﷺ يذهب إلى الملاءمـة بين العقوبة والمعصيـة فكلما تعاظمت المعصيـة كانت العقوبة أعظم، ولقد تعددت وسائل التـعزير عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ حسب نوع المعصية وحال العاصى[٣]، ومنها على سبيل المثال:

١ - الضرب باليد:

ومـثال ذلك لما كـان عمـر بن الخطاب ﷺ يطوف بالبـيت، وعلي ﷺ يطوف معه، إذا عرض رجل لعمر فقال: يا أمير المؤمنين خذ حقي من علي بن أبي طالب، فقال: وما باله؟ قال: لطم عيني، فوقف عمر، حتى لحق به علي فقال: ألطمت عين هذا يا أبا الحسن؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: ولم؟ قال لأني رأيته يتأمل حرم المؤمنين في الطواف، فقال عمر: أحسنت يا أبا الحسن[٤].

٢ - الجلد دون الحد:

وكان أكـثر ما يعـزر به، ومن ذلك جلده للنجاشي الشـاعر الذي شرب الخـمر، وأفطر في رمضـان، فقال له: إنما جلدتك هذه العشـرين لجرأتك على الله، وإفطارك في رمضان[٥].

٣ - التشهير:

لجأ علي بن أبي طالب ﷺ إلى التشهير بـالعاصي وتعريف الناس به، كما فعل بشاهد الزور، وفي ذلك مصلحة للمجتمع، لئلا يسـتشهد فتضيع الحقوق، عن علي

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٩/ ١٩٣).
(٢) مصنف عبد الرزاق رقم ١٧٦٩٣.
(٣) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة ص ٣٢١.
(٤) الرياض النظرة في مناقب العشرة (٢/ ١٦٥).
(٥) موسوعة فقه علي بن أبي طالب قلعجي ص ١٥٣.

ابن الحسين قال: كان علي إذا أخذ شاهد زور بعثه إلى عشيرته فقال: إن هذا شاهد زور فاعرفوه وعرفوه ثم خلى سبيله[١]، وعن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أخذ شاهد الزور فعزره، وطاف به في حيه وشهره، ونهى أن يستشهد به[٢].

٤- الحبس:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يعاقب بالحبس أحيانا ومن ذلك حبسه للنجاشي الشاعر، الذي شرب الخمر، وأفطر في رمضان[٣].

٥- التقييد في الحبس:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقيد الدعار[٤]، بالحبس بقيود لها أقفال، ويوكل بهم من يحلها لهم وقت الصلاة من أحد الجانبين[٥].

٦- الغمس في الأقذار:

وجد رجل تحت فراش امرأة، فأتي به علي، فقال رضي الله عنه: اذهبوا به فقلبوه ظهرا لبطن في مكان منتن، فإنه كان في مكان شر منه[٦].

٧- القتل:

قد يصل التعزير عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى القتل، إذا كانت الجريمة قد تعاظمت، وكان لها أثرها البالغ الأهمية، كوضع الأحاديث على لسان رسول الله ﷺ، لأن هذا العمل يؤدي إلى إدخال شيء في الدين ما ليس منه، وانحراف الناس عن دينهم الذي ارتضى الله لهم[٧]، لذا فقد كان يقول: من كذب على النبي ﷺ يضرب عنقه[٨].

---

(١) موسوعة فقه علي ص ١٤٩.
(٢) موسوعة فقه علي ص ١٤٨.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٠/٣٦).
(٤) جمع داعر، والدعارة هي الفسق والخبث.
(٥) موسوعة فقه علي، قلعجي ص ١٥٦.
(٦) موسوعة فقه علي قلعجي ص ١٥٤.
(٧) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص ٣٢٤.
(٨) موسوعة فقه علي ص ١٥٤.

٨- إتلاف أداة الجريمة وما يتبعها:

فقد ورد عن ربيعة بن زكار قال: نظر علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى قرية فقال: ما هذه القرية؟ قالوا قرية تدعى زرارة[١]، يلحم فيها ويباع فيها الخمر، فأتاها بالنيران فقال: أضرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضا، فاحترقت[٢]، فقد أحرق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذه القرية الخمر وما يتبعه من مواد وأدوات تستخدم لصناعته[٣].

لقد أثر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في المؤسسة القضائية باجتهاداته في مجال القصاص والحدود والجنائيات والتعزير، كما أنه رضي الله عنه ساهم في تطوير المدارس الفقهية الإسلامية باجتهاداته الدالة على سعة اطلاعه وغزارة علمه وعمق فقهه وفهمه واستيعابه لمقاصد الشريعة الغراء.

المبحث الرابع: حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين:

تحدث الأصوليون عن مذهب الصحابي وقالوا بأنه من الأدلة المختلف فيها عند الكثير منهم، وحكى ابن القيم إجماع الأئمة الأربعة على الاحتجاج به[٤].

إن أصحاب النبي ﷺ وخصوصًا ساداتهم تبوءوا مكانة عالية في الفهم والإدراك كما قال عنهم ابن مسعود رضي الله عنه : فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[٥]، والشاهد من كلامه قوله «أعمقها علما» فهم أعمق الأمة علما، وأكثرهم فهما وإدراكا، ونسبة علم من بعدهم إلى علمهم كنسبة فضلهم إلى فضلهم[٦]، وإذا كان هذا من الوضوح بمكان بحيث لا يحتاج إلى حجة وبرهان فإنا نشير إلى بيان الأسباب التي بوّأهم الله بها هذه المكانة وهي:

---

(١) محلة بالكوفة سميت بزرارة بن يزيد بن عمر من بني بكار.

(٢) كنز العمال رقم ١٣٧٤٤، أبو عبيد الأموال ص ١٠٣.

(٣) منهج علي في الدعوة إلى الله ص ٣٢٥.

(٤) إعلام الموقعين (٤/ ١٢٠).

(٥) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٤، ٢١٥).

(٦) إعلام الموقعين (٤/ ١٤٧).

د- تلقيهم المباشر من النبي ﷺ :

وهذا له أثره في الفهم من عدة نواح:

أ- صفاء المورد إذ بتلقيهم من النبي ﷺ :

يتلقون الوحي غضا كما أنزل، ويسمعون كلام النبي ﷺ منه مباشرة، فليس علمهم مشوبا بما يكدره، بل هو محض الكتاب والسنة لم يختلط به آراء الرجال، ولا غيره من العلوم التي فتح بابها من بعد على المسلمين كعلوم الفلسفة وغيرها.

ب- دقة الفهم حيث إن معلمهم رسول الله ﷺ أفصح الناس لسانًا:

وأبلغهم بيانا، وأقدرهمَ تفهما، فكيف إذا صادف ذلك آذانا صاغية، وقلوبا واعية، وسليقة مواتية، تنشد الحق، وتتلهف لسماعه ولاشك أن ذلك يجعلهم يفهمون ما يلقى إليهم فهما دقيقا مطابقا لمراد الله ورسوله وهذا الأمر في غاية الوضوح إذ الناس في حياتهم وطلبة العلم في طلبهم يبحثون إبان تلقيهم عن أفضل العلماء علما وأحسنهم تصويرا للمسائل، وأقدرهم تفهيما وكم من تلميذ سطع نجمه، وعلا كعبه في العلم بفضل الله ثم بفضل حسن تعليم معلمه، ونحن نعلم أن أحدا لن يبلغ معشار ما بلغ إليه النبي ﷺ في حسن التعليم ولا أقل من ذلك وبهذا شهد معاوية بن الحكم رضي الله عنه في حسن التعليم، حيث قال: «فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه»(١).

جـ- ما يحصل لهم من يقين بما سمعوا وفهموا، فعلومهم يقينية:

وعلوم من بعدهم يداخلها الظن في كثير من أحوالها.

د- ما يحصل لهم من اطلاع على أسباب النزول وأسباب ورود الأحاديث:

ومعرفة الناسخ والمنسوخ مما يعينهم على فهم المراد وإدراك المقاصد.

هـ- ما يحصل لهم من مشاهدة أفعال النبي ﷺ :

التي تفسر أقواله، وتشرحها، وتبين آيات القرآن وتوضحها، ويوقف بها على المراد.

---

(١) مسلم، ك المساجد رقم ٣٣.

و- إمكانية السؤال عما أشكل عليهم، والحصول على الجواب.

٢- سليقتهم العربية:

فهم يفهمون آي القرآن، وأحاديث النبي ﷺ بسليقتهم ويعرفون وجوه دلالتها على معانيها، فلا يحتاجون إلى ما يحتاج إليه من بعدهم من دراسة قواعد اللغة وقواعد الأصول.

٣- إخلاصهم لله وتقواهم:

فببركة إخلاصهم نالوا العلوم الكثيرة النافعة، في أوقات قليلة كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فإذا تقرر هذا فكل هذه الأسباب شكلت فقها قويا متماسكا لدى أصحاب النبي ﷺ قال ابن القيم بعد أن ذكر مدارك اختصوا بها - كسماعهم من النبي ﷺ وسماعهم من بعضهم، وعلمهم بالعربية على أكمل الوجوه[١]، قال: أما المدارك التي شاركنهم فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة، فلا ريب أنهم كانوا أبر قلوبا وأعمق علما، وأقل تكلفا وأقرب إلى أن يوفقوا فيها لما لم نوفق له نحن، لما خصهم الله تعالى به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحسن المقصد وتقوى الرب تعالى فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل غنوا في ذلك كله فليس في حقهم إلا أمران:

إحداهما: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا.

والثاني: معناه كذا وكذا.

وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، وأحظى الأمة بهما، فقواهم متوفرة مجتمعة عليهما، وأما المتأخرون فقواهم متفرقة وهممهم متشعبة، فالعربية وتوابعها قد أخذت من قوى أذهانهم شعبة، والأصول وقواعدها قد أخذت منها شعبة، وعلم الإسناد وأحوال الرواة قد أخذ منها شعبة، وفكرهم في كلام مصنفهم وشيوخهم على

---

(١) مقاصد الشريعة لليوبي ص ٦٠٠.

اختلافهم وما أرادوا به قد أخذ منها شعبة، إلى غير ذلك من الأمور ـ فإذا وصلوا إليها بقلوب وأذهان قد كلت من السير في غيرها، وأوهن قواهم مواصلة السير في سواها فأدركوا من النصوص ومعانيها بحسب القوة[١]، وبما تقدم يتقرر أن أصحاب النبي ﷺ أدق فهما وعلما بما هيأ الله لهم من الأسباب المعينة على الفهم والعلم، فبناء على ذلك فهم أعلم بمقاصد الشريعة ومراميها من غيرهم ولكون من أهم الطرق المحصلة لمقاصد الشريعة: العلم بالكتاب والسنة وطرق الاستنباط منها، وهذا متوفر لدى الصحابة بلا شك على أكمل الوجوه وأحسنها[٢]. قال الشاطبي: السلف أعلم الناس بمقاصد القرآن[٣]، وقال عن الصحابة هم القدوة في فهم الشريعة والجري على مقاصدها[٤]. هذا وقد تنوعت مذاهب العلماء في حجية قول الصحابي وانقسمت إلى خمسة من أقوال مشهورة وقبل أن نذكر أقوال المذاهب نحرر محل النزاع فنقول:

١ـ اتفق الكل على أن مذهب الصحابي في مسائل الاجتهاد لا يكون حجة على غيره من الصحابة إماما كان أو حاكما أو مفتيًا.

٢ـ إذا قال الصحابي قولا ووافقه الباقون فليس داخلا في محل النزاع لكونه إجماعا حينئذ.

٣ـ إذا قال قولاً وانتشر ولم يخالف أحداً فهذا له حكم الإجماع السكوتي.

٤ـ اتفقوا على أن قول الصحابي ليس بحجة إذا خالفه صحابي آخر.

٥ـ اتفقوا على أن قول الصحابي إذا رجع إلى الكتاب أو السنة أو الإجماع فإن الحجة حينئذ فيما رجع إليه.

٦ـ اتفقوا على أن قول الصحابي إذا رجع عنه فليس بحجة ومحل الخلاف إذا قال الصحابي قولا في مسألة اجتهادية تكليفية ولا ظهر له مخالف ولا موافق، ولا ندري انتشر أم لا؟ خالف أحد أم لا[٥].

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ١٤٩).

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية لليوبي ص ٦٠١.

(٣) الموافقات (٣/ ٤٠٩).

(٤) المصدر نفسه (٤/ ١٣٠).

(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية ص ٥٩٦، ٥٩٧.

واختلف العلماء في ذلك على أقوال:

القول الأول:

أنه حجة وهوقول مالك والشافعي في القديم، وأحمد في رواية عنه، وعليه أكثر الأصوليين والفقهاء من الحنفية وابن عقيل من الحنابلة والعلائي[(١)]، والخطيب البغدادي من الشافعية، واختاره ابن القيم في إعلام الموقعين، والشاطبي في الموافقات وابن تيمية[(٢)].

القول الثاني:

إنه ليس بحجة وهو قول الشافعي في أحد قوليه اختارها الآمدى والرازي والغزالي وأحمد في رواية[(٣)].

القول الثالث:

إنه حجة إن كان مما لا مجال للرأي فيه فقط، وهو قول جماعة من الأحناف[(٤)].

القول الرابع:

قول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حجة دون غيرها[(٥)].

القول الخامس:

قول الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم حجة دون غيرهم[(٦)].

والراجح والله أعلم هو القول الأول وأدلة الترجيح في ذلك.

أولاً: من كتاب الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٣٢٠).
(٢) مجموعة الفتاوى (٥/ ٤١٣)، إعلام الموقعين (٤/ ١٢٠).
(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية ص ٥٩٧.
(٤) حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٣٢١).
(٥) الأحكام للآمدي (٤/ ١٣٠)، حجية قول الصحابي ص ٤٠.
(٦) حجية قول الصحابي ص ٤٠.

روى الحافظ ابن جرير في تفسيره لهـذه الآية بسنده عن محمد بن كعب القرضي قال: مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ﴾ حتى بلغ ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ قال: وأخـذ عمر بيـده فقال من أقـرأك هذا؟ قال أبي بن كعب، قال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه، فلمـا جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا. . قال: نـعم. قال: أنت سمـعتهـا من رسول الله ﷺ قال: نعم. قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغـها أحد بعدنا، فقال أُبي تصديق هذه الآية من أول سـورة الجـمـعـة ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمـعة:٣]، وفي سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] وفي الأنفال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٥]، وسبب سؤال عمر أنه كان يقرأ هذه الآية برفع الأنصار وبعدم إلحاق الواو في الـذين كما أورد ذلك ابن جرير(١)، ثم لما تبين له من أبي بن كعب الخفض وإلحاق الواو قال: لقد كنت أظن أنا رفـعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، يقصد المهاجرين وهذا القول منه رضي الله عنه يؤيد ما ذهب إليه أصحاب القول الأول القائلين بحجـية أقوال الصحـابة من غير تخصيص لبـعضهم، إذا اشتـرك الجميع في وصف الثناء عليهـم بكونهم سبقـوا في كل علم وفضل وجهـاد وعمل، وهذه الآية احتج بها ابن القيم وجعلهـا من الأدلة الدالة على وجوب اتباع الصحابة(٢)، وحكى احتـجاج الإمام مالـك بها في هذا المعنى(٣)، وذكر أن الآية تـتـضمن مدح الصـحابة والثناء عليهم واسـتحقاقـهـم أن يكونوا أئمة متـبوعين يقتدى بهم، وتؤخـذ أقوالهم، وأنها اقتضت المدح لمن اتبعـهـم كلهم، أو اتبع كل واحد منهم مالم يخالف نصا(٤)، ومن الأدلة: قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، روى ابن جرير بسنده عند تفسـيره لهذه الآية عن الضحاك، قال: هم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة(٥)، قال ابن جرير بعد

---

(١) تفسير الطبري (١٤/٤٣٨).
(٢) إعلام الموقعين (٤/١٢٣).
(٣) المرجع السابق (٤/١٢٣).
(٤) إعلام الموقعين (٤/١٢٣ - ١٢٩).
(٥) تفسير الطبري (٧/١٠٢).

إيراده لهذا الأثر مبينا معناه: يعني وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم[١]، واستشهد بالآية الشاطبي حين قرر أن: سنة الصحابة رضي الله عنهم سنة يعمل عليها ويرجع إليها[٢]، فقال في الآية: إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقتضي باستقامتهم في كل حال وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة[٣]، وقد أفاض الإمام ابن القيم الجوزية في الاستدلال على حجية قول الصحابة بالآيات الكريمة ووجه استدلاله فأجاد وأفاد[٤].

ثانيًا: أما الأدلة من السنة فهي كثيرة منها:

قوله ﷺ: «**خير الناس القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني ثم الثالث**»[٥]، فإخباره ﷺ بذلك يقتضي تقديمها في كل باب من أبواب الخير، ولاسيما في ظفرهم بالصواب[٦]، فهم أفضل من غيرهم في كل فضيلة، من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم من الدين بالضرورة من دين الإسلام[٧]، وعن عبد الله بن مسعود قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي بعثه الله عز وجل إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره**»[٨]، وقد استشهد البيهقي بهذا الحديث على أفضليتهم ومنزلتهم[٩] العالية في كل علم وعمل وقصد[١٠].

ثالثًا: الأدلة من الآثار منها:

ما روى عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: يا معشر القراء خذوا الطريق من كان قبلكم، فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم بعيدا، ولئن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم

---

(١) المصدر نفسه (٧/ ١٠٢).
(٢) الموافقات (٤/ ٧٤).
(٣) المصدر نفسه (٤/ ٧٤).
(٤) إعلام الموقعين (٤/ ١٢٣ - ١٣٥).
(٥) مسلم (٢/ ١٩٦٥).
(٦) إعلام الموقعين (٤/ ١٣٦).
(٧)مجموع الفتاوي (٤/ ١٥٨).
(٨) مسلم، ك الإيمان (١/ ٦٩).
(٩) الاعتقاد للبيهقي ص ٣١٩ .
(١٠) حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٣٢٨).

ضلالاً بعيداً[1]، روى الخطيب بسنده عن عامر الشعبي أنه قال: ما حدثوك عن أصحاب محمد ﷺ فخذه[2].

رابعًا: من أقوال الأئمة والعلماء في حجية قول الصحابي:

١- قول الشافعي:

ما كان الكتاب والسنة موجودين فالعذر عمن سمعهما مقطوع، إلا باتباعهما، فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ أو واحد منهم[3]، وقال أيضا: لا يكون لك أن تقول إلا عن أصل، أو قياس على أصل، والأصل كتاب أو سنة، أو قول بعض أصحاب رسول الله ﷺ أو إجماع الناس[4].

٢- وقال أحمد:

لا تقلد دينك أحدا من هؤلاء ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعد، الرجل فيه مخير[5].

٣- وقول الإمام مالك:

ومذهبه في ترجيح عمل أهل المدينة مشهور ومعلوم، بيد أنه قد ذهب إلى أبعد من ذلك، حين اعتبر قول الصحابة، ولاسيما ولاة الأمر بعده محل احتجاج[6].

٤- قال ابن تيمية:

ومن قال من العلماء، إن قول الصحابي حجة، فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة، ولا عرف نصا يخالفه، ثم إذا اشتهر ولم ينكروه، كان إقراراً على القول، فقد يقال هذا إجماع إقراري إذا عرف أنهم أقروه، ولم ينكره أحد منهم وهم لا يقرون على باطل[7]، أما إذا لم يشتهر فهذا إن عرف أنه خالفه فليس بحجة بالاتفاق[8].

---

(١) حلية الأولياء (١٠/ ٢٨٠)، البدع لابن وضاح ص ١٠.
(٢) حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٣٢٩).
(٣) الأم للشافعي (٧/ ٢٦٥).
(٤) مناقب الشافعي ص ٣٦٧.
(٥) مسائل الإمام أحمد لأبي داود ص ٢٧٦.
(٦) إعلام الموقعين (٤/ ١٢٣)، ترتيب المدارك (١/ ٦٤).
(٧) مجموع الفتاوى (١/ ٢٨٣).
(٨)مجموع الفتاوى (١/ ٢٨٣).

٥ ـ قال الشاطبي:

عند شرحه لقول النبي ﷺ: «ما أنا عليه وأصحابي»[١]، فكأنه راجع إلى ما قالوه وما سنوه، وما اجتهدوا فيه حجة على الإطلاق، وبشهادة رسول الله ﷺ لهم بذلك خصوصًا ـ إلى أن قال ـ فإذا كل ما سنوه فهو سنة، من غير نظير فيه بخلاف غيرهم[٢]، وقال في الموافقات: سنة الصحابة ﷺ سنة يعمل عليها ويرجع إليها[٣].

---

(١) السلسلة الصحيحة (١/ ١٢، ٢٥) (٣/ ٤٨٠).

(٢) الاعتصام (٢/ ٢٦٣).

(٣) الموافقات (٤/ ٧٤).

الفصل الخامس

مؤسسة الولاة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

المبحث الأول: أقاليم الدولة:

أولاً: مكة المكرمة:

توفي عثمان رضي الله عنه وعلى مكة خالد بن سعيد بن العاص، فأصدر علي رضي الله عنه قراراً بعزله وعين أبا قتادة الأنصاري واليا على مكة[1]، ويبدو أن فترة ولايته قصيرة إذ إن عليًّا رضي الله عنه عندما أراد الخروج من المدينة إلى العراق بعث قثم بن العباس[2]، واليا على مكة، وعزل أبا قتادة الأنصاري[3]، وبهذا فإن ولاية أبي قتادة استمرت قرابة الشهرين، ولم ترد عنها أخبار تذكر، ومعظم المصادر التي تحدثت عن ولاية قثم بن العباس على مكة ذكرت أن عليًّا ولاه على مكة والطائف وأعمالها في وقت واحد[4]، ونقل الأخبار عن مكة في عهد خلافة علي رضي الله عنه سوى ما يتعلق بموسم الحج ومن كان واليا عليه، فعلي بن أبي طالب لم يرد أنه شهد الحج أثناء خلافته بسبب انشغاله بالفتن التي قامت في أنحاء الدولة الإسلامية، حيث لم تستقر الأوضاع فيها، وكان خلال موسم الحج يبعث من يقود الحجيج، ويبدو أن قثم بن العباس أقام الحج بالناس سنة ٣٧ هـ فقط، بينما بعث علي رضي الله عنه على الحج عبد الله ابن العباس سنة ٣٦ هـ وعبيد الله بن العباس، سنة ٣٨ هـ[5]، مع وجود اختلاف بين المصادر في سنة حج كل منها، وأما سنة ٣٩ هـ فقد بعث معاوية أحد قواد الشام مع حجاج الشام وأمره أن يقيم الحج بالناس، فلما وصل إلى مكة تنازع مع قثم بن

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٣)، تاريخ ابن خياط ص ٢٠١.

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٠).

(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٧٩).

(٤) الكامل في التاريخ (٣/ ٣٩٨)، الولاية على البلدان (٢/ ٤).

(٥) تاريخ خليفة ص ١٩١، ١٩٢، ١٩٨، الولاية على البلدان (٢/ ٤).

عباس) وكاد أن يقع بينهما قتـال لولا أن عمل بعض الصحابة بينهما بالصلح على أن يقيم الحج بالناس أحد بني شيبة وانتهى الحج بسلام ولم يقع قتال[١]، وقد استمر قثم ابن العباس في ولايته على مكة إلى أن قدم جيش معاوية بقيادة بسر بن أرطأة فخرج منها قثم هاربا خائفا على نفـسه، وبذلك انتهت ولاية قثم، وخرجت مكة من ولاية علي بن أبي طالب، وقد بعث علي بعض أجناده لاستعادة مكة إلا أن استشهاد علي ﷺ حال دون إتمام المهمة[٢].

ثانياً: المدينة النبوية:

كانت المدينة المنورة طيلة عهد رسول الله وخلفـائه الثلاثة من بعده عاصمة الدولة الإسلاميـة، ويقيم فيهـا الخليفة، ويتولى شـؤونها بنفسه أثناء وجـوده، أما في حالة السفر فإنه ينيب عليها من يتولى شـؤونها، وقد اختلف الوضع بعد مبايعة علي ﷺ بالخلافة، إذا دعـته الحالة العامة والارتباك الذي حـدث بعد مقتل عثمـان إلى مغادرة المدينة المنورة خصوصًـا بعد خروج طلحة والزبير وعـائشة باتجاه العراق قبل مـوقعة الجمل[٣]، وقد اسـتخلف على المدينـة سهل بن حنيف الأنصـاري كما تقـول بعض الروايات[٤]، ولا نعلم المدة التي بقي فيها ابن حنيف واليًا على المدينة والذي يبدو أن ولايته قد استمرت أكـثر من سنة، فقد ورد أنه كان على المدينة سنة ٣٧هـ[٥] ثم ولي علي تمام بن العباس على المدينة بعـد أن عزل سهل بن حنيف وقد ولى على بن أبي طالب على المدينة بعـد ذلك أبا أيوب الأنصاري الذي اسـتمـر واليا عليهـا إلى سنة ٤٠هـ، حيث قـدم المدينة جيش من الشام من قـبل معاوية بقيـادة بسر بن أرطأة[٦]، ففر أبو أيوب من المدينة، وتوجه إلى علي في الكوفة[٧]، وبذلك خرجت المدينة من حكم على بن أبي طالب ﷺ ودخلت في حكـم معاوية، وهكذا تحـولت المدينة في

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٤)، تاريخ الطبري (٦/ ٧٩).
(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٨٠)، الولاية على البلدان (٢/ ٥).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص (٨)، الولاية على البلدان (٢/ ٢).
(٤) تاريخ ابن خياط ص ١٨١، ٢٠١، الولاية على البلدان (٢/ ٢).
(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٥٣)، الولاية على البلدان (٢/ ٢).
(٦) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٠٩)، الولاية على البلدان (٢/ ٢).
(٧) تاريخ الطبري (٦/ ٨٠)، الكامل (٣/ ٣٧٣).

عهد علـي من قاعدة للخلافة إلـى ولاية من الولايات، وأخذت الأحداث السيـاسية تدور بعيدًا عنها، لذلك نجد المصادر التاريخـية تكاد تهملها خلال تلك الفترة إلى أن استطاع جيش معاوية الاستيلاء عليها[١].

ثالثًا: ولاية البحرين وعمان:

كانت البحرين حين توفي عثمان ﷺ تابعـة لإمارة البصرة، وكان ابن عامر يولي عليهـا من عماله، وفي عـهد علي ﷺ عين علي على ولاية البحـرين مجمـوعة من الأمراء كان من أهمهم عمر بن أبي سلمة[٢] الذي خرج مع علي من المدينة أثناء سفره إلى العراق، ثم بعثه علـي واليا على البحرين[٣]، لفترة من الوقت ثم اسـتدعاه علي لمصاحبته في العراق بعد ذلك، كما كان من عمال علي في البحرين قدامة بن العجلان الأنصاري[٤]، والنعـمان بن العـجلان الأنصـاري[٥]، وكذلك ذكـر من ولاته على البحرين عبـيد الله بن العباس[٦]، ويلاحظ أن عبيد الله بن عـباس كان والي اليمن، فلعل البحرين ونجد كـانتا تابعتين له في تلك الفترة، وهذا يوحي به تعـبير الطبراني، كما أن تعبير خليفة بن خيـاط يوحي بعدم معرفته لترتيب معين لهؤلاء الولاة[٧]، وقد أوردت المصادر أسماء بعض العمال الذين وجههم علي إلى عمان أحدهم والي والآخر قائد جند لإخماد أحد الثورات التي قامت ضد علي في عمان[٨]، وكذلك كان هنالك عامل على اليمامة[٩]، ولعله خاضع لإشراف والي البحرين[١٠].

رابعًا: ولاية اليمن:

لما استـشهد عثـمان وبويع علي بالخلافـة ولى على العهد عـبيد الله بن العـباس

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٣).
(٢) تهذيب التهذيب (٧/ ٤٥٦).
(٣) الكامل (٣/ ٢٢٢)، الولاية على البلدان (٢/ ٥).
(٤) الولاية على البلدان (٢/ ٥).
(٥) الإصابة (٣/ ٥٦٢)، الولاية على البلدان (٢/ ٥).
(٦) تاريخ الطبري (٦/ ٩٠).
(٧) الولاية على البلدان (٢/ ٦).
(٨) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٩٥)، الولاية على البلدان (٢/ ٦).
(٩) الولاية على البلدان (٢/ ٦).
(١٠) الولاية على البلدان (٢/ ٦).

رضي الله عنه[١]، وقد خرج ولاة عثمان من اليمن قبل وصول عبيد الله بن عباس إليها، واشترك بعضهم في جيش الجمل مع طلحة والزبير وكان لهم دور في تجهيز الجيش[٢]، وقد كان عبيد الله بن عباس على صنعاء وأعمالها كما كان معه في الولاية سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري[٣]، على الجند ومخالفيها[٤]، وكان مقتل عثمان له أثر بالغ على المسلمين في اليمن، وأحس القوم بالامتعاض والتبرم من هذا الجرم، وبقي بعض اليمنيين لم يبايع ويرغب في قتل قتلة عثمان رضي الله عنه، ولم تأخر هذا راسلوا معاوية بعد التحكيم، فأرسل بسر بن أرطأة، فاستطاع أن يستولي على اليمن بفضل مساعدتهم، ولكن لفترة وجيزة[٥]، حيث استطاع علي استرجاعها من جيش معاوية فأعاد عبيد الله بن عباس إلى ولايتها مرة أخرى، واستمر واليا عليها إلى أن استشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٦].

وقد روي أن بسرًا قتل ابنين لعبيد الله بن عباس وبعض أنصار علي هناك ثم رجع إلى الشام، وكان أمير المؤمنين قد وجه جارية بن قدامة السعدي قيل ففعل مثلما فعل بسر وقتل بعض محبي عثمان في اليمن[٧]، قال ابن كثير: وهذا الخبر مشهور عند أهل السير وفي صحته عندي نظر[٨]، ولاشك أن قتل الأبرياء لم يحصل في تلك المرحلة حتى في أيام البصرة وصفين عندما قامت الحرب بين الطرفين، فكيف يقتل الأطفال والأبرياء في مرحلة الهدنة لذلك لا يمكن قبول هذه الأعراف المناقضة لأعراف المسلمين وقيمهم ودينهم[٩].

خامسا: ولاية الشام:

كان معاوية رضي الله عنه واليًا على الشام في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما، ولما تولى علي

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ٦.
(٢) مروج الذهب للمسعودي (٢/ ٣٥٧)، الولاية على البلدان (٢/ ٦).
(٣) الاستبصار لابن قدامة المقدسي ص ٩٩، الولاية على البلدان (٢/ ٦).
(٤) الولاية على البلدان (٢/ ٦).
(٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ١٠٩.
(٦) تاريخ الطبري (٦/ ٨٠، ٨١)، الولاية على البلدان (٢/ ٧).
(٧) تاريخ الطبري (٦/ ٥٥).
(٨) البداية والنهاية (٧/ ٣٣٤).
(٩) الإنصاف د. حامد ص ٥٧٥.

الخلافة أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر فـأبى عليه عبد الله بن عمر قبول ولاية الشام واعتذر في ذلك وذكر له القرابة والمصاهرة التي بينهم[١]، ولم يلزمه أمير المؤمنين علي وقبل منه طلبه بعدم الذهاب إلى الشام، وأما الروايات التي تزعم أن عليًا قام بالتهجم على عبد الله بن عمـر رضي الله عنه لاعتزاله وعدم وقوفه إلى جانبه، فـفي ذلك الخبر تحريف وكذب[٢]، وأقصى ما وصل إليه الأمر في قضية عبد الله بن عمر وولاية الشام ما رواه الذهبي من طريق سفيان عينية، عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال: بعث إلى علي قال: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع في أهل الشام، فسر فقد أمرتك عليهم، فقلت: أذكرك الله وقرابتـي من رسول الله وصحبتي إياه، إلا ما أعفـيتني فأبى علي، فاستعنت بحفصـة فأبى، فخرجت ليلا إلى مكة[٣]، وهذا دليل قاطع على مبايعة ابن عمر، ودخوله فـي الطاعة، إذ كيف يوليه علي وهو لم يبايع، وفي الاسـتيعاب لابن عبد البر؟ من طريق أبي بكر بن أبي الجهم عن ابن عمر أنه قال حين احتضر: ما آسى على شيء إلا تركي قـتال الفـئة البـاغيـة مع علي رضي الله عنه[٤]، وهذا مما يدل أيضا على مبايعـته لعلي، وأنه إنما ندم على عدم خروجـه مع علي للقتال، فإنه كـان ممن اعتزل الفتنة، فلم يقاتل مع أحـد، ولو كان قد ترك البيعة لكان ندمـه على ذلك أكبر وأعظم ولصرح به، فإن لـزوم البيعة والدخول فـيها داخل الناس فيـه واجب، والتخلف عنه متوعد عليه برواية ابن عـمر نفسه أن النبي قال: «**من مات وليس في عنقه بيـعة مات ميتة جاهلية**»[٥] وهذا بخلاف الخروج للقتال مع علي، فإنه مـختلف فيه بين الصحابة وقد اعتزله بعض الصحابة، فكيف يتصور أن يندم ابن عمر على ترك هذا القتال، ولا يندم على ترك البيـعة لو كان تاركا لـها، مع ما فيـه من الوعيد الشديد، وبهـذا يظهر بطلان قول بعض المؤرخين في زعمـهم من ترك ابن عمر البيـعة لعلي رضي الله عنه حيث ثبت أنه كان من المبايعين له بل المقـربين منه، الذين كان يحرص على توليتهم، والاسـتعانة بهم، لما رأى فيه من صدق الولاء والنصح له[٦].

(١) المصنف لابن أبي شيبة (٧/ ٤٧٢) إسناده صحيح.
(٢) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، خالد الغيث ص١٦٠.
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢٤) رجاله ثقات.
(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٣).
(٥) مسلم، ك الإمارة رقم ١٨٥١.
(٦) الانتصار للصحب والآل ص ٥٠٧.

وبعد اعتذار ابن عمر من قبول ولاية الشام، أرسل أمير المؤمنين علي سهل بن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع[1]، وكانت بلاد الشام تغلي غضبا على مقتل عثمان ظلما وعدوانا، فقد وصلهم قميصه مخضبا بدمائه، بأصابع نائلة زوجه، التي قطعت أصابعها وهي تدافع عنه، وكانت قصة استشهادة أليمة فظيعة اهتزت لها المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها الدموع، كما وصلتهم أخبار المدينة وسيطرة الغوغاء عليها، وهروب بني أمية إلى مكة، كل هذه الأمور وغيرها من الأحداث والعوامل كان لها تأثيرا على أهل الشام وعلى رأسهم معاوية رضي الله عنه، فقد كان يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه فهو ولي دمه، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل ظلما وعدوانا على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم[2] وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان ومنشطا ودافعا قويا للتصميم على تحقيق الهدف، وهو عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فجاء فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه فقال: **«يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصًا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاث»**، فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبي إلى به، فكتبت

(١) تهذيب تاريخ دمشق (٣٩/٤)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ١١٠.
(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢٤/١).

إليه به كتاب[١] كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي، في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب بالخلافة، وليست لأطماع معاوية في ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق إذا كان يدرك إدراكًا تامًا أن هذه الأمر في بقية الستة من أهل الشورى وأن عليًا أفضل منه وأولى بالأمر[٢]، ودليل ذلك ما أخرجه يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد، عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليًا، أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فأتوه، فقولوا له: فليدفع إلى قتلة عثمان، وأسلم له، فأتوا عليًا، فكلموه، فلم يدفعهم إليه[٣]، وفي رواية: فأتوه فكلموه فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إلي، فامتنع معاوية[٤]، وأما الروايات التي تصور معاوية في خروجه عن طاعة علي بسبب أطماع ذاتية وأطماع دنيوية، وبسبب العداء والتنافس الجاهلي القديم بين بني هاشم وبني أمية وغير ذلك من القذف والافتراءات والطعن على أصحاب رسول الله، مما اعتمد عليها الكتاب المعاصرين ـ كالعقاد في عبقرية علي، وعبد العزيز الدوري في مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ـ وبنوا عليها تحليلاتهم الباطلة، فهي روايات متروكة مطعون في رواتها عدلاً وضبطًا[٥].

وقد استمرت ولاية الشام تابعة لنفوذ معاوية بن أبي سفيان طيلة خلافة علي رضي الله عنه، ولم يتمكن علي من السيطرة عليها أو تعيين العمال والأمراء فيها، وقد وقعت إلى الشرق من بلاد الشام بعض المناوشات بين جند علي وجند معاوية كان أهمها موقعة (صفين) والتي شهدها علي ومعاوية رضي الله عنهما في سنة ٣٧هـ ولم تمنع هذه المعارك من استمرار سيطرة معاوية على الشام[٦].

---

(١) مسند أحمد، باقي مسند الأنصار رقم ٢٤٠٤٥، حديث صحيح.
(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص١١٢.
(٣) فتح الباري (١٣/ ٩٢)، البداية والنهاية (٨/ ١٢٩).
(٤) فتح الباري (١٣/ ٩٢)، استشهاد عثمان ص ١٦٠.
(٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ١١٢.
(٦) الولاية على البلدان (٢/ ٨).

سادساً: ولاية الجزيرة:

كانت الجزيرة إحدى الولايات التابعة للشام أيام عثمان بن عفان ﷺ، وبعد استشهاده كانت الشام بيد معاوية، والعراق بيد علي، مما جعل الجزيرة محل تنازع بين الفريقين، نظرا لموقعها الجغرافي واتصالها بالشام من جهة وبالعراق من جهة أخرى[١]، وبالتالي سهولة السيطرة عليها من كلا الجانبين، وقد وقعت في الجزيرة العديد من المعارك بين أجناد علي وأجناد معاوية في محاولة من كلا الطرفين للسيطرة عليها، ويبدو أن عليًا استطاع السيطرة عليها[٢]، لفترة من الوقت وعين عليها «الأشتر» وهو أشهر ولاة علي في الجزيرة[٣]، حيث ولاه عليها لأكثر من مرة فاستطاع أن يرتب أمورها، ثم اضطر علي ﷺ لنقله لولاية مصر وذلك في سنة ٣٨هـ[٤]، فعاد الاضطراب مرة أخرى إلى الجزيرة ونشط أتباع معاوية في الاستيلاء عليها بعد ذلك فوقعت فيها العديد من المعارك[٥]، ويبدو أن معاوية استطاع في أواخر سنة ٣٩هـ أن يسيطر إلى حد ما على الجزيرة[٦]، وقد كانت الجزيرة ملجأ لبعض المعتزلين للحرب بين علي ومعاوية وهم الذين لم يبايعوا أيامها أثناء النزاع الناشب بينهما[٧]، ولعل موقعها في المتصف بين الطرفين هو الذي دفعهم لاختيارها، وقد وردت أسماء بعض من ولي الجزيرة لعلي ومنهم شبيب بن عامر[٨]، وكميل بن زياد وكان لهما دور في مقاومة جيوش الشام التي هاجمت الجزيرة بل إنهما استطاعا الهجوم على الشام من قبل الجزيرة[٩].

سابعًا: ولاية مصر:

استشهد عثمان ﷺ وعلى مصر محمد بن أبي حذيفة مغتصبا للولاية فيها، ولم

---

(١) معجم البلدان (٢/ ١٣٥).

(٢) الأخبار الطوال للدينوري ص ١٥٤، الولاية على البلدان (٢/ ٨).

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٠٠.

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٥٤).

(٥) الفتوح لابن أعثم الكوفي (٤/ ٤٥) ، الكامل (٣/ ٣٧٩).

(٦) الكامل (٣/ ٣٨٠).

(٧) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٤).

(٨) الولاية على البلدان (٢/ ٩).

(٩) الفتوح ابن أعثم الكوفي (٤/ ٥٠ ـ ٥٢)، تاريخ الطبري (٦/ ١٩).

يقره عثمان عليها، وبعد وفاة عثمان أقره علي على مصر فترة من الوقت لم تطل، حيث وجه معاوية جيشا إلى نواحي مصر فظفر بمحمد بن أبي حذيفة فقبض عليه ثم سجن وقتل[١]، وقد ذكر أن عليًا لم يعين محمد بن أبي حذيفة على مصر وإنما تركه على حاله حتى إذا قتل عين علي قيس بن سعد الأنصاري على ولاية مصر[٢]، فقال له: سر إلى مصر وليتكها واخرج إلى رحلك واجمع إليه ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فإن ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن[٣]، وقد ظهر ذكاء قيس وحسن تصرفه في العديد من المواقف فإنه حين توجه إلى مصر كان فيها مجموعة ممن غضبوا لمقتل عثمان، ومجموعة ممن اشتركوا في قتله ولقد لقيته خيل من مصر قبل دخوله إليها فقالوا: من أنت قال من فألة[٤]، عثمان فأنا أطلب من أوى إليه فأنتصر به لله قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امض فمضى حتى دخل[٥]، مصر وهذا الموقف الذي لقيس هو الذي مكنه من دخول مصر، ثم أعلن بعد ذلك أنه أمير، وربما لو أنه أعلن لهؤلاء الأجناد أنه أمير لمنعوه من دخول مصر أصلا، كما حدث لمن وجهه علي إلى الشام فمنعته أجناد الشام من دخولها حينما علموا أنه قد بعث أميرا على الشام[٦]، وحينما وصل قيس ابن سعد إلى الفسطاط صعد المنبر وخطب في أهل مصر وقرأ عليهم كتابا من علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وطلب البيعة لعلي[٧]، وهنا انقسم أهل مصر إلى فريقين فريق دخل في بيعة علي وبايعوا قيسا، وفريق توقف واعتزل، وكان قيس بن سعد حكيما مع الذين بايعوا والذين امتنعوا، حيث لم يجبرهم على البيعة وكف عنهم وتركهم في حالهم[٨]، ولم يكتف بذلك بل إنه بعث لهؤلاء أعطياتهم في مكان اعتزالهم،

(١) ولاة مصر للكندي ص ٤٢، ٤٣، الولاية على البلدان (٢/٩).
(٢) ولاة مصر ص ٤٤، النجوم الزاهرة (١/٩٤).
(٣) الكامل في التاريخ (٢/ ٣٥٤).
(٤) الفألة: الجماعة المنهزمون، لسان العرب (١١/ ٥٣١).
(٥) الولاية على البلدان (٢/ ١٠) نقلا عن نهاية الأرب في تاريخ العرب للنويري.
(٦) تهذيب تاريخ دمشق (٤/ ٣٩).
(٧) الكامل في التاريخ (٢/ ٣٥٤).
(٨) ولاة مصر ص ٤٤، الكامل في التاريخ (٢/ ٣٥٤).

ووفد عليه قوم منهم فـأكرمهم وأحسن إليهم[١]، فساعدت تلك المعـاملة الطيبة على تجنب الصدام بهم، وبالتـالي ساعدته على هدوء الأوضاع بمصر، حـتى استطاع قيس أن ينظم الأمـور فـيـهـا، فـوزع الأمـراء ونظم أمـور الخـراج وعين رجـالات على الشرطة[٢]، وبذلك استطـاع أن يرتب ولاية مصر، وأن يسـترضي جـميع الأطراف فيها[٣]، وأصبح قيس بن سـعد في هذا الموقع يشكل ثقلا سياسـيا وخطرا عسكريًا على معاوية بن أبي سفيان في الشام، نظرا لقرب مصر من الشام، ولترتيب قيس لها وتنظيمها، وما اشتهر عن قيس من حزم، وخوف معاوية من حركات عسكرية مناوئه له تخرج من مصر، ولذلك فإنه أخذ يراسل قـيس بن سعد في مصر مهددا له، وفي الوقت نفسه يحـاول إغراءه بالانضمام إليه، وكانت إجـابات قيس على تلك الرسائل إجابات ذكيـة بحيث لم يستطع معـاوية أن يفهم موقف قيس ومـا ينوي عمله، وقد تعددت بينهما الرسائل[٤]، وقد انتشرت الروايات الرافضـية من الرسائل بين معاوية وقيس بن سـعد التي ذكرها أبو مـخنف في كتب التاريخ وهي باطلة لا تصح، فـقد انفرد بها هذا الرافـضي التالف الذي ضعفه رجال الجرح والتـعديل بها وفي متن تلك الرواية غرائب من أبرزها ما يلي:

١ـ خطاب علي إلى أهل مصـر مع قيس بن سعـد وفيه: ثم ولي بعـدهما والي فأحدث أحداثا فوجدت عليه الأمة مقالا فقالوا ثم نقموا عليه فغيروا، وهذا يعني أن الذين قـاموا على عـثمان رضي الله عنه رجـال الأمة وأن الأمـة قد غـيرت هذا المنكر بقـتل عـثمـان، وعلي رضي الله عنه بريء من هذا القول، وهو يـعلم أن الذين قتلوا عـثمـان هم أوباش الناس وأن قتله ظلم وفجور، وأقواله تدل على ذلك ومنها ما رواه ابن عساكر أن محمد ابن الحنفية قال: ما سمعت عليًا ذاكرًا عثمان بسوء قط[٥]، وأخرج الحاكم وابن عساكر أن عليا رضي الله عنه قال: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي، وجاءوني لـلبيعة فقلت والله إني لأستحي من الله أن

(١) ولاة مصر ص ٤٤.
(٢) الولاية على البلدان (٢/ ١١)، النجوم الزاهرة (١/ ٩٨).
(٣) الولاية على البلدان (٢/ ١١).
(٤) الكامل (٢/ ٣٥٥)، الولاية على البلدان (٢/ ١١).
(٥) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان ص ٣٩٥.

أبايع قوما قتلوا رجلا قال له رسول الله ﷺ: «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة» وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا فلما دفن رجع الناس يسألونني البيعة، فقلت اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلما قالوا: أمير المؤمنين فكأن صدع قلبي وانسكب[1] بعبرة، وأقواله في هذا المعني كثيرة[2]، وقد جمعتها في كتابي، تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان[3].

٢ ـ قول قيس بن سعد: أيها الناس إنا قد بايعنا خير ما نعلم بعد نبيًّا ﷺ وهذا مردود، إذ إن الثابت تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، على علي رضي الله عنه كما صح عن علي نفسه أنه صرح بذلك وهذا لا يشك فيه أحد في ذلك الزمان من الصحابة وغيرهم وعليه فلا يصح نسبة هذا الكلام لقيس بن سعد رضي الله عنه ولا لغيره من الصحابة والتابعين، ولم يشتهر هذا إلا عند الشيعة الروافض المتأخرين[4]، قال ابن تيمية: الشيعة المتقدمون كلهم متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر[5]، والأدلة في تفضل أبي بكر وعمر كثيرة منها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان[6] والأحاديث في ذلك كثيرة[7] ومشهورة وحقيقة الأمر كما مر معنا في الروايات الصحيحة السابقة أن معاوية طلب من أمير المؤمنين تسليمه قتلة عثمان ولم يتهم أمير المؤمنين علي به.

٣ـ رسالة معاوية إلى قيس بن سعد: وإشارته فيها إلى كون علي طرفا في قتل عثمان، وهذا لا يصح صدوره من معاوية ذلك أن الأمر واضح فيه براءة علي رضي الله عنه كما مر في الفقرة السابقة وهذا لا يجهله معاوية رضي الله عنه فضلاً أن يُقُرّه لقيس بن سعد رضي الله عنهما، وهذا محمد بن سرين من كبار التابعين ومن الذين عاصروا ذلك المجتمع

(١) المستدرك (٣/ ٩٥، ١٠٣) صحيح على شرط الشيخين.
(٢) مرويات أبي مخنف د. يحي اليحي ص ٢١١.
(٣) عثمان بن عفان للصلابي ص ٤٠٧، ٤٠٩.
(٤) مرويات أبي مخنف ص ٢١١.
(٥) منهاج السنة (١/ ٤، ١١١٩).
(٦) البخاري رقم ٣٦٩٧.
(٧) مرويات أبي مخنف ص ٢١٢.

يقول: لقد قتل عثمان وما أعلم أحدا يتهم عليًا في قتله[١]، ويقول أيضًا: لقد قتل عثمان يوم قتل وإن الدار يومئذ لغاصة، فيهم عبد الله بن عمر، وفيهم الحسن بن علي في عنقه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم أن لا يقاتلوا[٢]، وأخرج ابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات عن محمد ابن الحنفية أن عليًا قال: لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبر والبحر[٣]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدًا[٤]، مما يؤكد اشتهار كراهية علي رضي الله عنه لقتل عثمان[٥].

٤ـ وأما ما أورده من اتهام معاوية للأنصار في دم عثمان فهذا لا يصح من معاوية وهو يعلم أن الذي قام بالدفاع جميعا هم الأنصار، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح أن زيد بن ثابت رضي الله عنه جاء إلى عثمان رضي الله عنه وهو محصور فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين، قال: فقال عثمان أما القتال فلا[٦].

٥ـ ما ذكره من اختلاق معاوية كتابا على لسان قيس بن سعد، فهذا من الكذب الذي لا يعقل صدوره من معاوية، ذلك أن العرب كانوا يعدون الكذب من أقبح الصفات التي يتنزه عنها الرجال الكرام، وهذه قصة أبي سفيان وهو يومئذ على الشرك فيما أخرجه البخاري في قصة سؤال هرقل عن رسول الله ﷺ يقول أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبًا لكذبت عنه[٧]، فهذه منزلة الكذب عند العرب، وعند المسلمين أشد وأخزى ولا يقول قائل: هذه خدعة، والحرب خدعة، فإن الخدعة ليس معناها الكذب كما هو معلوم من كلام العرب، ومعاوية رضي الله عنه أحذق من أن يفعل هذا[٨].

٦ـ رواية هذه الكتب الكثيرة بين قيس ومعاوية وعلي رضي الله عنهم بهذا التسلسل وبهذه الدقة تدخل الشك والريبة على القارئي لجهالة المطلع والناقل لها[٩].

---

(١) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان ص ٣٩٥، مرويات أبي مخنف ص ٢١٢.
(٢) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان ص ٣٥٠.
(٣) المصنف (١٥/٢٦٨).
(٤) نقل ابن عساكر نصوص كثيرة تبين نصرة علي لعثمان، ترجمة عثمان ص ٣٩٥.
(٥) مرويات ابي مخنف في تاريخ الطبري ص ٢١٣.
(٦) الطبقات (٣/ ٧٠) سنده صحيح.
(٧) البخاري رقم ٧.
(٨) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٢١٤.
(٩) المصدر نفسه ص ٢١٤.

يقول الدكتور يحيي اليحيى: إن ولاية قيس بن سعد بن عبادة ﷺ على مصر من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أمـر مجمع عليه[١]، وكل من ترجم لقيس لم يذكر هذه التفاصيل[٢]، أي التي ذكرها أبو مخنف في روايته ـ وحتى مؤرخو مصر المعتبـرون لم يذكروا ذلك[٣]، هذا وقد نقل رواية أبي مخنف من الطبـري بعد حذف واختصـار كل من: ابن الأثير، وابن كثيـر، وابن خلدون، وابن تغري بردي[٤]، وقد أخرج الكندي أيضا عن عـبد الكريم بن الحارث قال: لما ثقل مكان قـيس على معاوية كتب إلى بعض بني أمية بالمدينة: أن جزى الله قيس بن سعد خيراً واكتموا ذلك، فإني أخاف أن يعزله علـي إن بلغه ما بينه وبين شيعـتنا، حتى بلغ عليًّا فقال من مـعه من رؤسـاء أهل العراق وأهـل المدينة، بدل قيـس وتحول، فـقـال علي: ويحكم، إنه لم يفعل، فـدعوني، قالوا لتـعزلنه فإنه قـد بدل، فلم يزالوا به حتى كتب إليـه: إني قد احتجت إلى قربك، فاستخلف على عملك وأقدم[٥]، وقد رجح هذه الراوية الدكتور اليحيى في كتابه القيم مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري قال:

١ـ أنها من رواية مصري ثقة وهو أعلم بقطره من غيره.

٢ـ أخرجها مؤرخ مصري.

٣ـ خلوها من الغرائب.

٤ـ متنها مما يتفق مع سيرة أولئك الرجال.

٥ـ بينت تردد علي في عزل قيـس حتى ألح عليه الناس فاستـبقاه عنده، وهكذا القائد لا يفرط بالقيادات الحاذقة وقت المحن[٦].

ـ تعيين محمد بن أبي بكر على ولاية مصر:

تدخل بعض الناس للإفساد بين علي وقيس بن سعد لكي يعزله وفي نهاية المطاف

---

(١) تاريخ خليفة ص ٢٠١، فتوح مصر ٢٧٤، ولاة ٤٤٠، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣).
(٢) طبقات ابن سعد (٦/ ٥٢)، تاريخ بغداد (١/ ١٧٧)، سير أعلام (٣/ ١٠٢).
(٣) كفتوح مصر، وولاة مصر مرويات أبي مخنف ص ٢٠٧.
(٤) تاريخ ابن خلدون (٤/ ١٠٩٢) ، النجوم الزاهرة (١/ ٩٧) البداية والنهاية (٧/ ٢٥١).
(٥) ولاة مصر ص ٤٥، ٤٦ وفيها المدائني وهو صدوق وبقية رجالها ثقات إلا أنها مرسلة.
(٦) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٢١٠.

طلب بعض مستشاري علي منه أن يعزل قيسا وصدقوا تلك الإشاعات التي قيلت فيه، وألحوا في عزله، فكتب إليه علي: إني قد احتجت إلى قربك فاستخلف على عملك وأقدم[١] وكان هذا الكتاب بمثابة عزل لقيس عن ولاية مصر، وقد عين علي مكانه الأشتر النخعي[٢]، على أكثر الأقوال، وقد التقى علي بالأشتر قبل سفره إلى مصر، فحدثه حديث أهل مصر وخبره خبر أهلها، وقال ليس لها غيرك اخرج رحمك الله فإني إن لم أوصيك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أهمك فاخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ واعزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة[٣]، وقد توجه الأشتر إلى مصر ومعه رهط من أصحابه إلا أنه حينما وصل إلى أطراف (بحر القلزم) ـ البحر الأحمر ـ مات قبل أن يدخل مصر، وقد قيل أنه سقي شربة مسمومة من عسل فمات منها، وقد أتهم أناس من أهل الخراج أنهم سموه بتحريض من معاوية[٤]، والتهمة الموجهة إلى معاوية في قتل الأشتر بالسم لا تثبت من طريق صحيح واستبعد ذلك ابن كثير[٥]، وابن خلدون[٦]. وسار على نهجهم الدكتور يحيي اليحيى[٧]، وملت إلى هذا القول.

هذا وقد مات الأشتر قبل أن يباشر عمله في مصر، ومع ذلك فإن المصادر تتحدث عنه كأحد ولاة مصر لعلي بن أبي طالب وقد ولي بعده على مصر محمد بن أبي بكر[٨].

وقد سبق لمحمد بن أبي بكر أن عاش في مصر في عهد عثمان، وتدل الروايات على أن محمد بن أبي بكر قد وصل إلى مصر قبل أن يغادرها الوالي الأول قيس بن سعد، وقد دارت محاورة بين قيس بن سعد ومحمد بن أبي بكر قدم فيها قيس عدة

(١) ولاة مصر ص ٤٥، ٤٦.
(٢) فتوح البلدان ص ٢٢٩، الولاية على البلدان (٢/ ١٢).
(٣) النجوم الزاهرة (١/ ١٠٣).
(٤) النجوم الزاهرة (١/ ١٠٤)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤).
(٥) البداية والنهاية (٨/ ٣٠٣).
(٦) تاريخ ابن خلدون (٤/ ١١٢٥).
(٧) مرويات أبي مخنف ص ٢٢٤.
(٨) النجوم الزاهرة (١/ ١٠٦).

نصائح لمحمد، خصوصا فيما يتعلق بالناس الغاضبين لمقتل عثمان، والذين لم يبايعوا عليًّا بعده وقد قال قيس يا أبا القاسم إنك قد جئت من عند أمير المؤمنين وليس عزله إياي بمانعي أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هذا على بصيرة، ودع هؤلاء القوم ومن انضم إليهم - يقصد الذين لم يبايعوا عليًّا ولا غيره - على ما هم عليه، فإن أتوك فاقبلهم وإن تخلفوا عنك فلا تطلبهم، وأنزل الناس على قدر منازلهم وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل فإن هذا لا ينقصك[١].

وقد حمل محمد معه عهدا من علي رضي الله عنه فقرأه على أهل مصر وخطبهم[٢]، وقد كتب أمير المؤمنين علي لمحمد بن أبي بكر كتابا جاء عندما ولاه على مصر ولم يكن هذا الكتاب مقتصرا على سياسة الولاية، بل يحوي دعوة محمد بن أبي بكر الصديق إلى الله، ومما جاء في هذا الكتاب، واعلم يا محمد: أنك وإن كنت محتاجًا إلى نصيبك من الدنيا، إلا إنك إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن عرض لك أمران: أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، فابدأ بأمر الآخرة، ولتعظم رغبتك في الخير، ولتحسن فيه نيتك، فإن الله عز وجل يعطي العبد على قدر نيته، وإذا أحب الخير وأهله ولم يعمله كان - إن شاء الله - كمن عمله، فإن رسول الله ﷺ قال حين رجع من تبوك: **«إن بالمدينة لأقواما ماسرتم من مسير، ولا هبطتم من واد إلا كانوا معكم، ما حبسهم إلا المرض: يقول كانت لهم نية»**[٣]، ثم اعلم يا محمد أني قد وليتك أعظم أجنادي: أهل مصر ووليتك ما وليتك من أمر الناس، فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك، وتحذر فيه على دينك، ولو كان ساعة من نهار، فإن استطعت أن لا تسخط ربك لرضا أحد من خلقه منه، فاشتد على الظالم، ولِنْ لأهل الخير وقربهم إليك واجعلهم بطانتك، وإخوانك والسلام[٤]. وبدأ محمد بن أبي بكر يمارس ولايته، وقد مضى الشهر الأول من ولايته بسلام، إلا أن الأمور بدأت تتغير بعد ذلك، فلم يعمل محمد بنصيحة قيس بن سعد، وبدأ يتحرش بأولئك الأقوام الذين لم يبايعوا عليًّا، فكتب إليهم يدعوهم إلى المبايعة فلم يجيبوه فبعث رجالا إلى بعض

(١) ولاة مصر ص ٥٠، الولاية على البلدان (٢/ ١٣).
(٢) الكامل في التاريخ (٢/ ٣٥٦).
(٣) له أصل في صحيح مسلم، ك الإمارة (٣/ ١٥١٨).
(٤) تاريخ الطبري، منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص ٢٨٢.

دورهم فهدموها ونهب أموالهم وسجن بعض ذراريهم فعملوا على محاربته[١]، ثم إن معاوية أعد جيشا بقيادة عمرو بن العاص فغزا به مصر، وتحالف مع من قاتلهم محمد بن أبي بكر وكانت قوتهم كبيرة تصل إلى عشرة آلاف مقاتل وفيهم مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج[٢] ووقعت بينهم وبين محمد بن أبي بكر معارك قوية انتهت بمقتل محمد بن أبي بكر واستيلاء أجناد معاوية على مصر وبذلك خرجت مصر من حكم علي بن أبي طالب ﷺ سنة ثمان وثلاثين للهجرة[٣]، وقد انفرد أبو مخنف الشيعي الرافضي برواية مفصلة ذكرها الطبري[٤]. شوهت كثيراً من حقائق التاريخ والتي لم يخرجها غيره ثم ذكرها بعض المؤرخين على النحو التالي: اليعقوبي: ذكر قتال عمرو بن العاص لمحمد بن أبي بكر، وأن معاوية بن حديج أخذه وقتله ثم وضعه في جيفة حمار فأحرقه[٥]، وأما المسعودي[٦]، وابن حبان[٧]، فقد أشار إلى قتل محمد بن أبي بكر ولم يذكرا التفاصيل[٨]، ونقل ابن الأثير[٩]، رواية أبي مخنف في الطبري باختصار بعدما حذف منها كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر، ونص المكاتبات بين علي وابن أبي بكر، وحذف رد ابن أبي بكر على معاوية وعمرو ابن العاص، من رواية أبي مخنف في الطبري.

وقد ذكر النويري نحوا مما ذكره ابن الأثير[١٠]، وذكر ابن كثير، قريبا مما ذكره ابن الأثير والنويري، وأما ابن خلدون فأشار إلى معنى روايات أبي مخنف[١١]، واختصر ابن تغري بردي روايات أبي مخنف[١٢]، وكل هذه الروايات جاءت من طريق أبي

(١) الكامل في التاريخ (٢/ ٣٥٧)، الولاية على البلدان (٢/ ١٣).
(٢) تاريخ الطبري (٦/ ١١).
(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٩، تاريخ الطبري (٦/ ٥).
(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٧ إلى ١٨).
(٥) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٩٤).
(٦) مروج الذهب (٢/ ٤٢٠).
(٧) الثقات (٢/ ٢٩٧).
(٨) مرويات أبي مخنف ص ٢٤١.
(٩) الكامل (٢/ ٤٠٩ إلى٤١٤).
(١٠) نهاية الأرب (٢٠/ ١٠٧ـ١١٢).
(١١) تاريخ ابن خلدون (٤/ ١١٢٦ ـ ١١٢٨).
(١٢) النجوم الزاهرة (١/ ١٠٧ ـ ١١٢).

مخنف وساهمت في تشويه التاريخ الإسلامي لتلك الحقبة وتناقلها الكتاب المعاصرون دون تمحيص وساهموا في نشرها واستقرت كثيرا من تلك الأكاذيب في أذهان بعض المثقفين، فأصبحت جزءًا لا يتجزأ من ضمن سلسلة المفاهيم المغلوطة التي نشروها بين الناس.

هذا وإن قتل معاوية بن حديج لمحمد بن أبي بكر قد ثبت من طريق صحيح فيما أخرجه أبو عوانة عن عبد الرحمن بن شماسة قال: دخلت على عائشة أم المؤمنين فقالت لي: ممن أنت؟ قلت من أهل مصر قالت: كيف وجدتم ابن حديج في غزاتكم هذه؟ فقلت وجدناه خير أمير، ما مات لرجل منا عبد إلا أعطاه عبدا، ولا بعيرا إلا أعطاه بعيرا، ولا فرس إلا أعطاه فرسا، قالت: أما إنه لا يمنعني قتله أخي أن أحدث ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: **«من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم فشق عليه»**[١].

وقد اشتملت روايات أبي مخنف في تاريخ الطبري حول ولاية محمد بن أبي بكر لمصر ومقتله على جملة من الغرائب أبرزها ما يأتي:

١ـ ما ذكره من مبايعة أهل الشام لمعاوية بالخلافة بعد التحكيم فهذا غير صحيح، فقد نقل ابن عساكر بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي أعلم الناس بأمر الشام[٢]، أنه قال: كان علي بالعراق يدعى أمير المؤمنين وكان معاوية بالشام يدعى الأمير فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين[٣]. فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي وإلى هذا ذهب الطبري، فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيليا[٤]، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع[٥]، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفئا لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضي الله عنه، فإن فضل علي

---

(١) مسند أبي عوانة (٤/ ١١٣)، مسلم (٣/ ١٤٥٨) مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) قال الحاكم هو لأهل الشام كمالك لأهل المدينة تهذيب التهذيب (٤/ ٦٠).

(٣) تاريخ دمشق (١٦/ ٣٦٠).

(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٧٦).

(٥) البداية والنهاية (٨/ ١٦).

وسابقته وعلمه، ودينه، وشجاعته، وسائر فضائله: كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان، وغيرهم رضي الله عنهم[١]، وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»**[٢]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة ومن المحال أن يقدم الصحابة على مخالفة ذلك[٣].

٢ـ قوله: إن عمرو بن العاص صالح معاوية على أن له مصر طعمة ما بقي، فهذه القصة أخرجها ابن عساكر بسند فيه مجهول[٤]، وذكرها الذهبي بصيغة التمريض وبالتالي تصبح ساقطة لا اعتبار لها.

٣ـ اتهام محمد بن أبي بكر بقتل عثمان رضي الله عنه بمشاقصه، فهذا باطل، وقد جاءت روايات ضعيفة في ذلك، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري[٥]، وقد ذكر الدكتور يحيي اليحيي عدة أسباب ترجح براءة محمد بن أبي بكر من دم عثمان منها:

أـ أن عائشة رضي الله عنها خرجت إلى البصرة للمطالبة بقتلة عثمان ولو كان أخوها منهم ما حزنت عليه لما قتل.

ب ـ لعن علي رضي الله عنه لقتلة عثمان رضي الله عنه وتبرؤه منهم، يقتضي عدم تقريبهم وتوليهم، وقد ولى محمد بن أبي بكر مصر فلو كان منهم ما فعل ذلك.

جـ ـ ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن محمد بن طلحة بن مصرف قال: سمعت كنانة مولى صفية بنت حيي قال: شهدت مقتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة، قالت: هل أندى محمد بن أبي بكر شيء من دمه؟ فقال: معاذ الله، دخل عليه، فقال عثمان: يا ابن أخي لست بصاحبي، فخرج، ولم يند من دمه بشيء[٦]، ويشهد لهذا

---

(١) فتاوي ابن تيمية (٣٥/ ٧٣).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٤٨٠).

(٣) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٤١٢.

(٤) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٦١).

(٥) فتنة مقتل عثمان (١/ ٢٠٩).

(٦) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٢٤٣.

ما أخرجه خليفة بن خياط والطبري بإسناد رجاله ثقات عن الحسن البصري، وكان ممن حضر يوم الدار[١]، أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت مني مأخذاً أو قعدت مني مقعدا ما كان أبوك ليقعده فخرج وتركه[٢]، وبهذا يتبين لنا براءة محمد ابن أبي بكر الصديق من دم عثمان، براءة الذئب من دم يوسف، كما تبين أن سبب تهمته هو دخوله قبل القتل[٣]، وقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - أنه لما كلمه عثمان رضي الله عنه استحى، ورجع، وتندم، وغطى وجهه وحاجز دونه فلم تفد محاجزته[٤].

د - ما ورد من تخويف معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لمحمد بن أبي بكر بالمثلة، وما ذكر من جعل محمد بن أبي بكر في جيفة حمار وإحراقه، كل هذا لا يستقيم مع أحكام الشرع في القتلى، فقد ورد الزجر عن التمثيل بالكفار فكيف بالمسلمين، أخرج مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ : **«كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً»**[٥]، وقال الشافعي: وإذا أسر المسلمون المشركين فأرادوا قتلهم، قتلوهم بضرب الأعناق ولم يجاوزوا ذلك إلى أن يمثلوا بقطع يد ولا رجل ولا عضو ولا مفصل، ولا بقر بطن، ولا تحريق، ولا تغريق ولاشيء يعدو ما وصفت، لأن رسول الله ﷺ «نهى عن المثلة»[٦]، وهل يظن بالصحابة الكرام مخالفة هذا وهم كما وصفهم ابن مسعود: خير هذه الأمة، أبرها قلوبا وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ ، كانوا على الهدى المستقيم ورب الكعبة[٧]، وقال عنهم ابن أبي حاتم: ندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم والجري على مناهجهم، والسلوك

(١) المصدر نفسه ص ٢٤٤، تهذيب الكمال (٦/ ٩٧).
(٢) المصدر نفسه ص ٢٤٤.
(٣) فتنة مقتل عثمان (١/ ٢٠٩).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ١٩٣).
(٥) صحيح مسلم (٣/ ١٣٥٧).
(٦) الأم (٤/ ١٦٢)، انظر آثار الحرب في الفقه الإسلامي ص ٤٧٩.
(٧) حلية الأولياء (١/ ٣٠٥).

لسبيلهم والاقتداء بهم قال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[١] [النساء: ١١٥].

وأصح رواية جاءت في إحراقه ما أخرجه الطبراني عن الحسن البصري قال: أخذ هذا الفاسق محمد بن أبي بكر في شعب من شعاب مصر فأدخل في جوف حمار فأحرق[٢]، وهذا الرواية مرسلة إذ إن الحسن لم يشهد الحادثة ولم يسم لنا من نقل عنه، إضافة إلى أن النص لم يذكر من قام باحراقه، وأيضا ما كان الحسن أن يرميه بالفسق وهو يعلم ثناء علي رضي الله عنه عليه وتفضيله له[٣].

هـ - ما ذكره من قوله علي رضي الله عنه: الفاجر بن الفاجر يقصد معاوية، فهذا يستبعد صدوره من علي رضي الله عنه، إذا إن الخلاف مع معاوية دون أبيه، وأبو سفيان رضي الله عنه قد أسلم وحسن أسلامه ومات قبل مقتل عثمان رضي الله عنه فلم يدرك الفتنة[٤]، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، والصحابة أعلم الناس بكتاب الله وأشدهم وقوفا عند حدوده، فكيف ينسب لهم مثل هذا الفعل[٥].

و - ما ذكره من قول معاوية بن حديج رضي الله عنه لعمرو بن العاص لما طلب ابن أبي بكر وتلاوته لهذه الآية ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٣] فهذا يعني تكفير محمد بن أبي بكر وغيره، وهذا لم يعرف من الصحابة وما كان بينهم لم يصل إلى درجة التكفير، وقد وضح سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هذا بقوله: إن ما بيننا لم يبلغ ديننا[٦]. وأيضا فإن معاوية بن حديج من جند عمرو بن العاص رضي الله عنه وما كان له أن يرفض طلب قائده[٧].

ز - ما أورده من قول محمد بن أبي بكر: إن عثمان عمل بالجور ونبذ حكم الكتاب لم أقف له على أصل يثبت صحة نسبته إلى ابن أبي بكر، أما إظهار براءة

---

(١) مقدمة الجرح والتعديل (١/ ٧).
(٢) المعجم الكبير (١/ ٨٤) ورجاله ثقات غير أمية بن خالد فهو صادق.
(٣) الاستيعاب (٣/ ٣٤٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٠٥)، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٢٤٨.
(٥) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٢٤٧.
(٦) فضائل الصحابة (٢/ ٧٥١) وسنده صحيح، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص٢٤٨.
(٧) مرويات أبي مخنف ص٢٤٨.

عثمان ﷺ من ذلك فأشهر من أن تذكر[١]، وقد توسعت فيها في كتابي، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عثمان.

ثامناً: ولاية البصرة:

أرسل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ عثمان بن حنيف الأنصاري أميراً على البصرة بدلا من عبد الله بن عامر واليها السابق الذي تركها واتجه إلى مكة المكرمة، وقد كان عثمان بن حنيف الأنصاري صاحب خبرة في المنطقة إذ سبق أن عينه عمر على مسح (السواد) وتقدير الخراج فيه[٢]، وقد سار عثمان بن حنيف إلى البصرة ودخلها بسلام، إلا أن أهل البصرة انقسموا ثلاث فرق، فرقة بايعت ودخلت في الجماعة، وفرقة اعتزلت وقالت ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنعه، وفرقة رفضت الدخول في البيعة[٣] ولم يلبث عثمان بن حنيف طويلاً في الولاية، فقد قدم إلى البصرة جيش طلحة والزبير وعائشة قبل معركة: الجمل ومعهم ممن خرج للمطالبة بدم عثمان ـ وتطورت وحدث قتال، وخرج عثمان بن حنيف إلى علي بن أبي طالب ﷺ فلقيه في طريقه إلى البصرة قبيل وقعة الجمل، وبذلك انتهت ولاية عثمان بن حنيف وقد وصل علي بن أبي طالب إلى البصرة ومكث فيها بعضا من الوقت حدثت في أثنائه وقعة الجمل ـ التي سيأتي تفصيلها بإذن الله تعالى ـ وعندما أراد علي بن أبي طالب الخروج من البصرة ولى عبد الله بن عباس ﷺ، وقد ولى علي مع عبد الله بن عباس زياد بن أبيه على الخراج، وأمر ابن عباس أن يستشيره ويأخذ برأيه نظرا لما وجد علي عنده من خبرة في العمل وفطانة في السياسية[٤]، وقدم علي بعض النصائح لابن عباس منها قوله: أوصيك بتقوى الله عز وجل والعدل على من ولاك الله أمره، اتسع للناس بوجهك وعلمك وحكمك وإياك والإحن[٥]، فإنها تميت القلب والحق، واعلم أن ما قربك من الله بعدك من النار، وما قربك من النار بعدك من الله، واذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين[٦]، وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله

---

(١) المصدر نفسه ص٢٤٨.
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٢٠).
(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ١٠٧، تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٢).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٥٨٠).
(٥) الإحن: الأحقاد.
(٦) وقعة صفين للمنقري ص ١٠٥، الولاية على البلدان (٢/ ١٥).

في ولايته وهو صحابي عرف بعلمه الواسع في الفقه والتفسير، وقد أثبت مهارة إدارية بتوطيد الأمن في سجستان وهي تابعة لولاية البصرة، وفي إقليم فارس حيث عين زياد بن أبي سفيان واليا عليه، كما أنابه حين خرج من البصرة فتمكن من ضبط الأمن فيها، ويعتبر عبد الله بن عباس من أهم رجالات أمير المؤمنين علي، وكان يرافقه في الأحداث الخطيرة، وينصح له، ويجادل عنه، وكان أمير المؤمنين علي يعتمد عليه ويستشيره وقد استمرت ولاية ابن عباس على البصرة حتى سنة ٣٩هـ وكان يعاونه صاحب الشرطة وصاحب الخراج وقد استمر ابن عباس في بعض الروايات على البصرة حتى مقتل علي قال الطبري في حوادث سنة ٤٠ هـ وفيها خرج عبد الله بن عباس من البصرة، ولحق بمكة، في قول عامة أهل السيرة، وقد أنكر ذلك بعضهم ورغم أنه لم يزل بالبصرة عاملا عليها من قبل أمير المؤمنين علي عليه السلام حتى قتل، وبعد مقتل علي صالح الحسن معاوية،ثم خرج إلى مكة[١].

إن شخصية ابن عباس كانت شخصية قيادية جمعت صفات القائد الرباني، من العلم والفطنة والذكاء والصبر، والحزم وغيرها من الصفات إلا أنه اشتهر بالفقه والعلم بسبب دعاء رسول الله له بالفقه في الدين والعلم بالتأويل، وأخذه عن كبار الصحابة، وقوة اجتهاده وقدرته على الاستنباط، واهتمامه بالتفسير، ومنهجه المتميز في تعليم أصحابه، وحرصه على نشر العلم، ورحلاته وأسفاره، وتأخر وفاته وقرب منزلته من عمر رضي الله عنه[٢]، فقد حظي بعناية خاصة من الفاروق عندما لمس فيه مخايل النجابة والذكاء والفطنة، فكان يدنيه من مجلسه، ويقربه إليه، ويشاوره، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات، وابن عباس مازال شابا غلاما، فكان لذلك الأثر البالغ في دفعه وحثه على التحصيل والتقدم، بل والإكثار في باب التفسير وغيره من أبواب العلم، فعن عامر الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي أبي: يا بني إني أرى أمير المؤمنين يقربك، ويخلو بك، ويستشيرك، مع أناس من أصحاب رسول الله، فاحفظ عني ثلاثا: اتق الله لا تفشين له سراً، ولا يجربن عليك كذبة، ولا تغتابن عنده أحداً[٣]. وكان عمر يدخله مع أكابر الصحابة، وما ذلك إلا لأنه وجد فيه قوة

---

(١) تاريخ الطبري (٦/٥٦).

(٢) تفسير التابعين (١/٣٧٤ - ٣٩٥).

(٣) الحلية (١/٣١٨)، تفسير التابعين (١/٣٧٦).

الفهم وجودة الفكر، ودقة الاستنباط، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: كان عمر يسألني مع أصحاب محمد ﷺ، فكان يقول لي: لا تتكلم حتى يتكلموا، فإذا تكلمت قال: غلبتموني أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه[1]، وكان ابن عباس لشدة أدبه، إذا جلس في مجلس فيه من هو أسن منه لا يتحدث إلا إذا أذن له، فكان عمر يلمس ذلك منه فيحثه، ويحرضه على الحديث تنشيطا لنفسه، وتشجيعا له في العلم[2]، وكان لعمر رضي الله عنه مجلس يسمع فيه الشباب ويعلمهم، وكان ابن عباس من المقدمين عند عمر، فعن عبد الرحمن بن زيد قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى السُّبحة، وفرغ دخل مربداً له[3]، فأرسل إلى فتيان قد قرءوا القرآن منهم ابن عباس، قال فيأتون فيقرءون القرآن ويتدارسونه فإذا كانت القائلة انصرفنا، قال فمروا بهذه الآية، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٦، ٢٠٧]، فقال ابن عباس لبعض من كان إلى جانبه اقتتل الرجلان، فسمع عمر ما قال، فقال: وأي شيء قلت؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين، قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس قال: أرى ها هنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله فإذا لم يقبل، وأخذته العزة بالإثم قال هذا: وأنا أشتري نفسي، فاقتتل، فاقتتل الرجلان، فقال عمر: لله تلادك يا بن عباس[4]، وكان عمر رضي الله عنه يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ثم يقول: غص غواص[5]، بل كان عمر إذا جاءته الأقضية المعضلة يقول لابن عباس: يا بن عباس قد طرأت علينا أقضية عضل، وأنت لها، ولأمثالها، ثم يأخذ برأيه، وماكان يدعو لذلك أحدا سواه إذا كانت العضل[6]، وعن سعد بن أبي وقاص قال: ما رأيت أحداً أحضر فهمًا، ولا

---

(١) المستدرك (٣/ ٥٣٩) قال الحاكم: إسناده صحيح ووافقه الذهبي.

(٢) تفسير التابعين (١/ ٣٧٧).

(٣) السبحة: الدعاء وصلاة التطوع، المربد: المكان يجعل فيه التمر.

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٢٤٥)، الدر المنثور (١/ ٥٧٨).

(٥) فضائل الصحابة لأحمد (١/ ٩٨١) رقم ١٩٤٠.

(٦) تفسير التابعين (١/ ٣٧٩).

ألب لبا، ولا أكثر علما، ولا أوسع حلما من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات، ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار(١)، وكان عمر يصفه بقوله: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانا سؤولا، وقلبا عقولا(٢)، يقول طلحة بن عبيد الله: ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم على ابن عباس أحدا(٣)، وكان ابن عباس رضي الله عنهما كثير الملازمة لعمر، حريصا على سؤاله والأخذ عنه، ولذا كان رضي الله عنه من أكثر الصحابة نقلا ورواية لتفسير عمر وعلمه رضي الله عنه وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن عامة علم ابن عباس أخذه عن عمر رضي الله عن الجميع(٤)، لقد كان اهتمام عمر به مساعدا له على المضي قدما في طريق العلم عامة والتفسير خاصة(٥)، ولذلك تشرفت المدرسة المكية في عهد التابعين بحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما(٦)، وكان ابن عباس في عهد عثمان من المقربين إلى الخليفة وقد كلفه بالحج بالناس في العام الذي قتل فيه(٧)، هذا وقد عمل بعض المتأثرين بمدرسة الاستشراق بتشويه صورة حبر الأمة ونسبوا إليه أباطيل وأكاذيب ألصقوها بسيرته علما بأن مدرسة الاستشراق فيما يتعلق بالعهد الراشدي وتاريخ صدر الإسلام امتداد لمؤرخي الرفض والشيعة الغلاة الذين اختلقوا الروايات والأخبار ولطخوا بها سيرة الصحابة الكرام، فجاء مؤرخو الاستشراق وأحيوا تلك الأخبار الكاذبة، والروايات الموضوعة، وصاغوها بأسلوب حديث ويرفعون شعار الموضوعية والبحث العلمي وكل هذا كذب وزور وقد تأثر به الكثير من الباحثين والأدباء والمؤرخين ولذلك تجد في كتب التاريخ والأدب المعاصر البعيدة عن منهج أهل السنة والموغلة في مناهج المستشرقين، تشويها عجيبا للصحابة، فمثلا، زعمت تلك الكتب بأن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نهب أموال المسلمين بالبصرة، وغدر بابن عمه علي رضي الله عنه، وهرب بالأموال المسروقة إلى مكة، وتطلع

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٩).
(٢) تفسير التابعين (١/ ٣٧٩)، فضائل الصحابة لأحمد رقم ١٥٥٥.
(٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٣٧٠).
(٤) تفسير التابعين (٢/ ٣٧٠).
(٥) تفسير التابعين (١/ ٥٠٦).
(٦) فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للصلابي ص ٢٢٠.
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ٤٢٥ ـ ٤٣١).

للإنضمام إلى معاوية[1] بعد أن كان مع علي ذكر ذلك دون حياء صاحب كتاب الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، الدكتور طه حسين والعبارات التي وردت على لسان طه حسين في كتابه علي وبنوه:

١ـ قال: وكان لابن عباس من العلم بأمور الدين والدنيا، ومن المكانة في بني هاشم خاصة وفي قريش عامة، وفي نفوس المسلمين جميعا، ما كان خليقا أن يعصمه من الانحراف عن ابن عمه[2].

٢ـ قال: رأى ابن عباس نجم ابن عمه في أفول، ونجم معاوية في صعود، فأقام في البصرة يفكر في نفسه أكثر مما يفكر في ابن عمه[3].

٣ـ قال: ولو نسي ابن عباس نفسه قليلا، ولكنه لم ينس نفسه قليلا ولا كثيرا، ولم يضعها بحيث كان يجب عليه أن يضعها منذ قليل، أن يكون واليا لعلي على مصر من أمصار المسلمين[4]، وغير ذلك من الأكاذيب والترهات التي اعتمد قائلوها على الروايات الضعيفة والموضوعة. ويكفي شرفا لابن عبأس دعاء رسول الله ﷺ له: **«اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين»**[5].

هذا وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله في ولايته على البصرة بعد خروج علي من البصرة إلى الكوفة، ولحق ابن عباس بعلي قبيل صفين واستخلف على البصرة زياد ابن أبيه[6]، وفي أثناء ولاية ابن عباس على البصرة قام بالعديد من الأعمال أهمها ترتيب (سجستان) بعد أن قتل واليها على يد مجموعة من الخوارج حيث بعث إليها ابن عباس بأمر من علي مجموعة من أجناد البصرة تمكنوا من قتل الخوارج فيها وترتيب أمورها وتأمين أهلها سنة ٣٦ هـ[7]، كما كان لابن عباس ولأجناد البصرة

---

(١) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص ١٩١.

(٢) الفتنة الكبرى (علي وبنوه) ص ١٢١.

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٢.

(٤) المصدر نفسه ص ١٢٦.

(٥) الطبراني رقم ١٠٥٨٧ إسناده صحيح.

(٦) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٠١، الولاية على البلدان (٢/١٦).

(٧) الكامل في التاريخ (٢/٣٥١، ٣٥٢).

دور مع علي بن أبي طالب في معـركة صفين[١]، كما قام ابن عـباس بتنظيم شؤون بعض الأقاليم التابعة لولايته وعين عليها الأمراء من قبله، حيث وجه إلى فارس زياد ابن أبيه فرتبـها واستطاع أن ينظم أمورها ويؤدب أهلها بعد عـصيانهم[٢]، وفي أيامه غدر أهل إصطخر فقـام بغزوهم وتأديبهم[٣]، وفي سنة ٣٨ هـ أرسل معاوية بن أبي سفيـان رجلا إلى البصرة ليـدعو له بين أهلها، إلا أن زياد بن أبيه نـائب ابن عباس على البصرة تمكن من مقـاومته ومدافعته حتى قـتل الرجل في إحدى دور البصرة[٤] وكان ابن عباس يرافق عليًا في كثير من تحركاته في نواحي العراق، وإذا وقعت بعض الأشياء لابن عبـاس في البصرة كان علي يطلعه عليها بالكتب التي كـان يرسلها إليها باستمـرار ويأخذ رأيه في كثير من القـضايا عن طريق المراسلة، كما كـان ابن عباس أيضا يكتب لعلي عن شؤون ولايته، كما بعثه علي سنة ٣٨ هـ على الحج نيابة عنه، وقد استمر ابن عباس في ولاية البصرة إلى استشهاد علي أخذا برأي الطبري في ذلك وقد وجـد مجموعـة من المساعدين لوالي البـصرة أيام علي فيهم القـاضي وصاحب الشرطة، وصاحب الخراج وغيرهم كما كانت تتبع ولاية البصرة مجموعة من الأقاليم في بلاد فارس، ومما سبق يتبين لنا أن علي بن أبي طالب بعـد مبايعته بادر إلى عزل ابن عامـر، وإلى عثمـان على البصرة، وعين مكانه عـثمان بن حنـيف ولكن حملة الجمل أحـدثت ارتباكا في البـصرة وبالتالي خـرجت من سيطرة عثـمان بن حنيف، فاضطـر إلى مغادرتهـا حتى قـدم علي وبعد مـوقعـة الجمل عـمل علي على تنظيم أمورها[٥]. كمـا وقعت بعض الاضطرابات في الـبصرة من جـراء حركـة الخوارج، وكذلك أثناء محاولة معاوية السيطرة عليـها، إلا أن البصرة مع ذلك استمرت إحدى الولايات الإسلامية التابعة لخلافة علي طيلة عصره، ولم يتمكن خصومه من السيطرة عليها[٦]، وبرزت في البصرة قـدرات ابن عباس القيـادية، وقد انتفع بصحـبته لعلي

(١) الولاية على البلدان (١/ ١٦)، تاريخ الطبري (٥/ ٥٩٥ إلى ٦١٥).
(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٥٢، ٥٣).
(٣) الأخبار الطوال ص ٢٠٥، الولاية على البلدان (٢/ ١٦).
(٤) الولاية على البلدان (٢/ ١٦) نقلا عن تاريخ خليفة بن خياط.
(٥) الولاية على البلدان (٢/ ١٧).
(٦) الولاية على البلدان (٢/ ١٧).

ﷺ وتأثر به غاية التأثر وكان أمير المؤمنين علي يتعهده بالنصح والإرشاد والموعظة بين الحين والآخر حتى أن ابن عباس قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعي بكتاب كتب به إليّ علي بن أبي طالب ؓ، فإنه كتب إلي: أما بعد؛ فإن المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، ويسره درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحًا، وما فاتك منها فلا تأسى عليه حزنا، وليكن همك فيما بعد الموت[1]، وقد كان ابن عباس من أهل القيام، فعن ابن مليكة قال صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان يصلي ركعتين، فإذا ترك، قام شطر الليل، ويرتل القرآن حرفا حرفا، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب[2]، وقد كان ؓ غزير الدمعة حتى أثر ذلك على خديه فعن أبي رجاء، قال: رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من البكاء[3]، وكان ؓ يصوم الاثنين والخميس، فعن سعيد بن أبي سعيد، قال: كنت عند ابن عباس، فجاء رجل، فقال: يا ابن عباس، كيف صومك قال: أصوم الاثنين والخميس، قال: ولم؟ قال: لأن الأعمال ترفع فيهما، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم[4]، وكان كريما جواد يحفظ لأهل السبق مكانتهم ومنزلتهم فقد تعرض أبو أيوب الأنصاري ؓ لأزمة مالية وأثقلته الديون، فنزل على ابن عباس، ففرغ له بيته، وقال لأصنعن بك كما صنعت برسول الله ﷺ، ثم قال: كم دينك؟ قال: عشرون ألفًا فأعطاه أربعين ألفًا، وعشرين مملوكًا، وكل ما في البيت[5]، وكان من أبلغ الناس وله قدرة عجيبة على تفهيم المستمعين فعن الأعمش قال: حدثنا أبو وائل قال: خطبنا ابن عباس، وهو أمير على الموسم، فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا،

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٣٢٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٢).

(٣) المصدر نفسه (٣/ ٣٥٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٢) إسناده فيه ضعف إلا أن فعل ابن عباس ثابت عن النبي ﷺ حيث قال «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم» رواه الترمذي رقم ٧٤٧ حديث حسن.

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٢) فيه انقطاع.

لو سمعته فارس، والروم، والترك لأسلمت[١]، وكان رضي الله عنه من أجمل الناس وأفصح الناس، وأعلم الناس، فعن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس، قلت أجمل الناس، فإذا نطق، قلت أفصح الناس، فإذا تحدث، قلت أعلم الناس[٢]، وقال القاسم بن محمد ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلاً قط[٣]، وقد أصيب رضي الله عنه ببصره قبل وفاته وقد قال في ذلك شعراً:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور[٤]

وابن عباس رضي الله عنه نموذج رائع للعالم الرباني والقائد المحنك والأمير العادل وهو أحد المؤثرين في الأحداث في عهده وهو باختصار من أفضل النماذج لورثة الأنبياء.

تاسعًا: ولاية الكوفة:

استشهد عثمان رضي الله عنه وواليه على الكوفة أبو موسى الأشعري وبعد مبايعة علي بالخلافة أقر أمير المؤمنين علي أبا موسى الأشعري على ولايته، وقد أخذ له البيعة من أهلها وكتب له بموقف أهل الكوفة من بيعته، من حيث تقبل الكثير للبيعة[٥]، وعنده[illegible] المدينة للعراق كان يسأل عن أبي موسى خصوصا، ففي أثنا[illegible] طريق إليها[illegible] يه رجل من أهل الكوفة، فسأله علي عن أبي موسى فقال: إن أردت الصلح، فأبو موسى صاحب ذلك، وإن أردت القتال، فأبو موسى ليس بصاحب ذلك، قال: والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا قال: قد أخبرتك الخبر[٦]، وقد تبين فيما بعد ميل أبي موسى إلى الصلح والمسالمة وعدم القتال بين المسلمين، فقد بعث علي محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والحسن بن علي وغيرهم في وفود مختلفة لاستنفار أهل الكوفة قبل موقعة الجمل - سيأتي الحديث عنها

---

(١) المصدر نفسه (٣/ ٣٥١)، الحلية (١/ ٣٢٤).

(٢) المصدر نفسه (٣/ ٣٥١).

(٣) المصدر نفسه (٣/ ٣٥١).

(٤) المصدر نفسه (٣/ ٣٥٧).

(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٧).

(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٥١١).

بالتفصيل لاحقا إن شاء الله تعالى ـ فسأل أهل الكوفة أبا موسى عن الموقف استشاروه في الخروج: فقال: أما سبيل الآخرة فأن تقيموا، وأما سبيل الدنيا فأن تخرجوا وأنتم أعلم[1]، وقد اقتنع العديد من أهل الكوفة بعد ذلك بالخروج مع الحسن ﵁ بعد محاورات متعددة وطويلة بينهم وبين الحسن، وقيل إنه خرج معه قرابة تسعة آلاف رجل[2]، وتميل العديد من الروايات إلى أن ولاية أبي موسى على الكوفة قد انتهت في هذه الفترة قبيل موقعة الجمل، حيث تذكر بعض الروايات أن الأشتر «وكان أحد قواد علي» قد طرد أبا موسى وغلمانه من قصر الكوفة وتغلب عليه[3]، كما ذكرت بعض الروايات أن عليًا كتب إلى أبي موسى بعزله، وعين مكانه «قرضة بن كعب الأنصاري» واليًا على الكوفة[4]، ثم إن علي بن أبي طالب ﵁ قدم الكوفة بعد موقعة الجمل حيث أصبحت الكوفة قاعدة الخلافة، وبالتالي كان علي ﵁ هو المسؤول مباشرة عن أحوال الكوفة وما يتبعها من ولايات، وأصبح لها مكانة خاصة بقية عصره، حيث كانت عاصمة الخلافة ومنها يدير أمير المؤمنين علي مختلف أنحاء الدولة، وإليها تقدم الوفود، ومنها تخرج الأجناد، كما كان ذلك سببا في جذب السكان إليها، ولاشك أن هذا كان له دور كبير في تنشيط الحركة التجارية والعمرانية في الكوفة طيلة خلافة علي، وقد كان ﵁ كثير الاهتمام بالكوفة ويتفقد أهلها بنفسه كما يحرص على تعيين من ينوب عنه في ولايتها في حال غيابه، فحينما أراد علي الخروج إلى صفين ولي على الكوفة «أبا مسعود البدري»[5] وحينما أراد التوجه لقتال الخوارج في «النهروان»[6]، ولي على الكوفة «هانـي بن هوذة النخعي»[7]، فلم يزل بالكوفة حتى استشهد علي[8] ﵁ ومما سبق نلاحظ أن الكوفة كانت تدار من قبل

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠٨).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٧).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٩).

(٤) الاستبصار لابن قدامة ص ١٢٤، الولاية على البلدان (٢/ ١٩).

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٣).

(٦) هي كورة واسعة بين بغداد وواسط بها العديد من القرى وبها وقعة أمير المؤمنين علي مع الخوارج معجم البلدان (٥/ ٣٢٤).

(٧) الولاية على البلدان (٢/ ٢٠)، تاريخ خليفة. ١٨٧، ٢٠٢.

(٨) المصدر نفسه (٢/ ٢٠).

الولاة، حتى إذا اتخذها علي ﷺ مقرا للخلافة أصبح هو المسؤول عن ولايتها وأخذ ينيب عنه من يتولى شؤونها في غيابه وأصبحت الكوفة ذات أهمية خاصة نظراً لإقامة أمير المؤمنين فيها[١].

عاشراً: ولايات الشرق:

١ـ فارس: تذكر المصادر أن علي بن أبي طالب ولّى على فارس سهل بن حنيف الأنصاري ﷺ، وقد استمر واليا على فارس فترة من الوقت، ثم إن أهل فارس عصوا وأخرجوا سهل بن حنيف سنة ٣٧ هـ تقريبا، فاتصل علي ﷺ بابن عباس، وتباحث معه في شأن فارس، وكان ابن عباس على البصرة، فاتفق معه بعد استشارة مجموعة من الناس على أن يبعث ابن عباس مساعده زياد بن أبي سفيان على فارس[٢]، وهنا يبدو الارتباط واضحا بين ولاية البصرة وإقليم فارس، وإحساس ابن عباس بمسؤوليته عن ذلك الإقليم من خلال مباشرته لولاية البصرة، إذا اتفق ابن عباس مع علي على بعث أحد معاونيه إلى ذلك الإقليم لضبطه وترتيب أموره، وقد توجه زياد إلى فارس يصاحبه أربعة آلاف جندي، فدوخ تلك البلاد وقضى على الفتنة فيها وتمكن من ضبطها[٣]، وقد اشتهر زياد بمقدرة سياسية فذة مكنته من إعادة الاستقرار إلى تلك البلاد بأقل الخسائر[٤]، يقول الطبري: لما قدم زياد فارس بعث إلى رؤسائها فوعد من نصره ومناه، وخوف قوما وتوعدهم وضرب بعضهم ببعض، ودل بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة وأقامت طائفة فقتل بعضهم بعضا، وصفت له فارس فلم يلق فيها حميا ولا حربا، وفعل مثل ذلك بكرمان[٥]، ثم رجع إلى فارس فسار في كورها ومناهم فسكن الناس إلى ذلك فاستقامت له البلاد[٦]، وقد قام زياد بتنظيم أمور فارس، وبنى فيها بعض الحصون، وقام بترتيب شؤون الخراج فيها، كما ضبط العديد من البلدان التابعة لولايته حتى أمنت البلاد

(١) المصدر نفسه (٢/ ٢٠).
(٢) تاريخ الطبري (٦/ ٧١).
(٣) المصدر نفسه (٦/ ٥٣).
(٤) ولاية البلدان (٢/ ٢١).
(٥) تاريخ الطبري (٦/ ٥٣).
(٦) المصدر نفسه (٦/ ٥٢).

واستقامت[١]، وقد استمر زياد واليا على فارس بقية خلافة علي ﷺ، وكان زياد أشهر ولاة علي على فارس نظرا لسياسته وتمكنه من ضبطها[٢]، وقد وجدت بعض التقسيمات الإدارية داخل إقليم فارس، فقد ورد ذكر بعض الولاة المختصين ببلدان معينة داخل الإقليم، فقد ذكرت إصطخر وذكر أنه كان من ولاتها المنذر بن الجارود[٣]، وجرت بينه وبين علي بعض المكاتبات[٤]، كما أن زياد بن أبي سفيان سكنها وتحصن بها بعد مقتل علي ﷺ[٥]، كما ذكرت من بلدان فارس أصبهان التي تعد من أكبر كورها[٦]، وقد ذكر من ولاتها لعلي محمد بن سليم[٧]، كما كان من أشهر ولاة أصبهان لعلي «عمر بن سلمة»، وقد قدم بأموال وطعام من أصبهان إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٨]، وقد ضربت الدراهم زمن علي في هذه المناطق الفارسية سنة ٣٩ هـ ولايزال بعض منها محفوظا في المتحف العراقي وتحمل عبارات عربية، إضافة إلى تاريخ ضربها[٩].

-٢- خراسان: تعتبر خراسان ولاية واسعة، وقد ارتبطت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بولاية البصرة في عهد الخلفاء الراشدين، وفي خلافة علي ﷺ ورد ذكر العديد من الحوادث التي وقعت في هذه الولاية خلال تلك الفترة، كما ورد بعض ولاتها، وبعض الأمراء على كورها وبلدانها، فقد ورد أن أول ولاة علي على خراسان عبد الرحمن بن أبزي[١٠]، كما كان من ولاة علي إلى خراسان جعدة بن هبيرة بن أبي وهب[١١]، وقد بعثه علي ﷺ إلى خراسان، بعد عودته من صفين

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٥٣).
(٢) الولاية على البلدان (٢/ ٢١).
(٣) الطبقات الكبرى (٥/ ٥٦١) (٧/ ٨٧).
(٤) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢٠٣)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٢).
(٥) الأخبار الطوال ص ٢١٩، الولاية على البلدان (٢/ ٢٢).
(٦) معجم البلدان (١/ ٢٠٧).
(٧) الأخبار الطوال ص ١٥٣، الولاية على البلدان (٢/ ٢٢).
(٨) الكامل في التاريخ (٢/ ٤٤٢).
(٩) الدراهم الإسلامية للخلفاء الراشدين ص ٥ ـ وداد القزاز.
(١٠) فتوح البلدان ص ٣٩٩.
(١١) تهذيب الكمال (١/ ١٩١)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٣).

سنة ٣٧هـ وكان أهل خراسان قد ارتدوا فحاول تأديبهم وتنظيم البلاد مرة أخرى[١]، إلا أنه على ما يبدو لم ينجح، فبعث علي أحد قواده إلى خراسان، حتى تمكن من مصالحة أهلها، وضبط أمورها مرة أخرى[٢]، كما تعد سجستان أحد الأقاليم المجاورة لخراسان، وكلا الإقليمين مرتبطان إلى حد ما بوالي البصرة، وفي الغالب فإن هناك ارتباطًا إداريًا بين الإقليمين، وقد ورد ذكر بعض ولاة سجستان في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن هؤلاء عبدالرحمن بن جزء الطائي[٣]، وقد بعثه علي رضي الله عنه إلى سجستان بعد موقعة الجمل، فقام ثوار من صعاليك العرب بقتله، وعاثوا فسادا في البلد، فكتب علي إلى ابن عباس في البصرة أن يوجه أميرا آخر إلى سجستان فوجه ربعي بن كأس العنبري، فاستطاع القضاء على ثورة الصعاليك، وقتل زعيمهم وضبط أمور البلاد، واستقر بها إلى أن استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٤]، وكانت همذان: أحد الثغور الشرقية، وقد امتازت أثناء ولاية عثمان بوجود وال مستقل فيها، وتوفي عثمان وعليها جرير بن عبد الله البجلي وبعد مبايعة علي بالخلافة ووصوله إلى العراق بعث إلى جرير بن عبد الله في همذان بأمره بأخذ البيعة له بالخلافة على من قبله من الناس والقدوم إليه[٥]، وبعث بالرسالة مع رجل يعتمد عليه وقال: إني بعثت إليك بفلان، فاسأله عن ما بدا لك واقرأ كتابي هذا على المسلمين[٦]، وقد قدم جرير إلى علي في الكوفة فبعثه إلى معاوية في الشام، ثم عاد مرة أخرى وتعرض للإهانة من قبل بعض أجناد علي، ومنهم الأشتر وغيره فلحق جرير بمعاوية في الشام، وترك ولايته وكان ذلك قبيل موقعة صفين[٧].

٣ـ أذربيجان: كان الأشعث بن قيس عاملا على أذربيجان حينما توفي عثمان بن عفان، فلما بويع علي بن أبي طالب بالخلافة كتب إلى الأشعث بن قيس أن يبايع

---

(١) فتوح البلدان ص ٣٩٩، الولاية على البلدان (٢/ ٢٣).
(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٩٩، الولاية على البلدان (٢/ ٢٣).
(٣) الولاية على البلدان (٢/ ٢٣).
(٤) فتوح البلدان ص ٣٨٧، الأخبار الطوال ص ١٥٣، الولاية على البلدان (٢/ ١٥٣).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٥٩٩).
(٦) الفتوح ابن أعثم الكوفي (٢/ ٣٦٣)، الولاية على البلدان (٢/ ١٦٧).
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٠، ٦٠١).

له، وأن يأخذ له البيعة على ما قبله[١]، ويبدو أن عليًا رضي الله عنه استقدم الأشعث بن قيس فلحق بعلي في الكوفة، ثم شهد معه المشاهد حيث اشترك معه في صفين[٢]، وفي قتال الخوارج، ويبدو أن عليًا رضي الله عنه ولّى على أذربيجان خلال هذه الفترة سعيد ابن سارية الخزاعي، ثم أعاد الأشعث بن قيس مرة أخرى على أذربيجان، ويظهر أن عليًا ضم إليه ولاية أرمينية، كما صرح بذلك البلاذري[٣]، وقد كانت للأشعث بن قيس بعض الأعمال الهامة أثناء ولاية أذربيجان لعلي ومن ذلك إنزاله مجموعة من العرب من أهل العطاء أرديبل[٤]، وتمصيرها وبناء مسجدها بعد أن انتشر الإسلام بين أهلها[٥]، وقد وردت بعض الأسماء لولاة علي في بعض بلدان المشرق الأخرى، من ذلك أسماء بعض الولاية في الأهواز، ومنهم الخريت بن راشد، وقد كان واليا على بعض بلاد الأهواز قبل صفين، فلما رجع علي من صفين أخذ الخريت بجمع الجنود، ويدعو إلى خلع علي، واستولى على بعض الأماكن فبلغ ذلك عليًا فوجه إليه جيشا تمكن من القضاء على حركته وقتله[٦]، وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل بإذن الله تعالى.

ومن الأمراء لعلي في الأهواز مصقلة بن هبيرة الشيباني[٧]، وقد اشترى أسرى من بعض أجناد علي فأعتقهم، ولم يتمكن من تسديد كامل ثمنهم، ثم فر إلى معاوية في الشام[٨]، وقد أورد خليفة بن خياط والى لعلي على بلاد السند، وذكر أنه جمع جمعا أيام علي وتوجه إلى السند، بعد أن اجتمع إليه الناس، ولكنه فشل في إحدى المعارك ومن معه، ولم يبق من جيشه إلا عصابة[٩] يسيرة كما ذكر من ولاة

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٩٩).

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٩٣، الولاية على البلدان (٢/ ٢٤).

(٣) فتوح البلدان ص ٢٠٧، الولاية على البلدان (٢/ ٢٤).

(٤) أرديبل من أشهر مدن أذربيجان وهي قاعدتها قبل الإسلام واشتهرت بذلك في صدر الإسلام وتقع حاليا على بعد ٦٤ شرق تبريز، معجم البلدان (١/ ١٤٥).

(٥) فتوح البلدان ص ٣٢٤، الولاية على البلدان (٢/ ٢٥).

(٦) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٩٥)، تاريخ الطبري (٦/ ٢٧_ ٤٧).

(٧) الأنساب للسمعاني (٧/ ٤٣٨)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٥).

(٨) البداية والنهاية (٧/ ٣١٠)، الولاية على البلدان (٢/ ٢٥).

(٩) تاريخ خليفة ص ٢٠٠، الولاية على البلدان (٢/ ٢٥) .

علي (يزيد بن حجية التميمي) وقد استعمله علي على الري بعد صفين، ثم اتهمه علي رضي الله عنه بأن أخذ من الخراج فحبسه في الكوفة، ثم فر إلى معاوية في الشام[١]، وأما المدائن فقد كان عليها سعد بن مسعود الثقفي وقد كان له دور رئيسي في مجابهة الخوارج، ودارت بينه وبين علي وقواده العديد من المراسلات في شأنهم، حيث حاولوا الوصول إلى المدائن[٢]، وقد اشتهر عن سعد توليته ابن أخيه ـ المختار بن أبي عبيد الثقفي ـ[٣]، على المدائن في حالة غيابه، وقد غضب علي على المختار الثقفي نتيجة تصرفه تصرفا غير شرعي في أموال الخراج[٤]، ويعتبر سعد من قواد علي المشهورين، ولعل قرب ولايته من الكوفة كان السبب الرئيسي في اشتراكه مع علي في الكثير من المواقع، وقد أورد المؤرخ أبو حنيفة الدينوري بعض الأسماء لولاة علي في مناطق مختلفة[٥]، وهكذا رأينا فيما سبق أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذل جهدا كبيرا في تنظيم الولايات، وأنه عانى من الصعوبات والمشكلات الكثيرة في هذه الولاية، فقد خرجت العديد من الولايات من يده كاليمن والحجاز ومصر، كما أنه لم يفرض سيطرته ابتداء على بعض الولايات كالشام وفلسطين وما جاورها، وأما البلاد والولايات التي استمرت تحت حكمه العراق وفارس فقد عانى فيها من المشكلات الكثيرة وعلى رأسها مشكلة الخوارج الذين ظهروا في تلك المناطق خصوصا في السنوات الأخيرة من حكم علي، وبالتالي فإن الاستقرار في تلك المناطق لم يكن تاما، كما أن أهل البلاد الأصليين في بلاد المشرق كفارس وخراسان وسجستان قاموا بالعديد من الثورات التي قتل فيها بعض ولاة علي ومن أبرز المشكلات التي واجهها علي ما وقع له من خلاف مع بعض الولاة، وبالتالي تخلى عن ولاياتهم، كجرير بن عبد الله في همذان، ومفضلة بن هبيرة في الأهواز وغيرهم وهكذا يتضح أن عليًا رضي الله عنه قضى مدة خلافته في جهاد داخلي مع جبهات داخلية منعته في كثير من الأحيان من تنظيم شؤون تلك البلاد كما أراد، وواجهته العديد من

(١) نهاية الأرب (٢٠/١٩٧)، الولاية على البلدان (٢/٢٦).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٦٩٠).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٦٩٠).
(٤) التمهيد والبيان ص ١٨٦، الولاية على البلدان (٢/٢٦).
(٥) الأخبار الطوال ص ٢٦ نقلا عن الولاية على البلدان (٢/٢٦).

العقبات التي بددت طاقته، واستنفدت جهوده ﷺ، وقد شغلت هذه المشكلات اهتمام المؤرخين فركزوا عليها الأضواء وكان هذا على حساب رصدهم للشؤون التنظيمية والإدارية لهذه الولايات(١).

المبحث الثاني: تعيين الولاة في عهد عليّ ﷺ:

بويع علي بالخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ، وقد وقع الاضطراب في مختلف أنحاء الدولة نتيجة مقتل عثمان، وبالتالي فإن عليًا ﷺ بويع في ظروف صعبة بدأت الدولة الإسلامية خلالها تفقد الشيء الكثير من استقرارها ونشاطها وقد ظهر هذا الاضطراب واضحا في المدينة نفسها، وقد بدأت الأمور تضطرب في مختلف أنحاء الدولة وأحس المستشارون والنصحاء بخطورة ما يقع، فتقدم بعضهم بنصائح إلى علي فيما يمكن أن يفعله من البداية وخصوصا فيما يتعلق بالولاة على البلدان(٢).

أولاً: موقف علي ﷺ من ولاة عثمان ﷺ وتعيينه لأقاربه:

١- موقف علي من ولاة عثمان:

كان أمير المؤمنين علي ﷺ يدرك إدراكًا كاملاً، أن من الأسباب الرئيسية للفتنة، عدم رضا مجموعة من الناس عن ولاة عثمان ﷺ، وذلك بسبب ما أشاعه رؤوس الفتنة ضد عثمان وولاته وليس لعجزهم أو ظلمهم، ولكن الكثير من الكتاب المعاصرين في حديثهم عن سياسة علي في تولية الولاة، يستفتحون بقولهم: إن عليًا لم يكن ليرضى أن يبقي عمال عثمان على ولايتهم ساعة واحدة بعد توليه الخلافة، يمنعه من ذلك دينه وأمانته(٣)، وما أفظع هذا الاتهام الموجه ضد عثمان ﷺ وضد عماله وقد نسفته في كتابي تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان وتحدثت عن حقيقة ولاة عثمان في مبحث كامل(٤)، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

لقد اعتمد من طعن في ولاة عثمان على روايات واهية ومشهورة وهي:

---

(١) الولاية على البلدان (٢/٢٧) جل هذا المبحث من كتابة الولاية على البلدان للدكتور عبد العزيز العمري وهو من أفضل ما اطلعت في هذا الباب فجزاه الله خيرا.

(٢) الولاية على البلدان (٢/٢٧ ، ٢٨).

(٣) الخلفاء الراشدين للنجار ص ٣٧٤.

(٤) عثمان بن عفان للصلاّبي ص ٢٦٤ - ٢٨٩.

أ ـ أولا من طريق الواقدي: أن ابن عباس قال: دعاني عثمان فاستعملني على الحج ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلي، فأتيته في داره، فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به فحبسني حتى خرج من عنده، فقلت: ماذا قال هذا؟ قال: قال لي قبل مرته هذه: أرسل إلى عبد الله بن عامر، وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم تقرهم على أعمالهم، يبايعون لك الناس، فإنهم يهدئون البلاد ويسكنون الناس، فأبيت ذلك عليه يومئذ وقلت: والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي، ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يولى، قال ثم انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنه يرى أنه مخطئ، ثم عاد إليّ الآن فقال: إني أشرت عليك أول مرة بالذي أشرت عليك وخالفتني فيه، ثم رأيت بعد ذلك رأيا، وأنا أرى أن تصنع الذي رأيت فتنزعهم وتستعين بمن تثق به، فقد كفى الله، وهم أهون شوكة مما كان، قال ابن عباس: فقلت لعلي أما المرة الأولى فقد نصحك وأما المرأة الأخيرة فقد غشك، قال لي علي: ولو نصحني؟ قال ابن عباس: لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا، فمتى تثبتهم لا يبالون بمن ولي الأمر، ومتى تعزلهم يقولون: أخذ هذا الأمير بغير شورى، وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك، فينتقض عليك أهل الشام وأهل العراق، مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يكرا عليك فقال علي: أما ما ذكرت من إقرارهم فوالله ما أشك أن ذلك خير في عاجل الدنيا لإصلاحهما، وأما الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان فوالله لا أولي منهم أحدًا أبدًا، فإن أقبلوا فذلك خير لهم، وإن أدبروا بذلت لهم السيف، قال ابن عباس: أطعني وادخل دارك والحق بمالك بينبع، وأغلق بابك عليك، فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك، فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا، فأبى علي، فقال لابن عباس: سر إلى الشام فقد وليتكها، فقال ابن عباس: ما هذا برأي، معاوية من بني أمية، وهو ابن عم عثمان رضي الله عنه وعامله على الشام، ولست آمن أن يضرب عنقي لعثمان، أو أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم علي، فقال له علي، ولم؟ قال لقرابة ما بيني وبينك، وإن كان ما حمل عليك حمل علي ولكن أكتب إلى معاوية فمنه وعده فأبى علي وقال: والله لا كان هذا أبدا[1].

ب ـ الرواية الثانية: وهي مثل الرواية الأولى في المعنى، وفيها زيادة واختلاف يثير

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦١ إلى ٤٦٣).

الشك في صحتها، وهو أن ابن عباس قدم مكة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه فلقي في طريقه الزبير وطلحة ومعهما فئة من قريش بالنواصف[1]، يريد مكة وهذا يخالف الحقيقة، إذ إن عليًّا بويع بعد أن وصل ابن عباس من الحج وأن الزبير وطلحة قد بايعا عليًّا فإذا خرج في هذا الوقت يكون قد خرجا قبل البيعة وهذا خطأ واضح جلي[2].

جـ ـ الرواية الثالثة: رواية أبي مخنف، رواها بدون إسناد، بأن المغيرة بن شعبة أشار على علي أن يثبت معاوية على الشام، وأن يولي طلحة والزبير البصرة والكوفة، فأعترض ابن عباس على رأيه لأن البصرة والكوفة عين المال ومصدره، فإذا ولاهما ضيقا على علي، وأن ولاية معاوية الشام لا تنفعه وقد تضره، فاستمع علي إلى رأي ابن عباس، ولم يقبل مشورة المغيرة بن شعبة[3].

د ـ الرواية الرابعة: وردت رواية الواقدي الأولى بشيء من الاختصار عن ابن عبد البر[4]، ولكن بدل ابن عباس، الحسن[5] إن هذه الروايات يأتي خطرها من حيث أنها الأساس الذي بنيت عليه أهم الدراسات المعاصرة، وخرجت منها بنتائج خطيرة تطعن في أكابر الصحابة أهل الشورى، في دينهم وفي عدلهم وأمانتهم، وتصورهم أفرادا ماديين همهم الثروة والسلطان ولو على حساب دماء المسلمين، وما الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان وما حرب الجمل إلا بسبب هذه الأطماع الشخصية[6] ويظهر الاضطراب والنكارة في متن هذه الروايات في جل فقراتها، فقوله: إن ابن عباس قدم المدينة بعد بيعة علي يخالف الروايات الموثوقة في أنه جاء قبل أن يبايع بالخلافة وقد تقدم وقوله: أشار المغيرة على علي بأن يرسل إلى عبد الله بن عامر، وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم يقرهم على أعمالهم.. يخالف روايات أوثق منها تفيد أن معظم هؤلاء الولاة قد تركوا ولاياتهم واتخذوا سبيلهم إلى مكة، فكيف

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٣).
(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ١٠٣.
(٣) أنساب الأشراف (٢/ ٣٦).
(٤) الاستيعاب (٢/ ٣٧١) بحاشية الإصابة.
(٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص ١٠٣، تاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلافة الراشدة ص ٥٣٧.
(٦) علي وبنوه طه حسين إسلاميات ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٤، عبقرية علي ص ٥٣ـ٥٥ـ٧٥ للعقاد.

يرسل إليهم بإثباتهم وهم قد تركوا البلاد؟ قوله: أن عليًا قال في هؤلاء الولاة: والله لو كانت ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي ولاوليت هؤلاء، ولا مثالهم يولّى، يخالفه أن هؤلاء الولاة مؤهلون للإمارة والقيادة، فقد توسعت على أيديهم الدولة الإسلامية، فعبد الله بن عامر وصلت فتوح البصرة في ولايته إلى كابل عاصمة أفغانستان أما معاوية فلولا أنه لم يكن مؤهلا ما ولي عشرين عاما.. وقد بينت أن عدم رضا مجموعة من الناس عن عمال عثمان هو بسبب ما أشاعه أهل الفتنة عنهم، وليس لعجزهم، والواقع التاريخي يثبت ذلك وتصور الرواية الواهية المغيرة بن شعبة بالمداهنة والغش، وعدم المبالاة بمصلحة المسلمين، وفي هذا الوقت العصيب بالذات، وهذا لا يوافق أخلاقه وسيرته قبل الفتنة وبعدها كما تصور عن حسن نية عليٍّ رضي الله عنه بالجاهل في هذه الأمور السياسية وأن المغيرة وابن عباس هما العارفان بهذه الأمور[1]، وأما رواية أبي مخنف، فإن ابن عباس يشير على علي بعزل معاوية وأن ولايته لا تنفعه «سياسيا» بخلاف روايات الواقدي وفيها أن الصحابيين الجليلين طلحة والزبير إذا ولاهما على مصري العراق، فسيستأثران بموارده المالية، ولن يرها[2] الخليفة إن الروايات السابقة واهية من حيث السند، وهذا كافٍ في إسقاطها ثم هي، مضطربة ومنكرة من حيث المتن، وهي روايات افتراضية إذا حدث كذا فسيحدث كذا، فهي لا تنقل الخبر التاريخي على حقيقته وللأهواء، وتدخل الرواي بشخصه وميوله الرافضية أثر في ذلك[3].

وما قام به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من تعيين ولاة جدد أدعى إلى بيعة الناس في تلك البلاد البعيدة، وليجدد بهم عهد الفتوحات، ويفسح المجال أمام العبقريات الجديدة أن تنطلق وتخدم دين الله تعالى[4].

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يمتلك موهبة قيادية ومعرفة بالنفوس والأوضاع القائمة وأنه أقال الولاة ليختار سواهم حسب ما يراه ملائما لتحقيق الانسجام الإداري والسياسي بين الخليفة وأعوانه وقد عزل عمر بعض ولاة أبي بكر،

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ١٠٥.
(٢) المصدر نفسه ص ١٠٦.
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٦.
(٤) علي بن أبي طالب، عبد الستار الشيخ ص ١٧٦.

كما عزل عثمان بعض ولاة عمر وبالتالي من حق علي أن يعزل من يرى أن المصلحة متحققة بعزله وتعيين غيره[١]، وقد جانب الصواب بعض المؤلفين المعاصرين في قضية عزل علي لولاة عثمان فاشتطت أقلامهم في تفسير هذا الموقف، فمنهم من حمله على صلابة علي في الحق وضرورة التغيير، ومنهم من حمله ضعف خبرة علي السياسية، وأن الأولى سياسيا إبقاء الولاة وخاصة معاوية حتى تستقر الأوضاع وتؤخذ البيعة لعلي في الأمصار، وهذه التفسيرات مدارها على روايات واهية وأخبار ضعيفة تدور حول إبداء المغيرة بن شعبة رأيين متعارضين حول الموقف من الولاية[٢]، كما أن عليًّا رضي الله عنه إمام مجتهد له أن يعزل جميع عمال عثمان إذا رأى المصلحة في ذلك، وقد ولّى رسول الله ﷺ وهو المعصوم خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء وعمرو بن العاص على عمان[٣]، فعزلهما الخليفة من بعده الصديق رضي الله عنه عزل خالد وولي مكانه المهاجر بن أبي أمية له صحبة وعزل عمراً وولي مكانه حذيفة بن محصن ـ له صحبة ـ[٤]، وقد ولي أبو بكر رضي الله عنه القائدين العظيمين خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة رضي الله عنهما فعزلهما عمر رضي الله عنه مع كفاءتهما[٥]، وولي الفاروق رضي الله عنه على مصر عمرو بن العاص[٦] رضي الله عنه، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه[٧]، فعزلهما ذو النورين، وولى على مصر ابن أبي سرح[٨]، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص[٩]، فهل ينتقد عاقل الصديق والفاروق وذا النورين في عزلهم هؤلاء العمال الأكفاء، إن لكل وقت أحوالا وظروفا تطرأ، فيحمل اللاحق على ما لا يراه السابق من الاجتهاد، ويرى الشاهد ما لا يراه[١٠] الغائب، وأما قول بعض الكتاب المعاصرين

---

(١) عصر الخلافة الراشدة ص ١٢٩.
(٢) المصدر نفسه ص ١٥٩.
(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص ٩٧.
(٤) المصدر نفسه ص ١٢٣.
(٥) المصدر نفسه ص ١٢٢.
(٦) المصدر نفسه ص ١٥٥.
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٧).
(٨) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٣)، الولاية على البلدان (١/ ١/ ١٧).
(٩) تاريخ الطبري (٥/ ٢٥١).
(١٠) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٩٩).

بأن أمير المؤمنين علي عزل جميع عمال عثمان، فإن العزل لم يتحقق إلا في معاوية ابن أبي سفيان في الشام[١]، وخالد بن أبي العاص بن هشام في مكة[٢]، وأما البصرة فخرج منها عبد الله بن عامر ولم يول عثمان عليها أحدًا[٣]، وفي اليمن أخذ أميرها يعلي بن منية رضي الله عنه مال جباية اليمن وقدم مكة بعد مقتل عثمان وانضم إلى طلحة والزبير وحضر معهم موقعة الجمل، ووفد ابن أبي سرح عامل مصر واستناب ابن عمه عليها، فلما رجع إليها وجد ابن أبي حذيفة تغلب عليها فطرده عنها، فذهب إلى الرملة بفلسطين ومكث بها حتى مات[٤] وهكذا فإن أمير اليمن والبصرة عزلا أنفسهما، وأمير مصر عزله المتغلب عليها ابن أبي حذيفة، وأمير الكوفة أقره علي رضي الله عنه في منصبه، فلم يرد العزل حقيقة إلا في حق معاوية والى الشام وخالد بن أبي العاص والي مكة، كما أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولي أخيار الناس على المسلمين، فمن الولاة الذين ولاهم على الأقاليم سهل بن حنيف على الشام وهو صحابي جليل شهد بدرا وأحدًا، وثبت مع النبي ﷺ يوم أحد حين انكشف الناس وبايعه على الموت، وجعل ينضح بالنبل عن رسول الله ﷺ وشهد أيضا الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ[٥]، وولي عثمان بن حنيف على البصرة، وهو صحابي من الأنصار كان عاملاً لعمر على العراق[٦]، كما ولي قيس بن سعد بن عبادة على مصر[٧]، وكان صاحب شرطة النبي ﷺ وكان جوادًا من ذوي الرأي والذكاء[٨]، وولي عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب على اليمن له صحبة[٩]، وهو أصغر من أخيه بسنة، وكان كريمًا ممدحًا نبيلاً[١٠]، وأما قول بعض الكتاب، إنه عزل

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٢/ ٢٦١)، مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٨١) رجاله رجال الصحيح.
(٢) تاريخ ابن خياط ص ٢٠١، الولاية على البلدان (٢/ ٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥)، الإصابة ترجمة ٤٧١١.
(٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٠٠).
(٥) الطبقات (٣/ ٤٧١).
(٦) التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢/ ٢٠٩).
(٧) النجوم الزاهرة (٢/ ٩٤)، ولاة مصر ص ٤٤.
(٨) الإصابة (٣/ ٢٤٩)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٠١).
(٩) تاريخ خليفة ص ٢٠٠، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٠١).
(١٠) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥١٢).

العمال قبل أن تصل إليه بيعة أهل الأمصار، فإن تولية الإمام العمال على الأمصار غير مشروطة بوصول بيعة أهلها له عند جميع المسلمين، فمتى بايع أهل الحل والعقد أي خليفة لزمت بيعته جميع البلدان النائية عن مركز خلافته شرعا وعقلا، ولو كانت تولية الخليفة العمال على الأمصار متوقفة على وصول بيعة أهلها له ما تمت بيعة الصديق ﷺ لأنه تصرف بإرسال بعث أسامة ومحاربة المرتدين ومانعي الزكاة قبل وصول بيعة أهل مكة والطائف وجواثي في البحرين، وكذلك الفاروق ﷺ فإنه استهل خلافته بعزل خالد بن الوليد وتولية أبي عبيدة بن الجراح قائدا عاما على جيوش المسلمين بالشام قبل وصول بيعة أهل اليمن وجيوش المسلمين بالشام والعراق إليه، وتصرف ذو النورين ﷺ في أمور المسلمين أيضا قبل بيعة الأمصار إليه(١).

٢- تعيين أمير المؤمنين علي ﷺ بعض أقاربه على الولايات:

تحدث الكتاب المعاصرون عن قضية تولية الأقارب على الولايات في خلافتي عثمان وعلي، حيث إن عثمان عين عدد من الولاة وقد تم تبيين ذلك وكانوا خمسة من بني أمية من ثمانية عشر واليًا وعندما توفي عثمان لم يكن من بني أمية من الولاة إلا ثلاثة وهم معاوية وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعبد الله بن عامر بن كريز فقد عزل عثمان الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص ولكنه عزلهما من أين؟ من الكوفة التي عزل منها عمر سعد بن أبي وقاص، الكوفة التي لم ترض بوال أبدًا، إذا عزل عثمان ﷺ لأولئك الولاة لا يعتبر مطعنًا فيهم بل مطعن في المدينة التي وُلُّوا عليها(٢)، ثم إن الولاة الذين ولأهم عثمان ﷺ من أقاربه قد أثبتوا الكفاية والمقدرة في إدارة شؤون ولاياتهم، وفتح الله على أيديهم الكثير من البلدان وساروا في الرعية سيرة العدل والإحسان، ومنهم من تقلد مهام الولاية قبل ذلك في عهد الصديق والفاروق ﷺ(٣)، وقد قام أمير المؤمنين علي ﷺ بالسير على منهج عثمان في تولية أصحاب الكفاية والمقدرة والصلاح من الأقارب على الولايات وهم من أبناء عمه العباس بن عبد المطلب وهم على التوالي: عبد الله بن عباس، وعبيد الله بن عباس وقثم وتمام ابنا العباس ومحمد بن أبي بكر ربيبه والتحقيق يثبت أن كلا من

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٠١).

(٢) حقبة من التاريخ ص ٧٥، عثمان بن عفان للصلابي ص ٢٦٥، هناك تحقيق موسع في المسألة.

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٤١٧).

علي وعثمان عينا من يغلب على ظنهما كفاءته، وغيرهم ولا يتصور أنهما قدمًا الأقارب بسبب القرابة، وكانت الظروف التي تسود الولايات تقتضي اختيارًا دقيقًا للولاة من حيث القوة والأمانة، فلا تزال الفتوحات في الأقاليم الشرقية غير مستقرة، فضلا عن مشكلات الخوارج في خلافة علي[1]، ولو تأملنا في أنساب ولاة علي لوجدنا أحد عشر واليا منهم من الأنصار من بين ستة وثلاثين واليا، وسبعة منهم من قريش - بينهم أربعة من أبناء العباس بن عبد المطلب وهذه قائمة بأسماء الولاة في خلافة علي[2]:

١ـ سهل بن حنيف الأنصاري (المدينة).

٢ـ تمام بن العباس بن عبد المطلب (المدينة).

٣ـ أبو أيوب الأنصاري (المدينة).

٤ـ أبو قتادة الأنصاري (المدينة).

٥ـ قثم بن العباس بن عبد المطلب (مكة والطائف).

٦ـ عمر بن أبي سلمة (البحرين).

٧ـ قدامة بن العجلان الأنصاري (البحرين).

٨ـ النعمان بن العجلان الأنصاري (البحرين).

٩ـ عبيد الله بن عباس (اليمن والبحرين).

١٠ـ سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري (الجند).

١١ـ مالك بن الأشتر (الجزيرة ثم مصر).

١٢ـ شبيب بن عامر (الجزيرة).

١٣ـ كميل بن زياد النخعي (الجزيرة).

١٤ـ محمد بن أبي حذيفة بن عتبة (مصر).

١٥ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري (مصر).

---

(١) عصر الخلافة الراشدة ص ١٢٩.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٩.

١٦ـ محمد بن أبي بكر الصديق (مصر).

١٧ـ عثمان بن حنيف الأنصاري (البصرة).

١٨ـ عبد الله بن عباس (البصرة).

١٩ـ أبو الأسود الدؤلي (البصرة).

٢٠ـ هاني بن هوذة النخعي (الكوفة).

٢١ـ أبو موسى الأشعري (الكوفة).

٢٢ـ أبو مسعود البدري (الكوفة).

٢٣ـ قرظة بن كعب الأنصاري (الكوفة).

٢٤ـ سهل بن حنيف الأنصاري (فارس).

٢٥ـ زياد بن أبي سفيان (فارس).

٢٦ـ المنذر بن الجارود (إصطخر).

٢٧ـ عمر بن سلمة (أصبهان).

٢٨ـ محمد بن سليم (أصبهان).

٢٩ خليد بن قرة التميمي (خراسان).

٣٠ـ عبد الرحمن بن أبزى (خراسان).

٣١ـ جعدة بن هبيرة بن أبي وهب (خراسان).

٣٢ـ عبد الرحمن بن جزء الطائي (سجستان).

٣٣ـ ربعي بن كأس العنبري (سجستان).

٣٤ـ جرير بن عبد الله البجلي (همذان).

٣٥ـ الأشعث بن قيس الكندي (أذربيجان).

٣٦ـ سعيد بن سارية الخزاعي (أذربيجان).

٣٧ـ الخريت بن راشد الناجي (الأهواز).

٣٨ـ مصقلة بن هبيرة الشيباني (الأهواز).

٣٩ـ يزيد بن حجية التميمي (الري).

٤٠ـ سعد بن مسعود الثقفي (المدائن).

٤١ـ الحارث بن مرة العبدي (السند)[١].

إن عثمان وعلي رضي الله عنهما خلفاء راشدون يقتدى بهما، وأفعالهما تشكل سوابق دستورية في هذه الأمة، فكما أن عمر سن لمن بعده التحرج من تقريب الأقربين، فإن عثمان وعليًا سنا لمن بعدهم تقريب الأقربين إذا كانوا أهل كفاءة[٢].

ثانيًا: مراقبة أمير المؤمنين علي لعماله وبعض توجيهاته:

دأب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مراقبة ولاته وتتبع أحوالهم في ولاياتهم والسؤال عنهم، وقد اتبع لذلك عدة أساليب منها أنه كان يبعث مفتشيه إلى هؤلاء الولاة فيسألون عنهم الناس، وقد يسأل بعض العمال عن بعض ويأمرهم بتفقد أمورهم، فقد كتب إلى كعب بن مالك: أما بعد؛ فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالي وتنظر في سيرتهم[٣]، كما كان علي رضي الله عنه يعتمد على تقارير سرية يبعثها إليه مفتشوه على هذه الولايات ولا يعرف الولاة مهمتهم[٤]، وقد يكون هؤلاء المراقبون من موظفي الوالي أو آخرين مجهولين وقد يكونون مقيمين في الولاية أو متنقلين من ولاية إلى أخرى، ويدل على وجود هذه التقارير السرية ما كان يكتبه علي رضي الله عنه إلى هؤلاء الولاة ولعل تدخل بعض الأشخاص بين أمير المؤمنين وولاته هو السبب في ترك بعضهم للولاية ورفضهم للعمل، كتدخل الأشتر بين علي وجرير بن عبد الله البجلي، وتدخل بعض الناس بين علي ومصقلة بن هبيرة[٥]، وقد فتح علي رضي الله عنه الباب على مصرعيه لأي شكوى تقدم إليه ضد أحد من ولاته، وكان إذا بلغه عن أحد منهم شكاية قال: اللهم إني لم آمرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك[٦]، وقد قام رضي الله عنه بحبس أحد

---

(١) عصر الخلافة الراشدة ص ١٣٠، ١٣١، ١٣٢.

(٢) الأساس في السنة وفقهها سعيد حوى (٤/ ١٦٧٥)، عثمان بن عفان للصلابي ص ٣٦٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢٠٤).

(٤) الولاية على البلدان (٢/ ٣٣).

(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٠، ٦٠١).

(٦) الفتاوى (٢٨/ ١٥١).

الولاة وتأديبه وضربه بالدرة حينما بلغته شكاية عنه[١]، وثبتت التهمة وقد كان أمير المؤمنين علي دائم النصح لولاته، وقد نصح علي ﷺ مجموعة من الولاة منهم قيس بن سعد، حين ولاه على مصر حيث أوصاه تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعدوك، وأعز لوليك فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن[٢]، ومن نصائحه إلى قيس بن سعد في إحدى رسالاته: أما بعد؛ فأقبل على خراجك بالحق وأحسن إلى جندك بالإنصاف، وعلم من قبلك مما علمك الله[٣]، وقد كانت بعض العهود المرسلة للبلدان في تعيين الولاة تشتمل على بعض النصائح والتوجيهات، ومن ذلك عهد علي إلى محمد بن أبي بكر في ولاية مصر الذي قرأه على الناس، فقد كان يحتوي على جملة من النصائح للعامة وللوالي نفسه[٤]، وكانت تجري بين علي وبين ولاته العديد من الاتصالات سواء بالمراسلة الخطية أو الشفهية أو بالاتصال المباشر وبالدرجة الأولى أثناء قدوم هؤلاء الولاة إلى الكوفة لمقابلة أمير المؤمنين علي أو للاشتراك معه في قتال الخوارج وغيرهم ولم يؤثر عن أمير المؤمنين أنه حج واتصل بولاته في الحج بعد مبايعته، كما كان يفعل الخلفاء السابقون، وإنما كان ينيب عنه في ذلك بعض من يثق فيهم كأبناء العباس وغيرهم، وكان ولاة المشرق أكثر ولاة علي اتصالا به، نظراً لقربهم من الكوفة وتكرار وفودهم إليها، وكان علي كثيراً ما يكتب أوامر تصدر على شكل نصائح تبين لهم طريقة العمل، وقد كان بعضها مكتوبًا، وبعضها مشافهة، فقد جاء في أحد كتب أمير المؤمنين إلى عماله، فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة، ولا تجشموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن الناس في الخراج كسوة شتاء، ولا صيف، ولا دابة يعملون عليها، وعبداً، ولا تضربن أحداً سوطا لمكان درهم ولا تمس مال أحد من الناس مصلٍ ولا معاهد[٥]، وتقدم بعض الدهاقين بشكوى إلى علي من أحد عماله فكتب إلى ذلك العامل: أما

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٣٤) نقلا عن الكامل لابن الأثير.
(٢) الولاية على البلدن (٢/ ٣٦).
(٣) الولاية على البلدان (٢/ ٣٦).
(٤) تراث الخلفاء الراشدين ص ١٥٦.
(٥) البلاغة (٢/ ١٥٥).

بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة احتقاراً وجفوة ونظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم، ولا أن يقضوا ويجفوا لعهدهم، فالبس لهم جلبابًا من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء إن شاء الله(١).

ثالثًا: الصلاحيات الممنوحة للولاة في عهد علي رضي الله عنه:

امتنع أمير المؤمنين علي على تسليم جميع السلطات بيد شخص واحد، فكان مبدأه توزيع السلطات وتحديد الصلاحيات فقد نصب ابن عباس واليًا على البصرة، ونصب زياد على الخراج وبيت المال، ولم يكتف بهذا بل أمر ابن عباس أن يسمع منه ويطيع(٢)، وهذا قمة الضبط الإداري فزياد يطيع ابن عباس في إطار ولايته على البصرة وابن عباس يطيع زياد في إطار عمله في بيت المال والخراج، أما لشؤون القضاء فقد نصب أبا الأسود الدؤلي(٣).

ومن خلال عهد أمير المؤمنين علي الذي كتبه لمالك بن الأشتر يمكن أن نلاحظ الصلاحيات الممنوحة للولاة ونحاول أن نجعل الصورة أكثر وضوحا مع التفصيل:

١- تعيين الوزراء:

يقول أمير المؤمنين في عهده لمالك بن الأشتر: إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا، ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة(٤)، فإنهم أعوان الأثمة، وإخوان الظلمة وأنت واجد منهم خير الخلف(٥)، ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، ويبين عليه مثل آصارهم وأوزارهم(٦)، ممن لم يعاون ظالمًا على ظلمه ولا آثما على إثمه، أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفًا، وأقل لغيرك إلفا(٧)، ففي هذا النص الذي أورده أمير المؤمنين علي بصورة نصائح أورد فيه النقاط والحقائق الآتية:

---

(١) نهج البلاغة (٢/ ١٥٥).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٨٠).
(٣) تاريخ خليفة ابن خياط ص ٢٠٠.
(٤) بطانة الرجل: خاصته والآثام: جمع إثم: والظلمة: جمع ظالم.
(٥) الخلف: بمعنى البدل.
(٦) الآصار: جمع أصر وهو الذنب والإثم وكذلك الأوزار .
(٧) الإلف: الألفة والمحبة.

أ ـ تعيين الوزراء من صلاحيات الوالي.

ب ـ الشروط التي يجب أن يختار الوالي وزراءه بموجبها .

جـ ـ طريقة التعامل والعلاقة المتبادلة بين الوالي والوزير.

د ـ وظيفة الوزير.

أما عدد الوزراء فلم يذكره أمير المؤمنين علي بل اكتفى بلفظ الجمع، ويظهر أن عددهم يرتبط بمقدار حاجة الوالي إلى المعاونين لأن عمل الوزير هو مساعدة الوالي في وظائفه وهناك شروط حددها أمير المؤمنين علي: أن لا يكون وزيرا سابقا للولاة الأشرار، وينتخب الوالي من مجموع وزرائه وزيراً واحداً يكون نائبه ومساعده في تمشية الأمور، ويجب أن يختاره من بين وزرائه على أساس[1] قول أمير المؤمنين: ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك[2]، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعًا ذلك من هواك حيث وقع[3]، وأما وظائفهم فهي تدخل في دائرة (المساعدة)، وأما تحديد تفاصيل هذه الدائرة فيوكل إلى الوالي الذي يقرر وظائف وزرائه حسب الحاجة إليهم، ويكون ارتباط الوزراء بالوالي بصورة مباشر[4].

٢- تشكيل مجالس الشورى:

وذلك بالاستعانة بالعلماء والحكماء وهم أهل الحل والعقد، وأهل الخبرة، فقد ورد في حقهم هذا النص: وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك[5].

وفي هذا النص التأكيد على جمع العلماء والحكماء في مجالس استشارية منتظمة ويمكن أن يجرى تعيينهم من قبل الوالي أو يتم انتخابهم من قبل الناس، فليس هناك تحديد من أمير المؤمنين عن طبيعة تشكيل هذه المجالس بل اكتفى أمير المؤمنين بالمطالبة من واليه، وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء، أما كيف تم جمعهم، هل

---

(١) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي د.محسن الموسوي ص ٢٦١.

(٢) مرارة الحق: صعوبته على نفس الوالي.

(٣) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٦٠٩.

(٤) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢٦١.

(٥) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٦١.

اجتمعوا بأمر من الوالي أو يتم انتخابهم من قبل الناس فهذا أمر لم يبت فيه أمير المؤمنين علي بل تركه متعلقا حسب الظروف التي تتحكم في طريقة تعيينهم إما باختيار الوالي أو انتخاب الناس وأما وظيفة هذا المجلس فهو الدراسة والبحث لتحديد السياسات العامة بخصوص الأمرين:

أ ـ تثبيت ما صلح عليه البلاد.

ب ـ إقامة ما استقام عليه الناس من قبل الوالي.

وهذا يعني وضع الخطوط العريضة لكل ما يتعلق بإصلاح أوضاع البلاد والعباد، سواء كان ذلك في مصرف بيت المال أو تعيين الإداريين، أو تقديم الخدمات للأصناف من تجار وصناع ومزارعين، وهذا المجلس أشبه ما يكون بالمجالس المحلية التي تقام في الدول التي يقوم نظامها على اللامركزية[(١)]، وفي نص آخر يذكر أمير المؤمنين صفات هؤلاء المستشارين والمعاونين: ثم ألصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف[(٢)]، وذكر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أهمية الاهتمام بهم وتفقد أحوالهم وأمورهم فقال: ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به[(٣)]، ولا تحقرن لطفا تعاهدتهم[(٤)]، وإن قل فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك، ولا تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيما، فإن لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به، وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه[(٥)].

٣ـ إنشاء الجيش وتجهيزه:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمالك الأشتر النخعي وليكن آثر رؤوس جندك عندك[(٦)]

(١) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ١٦١.

(٢) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٦١٢.

(٣) تفاقم الأمر عظم، فهم مستحقون لكل خير.

(٤) أي لا تعد شيئا من تلطفك معهم حقيرا فتتركه لحقارته فكل تلطف له موقع في قلوبهم.

(٥) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٦١٣.

(٦) أي أفضل وأعلى منزلة من واسى الجند وساعدهم.

من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم هما واحداً في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم[١]، يعطف قلوبهم عليك[٢] والذي يظهر من هذا النص:

أ ـ لابد من وجود قوة عسكرية تدافع عن الولاية.

ب ـ تشكيل هذه القوة وإعدادها من مسؤولية الوالي، ويجرى الإنفاق عليها من بيت مال الولاية.

جـ ـ تعيين رؤساء الجند من مسؤولية الوالي، وهناك شروط على الوالي العمل بموجبها عند اختيار رؤساء الجند، فلابد من رعايتهم والاهتمام بهم حتى يكون همهم هما واحداً في جهاد العدو[٣]، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك[٤].

٤ـ ترسيم السياسة الخارجية في مجال الحرب والسلم:

يقول أمير المؤمنين علي ﵁ لواليه مالك بن الأشتر: ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضا فإن في الصلح دعة لجنودك[٥]، وراحة من همومك وأمنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل[٦]، فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة[٧]، فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت[٨]، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود[٩]، وقد لزم ذلك المشركون فيما

---

(١) أي على الرؤساء.
(٢) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٦١٣.
(٣) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢٦٥.
(٤) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٦١٣.
(٥) الدعة: الراحة.
(٦) قارب: أي تقرب منك بالصلح ليلقي عليك غفلة عنه فيغدرك فيها.
(٧) الذمة: العهد.
(٨) أي الوقاية أي حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.
(٩) أي أن الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشد من الوفاء بالعهود.

بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر[١]، فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسنّ بعدهك[٢]، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته[٣]، وحريما يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره[٤]، فلا إدغال ولا مدالسة[٥]، ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل[٦]، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولايدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبة[٧]، فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك[٨].

واستنادا لهذا النص يقوم الوالي:

١ـ عقد معاهدة الصلح مع الدول والأمم المجاورة.

٢ـ أخذ الاستعداد للحرب، وأخذ الحيطة عند الضرورة وبين هذين الأمرين تجري مفردات كثيرة من تبادل الرسائل، وتبادل الوفود، وتبادل الزيارات وعقد الحوارات[٩].

٣ـ الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامي التي يجب على كل مسلم أن يلتزم بها[١٠]، كما أن الوفاء بالعهود والمواثيق لم يكن عند أمير المؤمنين علي مجرد نظرية مكتوبة على الورق ولكنه كان سلوكا عمليا في حياته بالوفاء بالعهود، وحذر من نقض الأيمان بعد توكيدها في كثير من الآيات القرآنية قال تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ [النحل: ٩١] وقال جل وعلا: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء: ٣٤].

---

(١) لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة أي مهلكة.
(٢) خاس بعهده: خان ونقضه، والختل الخداع.
(٣) أفضاه هنا بمعنى أفشاه.
(٤) يستفيضون: أي يفزعون إليه بسرعة.
(٥) الإدغال: الإفساد، والمدالسة: الخيانة.
(٦) نهج البلاغة ص ٦٢٧.
(٧) نهج البلاغة ص ٦٢٧.
(٨) المصدر نفسه ص ٦٢٧.
(٩) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢٥٦.
(١٠) منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية ص ٣٢٩.

٥- الحفاظ على الأمن الداخلي:

وذلك بانتهاج السياسات السلمية، كتب أمير المؤمنين إلى بعض عماله: أما بعد؛ فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقار وجفوة، فالبس لهم جلبابًا من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء[١]، وتأتي هذه السياسة للحفاظ على الأمن الداخلي فإذا حدث ما يعكر هذه المهمة فإن مهمة الوالي هي محاولة حل المشكل بطرق سلمية بعيدة عن استخدام القوة رافضًا سياسة الاستقواء على الشعب[٢]، وفي رسالته إلى مالك بن الأشتر: فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويهونه، بل يزيله وينقله[٣].

٦- تشكيل الجهاز القضائي في الولاية:

يقول أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه: ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تفيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم[٤]، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه[٥]، ولا تشرف نفسه على طمع[٦]، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه[٧]، وأوقفهم في الشبهات[٨]، وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند انفتاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء[٩]، ولا يستميله إغراء.. وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظرًا[١٠] بليغًا، من هذا النص يظهر لنا:

---

(١) الولاية على البلدان (٢/ ٣٧) نقلاً عن شرح نهج البلاغة (٢/ ٢٣٠) طبعة أخرى غير محمد عبده.

(٢) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢٥٧.

(٣) شرح نهج البلاغة ص ٦٢٧.

(٤) لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والإصرار على رأيه.

(٥) أي: لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق.

(٦) الإشراف على الشيء: الاطلاع عليه من فوق.

(٧) لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقربه دون أن يأتي على أقصى فهم.

(٨) الشبهات: ما لا يتضح الحكم فيها بالنص.

(٩) لا يستخفه زيادة الثناء عليه.

(١٠) شرح نهج البلاغة ص ٦١٥.

أ ـ من مسؤولية الوالي تعيين القضاة.

ب ـ على الوالي الالتزام بشروط صارمة في اختيار القاضي.

جـ ـ على الوالي رعاية القضاة رعاية كاملة حتى لا يشعروا بالحاجة إلى الآخرين[١].

٧ـ النفقات المالية:

المصدر لتمويل النفقات في الولاية، أموال الزكاة والصدقات والغنائم والفيء والخراج والعشور وتوضع في بيت المال وهو المحل الذي يجتمع فيه مال المسلمين، وهناك عامل في بيت المال يسجل كل ما يصله من أموال وكل ما يخرج من بيت المال، ولبيت المال وظيفة مهمة في الإدارة اللامركزية، فما يجتمع من الأموال يتم أولا إنفاقه على شؤون الولاية من موظفين وعمال وقضاة، ومحتاجين، وإعمار إلخ.. وما تبقى يتم إرساله إلى عاصمة الخلافة، ويعتبر بيت المال قلب الولاية الذي يوزع الدم في شرايين الأجهزة العاملة[٢]، قال أمير المؤمنين علي: وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة[٣]، وجزء من هذه الأموال مصدره الخراج - كما ذكرنا - وهو ما وضع لأخذه على الأرض المزروعة وهو المصدر الأول لتغطية رواتب موظفي الولاية، وما زاد على ذلك يوزع على الفقراء والمساكين، يقول أمير المؤمنين علي: الناس كلهم عيال على الخراج وأهله والمقصود بالناس عامة الموظفين والمجاهدين الذين قال عنهم أمير المؤمنين رضي الله عنه : لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله من الخراج وقد أرشد أمير المؤمنين علي إلى استثمار الأرض أي عمارة الأرض فقد قال: وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج لغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد[٤]، فعمارة الأرض سيضيف موارد مالية جديدة يمكن الاستفادة منها في مجال الرواتب والنفقات المتنوعة، وتتم هذه النفقات باستقلالية عن الأجهزة المركزية التي لها حصة من هذه الموارد بعد أن يتم استخراج المقادير الضرورية للولاية، وبعث البقية إلى العاصمة، يقول أمير المؤمنين: وما فضل عن ذلك فاحمله

(١) الإدارة والنظام الإداري ص ٢٥٨.

(٢) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢٦٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ص ٦٤٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ٦١٧.

إلينا لنقسمه فيمن قبلنا[١]، كما أن الإنفاقات المهمة في الولاية إعمار الأنهار، فقد كتب أمير المؤمنين علي لقرظة بن كعب الأنصاري: أما بعد؛ فإن رجالاً من أهل الذمة من عمالك ذكروا نهرا في أرضهم قد عفا وادفن وفيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت وهم ثم أعمر وأصلح النهر، فلعمري لأن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا، وأن يعجزوا ويقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام[٢].

٨- العمال التابعين للولاية ومتابعتهم:

قال أمير المؤمنين علي: ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارًا[٣]، ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنها جماع شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام[٤] المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقا وأصح أعراضًا، وأقل في المطامع إشرافا، وأبلغ في عواقب الأمور نظرا، ثم أسبغ عليهم الأرزاق[٥]، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك[٦]، ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون[٧]، من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم[٨] على استعمال الأمانة والرفق بالرعيّة، وتحفظ من الأعوان، فإن أحدًا منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك[٩]، اكتفيت بذلك شاهدا، فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة[١٠].

وهنا يتحدث عن الموظفين التابعين للولاية والمحافظين على المدن والقرى وجباة الصدقات، وعلى عاتقهم مسؤولية كبيرة لأن عملهم متصل بالناس بصورة مباشرة

---

(١) المصدر نفسه ص ٦١٨، الإدارة والنظام ص ٢٥٨.
(٢) تاريخ اليعقوبي (٢/٢٠٣)، الولاية على البلدان (٢/٣٧).
(٣) أي الاختيار والامتحان قبل تولية الأعمال.
(٤) أي أهلها هم الأولون.
(٥) أكمله ووسع لهم فيه.
(٦) نقصوا في أدائها أو خانوا.
(٧) العيون: الرقباء.
(٨) حدوة لهم: أي سوق لهم وحث.
(٩) اجتمعت عليه أخبار الرقباء.
(١٠) شرح نهج البلاغة ص ٦١٦.

ويتجلى في هذا النص أهمية هؤلاء في الجهاز الإداري لأنهم يمثلون السلطة التنفيذية الحقيقية، فكان لابد من إشباع حاجاتهم حتى لا يطمعوا في مال غيرهم، ولا حقوقهم[١]، ويشير أمير المؤمنين علي إلى أهمية العيون الذين يقومون بأعمال الرقابة على الإدارات والوحدات وبيت المال، ويتم تعيينهم من قبل الوالي ويكون ارتباطهم معه، وهناك شروط يجب أن تتوافر فيهم:

أ ـ أن يكونوا من أهل الصدق حتى تكون تقاريرهم واقعية صادقة.

ب ـ أن يكونوا من أهل الوفاء حتى يكون هدفهم هو الإخلاص للدولة، وبعد تقديم التقارير على الوالي أن يتثبت بدقة في هذه التقارير ولا يسرع في الحكم على الأفراد، ومن أعمال هذا الجهاز فرض الرقابة على التجار وذوي الصناعات لمنعهم من الاحتكار وإيقاع الضرر بالناس، وما قاله أمير المؤمنين في رسالته للأشتر في هذه الفقرة يشير إلى أن دولة الخلافة الراشدة تهتم بدوام المباشرة لأحوال الرعية، وتفقد أمورها، والتماس الإحاطة بجانب الخلل في أفرادها وجماعاتها، وهذا مبدأ قرآني بينه المولى عزوجل على لسان سليمان عليه السلام: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢٠، ٢١]، وتفقد الطير، وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الخلافة والاهتمام بكل جزء فيها والرعاية لكل واحد فيها وخاصة الضعفاء، ولاشك أن القيادة تحتاج إلى لجان ومؤسسات وأجهزة حتى تستطيع أن تقوم لهذه المهمة العظيمة، إن سليمان عليه السلام كان مهتما بمتابعة الجند وأصحاب الأعمال وخاصة إذا راب شيء من أحوالهم، فسليمان عليه السلام، لما لم ير الهدهد بادر بالسؤال ﴿مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ يعني أهو غائب؟ كأن يسأل عن صحة ما لاح له[٢]، ثم قال ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ سؤال آخر ينم عن حزم في السؤال بعد الترفق، فسليمان عليه السلام أراد أن يفهم منه أن يسأل عن الغائب لا عن شفقة فقط ولكن عن جد وشدة، إذا لم يكن الغياب بعذر[٣]، فعهد الخلافة الراشدة تطبيق عملي لمفاهيم القرآن الكريم، إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أشار إلى أهمية الأجهزة الأمنية للدولة المسلمة التي تحرص أشد الحرص على الاهتمام بالأخبار والمعلومات حتى توظف لخدمة الدين، ونشر

---

(١) الإدارة والنظام الإداري عند علي ص ٢٦٦.

(٢) تفسير الرازي (٢٤/١٨٩).

(٣) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (٢/٥٩٣).

المبادئ السامية، والأهداف النبيلة، والمثل العليا، وتقضي على بذور الفساد في الأجهزة المتعددة التي يقوم عليها نظام الولايات.

٩- أصناف طبقات المجتمع:

قال أمير المؤمنين: واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة وكلا قد سمى الله سهمه[١]، ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه ﷺ، عهداً منه عندنا محفوظًا إلى أن قال: ولا قوام لهم جميعًا إلا بالتجار ذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم[٢]، ويقيمونه من أسواقهم ويكفونه من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه وفق غيرهم، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم[٣] ثم أوصى بالتجار وأصحاب الصناعة بهم خيراً فقال: ثم استوصى بالتجار وذوي القناعات وأوصي بهم خيراً: المقيم منهم، والمضطرب بماله[٤]، المترفق ببدنه فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلاّبها من المباعد والمطارح في برك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتم الناس لمواضعها[٥]، ولا يجترئون عليها، فإنهم يسلم لا تخاف بائقته[٦]، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقًا فاحشًا وشحًا قبيحًا[٧]، واحتكار للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاية، فامنع من الاحتكار فإن رسول الله ﷺ منع منه، وليكن البيع بيعا سمحا، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه[٨]، فنكل به، وعاقب في غير إسراف[٩]، ونلاحظ من

---

(١) أي نصيبه من الحق.
(٢) شرح نهج البلاغة ص ٦١١.
(٣) رفدهم: مساعدتهم وصلتهم.
(٤) المتردد بأمواله بين البلدين.
(٥) يجلبونا من أمكنة بحيث لا يمكن التئام الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق.
(٦) البائقة: الداهية.
(٧) الشح: البخل.
(٨) قارف: خالط حركة الاحتكار.
(٩) شرح نهج البلاغة ص ٦٢٠.

كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن طبقة التجار من أهم شرائح المجتمع ولذلك أرشد الولاة إلى الاهتمام بهم من خلال وجود دائرة تتولى رعاية هذه الطبقة والإشراف على أعمالها حتى لا يظهر عليها المظاهر السلبية كالشح والاحتكار وما شابه ذلك، وذوي الصناعات ويلم بهم، ما يلم التجار من أضرار ومشاكل، فكان لابد من قيام جهاز لرعايتهم ومساعدتهم في إتمام أعمالهم[1]، ومن هذه الطبقات أهل الخراج وهم العاملون على الأرض من زراع وحراث وحافرين لآبار، وهم يحتاجون إلى الاهتمام وتشكيل لجان تكون موكلة بأهل الخراج لحل المشكلات التي تعترضهم لأن هذا الطريق هو السبيل إلى التنمية واستثمار الأرض ومن هذه الأصناف أهل الذمة الذين يعيشون في الدولة الإسلامية، ويعملون فيها، فلابد من رعاية الدولة لهم وتفقد شؤونهم، من خلال جهاز يتولى شؤونهم الاقتصادية منها والاجتماعية[2]، ومنها الطبقة السفلى من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمن، فإن في هذه الطبقة القانع[3]، والمعتر[4]، وتشمل هذه الطبقة أهل اليتم وذوي الرقة في السِّنِّ ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، فالدولة مسؤولة عن رعاية هؤلاء كاملة اجتماعية واقتصادية وتعليمية وكان على الوالي أن يحدد وقتا للقاء بهم ليزيل عنهم مشاعر الحرمان ويتفقد أمورهم بنفسه وبصورة مباشرة وعليه أن يوفر الأجواء التي يستطيع بواسطتها هؤلاء المحرومين من التكلم أمام الوالي[5].

١٠- التربية بالعقاب والثواب:

قال أمير المؤمنين علي: ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريبًا لأهل الإساءة على الإساءة وألزم كلامنهم ما ألزم نفسه[6]، واعلم أنه ليس بشيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم[7]، فليكن

(١) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢٦٣.
(٢) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص٢٦٣.
(٣) القانع: السائل.
(٤) المعتر: المتعرض للعطاء بلا سؤال.
(٥) الإدارة والنظام الإداري ص ٢٦٤.
(٦) فإن المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب وللمحسن الثواب.
(٧) قِبَلَهم: بكسر ففتح - أي عندهم.

منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا[١]، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده[٢]، وهذه التربية بالعقاب والثواب تحدث عنها القرآن الكريم وتتضح معالمها جلية في قصة ذي القرنين في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٧، ٨٨].

إن التربية العملية للقيادة الراشدة هي التي تجعل الحوافز المشجعة هدية للمحسن ليزداد في إحسانه وتفجر طاقة الخير العاملة على زيادة الإحسان وتشعره بالاحترام والتقدير وتأخذ على يد المسيء لتضرب على يده، حتى يترك الإساة وتعمل على توسيع دوائر الخير والإحسان في أوساط المجتمع وتضييق حلقات الشر إلى أبعد حدود وفق قانون الثواب والعقاب وهذا ما أرشد إليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

١١- دور العرفاء والنقباء في تثبيت نظام الولايات:

عرف المسلمون النقباء في بيعة العقبة الثانية حينما عين الرسول ﷺ اثنى عشر نقيبا من الأنصار على قومهم ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج[٣]، واستمر تنظيم النقباء والعرفاء في الأجناد الإسلامية المختلفة في عهد عمر ومما ورد في ذلك تنظيم الناس في القادسية على يد سعد بن أبي وقاص حيث اجتمعت القبائل فأمر أمراء الأجناد وعرف العرفاء فعرف على كل عشرة رجلا، كما كانت العرافات أزمان النبي ﷺ وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء وأمر على الرايات رجالات من أهل السابقة وعشر الناس وأمر على الأعشار رجالا من الناس لهم وسائل في الإسلام[٤]، ويعتبر عمر أول من نظم تقسيم الناس في الأمصار عموما، ففي زمانه برز العرفاء على الناس في أمصارهم وأصبحوا مسؤولين أمام الوالي عن قبائلهم والمجموعات المنضمة إليهم حسب التقسيم المتبع ذلك الوقت[٥]، وقد استمر نظام العرفاء طيلة عصر عثمان رضي الله عنه وخلال عهد علي رضي الله عنه فكان يجمع النقباء ويعطيهم الأموال بحصصهم فيقسمونها على من يتبعهم من الناس[٦]، وقد استفاد الولاة من العرفاء في إدارة الولايات في

---

(١) النصب: التعب.

(٢) البلاء هنا: الصنع مطلقا حسنا أو سيئاً انظر: نهج البلاغة ص ٦١.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٤٤٣).

(٤) الولاية على البلدان (٢/١٠٦)، تاريخ الطبري (٥/٨٧).

(٥) النظم الإسلامية، صبحي الصالح، الولاية على البلدان (٢/١٠٦).

(٦) الأموال، القاسم بن سلام ص ٣٤٥، الولاية على البلدان (٢/١٠٦).

الشـؤون المختلفـة المدنية منهـا والعسكرية، فكـانوا يساعـدون في توزيع العطاء على الناس، وفي السيطرة على النظام داخل الولايات، وفي البـحث عن المطلوبين للقضاء وغيره وفي سرعـة تجنيد الناس حين الحاجة، وفي أخذ المشورة مـن الناس، كما كان للنقباء دور في معـرفة من يضاف اسمه إلى العطاء ومن يحذف اسـمه وغير ذلك من الأمور المختلفة، وهكذا كان العرفاء من أهم الموظفين للولاة في إدارة أمصارهم مع أن هؤلاء في الغالب لم يكونوا مـتفرغين لهذا العمل وحـده، بل كانوا مجرد مـساعدين وقت الحاجة، وكان في تقسيم العرفاء والنقـباء في كثير من الأحيان شيء من التنظيم القبلي، حيث كان التـقسيم أحيانا باعتبار القبـيلة، إلى أن كثر الداخلون في الإسلام من الأعاجم وبدأوا يستوطنون الأمصار فبـدأ هذا التقسيم يقل تدريجيا[١] مع احتفاظه بقوته في معظم الأوقات خـلال عهد الخلفاء الراشدين[٢]، وقد كان يتبع الولاة على البلدان بعض كبار القواد الذين يتولون قيادة أقسـام معينة في الجيش ويقومون بالفتوح المختلفة بتوجـيه من أمراء الولايات، كما كانوا يصحبـون الوالي وهو أمير الحرب في غزواته المختلفة ويساعـدونه في تنظيم الجيش وقيادته[٣]، وقد كان أمراء التـعبئة يلون الأمير والذين يلون أمـراء التعبئة أمـراء الأعشار والذين يلون أمراء الأعشـار أصحاب الرايات والذين يلون أصـحاب الرايات والقواد رؤوس القـبائل[٤]، كمـا أن العـرفاء يرفعـون ما يراه قومـهم من اقتراحـات أوتظلمات جمـاعية ويوصلونهـا نيابة عنهم، ويتحدثون باسمهم ويدافعون عن حقوقهم أمام الوالي وغيره[٥].

رابعًا: من المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

١- التأكيد على العنصر الإنساني:

كتب أمير المؤمنين إلى أحد عماله: أما بعد؛ فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتـقارا وجفوة.. فالبس لهم جلبـابًا من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول بين القسوة والرأفـة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقـصاء إن شاء الله[٦]،

---

(١) الولاية على البلدان (١/١٠٧).
(٢) المصدر نفسه (٢/١٠٧).
(٣) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة للزبيدي ص ٤١.
(٤) تاريخ الطبري، نقلا عن الولاية على البلدان (٢/١٠٨).
(٥) العرافة والنقابة للفاروقي ص ٨٠، ٦١و ٨٦ ، الولاية على البلدان (٢/١٠٨).
(٦) نهج البلاغة ص ٥٣٩.

فكان على الرئيس ملاحظة الأوضاع النفسية لمرؤوسيه، وأن يضع استراتيجيته الإدارية على ضوء هذا الواقع، وأن يوازن بين ضرورات الضبط والتنظيم مع الضرورات الواقعية التي تفرزها الحالات الإنسانية والنفسية، فمن الخطأ أن تقوم النظرية الإدارية التنظيمية على قواعد صارمة وثابتة لا تراعي العامل الإنساني، ولا تراعي تأثيرات الظروف وكأن التنظيم الإداري لأي مؤسسة أو منظمة أو حركة، أو حزب أو جمعية أو نادي، إلخ يتحرك في فراغ بمعزل عن التأثيرات الخارجية والداخلية[1].

٢- عامل الخبرة والعلم:

في هذا النطاق يؤكد أمير المؤمنين علي ﷺ على أهمية أن يكون المسؤول صاحب خبرة وعلم، فإذا كان كذلك فله حق الطاعة، وإلا فإنه لا طاعة له، يقول أمير المؤمنين: عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته[2]، فإذا كان جاهلا فإنهم معذورون فلا طاعة للجاهل لأنه يأخذهم إلى الهلاك ويقول أيضا: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[3]، والجاهل غير العارف بالأمور ينتهي أمره إلى معصية الخالق[4]، بأمر مخالف.

٣- العلاقة بين الرئيس والمرؤوس:

هذه العلاقة لا يرسمها التسلسل التنظيمي والتدرج الرئاسي بل ترسمه المصلحة المشتركة بين الرئيس والمرؤوسين، يقول أمير المؤمنين علي لواليه عندما بعثة إلى مصر: ثم أمور من أمورك لابد لك من مباشرتها، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك[5]، ونحن هنا أمام حالة فيها التسلسل الوظيفي إلغاء تامًا وإذا لم يقدر الوالي على القيام بهذه المهمة فإنه ينتدب بعض خلصائه لذلك، فيقول: وتفقد أمور من لايصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم[6]، وهذا تجاوز واضح على الإدارة البيروقراطية التي

---

(١) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢١٧.
(٢) نهج البلاغة ص ٧٠٠.
(٣) المصدر نفسه ص ٧٠١.
(٤) الإدارة والنظام الإداري ص ٢١٧.
(٥) نهج البلاغة ص ٦٢٣.
(٦) نهج البلاغة ص ٦٢١.

ترى أن كل شيء يجب أن يتم ضمن التسلسل الإداري ولا حق لأحد في إلغاء هذا التسلسل ومن يلغي ذلك يعتبر متجاوزا على التنظيم، ثم بين أمير المؤمنين مضار التقيد غير المسؤول بالتسلسل الوظيفي: فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور والاحتجاب عنهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل(١)، هذه هي مضار التسلسل الإداري والتقيد الحرفي به فتباطؤ الأمور بين هذه السلسلة الطويلة وانتقالها من مسؤول إلى مسؤول ومنه إلى مسؤول ثالث فرابع وخامس حتى وصولها إلى الناس العاديين، هذه السلسلة التي تجري بعيدا عن مباشرة الرئيس الأعلى قد تغير الأمور وتقلبها رأسًا على عقب فيصبح الصغير كبيرا والحق باطلا، والحسن قبيحا والقبيح حسنًا كما يقول أمير المؤمنين ﷺ وهو ما تعاني منه التنظيمات البيروقراطية لأنها تعتمد على سلسلة تنتقل عبرها المسائل والقضايا، فتنحرف عن أهدافها ومراميها والعلاج كما يقدمه أمير المؤمنين علي هو أن لا يحتجب المسؤول عن أفراده فاحتجابه يتسبب في تغيير قراراته أو تطبيقها في أحسن الظروف تطبيقا متحجرا بعيد عن الأهداف التي طمح من أجلها ومهمة الرئيس ليست محصورة في لقاء المرؤوسين، بل عليه أن يوفر الأجواء المطمئنة التي تجعل المرؤوس قادرا على طرح مشاكله بطمأنينة وبدون خوف لأن الغاية ليست هي المقابلات الفجة، بل الهدف هو أن يكون هذا اللقاء مفيدا فلابد من خلق الأجواء المناسبة لهذه اللقاءات، يقول في ذلك: واجعل لذوي الحاجات منك قسما تُفرِّغُ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله والذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك من حراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع(٢)، ويبعث إلى قثم بن العباس «ابن عمه» برسالة يقول فيها: ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك ولا حاجب إلا وجهك(٣)، وهناك نصوص أخرى تؤكد على طبيعة العلاقة بين الرئيس والمرؤوسين وإنها لا تقوم عبر الوسائل ولا القيود الإدارية بل تقوم وجها لوجه عندما تستدعي الحاجة لذلك(٤).

---

(١) نهج البلاغة رقم ٥٣ ص ٦٢٤.
(٢) نهج البلاغة ص ٦٢٢.
(٣) نهج البلاغة ٦٤٧.
(٤) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢١٨، ٢١٩.

٤- مكافحة الجمود:

هناك بعض النظريات الإدارية واللوائح التنظيمية تسبب الجمود وإضاعة الوقت والجهد وإضاعة الحقوق، كما أن كثيراً من الأعمال لا يفكر بإنجازها أساساً لأنها تستغرق وقتا طويلاً حتى يتم إقرارها عبر السلسلة الإدارية من هنا جاءت دعوة أمير المؤمنين ﵇: من أطاع التواني ضيع الحقوق[١].

٥- الرقابة الواعية:

الرقابة مهمة في كل تنظيم إداري، فقد نوه أمير المؤمنين عليّ ﵇ إلى هذه الوظيفة فقال: وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية[٢]، فالرقابة عند أمير المؤمنين هي عطف ونصرة للمراقب لمواصلة أداء الأمانة كما وأن الرقابة لابد وأن تتم عبر وسائط من أهل الصدق والوفاء حتى يكون تقييمهم عادلا لا تتلاعب فيه أهواؤهم فالرقابة هنا عامل مساعد على التقدم، وتدفع بالأفراد إلى الحركة، والإخلاص في العمل، إن القوانين الصارمة لا وجود لها في الفكر الإداري لأمير المؤمنين ﵇ عندما تعيق هذه القوانين حركة الأفراد داخل التنظيم، وتصبح سبباً لإضاعة الحقوق[٣].

٦- التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية:

في هذا المجال أكد أمير المؤمنين علي في عهده لواليه على مصر: ثم انظر في أمور عملك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة وأثره، فلابد من إجراء الاختبارات الأولية على الشخص الذي يراد استخدامه في عمل ما يوجب أن يبتعد الرئيس عن المعايير الشخصية في توظيف أو ترقية الأشخاص إلى المناصب العلية، ثم يقول: ثم انظر في حال كُتابك، فول على أمورك خيرهم[٤]. وليس أقربهم إلى قلبك وعائلتك، فلا مجال للروابط والعواطف فالمعيار هو الحق، وتتعلق هذه الميزة بخاصية أخرى هي الأمانة[٥].

---

(١) نهج البلاغة ص ٧١٤.

(٢) نهج البلاغة ص ٦١٦.

(٣) الإدارة والنظام الإداري ص ٢٢١ ، ٢٢٢.

(٤) نهج البلاغة ص ٦١٨.

(٥) الإدارة والنظام الإداري ص٢٢٢.

٧- الضبط:

ففي كتاب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى الأشعث بن قيس يتبين هذا المفهوم، وإن عملك ليس لك بطعمة ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعي لمن فوقك[١]، فقد اعتبر أمير المؤمنين العمل الإداري في هذا النص أمانة ويجب على المسؤول أن يرد هذه الأمانة كما هي وأن يحافظ عليها، وأنه مسؤول أمام الله على أدائها ومسؤول أيضا أمام رئيسه (من فوقه) اعترافا بأهمية التسلسل الوظيفي، وهذا عامل مهم من عوامل إيجاد الضبط الإداري الذاتي الذي يمنع مظاهر التسبب والانحراف[٢].

٨- المشاركة في صنع القرار:

إذا ما أعدنا قراءة النصوص عند أمير المؤمنين التي تحث على المشاورة لوجدنا أن الغاية من هذا الحث هو إيجاد مقدار من المشاركة في صنع القرار وأن لا ينفرد رجل واحد في صنع القرار سواء كان هذا الرجل قائدا عسكريا أو ماليا، أو مديراً أو مسؤولا في أي ميدان من الميادين فـ «الشركة في الرأي تؤدي إلى الصواب»[٣]، لأنها مشاركة جمع من العقول وإضافة آراء ذوي الخبرة والتجربة، فالقرار الذي يأتي عبر مناقشة مستفيضة ستجتمع عليه الآراء فيكون أقرب إلى الصواب[٤]، أما نجاح العمل فالمشاورة تكفل هذا النجاح، يقول أمير المؤمنين علي: شاوروا فالنجاح في المشاورة[٥]، لم يحدد أمير المؤمنين كيفية وأسلوب المشاورة بل وضع أمامنا قاعدة عامة وذكر لنا فوائد تطبيق هذه القاعدة، ولم يستثن ميدانا من الميادين عن المشورة، وهذا يعني أنها ضرورية لكل عمل يقوم به الإنسان، وتشتد الضرورة عندما يكون هذا العمل مناطا بمجموعة من الأشخاص وليس فردا واحدا، وإذا أمعنا النظر في هذا النص: صواب الرأي بإجالة الأفكار[٦]، لاتضح لنا أهمية المناقشات المستفيضة من ذوي الشأن للوصول إلى القرار الصائب[٧].

٩- حسن الاختيار لدى الوالي والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة:

إن حسن الاختيار يسد الطريق أمام المشاكل التي قد تطرأ نتيجة ضعف الموظف أو

---

(١) نهج البلاغة ص ٥٢٥.
(٢) الإدارة والنظام الإداري ص ٢٢٣.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٩.
(٤) المصدر نفسه ص ٢٢٩.
(٥) المصدر نفسه ص ٢٢٩.
(٦) المصدر نفسه ص ٢٢٩.
(٧) المصدر نفسه ص ٢٢٩.

عدم انسجامه مع الجو العام، وإذا ما أمعنا النظر في رسالة أمير المؤمنين علي لمالك الأشتر النخعي لوجدنا الشروط المهمة التي يضعها أمامه عند اختياره لعماله، ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارا، ولا تولهم محاباة وأثرة فإنها جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة فإنهم أكرم أخلاقا، وأصح أغراضا، وأقل في المطامع إسرافا وأبلغ في عواقب الأمور نظراً[١]، فهذه شروط متعددة غير محصورة بالكفاءة اللازمة في العمل فقط، بل لابد من ملاحظة (العامل) من النواحي النفسية والاجتماعية أيضا، حتى لا يأخذه الطموح ولا تتغير نواياه وأغراضه كما لابد من ملاحظة سلوكه الاجتماعي وقدرته على التكيف في المحيط الاجتماعي الجديد، عند ذلك تبدأ مسؤولية التوالي: ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك[٢]، فعندما تجتمع تلك الخصال في فرد من الأفراد ثم يقابل بالمكافأة الجيدة فإن ذلك مدعاة له لأن يستقيم في عمله ويواصل جهده لترقية الولاية أو المؤسسة وفي مكان آخر يقول: وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس، واعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك[٣]، وهذه عوامل تخص الموظفين الكبار من السقوط في طريق الرشوة أو شراه بالمال.

أ ـ لبذل الواسع الذي يكفل جميع حاجاته حتى يشعر بالغنى.

ب ـ المنزلة المرموقة حتى يشعر بالأمن والطمأنينة على وظيفته وهذا ما يسمى بالأمن الوظيفي.

فماذا يريد الموظف بعد كل ذلك إذا كانت حياته مؤمنة، ووضعه الوظيفي مستقرا وهذه الضمانات لكبار موظفي الدولة يمكن إنزالها على الشركات الكبرى والمؤسسات العملاقة وقادة الحركات الإسلامية، إنها كفالة كاملة تضمنها للموظف أفضل الأفكار الإدارية، فحتى الإدارة اليابانية لا تحيط الموظف بهذا الشكل من الرخاء الأمني والمعيشي، فالموظف يأخذ راتبًا معينًا، وقد يكون هذا الراتب غير كاف لتغطية جميع

---

(١) نهج البلاغة ص ٦١٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٦١٦.

(٣) شرح نهج البلاغة ص ٦١٥.

نفقاته فماذا سيعمل حينذاك يا ترى؟ قد تدفعه الحاجة إلى أعمال مشينة مخلة بالأخلاق، لكن المنهاج الإداري لأمير المؤمنين علي ﷺ يجب أن يؤمن الموظف حتى يصل حد الغنى، أي لا يتم الاكتفاء بالراتب الشهري فقط، بل المعيار هو تأمين حاجاته، ومن ثم توفير الأمن الوظيفي له[1]، واعطه من المنزلة ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك[2].

١٠- مرافقة ذوي الخبرات:

فذوو التجارب هم مصدر المعرفة الواقعية، ومن الطبيعي أن يستفيد المتعلم من أصحاب التجارب أكثر ممن يتلقى العلوم النظرية، وقد استفاد اليابانيون من هذه القاعدة عندما حولوا معاملهم إلى جامعات يستفيد منها العامل الجديد، فهو يتلقى الخبرة ممن سبقه، والذي سبقه ممن سبقه، وقد جاءت هذه القاعدة على لسان أمير المؤمنين: خير من شاورت ذوو النهى والعلم وأولو التجارب والحزم[3]، وأفضل من شاورت ذو التجارب[4]، ويقول في مصاحبة أصحاب العلم والتجربة، خير من صاحبت ذوو العلم والحلم[5]، فهذه النصوص ما هي إلا قواعد غايتها إعداد الإنسان المسلم الناجح في الحياة ومن ثم بناء المجتمع المتصف بالتقدم والرقي المستمر[6].

١١- الإدارة الأبوية:

الوالي هو أب قبل أن يكون صاحب سلطة، وهو يتعامل مع موظفيه على أنهم أبناؤه، فمثلما يتحمل الأب تربية أبنائه كذلك يتحمل مسؤولية إعداد كبار موظفي الدولة، وهذا ما أخذت به التجربة اليابانية، والذي نجد له مصداقًا في قول أمير المؤمنين علي إلى مالك الأشتر فيوصيه بموظفيه: ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما[7]، فيجب أن يتعامل المسؤول مع أفراده معاملة الوالد لولده يرعى أبناءه يعفو عنه عندما يسيء وعندما يعاقبه فعقوبته هي تربية له هذه بعض المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.

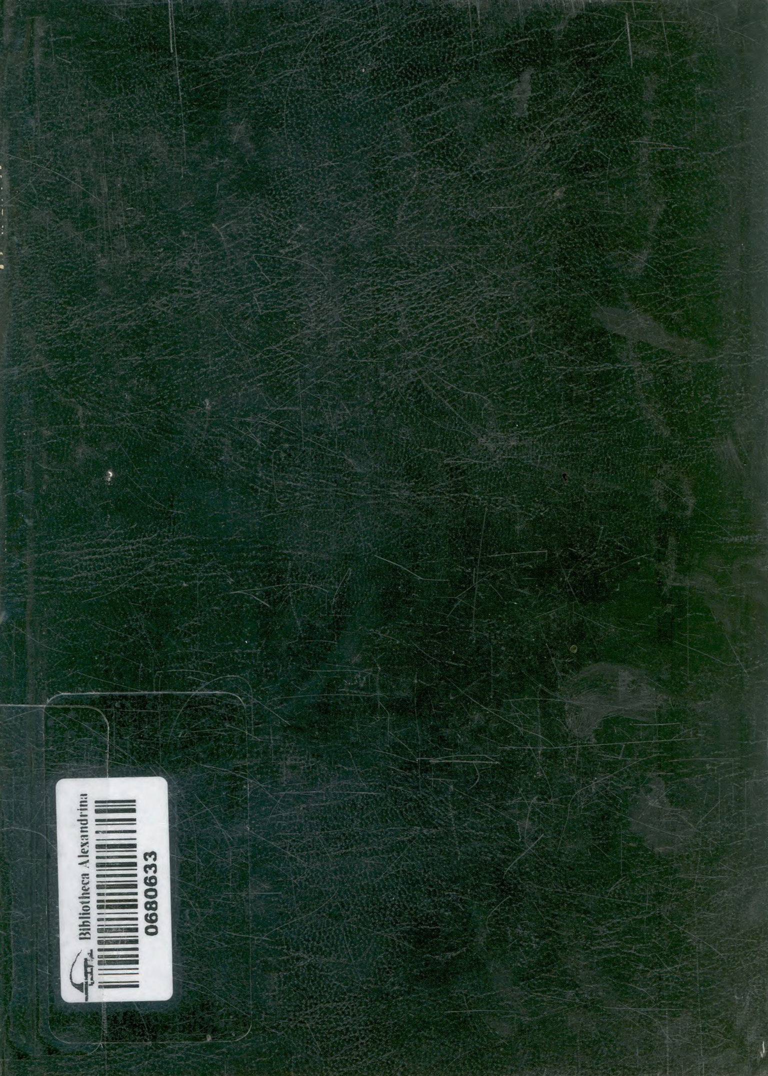
---

(١) الإدارة والنظام الإداري ص ٢٣١.
(٢) شرح نهج البلاغة ص ٦١٥.
(٣) الإدارة والنظام الإداري ص ٢٣٤.
(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٤.
(٥) المصدر نفسه ص ٢٣٥.
(٦) المصدر نفسه ص ٢٣٥.
(٧) نهج البلاغة ص ٦١٢، الإدارة والنظام الإداري ص ٢٣٥.

فهرس الكتاب

الجزء الأول من الكتاب

* * *


Bibliotheca Alexandrina
0680633